دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب



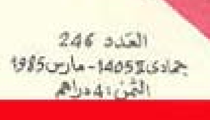




عيد العرش

عيد الوفاء والولاء والتلاحم المتواصل، على طريق العمل المسؤول والابداع الحضاري وتحقيق المزيد من الانتصارات

عدد خاص بالذكرى الرابعة والعشرين
لاعتلاء جلالة الملك الحسن الثاني عرش أسلافه المقدسين



العدد 246
جمادى II 1405 - مارس 1985
الثمن: 4 دراهم

الترجمة العربية لمذكرات جلالة الملك الحسن الثاني

الحسن الثاني
ملك المغرب



التحدي

صدرت عن المطبعة الملكية بالرباط الطبعة العربية لكتاب "التحدي" بقلم جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله
وتضم هذه الطبعة وثائق تنشر لأول مرة .

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية



أسسها
جلالة المغفور لـه
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ — 1957م

التحرير:
الهاتف: 601.85

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

الاشتراكات:
في المملكة المغربية: 55 درهما
في البلاد العربية: 67 درهماً
في العالم: 77 درهما

الحساب البريدي: رقم 55-485. الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat

تهنئة

يحتفل الشعب المغربي قاطبة، من البوغاز إلى الكويرة، بالذكرى الرابعة والعشرين لاعتلاء أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني عرش أسلافه المقدسين. وبهذه المناسبة الخالدة يشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، أن تتقدم إلى الأعتاب الشريفة مهنئة ومباركة وداعية الله عز وجل أن يكلأ بحفظه وعنايته، سيدنا المنصور بالله، ويمده بعونه، ويشد أزره ويحقق به وعلى يديه لشعبه المومن المزيد من المكاسب والانتصارات، ولأمته الاسلامية السؤدد والمجد، بتحرير القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك وكل شبر مازال يرزح تحت نير الاستعمار والاحتلال من تراب الأمة الإسلامية والعربية ويحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم، ويقر عين جلالته بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه المحبوب صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وأخواتهما الأميرات الجليلات وكافة أفراد أسرته الشريفة. إنه سميع مجيب.

دعوة الحق



عيد البيعة والولاء والإخلاص والوفاء

إفتتاحية

☐ يستقبل المغرب شهر مارس من كل سنة، ويستقبل معه ذكرى وطنية عزيزة، تتشوق لها القلوب، وتبتهج لها النفوس، وتعتبرها اغلى الذكريات واعزها، واثمن المناسبات واحبها لدى كل فرد من افراد هذا الشعب المغربي، وفي عواطفه ومشاعره الصادقة، انها ذكرى عيد العرش المجيد الذي يخلد هذه السنة الذكرى الرابعة والعشرين لتربع مولانا امير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين جلالة الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين.

ولاغرو في ذلك، فهي ذكرى متأصلة في نفس كل مغربي وروحه، منقوشة في قلبه وفكره منذ سنوات عديدة، تمتد جذور الاحتفال بها الى عهد جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه. حين قرر الشعب من اقصاه الى اقصاه، ووطد العزم على الاحتفال بتلك المناسبة الخالدة، مهما كلفه ذلك من ثمن ليغيظ الاستعمار ويتحداه ويبرهن له عن مدى التلاحم القائم على الاواصر المتينة التي لا تنفصم عراها، والتي تجمع بين رمز سيادة البلاد وشعبه الوفي، وعما يكنه لعاهله من مودة متناهية، ومحبة متفانية تجعله على اتم استعداد واهبة للتضحية في سبيل ملكه ووطنه بكل ما يملك من غال ونفيس، مما جعل عيد العرش في المغرب عيد التعبير بحق وصدق عن تجديد البيعة والولاء، واستمرار الاخلاص والوفاء لملك البلاد وضامن وحدتها واستقرارها.

ان استقبال المغرب لهذه الذكرى الغالية واحتفاءه بها منذ انشائها من الرعيل الاول الذي كان يناهض ويناضل الاستعمار وبجانب جلالة المغفور له محمد الخامس، وولي عهده آنذاك لم يكن مجرد مظهر خارجي يقوم على اظهار معالم الفرح والزينة، وانما كان يهدف ويرمز من وراء ذلك الى التعبير عن مغزى عميق ومعنى

للدكتور عبد الكبير العلوي المدغري
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

بعيد، هو ابراز تلك العلاقة الروحية القوية، والآصرة الدينية المتينة التي تجعل من عاهل المغرب وعرشه ملكا يجمع بين السلطة الدينية والدنيوية التي ترتكز على الولاء والبيعة الشرعية، وتجعل من ملك البلاد اميرا للمؤمنين وحاميا لحمى الوطن والدين، تجب طاعته على كل من ينضوي تحت لوائه من المسلمين، امتثالا لقول رب العالمين، «يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم»، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم، «من اطاعني فقد اطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن اطاع أميري فقد اطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

وهذا الاساس الديني، والاعتبار الاسلامي في العلاقة والرابطة بين الراعي الامين ورعيته المخلصة جعل الشعب المغربي يزداد تعلقا وحبا للعرش العلوي المجيد على تعاقب الازمان والاجيال، ويتسابق افراده وهيئاته ويتنافسون في اظهار معالم الزينة والسرور، والابتهاج والحبور بهذا العيد الوطني السعيد.

وكيف لا، وقد شاء الله ان يتولى صاحب هذه الذكرى الحبيبة عرش البلاد، ويمسك بزمام مقاليد امورها في اوج شبابه ونضجه بعد ان التحق والده بالرفيق الاعلى راضيا مرضيا، وترك امانة المسؤولية الكبرى لقيادة البلاد وصيانة وحدتها في عهدة خلفه ووارث سره جلالة الحسن الثاني اعزه الله، الذي هيأته الاقدار الالاهية لحمل تلك الامانة العظمى.

وكان جلالته قد تربى في احضان والده المنعم، وتكون في مدرسته الدينية والوطنية، وتشبع بروحه وافكاره النيرة، وآرائه الصائبة وتوجيهاته السديدة، وعاش الى جانبه نضال واحداث ما قبل الاستقلال، ووضع أسس المغرب الحديث بعد انتهاء عهد الحجر والاستعمار، فكونت تلك المدرسة من جلالته رجل دولة وامة واقتصاد وسياسة، وقانون وتجربة، وحنكة وعبقرية فذة، اهلته لان يكون ولي عهد

والده، ووزير صدق له، وخير مساعد ومعين له في الشدة والرخاء، والسراء والضراء، وفي القضايا الوطنية الكبرى داخل البلاد وخارجه.

كما اهلته لان يكون احسن خلف لخير سلف، وان يقود سفينة البلاد، ويدير دفة سياستها الداخلية والخارجية بايمان وحكمة، وذكاء ومهارة، ورشد وفطنة، وتأن وبصيرة وحصافة في الرأي وشجاعة في المبادرة، خصائص ذاتية ومواهب الاهية جعلت أمير المؤمنين يواصل مسيرة الكفاح والجهاد الاكبر، مسيرة النماء والاصلاح، والنهوض بالمجتمع في مختلف الميادين.

انها مسيرة 24 سنة منذ جلوس صاحب الذكرى على عرش اسلافه المقدسين، شهد فيها المغرب من النهوض والتقدم في كل ميدان ما شهد به الواقع، وسجله التاريخ وكتبه في عالم الخلود من الايادي البيضاء لجلالته على وطنه وشعبه جعلت عهده يتميز بمزايا ومعالم لم تتوفر لغيره من العهود.

واذا كانت معالم هذا العهد الفاخر عديدة متنوعة، واعظم من ان توفيها حقها كلمة او تستوعبها مقالة، فان مما يمكن الاشارة والالماح اليه من تلك المعالم البارزة، والمحاور الهادفة : ارساء قواعد الشورى والديمقراطية القائمة على الملكية الدستورية وتحقيق النهوض بمختلف القطاعات الاجتماعية والاقتصادية، وانشاء سدود عظيمة اصبحت مصدر خير ويمن وبركة، والتوجه الى الجانب الروحي للامة بتجديد البعث الاسلامي، وتشييد المساجد والمراكز الدينية، وإنشاء المجلس العلمي الاعلى للمجالس العلمية واحياء الكراسي العلمية في كل من جامع القرويين وابن يوسف، مما اعاد لهذين الجامعين دورهما العلمي ومجدهما التاريخي، وتتويج مسيرة النماء والنضال بتلك المعجزة التي سارت بها الركبان، وكانت حدث القرن العشرين بمنتهى الاعتزاز والافتخار، إنها معجزة المسيرة القرآنية الخضراء التي كانت فتحا مبينا على يد جلالته

لاسترجاع صحرائنا المغربية واستكمال وحدتنا الترابية، التي منحها من اهتمامه البالغ وفكره الثاقب، وعنايته الفائقة وراحته ووقته الثمين ما جعلها آمنة مطمئنة، ووفر لها من وسائل الرقي والحضارة، ما تتوفر عليه بقية اقاليم المملكة العتيدة.

انه العهد الحسني الزاهر، الحافل بجلائل الاحداث والاعمال وعظيم المنشآت والمنجزات في مختلف القطاعات والمجالات، والتي يقع انطلاقها وانجازها وتدشينها في مثل هذه المناسبات، مما يرفع من شأن هذا البلد ويعلي من مكانته، ويزيد من رصيد سمعته وتقدمه، ونهضته وازدهاره بين مختلف الدول والبلاد. وما رئاسة جلالته للجنة القدس، ولمؤتمرات القمة العربية والاسلامية الهادفة الى تحقيق مزيد من التعاون والتضامن بين قادة وشعوب المسلمين، الا مظهر من مظاهر تلك السمعة الطيبة والثقة الكبيرة والمكانة الرفيعة التي يحظى بها عاهلنا المفدى من العالم العربي والاسلامي والدولي، ويحظى بها بلده الكريم، ويجعل جلالته محط الانظار والآمال ومحل التقدير والاجلال، والاعجاب والاكبار.

فتحية مباركة لمولانا امير المؤمنين، وهنيئا لجلالته بهذا العيد الوطني السعيد، وحفظه الله واطال عمره، وخلد في الصالحات ذكره، وأقر عينه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصنوه الامير مولاي رشيد وكافة اسرته الشريفة واعاد امثال هذه الذكرى على جلالته، وهو ينعم برداء الصحة وحلل العافية، وعلى الشعب بالتقدم واليمن والازدهار انه سميع مجيب.

وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

في الذكرى الرابعة والعشرين لعيد العرش

استمرارية الدولة ماذا تعني

لفضيلة الاستاذ عبد الله كنون
رئيس رابطة علماء المغرب
ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بطنجة

لما توفي السلطان مولاي يوسف واعتلى ولده سيدي محمد عرش المغرب سنة 1927 انزعجنا كثيرا، نحن الشباب الذين تجمع بيننا رابطة الوطنية العفوية المتحررة من كل القيود والانتماءات، فقد كان فينا الطلبة المنتمون الى التعليم الاسلامي الاصيل والطلبة المنخرطون في المدارس العصرية التي انشأتها حكومة الحماية، وغير الطلبة من تجار صغار وحرفيين، وبعض الموظفين والمعلمين ومن اليهم، ولم يكن انزعاجنا للحدثين الطبيعيين اللذين لابد منهما طال الزمن ام قصر، فان من نواميس الحياة ان يموت الناس ملوكا وسوقة، ويخلفهم من يخلفهم في ولاياتهم واعمالهم ولكن باعث الانزعاج كان هو استمرار الحماية وتوالي الملوك على العرش، وهي قائمة من غير تقليص لظلها ولا جعل حد لسيطرتها. فاذا كان تنازل السلطان مولاي حفيظ عن العرش يعد بمثابة احتجاج على هذه الحماية واستنكار لتصرفاتها، فان بقاءها طوال عهد مولاي يوسف، وتطلعها للبقاء في العهد الجديد، عهد سيدي محمد يكسبها صفة الرعية ويعطيها قوة الاستمرار.

لاسيما وقد قضى على الثورة الريفية التي كانت سندا للحركة الوطنية ورفضا للحماية الاجنبية لا مجال فيه لتأويل او تفسير. ومع ان الثورات الاخرى التي كانت قائمة في اقاليم عديدة من المملكة وخاصة بالاطلس، لم تقض على الامل في هزيمة العسكرية الفرنسية والتخلص من الحماية بشكل متوقع او بآخر، الا أن الاحتمال السيء، وهو القضاء على هذه الثورات واخمادها كما وقع في الثورة الريفية، لم يكن مما يغيب عن اذهاننا، فلذلك كان على الحركة

الوطنية ان تتخذ الموقف الذي توحي به الظروف الجديدة وتأخذ الامر بجد اكثر مما سبق .

وفي غمار هذه الاحداث قامت الحركة بتنظيم عملها وشددت على تمتين الاواصر التي تربط بين افرادها في مختلف الاقاليم، وانشئت كتلة العمل الوطني وصدرت مطبوعات الحركة ومنشورات بالداخل والخارج وباللغتين العربية والفرنسية، وكانت التصرفات الطائشة لضباط الحماية مما يعين على مواجهة الوضع وتجنيد القوى الخيرة في البلاد ضده، ولعل افظع ما ارتكبه هؤلاء الضباط من اخطاء هو السياسة البربرية المعروفة التي كانت تهدف الى التفرقة بين عناصر السكان والتسور على كرامة الدين باحلال القوانين العرفية محل الشريعة الاسلامية وحل العروة الوثيقة التي تربط الراعي بالرعية والتوصل من ثم الى استتباع معظم السكان وادماجهم اخيرا في الاسرة الفرنسية .

وقد كان لهذه السياسة رد فعل قوي بين المواطنين جميعا على اختلاف طبقاتهم ووقع الاعتراض عليها في المساجد والتجمعات الوطنية، وردد صداها العالم الاسلامي بأسره، وأتاحت الفرصة لاستعلان الحركة الوطنية واشغالها على المكشوف وتأليف الحزب الوطني ورواج الصحف والمنشورات الوطنية واستقطاب الرأي العام المغربي حول القادة الوطنيين، وكان اعظم دعم بلغته الحركة هو تأييد العاهل الكريم لها في السر والعلن، ونزوله بثقله الى الميدان مطالبا ومحتجا ومتصلا بالشخصيات السياسية في فرنسا وغيرها ومفاوضات بشأن تغيير عقد الحماية ومضربا عن توقيع الظهائر التي تعدها الاقامة العامة الفرنسية اي المراسيم والقوانين المختلفة التي يتوقف عليها سير الحكومة، الامر الذي صعد التوتر القائم بين القصر والاقامة الى حد لم يعد يحتمل، ووقعت الازمة وانطلقت المقاومة في المدن والقرى واصبح المغرب الذي كان المستعمر يعده جنة عدن له، جحيما لا يطاق، وخضع العدو للمفاهمة ورجع العاهل الذي ءاثر المنفى على التضحية بكرامة شعبه وعزة وطنه، يحمل في يده وثيقة الحرية والاستقلال، وهو يقرأ قول الله عز وجل (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لغفور شكور) .

لقد أدى محمد الخامس قدس الله روحه واجبه على الوجه الاكمل، وشرف العرش المغربي بما جعله مفخرة للعرش في العالم، وحين تلقى الامانة ولي عهده جلالة الملك المعظم الحسن الثاني قام على قدم وساق في بناء الاستقلال الذي جاء به والده وتوطيد اركان الحرية التي هي روح الاستقلال لا يتحقق وجوده الا بها.. فلم يقر له قرار حتى جلت الجيوش الاجنبية عن المغرب سواء منها الفرنسية والاسبانية والامريكية وطهر التراب الوطني من الدخلاء الذين كانوا يقاسمونه السيادة على أرض الاباء والاجداد، وأنشأ حكومة عصرية معززة بالمؤسسات الديموقراطية وأهمها البرلمان الذي يخطط لسياسة البلاد ونظام الحكم على اساس الشورى واختيارات الشعب .

ولا ننظر في المشروعات التنموية والتطويرية في ميادين التعليم والاقتصاد والتصنيع والاستثمار لخيرات البلاد، فهي امر سارت بذكره الركبان ولا يزور المغرب احد من الاصدقاء أو الاشقاء الا ويقر إن ينبهر بالاشواط التي قطعها في مجال التقدم والتحضر ومجاراة العصر في معطياته ومنجزاته .

ولكن ما لا يجوز اغفاله وعدم التحدث عنه هو اهتمامه باسترجاع الاراضي المغتصبة من بلادنا وحرصه على استكمال وحدة ترابنا الوطني، بكل وسيلة، وان كان بفضل الطرق السليمة كما فعل أولا في استرجاع الصحراء الغربية بالمسيرة الخضراء الشهيرة، حتى اذا قام مرتزقة الجزائر بأحداث الشغب المعروفة، تصدى لهم بالقوة الرادعة والاستراتيجية الحكيمة التي أبطلت كل كيد دبروه أو دبر لهم من خصوم المغرب الذين يستحوذون على الصحراء الشرقية التي لبثت الى ما قبل انتهاء عهد الحماية بقليل تابعة للوطن الاب، فحولها الاستعمار الفرنسي الغشوم الى الجزائر التي كان يحلم بأنها ستبقى أرضا فرنسية الى الابد، وسوف تعود الى أصلها بحول الله اليوم أو غدا، كما ستعود الجيوب الاستعمارية الاخرى التابعة لاسبانيا بهمة الحسن الثاني وتدبيره وسياسته الحكيمة، وذلك من ثمار استمرارية الدولة وتوظيف جهودها في رأب الصدع ولم الشتات والدفاع عن حقيقة البلاد واحراز الكيان، مما لا يتأتى عن غير طريق الاستمرارية والدوام، وفي الحديث : كان أحب الاعمال الى النبي صلى الله عليه وسلم أدومه وان قل .

هذه كلمة نقدمها بين يدي التحية لجلالة الملك والتهاني الصادقة التي نرفعها لسدته العالية بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لجلوسه على العرش سائلين الله عز وجل أن يبقيه ويديم حياته حتى الذكرى الفضية والذهبية وما شاء الله بعدهما في صحة وعافية، لصالح المغرب وفائدة المواطنين، ففي كل عام من عمره المديد إن شاء الله تتحقق منشآت ومشاريع وتزدهر الحياة بالمغرب وتفوق ما كانت عليه قبل، وذاك سر من أسرار استمرار الدولة يعلمه حق العلم كل من ينطوي صدره على حب هذا الوطن وتمنى الخير له.

عبد الله كنون

جلالة الحسن الثاني "أمير المومنين"

لقب "أمير المومنين" واستعماله عند ملوك المغرب

• لفضيلة الاستاذ الشيخ المكي الناصري • رئيس المجلس العلمي الاقليمي للعدوتين •

«امير المؤمنين» لقب اسلامي جليل له اهمية كبرى ومغزى عميق، اول من لقب به من خلفاء الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بعد ما كان الخليفة الاول ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطلق عليه، «خليفة رسول الله» واستمر لقب «امير المؤمنين» سمة مميزة للخلفاء في العصور الاسلامية، وقد استعمل قادة المغرب في فترات استقلاله عن خلافة المشرق لقب «امير المسلمين» حينا، ولقب «امير المؤمنين» في اغلب الاحيان، ولم يقع اي اعتراض على استعمالهم لهذا اللقب، لان المغرب منذ تلقى رسالة الاسلام الخالدة تولى نشرها في العالمين، وقام في عصوره الذهبية خلال عدة قرون، بنصرة اخوانه المسلمين، وللدفاع عنهم في رقعة واسعة من العالم تمتد عبر عدة اقطار في القارتين الاوروبية والافريقية، وكان المغرب في عهوده الزاهرة اسطول قوي يمخر عباب البحر الابيض المتوسط ويفرض احترام المسلمين ومهابتهم، كما كان له جيش قوي مشبع بروح الجهاد في سبيل الله، والتضحية بالنفس والنفيس من اجل عزة الاسلام وعزة المسلمين.

ورغما عما اصاب المد الاسلامي المغربي من جزر وانحسار فقد بقي ملوك المغرب محتفظين بلقب «امير المؤمنين» لا يبغون به بديلا، نظرا لان المغرب هو الحصن الاسلامي الاول «لدار الاسلام» الذي وضعته الاقدار في خط المواجهة، مع العالم المسيحي وجها لوجه طيلة قرون عديدة، الامر الذي جعل اسم «المغرب» كلما جرى على السنة المسلمين وغيرهم — مرادفا لمعنى «الاسلام المجاهد الصامد» الواقف بالمرصاد لرد الهجمات الصليبية والغزوات الاستعمارية.

يضاف الى ذلك ان تمسك المغرب باستقلاله، منذ نشأت دولته المستقلة في عهد ادريس الاول لم يكن يسمح له بالانطواء تحت جناح اية سلطة خارجية كيفما كانت صبغتها، بما في ذلك الخلافة العثمانية التي امتد نفوذها الى المغربين الادني والاوسط، بل كان يرى في عراقة تاريخه، وعصامية دوله، واهمية الدور الرئيسي الذي قام به في خدمة الاسلام، وزعامته السياسية التي سجلها التاريخ ردحا طويلا من الزمن في هذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي، ما يجعله جديرا بالحرص على الاحتفاظ بلقب «امير المؤمنين» لرؤسائه الميامين، ولا سيما منذ ان عادت مقاليد الحكم في المغرب — كما بدأت — الى ايدي الاشراف من آل البيت النبوي الطاهر

استعمال هذا اللقب على عهد الملوك العلويين

وهكذا استمر ملوك الدولة العلوية الشريفة، من آل علي الشريف محتفظين بهذا اللقب المنيف، ابا عن جد، معتزين به، عاملين على ابرازه، لا فرق في ذلك بين مخاطباتهم اليومية، ووثائقهم الرسمية، وعلاقاتهم الدولية، من غير ان ينازعهم فيه منازع، لا من الاقارب، ولا من الاجانب ولا يوجد بين بقية رؤساء المسلمين في هذا العصر من يدعى هذا اللقب او يدعي له.

واذا كان الملوك العلويون قد احتفظوا لانفسهم بهذا اللقب فانهم لم يكتفوا بحمله على انه مجرد «لقب تشريف» وانما حملوه وتعاملوا معه على انه «لقب تكليف» قبل ان يكون لقب تشريف، فقد كرسوا كافة جهودهم للوفاء بالتزاماته. والقيام بمسؤولياته، واول تلك الالتزامات التي وفوا بها : الحفاظ على معالم الدين، والدفاع عن حرمات المسلمين، وحفظ الطابع الاصيل لهذا البلد الامين، واول تلك المسؤوليات التي تحملوا عبأها : حماية حمى المغرب من هجمات الاعداء وتحرير ثغوره من ايدي الغزاة الدخلاء، فقد كانت نشأة الدولة العلوية الشريفة، ، ومبايعتها من طرف الشعب المغربي الابي، مزامنة لفترة المد الاستعماري في العالم الاسلامي شرقا وغربا، وهي فترة الهجمة الاوروبية الطاغية على اطراف العالم، وكانت تلك الفترة بالذات من اشد الفترات خطرا على المغرب المسلم، ومصير

المغاربة المسلمين، اذ من الناحية الداخلية كانت اخطار التجربة الاندلسية البغيضة التي سبق ان قام بها ملوك الطوائف بالاندلس قد استشرى داؤها، واستفحل شرها بسهول المغرب وجباله، مما هدد وحدة المغرب الدينية والوطنية بالغ التهديد، ومن الناحية الخارجية كانت الهجمات الصليبية والغارات الاستعمارية قد تمكنت من احتلال اهم الثغور والموانيء المغربية، لا فرق بين ثغور الشمال المطلة على البحر الابيض المتوسط، وثغور الغرب والجنوب المطلة على المحيط الاطلسي، مما هدد سيادة المغرب القومية بالزوال، ووحدته الترابية بالبتر والانفصال، فما كان «من امراء المؤمنين» العلويين الاشراف — منذ بداية عهدهم — الا ان اعلنوا النفير العام والتعبئة العامة بين المغاربة اجمعين، وقادوا حملات المجاهدين، الحملة تلو الحملة، ضد الغزاة المغيرين، وما منهم احد الا وقد سجل له التاريخ باحرف من نور، عمله على استرداد ثغر او عدة ثغور، ولما غيرت اوروبا طريقتها في السيطرة على العالم واستبدلت بالغزو المباشر والعدوان المكشوف سياسة التدخل في الشؤون الداخلية، والتوغل عن طريق الامتيازات الاجنبية، ثم بسط الحماية الدولية، تصدى لها امراء المؤمنين من آل علي الاشراف بالمقاومة السياسية في الداخل والمقاومة الدبلوماسية في الخارج، مع تشجيع المقاومة الشعبية، السرية والعلنية، مما جعل الحق المغربي ينتصر ويعود، والسلطة الشرعية تتحرر من كل القيود، وهكذا كان الملوك العلويون «يستصوبون الاقدام، كلما دعت المصلحة العامة الى الجرأة والشجاعة، ويستحسنون الاناة والتربص بالظرف المناسب والفرصة المواتية، متى اهابت الرؤية بالتريث والامهال»(1)

اعتزاز الحسن الثاني بهذا اللقب

والان وقد اتضح المغزى الديني والسياسي والوطني لاحتفاظ «الدولة العلوية الشريفة، بلقب «امير المؤمنين» ضمن تقاليدها الاسلامية الراسخة، وتبين ما قامت به من التزامات، وما تحملته من مسؤوليات، احتراما ووفاء لذلك اللقب، نرى من المناسب ان نقدم بعض الامثلة والشواهد على استمرار نفس المغزى ونفس المفهوم، اقتباسا من سيرة الجالس على عرش المغرب، في هذه الحقبة الحاسمة من التاريخ «امير المؤمنين» الحسن الثاني (الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن) ايده الله ونصره، فهذا الملك المغربي المسلم قد سار على قدم اسلافه الكرام في الاعتزاز بهذا اللقب، والوفاء بالتزاماته، والقيام بمسؤولياته على اوسع نطاق، وقد اعده لذلك المنصب السامي — منذ نعومة اظفاره — فقيد العروبة والاسلام، «اب المغرب الحديث» جلالة والده المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، بتربيته على يده تربية اسلامية مثالية، وتلقينه اصول العلم الشريف على يد نخبة من كبار العلماء بمملكته،مثل الشيخ المحدث المشارك سيدي محمد المدني بن الحسني، والسادة الفقهاء الاجلاء عبد الرحمان الشفشاوني، والطايع ابن الحاج، وعبد الرحمان بن عبد النبي، وعبد الواحد العلوي، وامثالهم ممن هم في طبقتهم، وكانت دروسهم يمتزج فيها التلقين بالسؤال والمناقشة والمذاكرة والمحاورة، وفيها من كل فن طرف (1) ثم واصل تثقيف نفسه بنفسه في مجال الدراسات الدينية والعربية عن طريق المطالعة والبحث، الى جانب دراساته الجامعية القانونية بعصامية والمعية، وذكاء وعبقرية.

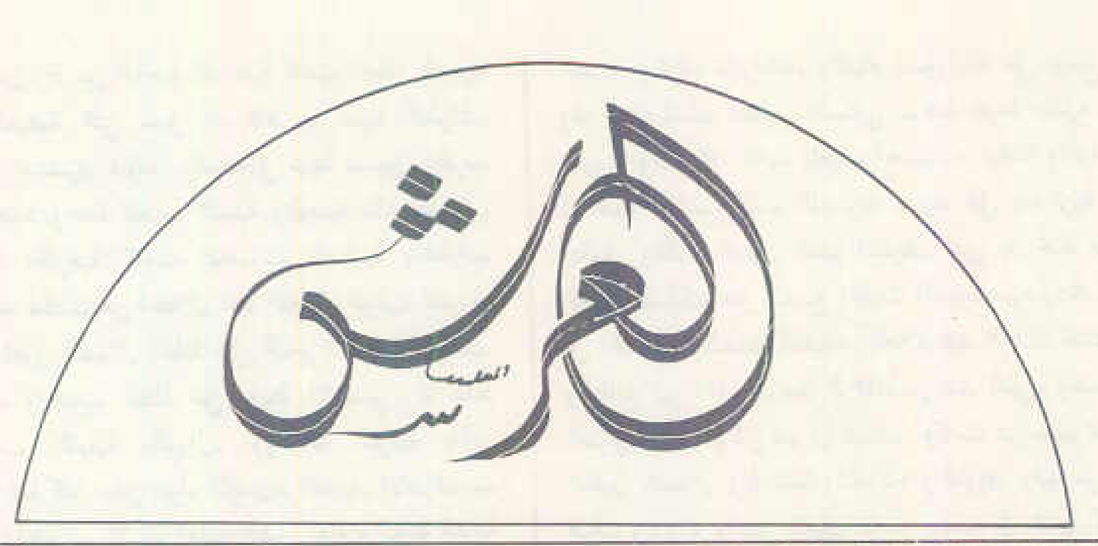
وفي الفترة الاخيرة من حياة والده الهمام ارتأت الاحزاب الوطنية بالمغرب من المناسب ان تلتمس من جلالة والده تنصيبه «وليا للعهد» بصفة نهائية، رسمية وشعبية، وذلك بعد النجاح الباهر الذي ناله في المهام الكبرى التي وكلها اليه جلالة والده حاضرا وغائبا، فما كان من والده الا ان وافق على ذلك الملتمس، وكتب اليه بصفته «وليا للعهد» وصية جامعة اعلنها الى الشعب في يوم مشهود، عند تنصيبه لذلك المنصب الرفيع، ومما جاء في تلك الوصية قوله : (اياك يابني ان تحيد عن صراط الاسلام القويم، او تتبع غير سبيل المؤمنين، فانه لا عدة في الشدائد كالايمان، ولا حلية في المحافل كالتقوى، واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وتقرب منه بالاعمال الصالحة دراعا يتقرب منك توفيقه باعا، واجعل القرآن المصباح الذي تستضيء به اذا ادلهمت الدياجي واشتبكت عليك السبل، وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء اسوة حسنة — اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) ولم ينتقل والده الى رحمة الله حتى كانت جميع المؤهلات لاعتلائه العرش، وحمله لقب «امير المؤمنين» بصفته «ملكا مؤمنا» جديرا بثقة شعبه ومحبته متوافرة عنده، بشكل بارز يقربه الجميع.

الرباط : محمد المكي الناصري

---

(1) فقرات مقتبسة من خطاب العرش بتاريخ 3 مارس 1974

(2) اقرأ خطاب جلالته امامالعلماء وعمداء الكليات بقصره في مراكش يوم الجمعة 14 ربيع الاول 1400 موافق فاتح فبراير 1980



للدكتور محمد الكتاني
عميد كلية الآداب بتطوان



العرش والإستمرار

— 1 —

ينص دستور المغرب في بابه الأول على تحديدطبيعة النظام المغربي، وعلى المبادىء العامة التي يرتكز عليها هذا النظام، كما ينص في بابه الثاني على ان الملك هو امير المؤمنين، والممثل الاسمى للامة، ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها.

ومفهوم (رمز الدولة) او مفهوم (ضامن الدولة واستمرارها) اللذان يمثلهما شخص الملك كما ينص على ذلك الدستور ليسا مجرد عبارة في ديباجية للدستور، وانما ينبغي ان يعتبرا حقيقة من حقائق التاريخ المغربي وذلك لان التنصيص على كون العرش او الملك هما دعامة الوحدة الوطنية وضامن الاستمرارية التاريخية بمثابة استخلاص من تحليل تاريخي مدعوم بالوقائع والشهادات، ولا سيما بالنسبة للتاريخ الوطني الحديث اي ان هذه المفاهيم التي استند اليها الدستور مفاهيم صنعها تاريخ المغرب او صنعت تاريخ المغرب على حد سواء.

لذلك لا نظن ان غير المغاربة المعاصرين الذين عاشوا هذا التاريخ يستطيعون ادراك هذه المفاهيم بعمقها الحقيقي، لانها من جملة الاحداث التي تدخل في التركيب النفسي لكل مغربي عاش حقبة ما قبل الاستقلال، او يعايش حقبة ما بعد الاستقلال.

فيكفي المواطن المغربي اليوم ان يستحضر تاريخ الحقبة الاولى ان كان للجيل الماضي او ان يستحضر تاريخ الحقبة الحاضرة إن كان من ابناء الجيل الحاضر.

يذكر ابناء الجيل الماضي تاريخ الحقبة الاولى فاذا التاريخ المغربي يستعرض احداثه النابضة بالشهامة والنضال والفداء في سبيل عزة الوطن وسيادة الامة واستقلالها، وانه لم يكن بد من ان يكون لهذا النضال قائد وولاء للقيادة، ومن ان يكون هذا القائد والولاء له يتشخصان رمزا حيا نابضا في كل قلب. فكان العرش المغربي هو هذا الرمز الذي يشخص القيادة الملهمة

والارادة الشعبية المصممة والولاء الذي يترجم معاني الوطنية والتصميم والتضحية.

ويذكر ابناء الجيل الحاضر الحقبة الثانية، فاذا التاريخ المغربي يستعرض احداثه النابضة بنفس الوتيرة والايقاع والالتحام في سبيل استكمال الوحدة وتحقيق التنمية، وانجاز النهضة الشاملة، وانه لم يكن بد لهذه المسيرة الملحمية من قائد ومنهج للقيادة وولاء يغذيهما بالمقومات الانسانية الضرورية لكل انجاز تاريخي.

ومن ان يكون لهذه القيادة رمز نابض بالقيم التي ينشدها المغاربة من غيرة وسيادة وتقدم وأصالة، وكان العرش المغربي مرة اخرى هو هذا الرمز وكان الملك المغربي مرة اخرى هو قائد هذه المسيرة.

واستمر التاريخ المغربي بنفس الوتيرة التحاما بين العرش والشعب. فهل كان العرش المغربي في الحقبة الاولى رمز وممارسة قائد لمسيرة التحرير من قبيل الصدفة التاريخية لا اقل ولا اكثر، ام كان ذلك واقعا موضوعيا مشروطا بمعطيات متجذرة في طبيعة الامة المغربية ؟ ؟

وهل كان العرش المغربي في الحقبة الثانية رمزا وممارسة قائدا للمسيرة الثانية مسيرة التنمية والوحدة من قبيل الصدفة ايضا ام كان واقعا موضوعيا هو الاخر ؟

– 2 –

ان ما يميز بين العرضي والموضوعي في تاريخ الشعوب هو تحليل التاريخ الوطني لتلك الشعوب. ففي هذا التاريخ تكمن لا محالة حقائق الاختيارات الحضارية التي تتبناها تلك الشعوب، وتسير في ضوئها. نحن نلاحظ، ان المغرب — من خلال تحليل تاريخه — قد اختار منذ ثلاثة عشر قرنا ان يسلم قيادته لسلطة شرعية مركزية مؤمنة ملتزمة بخدمة الصالح العام، طالما ظلت هذه السلطة وفية لالتزامها شاعرة بمسؤولياتها، وبرعاية مصالح الامة التي بايعتها.

والتاريخ الحديث هو سليل التاريخ القديم. والشخصية المغربية هي الشخصية، ولا عبرة بما يتغير من الازياء والمظاهر، فالاختيار المغربي هو حاضر في جميع المراحل التاريخية بنفس الروح والنزعة.

واننا لنرى عجبا، حين نغفل عن هذه الحقيقة فكل البلاد الاسلامية والعربية تلتفت الى ماضيها فلا تجد فيها دولة واحدة لها نظام مستقر من اعماق الماضي، وما يزال حتى اليوم يمارس وجوده بهذه المصداقية المتجددة عبر العصور والاحقاب.

ويكفي ان يلاحظ الباحث انه برغم ما عرفه هذا القرن العشرين من تغيير وتطوير في تواريخ امه وشعوبه، طوى من ماضيها ما طوى من صفحات ونشر اخرى، لم يستطع ان يغير من ظواهر التاريخ المغربي الاصيلة شيئا يستحق الذكر. ونقصد النظام الاساسي للدولة. وهو النظام القائم على البيعة الاسلامية والاستمرارية الحضارية الاصيلة.

وكما يقول احد المفكرين المغاربة، وهو يلاحظ هذه الظاهرة «اذا وضعنا امام انظارنا الظروف الاستثنائية التي قامت فيها الدولة العلوية الشريفة، وما واجهته في الداخل والخارج خلال هذه الفترة الطويلة من مشاكل متوالية لا نهاية لها ولا حصر، فقد تسلمت مقاليد المغرب والشعب المغربي يجتاز اخطر الاطوار التي عرفها في تاريخ حياته، اوروبا الطاغية المتطلعة الى السيطرة على العالم تجتاز اشد المراحل تعنتا وعدوانا ونهما وحبا في التوسيع على حساب الغير، ثم نجد بالرغم من ذلك كله ان الدولة العلوية الشريفة استطاعت بقيادتها الرشيدة وزعامتها الوحيدة للعناصر الصالحة في هذا الوطن ان تخرج ظافرة منتصرة على عدد لا يحصى من الفتن الداخلية، واستطاعت ان تحرر المغرب من رق الاستعمار وان تحفظ للشعب المغربي كيانه السياسي والقومي كاملا غير منقوص، فاستعاد في ظلها وحدته الوطنية التي اصبحت في مأمن من التمزق والتصدع، واستعاد وحدته الترابية سليمة من الغصب والنهب والاستيلاء والاستعلاء».

ونحن احرياء ان نرجع الى التاريخ مرة اخرى، سواء منه التاريخ القريب او البعيد. فقد كان تاريخ المغرب دائما مسيرة من الجهاد ضد الصليبية، ومسيرة من العمل على الوحدة الوطنية، ومسيرة من اجل دعم الاصالة الاسلامية. وكان من وراء هذه المسيرات كلها قيادات كتبالتاريخ آثارها، وحفظ مناقبها، هي التي كان لها اثرها في جعل العرش المغربي رمزا للقيادة والسعي المخلص في سبيل الوحدة والاصالة والاستقلال فكان في نفس الوقت رمزا للاستمرارية السياسية والحضارية.
لذلك عندما يحتفل الشعب المغربي اليوم بعيد العرش —

كتقليد متبع من تقاليده – فهو لا يحتفل بشخص الحاكم كما يتصور ذلك كل اجنبي عن هذا التاريخ، فيحسب هذا الاحتفال في عداد المواسم الظرفية، والمناسبات العابرة، وانما يحتفل المغاربة بعيد الاستمرارية وعيد التأجج للشعلة الحضارية والدينية المقاومة لكل عوامل الانطفاء ونشر الظلام والدخول في المتاهات..

– 3 –

لنرجع الى التاريخ – كما قلنا – ولنجتزيء بالقريب منه حرصا على الايجاز والالماع فقط، ونكتفي بالانطلاق من تاريخ اواخر القرن الماضي، حيث نجد السلطان المولى الحسن الاول (1290 – 1311 هـ – 1873 – 1894م) يمثل بسياسة بداية الدخول بالمغرب في عهد «التحديث» وبرغم اخفاق مشروعه التاريخي، بسبب الاحباط الذي كرسته الدول الاجنبية الطامعة في المغرب يومئذ، وضعف الاقتصاد الوطني، وعدم ارتقاء الكثيرين الى الافق السياسية الذي كان يحلق فيه، فانه برغم كل هذه المعوقات انجز منجزات عظيمة وشرع في اخرى كان لها نتائجها ومتوالياتها اللاحقة. وبذلك كان العرش العلوي هو واضع مخطط مشروع «التحديث» والتجديد على اسس عقلانية منذ اواخر القرن الماضي. فالمولى الحسن الاول هو اول من بعث البعثات الطلابية الى الخارج للاستفادة من العلم والتكنولوجيا الحديثة. وهو اول من استعار من اساليب الغربيين التنظيمية والعسكرية ما اطر به الجيش المغربي وجهزه، حسب الامكانات المتاحة، واول من حاول اصلاح الجهاز الاداري المغربي، وخاض الصراع في سبيل دعم السيادة الوطنية والتجديد ضد اطماع الدول الاجنبية من ناحية، وضد قوى الجمود الفكري من ناحية ثانية، وضد الظروف الشحيحة بالعطاء والانجاح.

ولم يكن في العالم الاسلامي يومئذ غير دولتين اسلاميتين يحسب لهما الغرب الاوروبي حسابهما، وهما الدولة العثمانية في الشرق والدولة المغربية في المغرب. ولذلك ركز الغرب سياسته التطويقية والاستعمارية ضد هاتين الدولتين. فانقلبت الاولى الى (دولة حديثة) بعد ان تخلت عن ممتلكاتها وتقاليدها واصالتها طبقا للشروط التي ارادها الغرب نفسه.

وبقيت الثانية تتحدى وتغالب القوى الاجنبية والاستعمارية من غير ان تنقلب الى اي صورة اخرى تختلف بها عن اصالتها واستمراريتها.

لكن المغرب مني بالاستعمار والاحتلال، فازداد تثبتا بقياداته وعرشه باعتبار هذا العرش الاداة الشرعية الوحيدة لتجنب الفوضى والاحتلال الداخلي، ذلك انه في عصور الاضطرابات يلجأ الشعب الى غريزته الوطنية التي تلهمه التضامن مع القيادة والالتفاف حول رمزها، فبذلك تنتعش القيادة نفسها، وتجد في الولاء الذي يحيط بها القوة المتجددة لخوض النضال، او استشعار المسؤولية.

في مثل هذا المناخ من ثلاثينيات هذا القرن استدارت النفوس عقب القاء السلاح من يد المقاومين للاحتلال، نحو العرش المغربي، ونحو المتربع عليه محمد الخامس، حيث بدأ للجميع ممن كانوا على مستوى رفيع من الوعي الوطني ان العمل السياسي هو الاسلوب الناجع لخوض معركة التحرير على اساس العودة بالنضال الى القاعدة الشعبية العريضة. وهكذا بدا من الضروري خلق وعي وطني حديث ورؤية نضالية جديدة. فكانت الحركة الوطنية التي رسمت فلسفة هذا النضال وحددت اهدافه.

وفي اطار هذا التحرك الوطني الشامل نحو استرجاع المغرب لحريته واستقلاله وجد العرش المغربي دوره الطليعي لقيادة المغرب نحو اهدافه. وهو دور متسق مع تاريخ الدولة العلوية، اذا ما نظرنا الى سياسة ملوك هذه الدولة في مجال استرجاع الوحدة الترابية وتطهير الثغور المغربية من احتلال القراصنة الغزاة.

فالمولى الرشيد كان المؤسس الحقيقي للدولة العلوية على اساس انقاذ المغرب من التجزئة، ومن الفوضى الشاملة التي كان يتخبط فيها بعد سقوط السعديين.

وجاء المولى اسماعيل لينهض بدور طليعي في تحرير الشواطيء المغربية، واستكمال الوحدة والسيادة الوطنية في عصر كان المد والاستعماري الغربي على اشده في بسط الهيمنة على بلاد المشرق والمغرب، ومطاردة طلائع هذا الاستعمار، وكذلك سار سلاطين الدولة تباعا، وعلى رأسهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

ولما بدأت المؤامرات ضد الصحراء المغربية من جانب الاسبان والانجليز وقف السلطان المولى الحسن الاول الموقف الذي كان يحتمه الظرف التاريخي، فاخذ يشد الرحال الى الجنوب مرة بعد اخرى لتفقد احوال الرعية، واشعار من يعنيه الامر بان الحضور المغربي وسيادة الدولة على ترابها امر مفروغ منه بالنسبة

للصحراء. غير ان المؤامرات كانت أكبر الوسائل المتاحة لاحباطها فقد دخلت فرنسا الى الصحراء من ارض الجزائر، وبسطت نفوذها على اقاليم تابعة للمغرب يومئذ بحكم البيعة وانتداب الموظفين والممثلين للسلطان.

والخلاصة ان العرش المغربي في عهد الدولة العلوية حتى وقوع المغرب تحت الحماية كان اكثر من رمز لنظام الحكم السائد، بل كان يمثل ارادة امتنا في التحرر والسيادة والوحدة كما يمثل قيادة شعبنا نحو هذه الاهداف. بل كان احيانا طليعة الجهاد والنضال في سبيل الحفاظ على السيادة والمنعة، برغم التحديات التي واجهها المغرب في عصر لم يكن فيه لغير الدول الصناعية الكبرى ذات الاساطيل البحرية والجيوش المدججة الكلمة الفصل في تقرير مصير الشعوب المستضيفة ويحتفظ المغرب باستقلاله وسط هذه الزعازع والاحداث حتى آخر لحظة، بعد ان طوق الاستعمار العالم الاسلامي كله مشرقا ومغربا.

— 4 —

ونعود الى الدور الطليعي الذي نهض به جلالة المغفور له محمد الخامس في مقاومة الاستعمار الفرنسي والاسباني، لنجتزيء فقط — ما دام الامر غنيا عن التذكير بله التفصيل — بتلخيص المشروع التحريري الشامل الذي كان بالنسبة لهذا الملك المجاهد الهاجس الذي لم يفارق وجدانه وسلوكه، انه هاجس النهوض بامته الى مصاف الدول المتحررة التي تستعيد مكانتها الحضارية، وتوازن بين تنمية حياتها المادية وبين رصيدها الروحي والفكري، لقد كان الاسلوب الوحيد الممكن لانجاز هذا المشروع هو التحرر السياسي والاخذ باساليب العصر في استثمار العلوم والتكنولوجيا والثقافة. وكان خوض المعركة يعني النضال في واجهتين : الواجهة السياسية، والواجهة الاجتماعية. وكان من الحكمة ان يبدأ بالتنوير ونشر التعليم، والعمل بالحكمة على الملاءمة تدريجيا بين النهضة والتحرر، ولذلك قال جلالة الحسن الثاني بحق، في كتابه «التحدي» «ان العرش العلوي قد حال دون تحقيق هدف ضم بلادنا وهو الهدف الذي تطلعت اليه اسبانيا وفرنسا. وعندما تجد اية امة نفسها مرتبطة بأمتين اقوى منها وتجد نفسها معزولة، وعمليا غير مسلحة يكون عليها تجنب اللجوء الى القوة لئلا تسقط ضحية استعباد جديد اكبر. فالتضحية بجيل من الشباب ودفعهم الى الموت لا يعني تحريرهم، ولا يجوز التطوع بشعب في معركة تستهدف اقتحام السماء «إن النير الذي كان قد فرض علينا غدا أثقل وأرهق بعد حرب الريف» ولهذا فان المعركة المستمرة التي خاضها المغاربة طلبا لاستقلالهم اخذت مظاهر اكثر تنوعا وتكيفت وفق ما في ايدينا من وسائل واسلحة...» ثم يقول جلالته في هذه الكلمات الجامعة :

«واذا كان الشعب المغربي لم يتقوقع على نحو من الرتابة المادية، فان الفضل في ذلك يعود الى وفائه واخلاصه كما يعود الى غناه المترسخ في الاعماق والنابع من طبيعته الروحية والاخلاقية، وكلها مميزات من واجب الملوك العلويين ان يكونوا حراسها والمحافظين عليها. وملوكنا الذين لم يتخلوا ابدا عن اداء الواجب المقدس يرجع اليهم الفضل في ابقاء الشعلة الاسلامية منيرة وضاءة رغم ان الشعلة اخذت تذبل في اماكن اخرى...».

«واذا كان التوفيق قد حالفنا حتى تغلبنا على المعضلات التي اعترضت سبيلنا فان مرد هذا التوفيق الى ان شعبنا اهتدى الى طريق المحافظة على الايمان برجل كان رمز الايمان باتم معانيه. ذلك الرجل هو ابي.».

وبهذا التحليل نفهم كيف انه لم يكن هناك فرق في عمق الحقيقة بين وجود عرش المغرب ووجود الامة ذاتها. ما دام هذا العرش هو رمز للوحدة والسيادة والاستمرارية التاريخية في نطاق الاختيار الاسلامي.

ومنذ الاربعينات من هذا القرن، اي منذ ان وضعت الحرب العالمية اوزارها، والى تحقيق الاستقلال سنة 1956 عمل العرش المغربي في شخص جلالة محمد الخامس على خوض ذلك الجهاد السياسي السافر الصريح ضد الاستعمار، ويكفي للتدليل على ضراوة هذا الجهاد ما انتهى اليه الامر فيه من نفي جلالته واسرته الى مدغشقر، كما يكفي للتدليل على صدق جهاد محمد الخامس انه آثر النفي والتشريد على عرش وهمي يكون فيه لعبة في يد الاجنبي، فالعرش المغربي كما مثلت ذلك سياسة محمد الخامس وقيادته ارادة امة وليس مكسبا تاريخيا وشخصيا يكرس صاحبه للمحافظة عليه كل اسلوب ممكن. وهو لذلك لم يكن كرسيا داخل القصر، وانما كان ايمانا في قلب كل مغربي. وقد ظل محمد الخامس ملكا للمغرب حتى وهو في مدغشقر على بعد آلاف الكيلومترات من بلاده.

— 5 —

أما الاضافة الجديدة التي حققها جلالة الحسن الثاني الى التحام العرش الاستمرار التاريخي للمغرب، والى تاكيد هذه

الحقيقة من خلال الممارسة فهو العمل الكبير الذي انجزه منذ كان الى جانب والده خلال المرحلة الأولى من معركة التحرير، والى تحقيق الاستقلال سنة 1956. ثم ما قام به منذ توليه مقاليد الأمة، وحتى اليوم من أعمال لا يمكن حصرها ولا تعدادها. وكلها دليل على تأكيد الحقيقة التاريخية التي انطلقنا من أثباتها، وهي ان العرش المغربي كان إرادة أمة قبل ان يكون عنوان نظام سياسي.

إن اي نظام سياسي يمكن ان يحتمل واقعين مختلفين شديدي الاختلاف. وهما ان يكون هذا النظام مفروضا على الشعب، وان يكون هذا النظام من اختيار الشعب ومن صنعه.

وإذا جاز لنا ان نعتبر الازمات السياسية والاجتماعية التي تمتحن بها الشعوب في فترات من تاريخها هي في نفس امتحان وتمحيص لقوة الأنظمة او هشاشتها، بحيث تتمكن تلك الشعوب من الابقاء عليها او الاجهاز عليها، فان الازمات التي عاشها المغرب هذا القرن ابتداء من فرض الحماية والى الاستقلال، ثم ما بعد الاستقلال، لم تزد النظام المغربي الا ترسيخا وصمودا في وجه الاعاصير والتقلبات التي عصفت بكثير من الانظمة التي كانت مستوردة او مصطنعة.

ان مرحلة ما بعد الاستقلال كانت اثقل في ميزان الجهاد المرير، واكثر داعية للتضحية والتغلب على المؤامرات والمغامرات، وبالتالي كانت مرحلة الاختيار الحقيقي لجوهر امة خرجت من مرحلة الاستعمار بمبراث ثقيل من المتناقضات السياسية والاجتماعية. لقد كانت مرحلة دقيقة وحاسمة ومغرية بكل مغامرة ممكنة في وجه الذين اعتادوا استغلال التناقض لحسابهم الشخصي. بل كانت المرحلة الدقيقة التي يستعجل فيها المحرومون والكادحون والذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل الاستقلال بقطف الثمار قبل اوانها.

بل كان الوقت مناسبا لتحقيق كل ذلك في غياب اي هياكل ديمقراطية او دستورية للبلاد. ويمكن لنا ان نعترف بان المغرب قد تجاوز بالفعل كثيرا من المخاطر بفضل قيادة جلالة الحسن الثاني، وايمانه والتفاف الامة حوله. ويكفي ان يقف المرء على مظاهر تلك المخاطر في المرحلة التي نتحدث عنها في كتاب التحدي، ولاسيما في فصله (روح الدستور).

لقد مضى ربع قرن حتى الآن على استقلال المغرب، وعلى تربع جلالة الحسن الثاني على عرش المغرب، وعرفت هذه المرحلة احداثا جساما لا بالقياس الى ما عرفه الشعب المغربي فقط ولا بالقياس الى ما عرفه العالم كله من احداث وازمات وحسب، ولكن بالقياس الى ما عرفه العرش المغربي من اختيار ايضا. وما لا تزال بلادنا تعرفه من خلال تألب خصوم وحدتنا الترابية ضدنا وما تخوضه من مغامرات طائشة ضد صحرائنا المسترجعة، تكلف المغرب التضحيات تلو التحضيات.

ولكن القيادة الحكيمة لجلالة الملك، والتقاليد الرفيعة التي ظل العرش وفيا لها، حققت برغم ذلك من المكاسب الوطنية ما يصغر الى جنبه كل خطب من الخطوب.

يقول جلالة الملك في احدى خطبه : (خطاب 1975/10/23) يخاطب شعبه : «وهكذا ترون ان روابطنا واسس تعاملنا ليست تلك الاسس المصطنعة التي خلقها التاريخ صدفة، بل هي قبل كل شيء ترابط وتعامل مبني على اعز ما في انفسنا واقدس ما في ارواحنا..».

ومن اجل ذلك ايضا ظل العرش المغربي فوق الاحزاب والهيئات السياسية، وفوق السلط الثلاث نفسها ليظل بذلك ممثلا للامة بكل فئاتها، وقريبا من كل طبقاتها وعناصرها وافرادها، بنفس المسافة — لا فرق بين يمين ويسار، واغنياء وفقراء، ومحافظين ومتحررين.

ونعتقد ان تحقيق ذلك ليس بالامر الهين في عالم مبهور الانفاس وراء الشعارات منقاد بطبيعته للديماغوجيات، بل نرى اكثر من ذلك ان العرش المغربي اكتسب من اختيار المغرب اختياره التاريخي قدرة جديدة على التحدي والاستمرار، وذلك حين التزم بان يعطي لنفسه البعد الدستوري الذي نقله من نظام تليد الى النظام جديد، وجعله اداة سياسية وغاية في نفس الوقت.

انه سواء كان التاريخ هو الذي يصنع الرجال ام كان الرجال هم الذين يصنعون التاريخ — علما بان ارادة الله هي من وراء الجميع — فان العرش المغربي في التاريخ الحديث قد صنع المغرب الجديد، بالقدر الذي يمكن القول معه بان المغرب الحديث قد مكن العرش من هذا الانجاز العظيم. وبذلك يتأكد باستمرار ان العرش المغربي كان من وراء الاستمرار التاريخي، وان الاستمرار التاريخي للمغرب كان يؤكد مصداقية اختيار الشعب المغربي في نفس الوقت.

تطوان   محمد الكتاني

جلالة الحسن الثاني رمز الأصالة والتجديد

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
رئيس مركز تنسيق التعريب بالعالم العربي

لقد تجددت مبادرات ملوك الدولة العلوية الاماجد باكملها في شخص جلالة الحسن الثاني .

نعم اعاد جلالته تاريخ اجداده الاماثل وركز المعطيات الايجابية للمسار العلوي في حضارة المغرب المعاصر بالرغم عن استعصاء مقتضيات الفترة العصيبة التي نعيشها اليوم وقد جمع جلالته في شخصه الكريم كل المميزات التي تجعل منه القائد الفذ والزعيم الذي لا يبارى والبطل الملهم الذي عرف كيف يوفق بين اللوازم الوطنية والدواعي العربية الاسلامية ومتطلبات التعايش الانساني على الصعيد العالمي .

لقد جدد جلالة الحسن الثاني شخص المولى الرشيد في توطيده دعائم الدولة بعد ان وحد الاقاليم التي فرقت بينها امارات جهوية جعلت من المغرب صورة لمصر ملوك الطوائف بالاندلس وحرر جيوبا سطا عليها المغير الاجنبي وركز مظاهر العمران والأمن والرخاء فعرف المغرب في شخص اول ملك علوي زعيما اعاد للمغرب مجده التالد واقام نواة المجد الطريف .

لقد جدد جلالة الحسن الثاني شخص المولى اسماعيل الذي ركز وجود المغرب في الصحراء تلبية لاستصراخ اهل الصحراء واقام في طول البلاد وعرضها زهاء مائة حصن محررا قسما ثانيا من الجيوب ضم الى جانب طنجة كلا من العرائش واصيلا مع امعان رائع في التخطيطات المعمارية والمنشآت الحضارية .

وجدد جلالة الحسن الثاني شخص الملك الهمام سيدي محمد بن عبد الله الذي واصل تركيز الوحدة وتحرير الجيوب المحتلة واقامة ديوان الجيش وتعزيز المرافق الاجتماعية والاقتصادية وعقد الاوفاق الدولية ومعاهدات الحلف والصداقة مع اوربا وامريكا بالاضافة الى دعم الرابطة الاسلامية مع تنمية مواد الدولة وبتنشيط الحركة الاقتصادية والمبادلات مع الخارج حيث فكر لاول مرة في استثمار استراتيجية مرافىء المحيط الاطلسي وكان جلالة الحسن الثاني صورة لجده الهمام محمد الثالث الذي عرف كيف يبني سياسته الخارجية رغم مناقضات العصر فطور الاقتصاد ونمى الموارد ورصص المبادلات الخارجية بمجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات اثناء المؤرخ الفرنسي (جاك كايي» بالروح الدولية التي اذكت السلطان الملهم فسبق احيانا بآرائه النيرة ــ كما يقول كايي ــ ما عرفته اوربا في العصر الحاضر مبرهنا عن ادراكه العميق لمقومات القانون الدولي ومسهما باسم المغرب في دعم التشريعات التي تعتبر اساسا للعلائق الدولية في القرن العشرين .

وكان محمد الثالث في غمرة عهد مظلم داعية سلفيا استمد من الكتاب والسنة تلك الاشراقة اللماعة التي تطبع الروح الاسلامية ببساطتها ونصاعتها وصفائها فكان جلالة الملك الحسن الثاني حامل ذلك المشعل الوضاء في عصر تعقدت فيه المناقضات خاصة في المجال الخلقي والروحي وقد امسى جلالة الملك الحسن الثاني الموئل الامين والملجأ الرصين لملايين من المسلمين اذا حزبهم امر او حمي لهم وطيس .

لقد انعكست على جلالة الملك الحسن الثاني شمائل جده محمد الرابع الذي دعم الاصلاح الزراعي ومنجزات الري وجدد الجهاز العسكري والعتاد الحربي وركز التصنيع ولو لم تستعر الحروب مع اسبانيا وفرنسا آنذاك لانبثق عن عهد محمد الرابع ازدهار كان من شأنه ان يغير اتجاه المغرب الحضاري ومكانته الدولية حيث جعل من رعاياه شعبا عادلا في ظهير رسمي بين مسلميه ويهوده على قدم المساواة كما دافع الاجانب بضمان التعاون بين البلدان الاسلامية وتعيين سفراء ضمن الجامعة الاسلامية وقد اشار في هذا النهج جلالة الحسن الاول الذي عرف كيف يوفق بين هذا المسار الحضاري وبين ضمان توازن المغرب وصحرائه في الحقل الخارجي بمدافعة الدول بعضها لبعض رغم انبثاق مشاكل لم يكن للمغرب سابق عهد بها .

وقد احتدت هذه المشاكل وازدادت تعقدا واستعصاء بعد ان تبلورت اطماع الدول الاستعمارية في بداية هذا القرن فورث جلالة محمد الخامس تركة مثقلة عرف بلباقته وبعد نظره وصفاء طويته كيف يحل اوعارها بدعم موصول من وارث سره جلالة الحسن الثاني حفظه الله وقد بدأ الصراع عنيفا مجهدا يوم نادى

محمد الخامس في انتفاضة قيادية لشعبه المتشبث بعرشه نادى بوجوب الانعتاق من اسر الاستعمار ونيره ورسم الخطط الملهمة لضمان هذا الانعتاق فتحمل ما لم يسبق ان تحمله امير ولا ملك قبله مستعذبا النفي والتشريد ومضحيا بحياته وعرشه فوجد من ورائه شعبا وفيا انبرى في اندفاعة ثورية يواصل شق الطريق الذي رسمه له قائده الهمام في واد من الدماء مطوحا برؤوس الفتنة ويبادق الاستعمار فعاد امير المؤمنين متوجا بالنصر يحمل الى شعبه وثيقة الاستقلال.

وفي نفس المسار الحضاري توجه جلالة المرحوم محمد الخامس منذ بداية عهد الاستقلال في المغرب باقامة نظام ملكي دستوري رصين انعكس في (دستور) عرض على استفتاء الشعب وتشكيل حكومة تبلور فيها تعدد الاحزاب وتعزز هذا الجهاز داخليا باحداث ودواليب ودوائر اقتصادية واجتماعية وثقافية، والشروع في دعم الاصلاح الزراعي ببناء السدود وخارجيا بتعيين سفراء على الصعيد العالمي والمشاركة في المنظمات الدولية وتخطيط سياسة المغرب الخارجية والسعي لاستكمال وحدة البلاد بفضل جيش عتيد يأمره صاحب السمو الملكي ولي العهد المولى الحسن فكانت طفرة رائعة.

وكان جلالة الحسن الثاني ابرز ثمرة لكفاح جلالة محمد الخامس رعاها منذ الطفولة فاحسن رعايتها فقد ولد جلالته في 9 يوليوز 1/1929 صفر 1348.

وبعد ان انهى جلالته دراسته في القانون عام 1952 واكتمل نضجه الفكري بفضل سهر والده جلالة المرحوم محمد الخامس الذي دربه على قواعد الملك وآداب الحكم في خضم صراعه ضد الاستعمار فاصبح الامير الفتي مؤهلا لخلافة والده باجماع الامة المغربية التي التمست هيأتها الوطنية من جلالة محمد الخامس تنصيبه وليا للعهد فتم ذلك في حفل رسمي بالمشور الملكي بالرباط يوم 9 يوليوز 1957 تسلم جلالة الامير العالم ظهير توليه ووسام الاستقلال فابتهجت الامة بذلك.

لقب حفظه الله (أمير الاطلس) حيث اصبح الساعد الأيمن لوالده منذ ان تخصص في القانون والشريعة فكان مثالا للعمل الدائب وقد وقف بجانب زعيم الامة وقائدها الأكبر محمد الخامس في مختلف المناسبات وخاصة يوم تبلور اتجاه العرش المتقد الرصين نحو الاستقلال في خطاب طنجة يوم 15 اكتوبر 1950 (1370هـ) وقبله عام 1945 عندما حضر والده المهرجان العسكري بالعاصمة الفرنسية بصفته رئيس دولة اسهمت في الحرب برجالها وعتادها فبرهن الحسن الثاني عن عبقريته الفذة ورزانته خلال المحادثات الهادفة لاستثمار الانتصار المشترك والاستفادة مما اصبح الفكر الدولي يضمنه للشعوب تعجيلا لما اعطى للمغرب من وعود في مؤتمر (انفا) عام 1943.

وقد قام جلالة الحسن الثاني في سادس رمضان 2/1368 يوليوز 1949 بزيارة لتونس وهو ولي للعهد ونشرت جريدة الإرادة التونسية (عدد 778 — السنة 16) مقالا ابرزت فيه مدى تقدير تونس للأمير الشاب والاحتجاج على الحصار المضروب من فرنسا على سموه للحيلولة دون اتصاله باشقائه في المغرب العربي.

واستمر الكفاح الصامت في تؤدة واصطبار طوال ثلاثة اعوام.

وقد حدت حكمة جلالة الملك وولي عهده الى تلبية دعوة (فانسان اوريول) رئيس الجمهورية الفرنسية عام 1950 لزيارة باريز لاسيما بعد ان شعرت فرنسا بضرورة تلطيف الجو فكانت صرامة الرجلين مغلفة باللباقة والمرونة واللين مستهدفة في غير التواء ضمان سيادة البلاد وتحقيق اماني الشعب في الاستقلال دون تقيد بالانخراط في انواع الرباطات والوحدات الفرنسية.

وكان ولي العهد الهمام الخبير القانوني والموجه في المحادثات التي جرت بباريس مع القادة الفرنسيين فعرض الملك مطالب المغرب في مذكرة اجابت عنها فرنسا يوم 30 اكتوبر 1950 بعد مداولات موصولة لاقتراح اصلاحات جزئية ضمن معاهدة الحماية وعقبت المذكرة الاولى مذكرة ثانية اقترح فيها حل موقت تعدل بمقتضاه الحماية في شكل استقلال محدود فشعر المستعمر بالخطر واعلن بعض القواد مدفوعين عن المعمرين معارضتهم للمذكرة ولفقت عرائض لم يعبأ بها جلالة الملك وولي عهده رغم تهديدات الجنرال جوان الذي عوضته فرنسا في اوائل اكتوبر 1951 بالجنرال كيوم الذي ما لبث ان كشف عن بنوته الروحية للمقيم جوان وكان لولي العهد دور كبير مع الحركات الوطنية في التنديد على منبر جامعة الدول العربية بالاضطهادات الفرنسية الطائشة والعمل على تسجيل قضية المغرب في جدول اعمال هيئة الامم المتحدة فجدد العرش

مطالب المغرب بالغاء الحماية واعلان الاستقلال وكان جواب المذكرة الفرنسية يوم 17 شتنبر 1952 خاليا من اي عنصر جديد يمكن الارتكاز عليه لتجديد العلاقات واقام التجار الامريكيون بالمغرب دعوى لادانة سياسة التقنين الفرنسية المنافية لعقد الجزيرة امام محكمة لاهاي (15 يوليوز 1952) وسجلت القضية في المحفل الدولي ووقفت فرنسا في قفص الاتهام فادعى وزير عام خارجيتها ان القضية داخلية ولكن اصداء تصريحات جلالة الملك وخطاب العرش في العيد الفضي يوم 18 نونبر 1952 احبطت المزاعم الاستعمارية وكان ولي العهد في غضون ذلك كله يرتب ويخطط ويربط الصلات ويجس النبض هنا وهناك ويرسم مع والده الهمام الوجهات المختلفة لمواجهة كل الاحتمالات وكان يوم اغتيال فرحت حشاد الزعيم النقابي التونسي بداية سلسلة المظاهرات الاحتجاجية بالمغرب التي جرت فرنسا الى القيام بحركة ابادية قتلت فيها الابرياء وسجنت الزعماء واوقفت الصحف الوطنية واقدمت على خلع رمز الامة والمؤتمن على سيادتها عن العرش وقادته الى المنفى مع ولي عهده وباقي الامراء والاسرة المالكة فانطلقت الشرارة الاولى لثورة عارمة استفحل فيها الفداء وانبرى الشعب بكامله يطالب في مظاهرات صاخبة وحملات دائبة برجوع جلالة الملك وولي عهده الذي ظل طوال المنفى امين سر والده وعضده الايمن وخبيره المحنك الى ان عاد الملك الظافر الى الرباط يوم 16 يونيه 1955 حاملا وثيقة الاستقلال في خضم من الافراح كللت ثورة الملك والشعب .

واستعاد المغرب استقلاله بفضل تلاحم العرش والشعب ووضعت الترتيبات الاولى لاسس الادارة الاستقلالية فكان ولي العهد الهمام المخطط والمدبر والخبير الذي اشرف على تنظيم الجيش المغربي الذي جعل منه قوة وطيدة في طليعة قوات العالم الثالث وتولى ولي العهد نفسه رياسة اركان حربها العامة في حياة والده الذي كان قائدها الاعلى .

وابى صاحب الجلالة المرحوم محمد الخامس الا ان يلقي باعباء السلطة التنفيذية لوارث سره وولي عهده فعينه رئيسا للحكومة .

وقد استمرت المشاورات والمفاوضات مع اسبانيا عشر سنوات في موضوع الصحراء منذ 1376 هـ/1056 واكد جلالة الحسن الثاني عام 1386 هـ/1956م بمناسبة الذكرى العاشرة لاستقلال المغرب لوزير اسباني مثل حكومته بفاس ان المغرب يطالب باسترجاع الاراضي المغتصبة في الصحراء وديا فاذا لم ترد اسبانيا ان ترد الى المغرب حقه فسيطالب بذلك امام هيئة الامم المتحدة .

وقد كانت هذه الانطلاقة الاولى للتهديد بتدويل القضية رسميا .

ولما انتقل محمد الخامس الى جوار ربه في عاشر رمضان 1381هـ/26 براير عام 1961 اجمعت الامة على تولية الامير مولاي الحسن ملكا للمغرب فنهض باعباء مسؤوليته مستهدفا استكمال ما بدأه والده الكريم لتقوية مركز المغرب الدولي واحلاله المقام الامثل الجدير بامجاده بين الامم والشعوب وما كان ذلك ليتم على اكمل وجه الا بالانكباب على تجديد صرح الدولة وتنمية موافقتها ودعم مقوماتها بكفاءة نادرة وعزيمة وثابة .

وواصل حفظه الله الجهاد الاكبر لتخليص المغرب من التبعية الفكرية للاستعمار ومن المرض والفقر والجهل دون ان يغفل الرسالة الكبرى التي حمله اياها والده المرحوم قدس الله روحه وهي تحرير الاجزاء المغتصبة من البلاد فكان في مساعيه السامية مثالا للتؤدة والرشد .

وقد القى جلالته خطابات ونظم استجوابات لشرح ابعاد قضية الصحراء مبرزا حق تقرير المصير ومؤكدا معارضة جلالته لكل ما من شأنه ان يؤيدي الى « فتنمية الصحراء» او فصل الاجزاء المغتصبة عن الوطن الوالد باستقلال مزيف ولذلك قرر حفظه الله رفع المشكل الى محكمة لاهاي وترويد الفكر الدولي بملف ضخم يضم مآت المستندات تشهد بمغربية الصحراء مؤملا ان يحل المشكل بالوسائل السلمية والا اضطر المغرب لحمل السلاح لانتزاع حقه المشروع واسترجاع اراضه المغصوبة، وقد خطط جلالته معالم سياسته الحكيمة وابعادها في كتابه «التحدي» الذي رسم فيه صورا ناصعة عن سلسلة الاحداث التي طبعت المغرب في طفرته الواعية .

وأصل جلالة الحسن الثاني بعد وفاة والده المقدس عام 1961 دعم كيان الدولة بوضع دستور جديد انطلاقا من واقع التجربة ومتطلبات اوضاع المغرب الخاصة في منطق جعل من المغرب دولة عصرية بين الامم النامية والامم المتقدمة بفضل الاطر التقنية التي ملأت تدريجيا المجالات التي كان يشغلها

الاجانب فأصبحت لهذه المغربة في مختلف الميادين الحضارية ابعاد بدأت تهيء الساحة لتعريب شامل ضمانا لوحدتنا العربية والاسلامية كما وطد المغرب لنفسه صيتا رصينا فرض نفسه في المحافل الأممية التي قدرت المملكة عمق بادراتها وفعالية تخطيطاتها التي شملت التحضير العمراني وتحقيق اللامركزية وتوفير السدود وتوزيع الأراضي الزراعية ورصانة التأميمات وشمولية التنقيبات المعدنية والبترولية وتطوير موارد الفسفاط وتشييد المركبات الصناعية وتعميم التعليم ورفع مستوى حياة السكان وخاصة العامل فاصبح للنظام الملكي طابع دستوري اقتبس من الاسلام ما يسد الثغرات الاشتراكية في اطار العدالة الاجتماعية ولعل هذا الجانب يشكل في العصر الحديث اختيارات لها وزنها في تقييم مدى مواكبة الشعوب لمقتضيات القرن العشرين ولكن المغرب عرف كيف ينسق بين اصالته الاسلامية وبين هذه المتطلبات العارمة ولنضرب لذلك مثالا حيا يعطينا صورة مكبرة عن منطقية وفعالية هذه البادرات فقد اصبح المغرب ينهج في العهد الحسني نوعا من الاشتراكية لا تفقر الغني ولكنها ترفع مستوى الفقير بشتى الوسائل منها اربعة عوامل اساسية هي :

1) تأميم المصانع الكبرى وكذلك بعض الهيآت الاقتصادية كمكتب التسويق والتصدير ومكتب الشاي والسكر.

2) توزيع الاراضي على الفلاحين وتكوين تعاونيات للفلاحين وغيرهم في نطاق استفادة جماعية من ادوات الانتاج مع دعم الاصلاح الزراعي باقامة السدود.

3) نهج سياسة التنقيب الشامل على المناجم وحقول النفط ولو بمنح امتيازات للأجانب مع توظيف رؤوس الأموال الأجنبية وتصنيع البلاد.

4) اشارك العمال في ارباح بعض المصانع الحكومية كمعامل السكر انتظارا لتنفيذ المبدأ على المصانع الحكومية الأخرى ثم على المصانع الخاصة.

وهذه الاشتراكية لا تختلف كثيرا عما اضطر الزعيم الروسي «لينين» لنهجه عام 1921م 1340 هـ قبل وفاته بسنتين عندما سمحت حكومته للافراد بالتجارة واعادت المخازن والمعامل الصغيرة والى اصحابها ومنحت امتيازات الرأسماليين الاجانب لا للتنقيب عن المناجم وحقول النفط كخبراء فحسب بل لاستغلالها كما الغت سياسة السيطرة على المواد الغذائية ونظمت تعاونيات للفلاحين وهذا هو ما اسماه (لينين) ب (السياسة الاقتصادية الجديدة) التي عدلت الاوضاع بنوع من التسوية مع الرأسمالية.

وقد اقترح صاحب الجلالة الحسن الثاني مشروع دستور استدعى الشعب المغربي لابداء رأيه يوم 17 يناير 1972 فوافق عليه وتم اقرار مشروعية الاستفتاء من طرف الغرفة الدستورية يوم 9 مارس 1972.

وهذا الدستور يحتوى كما كان الشأن بالنسبة لدستوري 1962 و 1970 على المبادىء الاساسية التي تقرر على الاخص ما يلي:

1) ان المغرب ملكية دستورية ديمقراطية واجتماعية

2) ان السيادة للامة تمارسها مباشرة بالاستفتاء وبصفة غير مباشرة بواسطة المؤسسات الدستورية.

3) ان القانون اسمى تعبير عن ارادة الامة.

4) ان جميع المغاربة سواء امام القانون.

5) ان الاسلام دين الدولة

6) ان شعار الملكية هو الله والوطن والملك

وقد نص الدستور على المساواة بين الرجل والمرأة في التمتع بالحقوق السياسية وعلى الحريات التي يتمتع بها المواطن كما نص ان (الملك امير المؤمنين والممثل الاسمى للامة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها وحامي الدين والساهر على احترام الدستور وله صيانة حقوق وحريات المواطنين والمواطنات والجماعات والهيآت وهو الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحق.

كما نص على ان شخص الملك مقدس لا تنتهك حرمته وله حق حل مجلس النواب كما له ان يخاطب المجلس والامة دون ان يكون مضمون خطابه موضوع اي نقاش وهو القائد الاعلى للقوات المسلحة الملكية ويرأس الملك المجلس الاعلى للانعاش الوطني والتخطيط والمجلس الاعلى للقضاء.

تلك صورة مقتضبة عن شمولية الانجازات التي حققها جلالة الحسن الثاني ضمن صيرورة التاريخ واصالة الامجاد وعراقة الفكر الاسلامي الذي عرف جلالته كيف يضمن توازن عطاءاته موفقا بين الروح المثالية والمتوثبة والخلق الانساني المبدع ومادية الحضارة التكنولوجية العارمة.



لفضيلة الأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون
عميد كلية الشريعة ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بفاس

في الجلسة الافتتاحية، التي انعقدت بمجلس النواب، يوم الجمعة 16 محرم الحرام عام 1405 الموافق 12 اكتوبر 1984، تفضل امير المؤمنين، وحامي حمى الوطن، والدين، جلالة الحسن الثاني، نصره الله، فنثر على الحاضرين، خطابا بليغا، ضمنه دوره الغالية، وافكاره السديدة، ومراميه المثلى ــ بما عهد في جلالته، من حصافة رأي، وبعد نظر ونصح للامة ونوابها، الذين انيطت بهم، مهام الدفاع، عن الكرامة وتحصين السيادة، ومناصرة الحق، فكانت تلك الدرر ورقة عملهم، التي سيصدرون عنها، فيما يقزمون القيام به، من خطوات مباركة، ان شاء الله، حتى يستمر المغرب، متدرجا، من حسن الى احسن، بقيادة عاهله مبدع المسيرة الخضراء، ومحقق وحدته الترابية، وحامل راية المصداقية، والقابض على زمام المشروعية، في جميع المجالات، والوثبات، الى الغد المشرق، والهدف الباسم، في ظل صيانة المقدسات الاسلامية، التي تتبلور، في وحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية حيث قال جلالته حفظه الله، «ان مدرسة الحسن الثاني، هي مدرسة محمد الخامس رحمه الله، ومدرسة محمد الخامس هي مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، مؤكدا : ان لا تسامح في عناصر المدرسة الحقيقية للمغرب، التي بنيت على المقدسات الاسلامية، ووحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية» فمن تأمل، مليا، في هذه الفقرات الذهبية، وهذه الفرائد الملكية، وتذوق ما انطوت عليه كل جملة من هذه الجمل، وكل كلمة م هذه الكلمات، علم «ان العبقرية لا يؤتاها كل انسان، وانما هي مكرمة من عند الملك الديان، يهبها لمن اصطفاهم لخدمة الدين والاوطان، وصيانة المقدسات من الضلالة والبهتان، مما لم يرد في السنة ولا في القرآن، وسر العبقرية ينبثق من صفاء العقيدة الاسلامية، ومن النور المحمدي، الذي شع على الاكوان، من صدر من لا ينطق عن الهوى، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي آتاه الله الحكمة، وفصل الخطاب، وورثه عنه سليله، وحفيده، الذي صان الحمى. وحصن الاسلام، بما غذى من روح، وما اطفأ من اوام، وما ازاح من خيلات واوهام. وهكذا، نرى هذه المقولة الجامعة المانعة، كما يقول المناطقة. تفصح للعالم عموما وللمغاربة خصوصا، وللبرلمانيين بصفة اخص، عما تحتوي عليه مدرسة الحسن الثاني، من سمو في العقيدة وسمو في السلوك وتعلق بالله، رب العالمين، مما يعتبر مسيرة في الاحب، فمدرسة محمد الخامس رضوان الله عليه، التي كانت مدرسة سيد الوجود، سيدنا

محمد، حبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم الذي قال الله في حقه:

«وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا».

هي مدرسة بنيت على الدعوة الاسلامية، وقامت على التوحيد وتطهير القلوب، من ظلمة الشرك بالله، وارتقت بالفكر من ترهات الجهالة الجهلاء، والظلالة العمياء، الى مدارج الكمال، وسلكت به انجع الطرق المؤدية الى السيادة الحقيقية، عن طريق الجهاد، لاعلاء كلمة الله.

«يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت، وقد امروا ان يكفروا به»

«ادفع بالتي هي احسن، فاذا الذي بينك وبينه عداوة، كانه ولي حميم»

وعليه، فمبدأ وحدة المذهب، ووحدة اللغة، ووحدة الصف، هو المسار الرصين، الذي يطفح بالحكمة، ويفضي في الحاضر، كما افضى في الماضي، الى الهدف المرتجى، والامل المنشود بما يرسله من اشعاع وهاج، ونور وضاء، يرينا الحق حقا فنقتفيه، والباطل باطلا فنتحاماه، وبذلك، نكون قد نهجنا على هدى، وبصيرة، منهج سليل المصطفى، امير المؤمنين، وحامي حمى الملة، والدين، جلالة الحسن الثاني، الذي تاثر في مسيراته الخضر، خطى جلالة سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه، وجعل جنة الفردوس ماواه، فانه جعل المدرسة المحمدية مبتغاه، وهجيراه، فكان نعم الملك الرائد، لهذه الامة المحمدية، التي تعض على دينها، ولغتها، واصالتها، بالنواجذ ومن هنا نادى جلالة الملك من منصة البرلمان، بان لا تسامح في المقدسات الاسلامية، لانها عصب الامة، وروحها، وشغاف قلبها، وضمان استمرارها، مرفوعة الرأس، موفورة الكرامة، ثابتة الخطى، رافعة راية الاباء والاجداد، في حاضر زاهر، الي مستقبل بسام.

وفي هذه السبيل احيى جلالة الملك المجالس العلمية، وعززها، بانشاء مجالس علمية اخرى، عبرالمملكة، وصلت الان الى اربعة عشر مجلسا، كما امر — حفظه الله — برد الاعتبار للجامعات الاسلامية، والمعاهد العليا، للدراسات الاسلامية، ومن ذلك دار الحديث الحسنية ورفع صوته الكريم، باللغة العربية، في كل المواقف، والمؤتمرات، ودافع دفاعا منطقيا، عن القضية الفلسطينية، بما لا يقبل الرد. ولا الجحود. وافضى بآرائه السديدة، في عدد عديد من القضايا الاسلامية، وما استمرار رئاسته للجنة القدس، الا دليل عملي، وبرهان قاطع وحجة دامغة، على ما يتمتع به جلالته من المعية لامعة، وعبقرية عابقة، ولما كان الناس على دين ملوكهم، بنى المغاربة مدرستهم، التي هي مدرسة الحسن الثاني، على وحدة المذهب المالكي، المبني على سد الذرائع، وعلى عمل اهل المدينة، وكل نظري دخل حيز التطبيق العلمي، كان اقوى من غيره، واقدر على حمل اعباء السنين، وتخطى المعقوقات، (يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل، في طلب العلم، فلا يجدون اعلم من عالم المدينة). قال سفيان، انه الامام مالك، الذي طال عمره حتى لم يبق بالمدينة المنورة من يدانيه، فاحرى من يماثله. وكان يقول من قبل هو ابن المسيب ثم رجع عن ذلك. قالوا : «ان مالكا رضي الله عنه جمع لدراجات الاجتهاد، في علوم الشريعة، من كتب السنة، ومسائل الاتفاق، والاختلاف مالا ينكره موافق، ولا مخالف، الا من شذ. فكان اول من الف فاجاد، ورتب الكتب والابواب، وضم الاشكال الى الاشكال، واول من تكلم في الغريب من الحديث، وشرح في الموطأ كثيرا منه، قال الاصمعي اخبرني مالك ان الاستجمار هو الاستطابة، ولم اسمعه الا من مالك، وقال الشافعي : مالك استاذي، وعنه اخذت العلم، وما احد امن، علي من مالك، وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله. واذا ذكر العلماء، فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ احد مبلغ مالك، في العلم، لحفظه، واتقانه، وصيانته).

وهذا قل من كثر، مما ينبغي، ان يذكر به امامنا مالك، رحمه الله. نكتفي به لننتقل الى الحديث باقتضاب عن اللغة العربية : لغة الضاد. التي جاء بها كتاب الله العزيز، واشاد بها في قوله.:

«نزل به الروح الامين، على قلبك، لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين».

ومن هنا، نرى ان اللسان العربي، والاسلام، متلازمان تلازم الظل للعود، ومن هنا، نرى ان المحافظة على اللغة العربية، هي في الحقيقة، محافظة على عظمة العقيدة، ونور الايمان، لان المظروف لا يصان الا بظرفه، ومن هنا، وقف حماة الضاد، وفي طليعتهم رائد البلاد، ليردوا عن اللغة العربية عاديات الزمان، وتطاول الذين يرمونها بالرجعية (مع ان الرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل) وهو بفضل الله تعالى القائل : «انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون»ستبقى برجا شامخا، وطودا سامقا، وحصنا حصينا، ووزرا مكينا.

ونكتفي بهذا القدر لننتقل للحديث عن موضوع الوحدة الترابية فنقول : لقد اجمعت عليه الامة، لانها تعتبر ذلك، جزءا لا يتجزأ من مقدساتها، التي تفديها، بالنفس، والنفيس، وما ضاع حق وراءه طالب — هذه دعائم المقدسات، التي تقوم عليها المدرسة الحسنية، التي شيدها — حفظه الله، تصحيحا للمفاهيم، وتقوية للمدارك، قبل ان يختلط الحابل بالنابل، والله ولي التوفيق والسلام.

خواطر حول النهضة التعليمية العلمية الحسنية في مغرب التحدّيات

للدكتور محمد جلاول
عميد كلية الحقوق
بوجدة

إن إنجازات المسيرة الحسنية في ميدان نشر العلم والمعرفة كثيرة ومتنوعة، ولا يمكن الاحاطة بها في مقالة او كتاب، فمعالمها تتعدى بناء الجامعات والمعاهد، والثانويات، والمدارس، في جميع ارجاء المملكة وما يتبعها من مطاعم، وداخليات، واحياء جامعية، وتجهيزات ومراكز لتكوين المعلمين والاساتذة في مختلف الاسلاك والتخصصات. كما ان الاشعاع العلمي لهذه النهضة قد تجاوز حدود المملكة وآفاقها وراح يضيء بنوره الذي هو من نور الله سبحانه وتعالى حياة اقوام اخرى خارج عالمنا العربي والاسلامي والافريقي. وتبعا لذلك فان هذه النهضة اكبر من ان تحيط بها كلها وبمختلف ابعادها كل المؤشرات الاحصائية ومعطياتها المتعلقة بتطور أعداد المؤسسات التعليمية والتكوينية واعداد المؤطرين والمتعلمين على مختلف أنواعهم وتخصصاتهم ومستوياتهم ومواقعهم الجغرافية والاجتماعية الى غير ذلك من جوانبها الثقافية والفكرية والنوعية. نعم انها تفوق كل ذلك وتتعداه لتبرز جلية واضحة في نوعية الحياة المادية والمعنوية التي اصبح مجتمعنا ولله الحمد ينعم بها. وللتأكد من هذه الحقائق

كلها يكفي ان يعود المرء الى استقراء واقع مجتمعنا المعنوي والمادي، فهو كفيل بابراز العديد من معالم هذه النهضة وبطريقة حية، تغني بلا شك وفي كثير من الحالات، عن التدليل بالاحصائيات والارقام. فهو الواقع الذي يثبت تقلص الامية في المجتمع المغربي ويؤكد وجود اعداد هائلة من المتعلمين من الرجال والنساء ومن البنين والبنات والفتيات والفتيان سواء في الاوساط الحضرية او القروية، وهو يشهد ايضا بوجود مؤسسات التعليم والتكوين المختلفة في جميع ربوع المملكة. ويؤكد ان نشر التعليم كان الموضوع الذي يحظى بالاسبقيةفي الاختيارات السياسية للدولة، وأن هذه الاخيرة تخصص له كل سنة اعتمادات مهمة في ميزانيتها السنوية. وهي أي الدولة قد أوجدت للتعليم وللمجالات الاخرى ذات الصلة في التكوين وبنشر المعرفة والثقافة أربعة وزارات تعمل جاهدة كلها في سبيل نشر العلم والمعرفة والثقافة وهذه الوزارات هي :

— وزارة التعليم
— وزارة التخطيط وتكوين الاطر
— وزارة الاعلام
— وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية .

ويمكن اضافة عمل وزارة الشبيبة والرياضة ايضا باعتبار ماله من صلة بالميدان الذي نتحدث عنه. الى جانب هذا كله هناك اعداد اخرى كثيرة من الهيآت والجمعيات التي تعمل لصالح التعليم ومن اجل نشره وتوسيعه فتفيد وتستفيد بما تحقق من الانتصارات على درب النهضة الحسنية المباركة في ميدان المعرفة بصفة عامة. واذا كان شكر النعمة من اسباب الابقاء عليها والزيادة فيها كما يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم : «واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد...» (الآية السابعة من سورة ابراهيم)، وإذا كان ذلك كذلك، فإن مباركة الجهود المبذولة في الميدان الذي نحن بصدده وتقديرها حق قدرها، يدخل ضمن شكر النعمة خاصة وان هذه النهضة ومنجزاتها قد انطلقت من لا شيء باعتبار ان البلاد خرجت من عهد الحماية الى عهد الاستقلال وهي تعاني من الامية ومن قلة المتعلمين المكونين والقادرين على تسيير دواليب الدولة وخدمة مصالح الامة، بل ان الامية غداة الاستقلال كانت متفشية بين المواطنين بنسبة تفوق تسعين في المائة هذا فضلا عن أمية المعرفة والثقافة التي كانت منتشرة بنسبة كبيرة ايضا. وبالطبع فان سياسة الاستعمار التعليمية كان يهمها أن تتفشى الامية في البلاد وأن ينتشر الجهل والتخلف في الشعب المغربي حتى يسهل ترويضه ويتأتى استغلاله ماديا ومعنويا، ولذا لم تكلف نفسها عناء العمل على تعميم التعليم وإتاحة فرصة امام جميع المغاربة، بل رأت أن يبقى حكرا على الاوربيين بالدرجة الاولى ثم على فئة محدودة من سكان البلاد الاصليين، الذين يمكن استعمالهم ككتبة في بعض الاعمال الادارية وغيرها، التي لا يرغب المستعمرون في تعاطيها والتي لا تغطي اجورا ورواتب عالية. ولهذا نجد سلطات الحماية لم تهتم ببناء المدارس الابتدائية والثانوية ولم توفر المعاهد العليا ولا الجامعات المكونة للاطر الوطنية القيادية والتقنية الضرورية لانجاز الخدمات الادارية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة، الامر الذي جعل البلاد تظل تعاني من خصاص كبير في ميدان الاطر، وتضطر للابقاء على من تواجد منهم من الجنسيات الاجنبية واستقدام آخرين والاعتماد عليهم في تخطيط وتوجه وتنفيذ مهام وطنية سامية وخطيرة وذلك مقابل مرتبات عالية تؤدي كلها أو في معظمها بالعملة الصعبة مما يساهم في احداث خلل بموارد البلاد المالية والنقدية ويؤثر سلبيا على تنميتها ومستقبلها .

وبالجملة فإن المخلفات التي ورثها المغرب من عهد الحماية وانطلق تحت تأثيرها السلبي يبني نهضته الحديثة، كانت تشكل تركة ثقيلة جدا، ولا يمكن لنا هنا تعقب كل مظاهرها وجوانبها. فكيف واجه مشاكله المختلفة في ظل ظروفها ؟ سؤال كبير وجدير بالدراسة والاهتمام ولكننا على مستوى هذا البحث القصير سوف نركز على جانب واحد نعتبره حجر الزاوية في النهضة المغربية الحديثة التي خططها وقادها رائدها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، ألا وهو نشر العلم والمعرفة وتحقيق نهضتها في البلاد، فكيف تم انجاز مشاريع هذه القضية ذات الانعكاسات الخطيرة في حياة الامة؟ وهل تم فعلا انجاز كل ما ينبغي انجازه في ميدانها ؟ أم ما زال هناك الكثير مما ينبغي عمله في مضمارها ؟ اسئلة كثيرة تفرض نفسها وجديرة بالبحث والدراسة ولكننا نعتبر أنها تتعلق بالجزئيات ما دمنا قد قررنا في البداية بأن النهضة تحققت فعلا ولله الحمد غير انه يجدر بنا ان نلتفت لامر كان له أثره البالغ بالنسبة لتحقيق ما أنجز من مشاريع وأعمال في ميدان نشر التعليم وبناء نهضة البلاد العلمية الا وهو ايمان الامة واجماعها على اهمية العلم للتطور والتنمية. فلقد ادرك المغرب وهو البلد الغني بتراثه واصالته أنه لا يمكن ان يستعيد مجده التليد ولن يتأتى له تجديد حضارته وبناء نهضته على نحو عصري متين الا اذا استعان بالعلم وبنشر المعرفة على صعيد الامة بأسرها .

ولما كان هذا حقا هو ادراك المغرب وعلى رأسه بطل الاستقلال جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، قدس الله روحه، ومعه ولي عهده آنذاك، ووارث سره من بعده، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، فقد ابتدأ العمل بنشر التعليم والمعرفة في البلاد، قصد تغيير خارطتهما السوداء الموروثة، عن عهد الحماية والسهر على تعميميه وتعريبه وتوحيده وتطوير مناهجيه وأساليبه. وهذه كانت احدى المهام الاساسية بل أخطرها على الاطلاق، التي برزت على الساحة الوطنية غداة استرجاع الاستقلال وانهاء عهد الحماية البغيض وذلك لكونها من نوع المهام التي لا تقبل التأخير بل تتفاقم بسببه، فانطلق العمل التربوي والتعليمي في جميع ربوع البلاد رغم توفر الشروط الضرورية لذلك، حيث لم يكن هناك لا مدارس ولا معلمين ولا أساتذة ولا مشرفين اداريين، فالتعليم الموروث عن عهد الحماية والذي كان يعتبر بديلا عن نظام التعليم الوطني السائد قبل الاستعمار لم يكن لا منتشرا بكثرة ولا مكملا لهذا التعليم الوطني الاصيل ذي الطابع الديني المخالف لطبيعة التعليم العصري الدنيوي العمومي والخصوصي الذي كان له ايضا طابعا تبشيريا، وبالطبع فان كلا النوعين الاخيرين من التعليم لا يعكسان قيم البلاد وفكرها بقدر ما يعبران عن فكر وحضارة من يمولونه ويقومون به بهدف غزو البلاد وضربها في مقوماتها الروحية والفكرية وجعلها في النهاية امتدادا لحضارة الغرب وجزءا لايتجزأ منه، بعيدا عن هويتها واصالتها وحضارتها، وليس في وضع الراصد لحالة التعليم غداة الاستقلال ان يسقط من رصيده اللغة التي يتم التعليم بها وازدواجيتها بل وثلاثيتها باعتبار ان اللغة الفرنسية كانت وما تزال وكأنها لغة البلاد السائدة والرائجة، بكثرة وفي مواجهتها تقلصت لغة البلاد الاصيلة التي عبرت على مدى تاريخ المغرب الممتد قرونا طويلة عن كيانه ووجوده وحضارته العريقة، كما كانت اللغة الاسبانية بدورها سائدة في عدة مناطق من البلاد، وادراكا لما يكتسيه توحيد البلاد في لغة واحدة، هي لغتها الاصيلة تكفل لها التعبير عن الوجدان وعن المشاعر المشتركة التي هي قوام وحدة الامة وسند مناعتها وقوتها من أهمية فائقة كان ينبغي العمل على تحقيق ذلك التوحيد إذ أن الابقاء على التعددية في لغة التعليم والتثقيف والتربية من شأنه أن يكرس الانقسام في مشاعر الامة والتعدد في انماط تفكيرها وتعبيرها عن حياتها الفردية والجماعية والوطنية والقومية.

وفيما يرجع للتعليم الجامعي لم يكن في البلاد سوى جامعة القرويين العريقة التي كان لها الفضل الكبير في الحفاظ على هوية الامة المغربية الاسلامية وعلى اصالتها في مواجهة كل التحديات التي كانت مفروضة في عهد الحماية ولكنها وحدها في الظروف التي عاشت في ظلها قبل الاستقلال لم تكن بقادرة على الوفاء بكل حاجيات الامة في العلم والمعرفة وغيرها.

ومع ادراك كل ابعاد المشكل التعليمي الموروث عن عهد الاستعمار والاقتناع بضرورة الاخذ بأسباب العلم وسيلة للنهوض بالامة المغربية كان لابد من وضع سياسة رشيدة تكفل نشر العلم في ربوع الوطن وتعمل على توحيده وتعريبه ومغربته وضبط مناهجه حتى يكون أداة لخدمة الامة المغربية في دينها ودنياها وفي لغتها وثقافتها وحضارتها، وتلك هي اهم العناصر الاساسية التي يتحتم على نظم التعليم أيا كان واضعها وضعها أن ترعاها، بعد هذا كله كانت معالم الطريق واضحة فجاء تنفيذ مختلف المشاريع التعليمية والثقافية التي تم انجازها في طول البلاد وعرضها والتي تقوم ماثلة للعيان شاهدة على نهضة البلاد العلمية والفكرية التي لا داعي لاستعراض كل معالمها هنا فهي كثيرة ومتعددة ومتنوعة، ولكن اذا كنا نبارك ونعجب بمجزاتها فان علينا كذلك انصافا للحق واقرارا بالحقيقة أن نقول ونحن بصدد رصد خارطة التعليم وتحقيق النهضة العلمية في البلاد بعد انقضاء ما يقرب من ثلاثين عاما على استقلالها، بعد التقدير والاعجاب بكل ما تحقق، فإن علينا ان نقر بان المسيرة لم تصل بعد الى جميع غاياتها في الامية مع الاسف الشديد ما زالت متفشية بين السكان الكبار منهم والصغار بل وبنسبة عالية أيضا وذلك لعدم التغلب على الجموع الغفيرة التي تصل الى سن التمدرس من جهة وعدم تعليم الكبار الذين فاتهم فرص التعليم في الماضي. ومن جهة اخرى ووما فإنه من شك في ان الامية عندما تكون منتشرة في مجتمع ما فهي تحول بينه وبين الظفر بطموحاته. فالتاريخ يؤكد ان الامة المتعلمة هي الامة القوية الناهضة وان الامة الجاهلة هي الامة المتخلفة الضعيفة. ولسنا في حاجة الى تأكيد هذه الحقيقة ـ فواقع الدول في عالم اليوم يبرز أمامنا ذلك، فالدول الراقية هي الدول التي انعدمت فيها الامية تماما وانتشر فيها العلم وتطور فيها التعليم بانواعه ونظمه واساليبه وتقنياته.

كما ان تعريب تعليمنا ما زال هدفا وغير محقق بعد، خاصة التعريب الشامل الذي ينطلق من تعريب لغة التعليم في جميع المستويات والتخصصات لينتهي بتعريب ثقافة الامة وفكرها وحضارتها وحياتها الادارية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها. وذلك سعيا لوضع الحد للتبعية الثقافية والعلمية والتكنولوجية

التي تعاني منها. فاللغة الوطنية قادرة على استيعاب كل تقدم وكل تطور مادي ومعنوي تحققه الامة.

فلغة الضاد كان لها تاريخها وشأنها العظيم ليس في بلادنا فحسب، بل في كثير من البلاد التي سيدنا وما زلنا نسيد حتى الان لغاتها لكن شريطة ان يفسح لها مجال الاستعمال والتداول في الحياة العملية والفكرية للامة، وألا يكتفي بتقديمها على غيرها تشريعيا ونظريا فقط، بل عمليا أيضا.

ففي أوربا القرن الثاني عشر والثالث عشر كان الطبيب لا يعد طبيبا الا اذا كان يكتب وصفة الدواء بالعربية، اشارة الى قراءته لكتاب ابن سينا في الطب. وهذا يعني ان اللغة العربية كانت لغة علم يخشى بأسها وبأس أمتها، وكان يدرسها المتخصصون وصفوة الناس من الاوربيين وغيرهم محاكاة للامة العربية القوية آنذاك... والضعيف يحرص دوما على محاكاة القوي في لغته باعتبار ان اللغة هي الصورة الاولى لفعل ذلك كما يقول ابن خلدون. هكذا فقد آن لنا ان نستشعر القوة في نفوسنا ونثق في كياننا ولا نفرط في عنصر من عناصر هويتنا. ففي هذا العصر نجد كل الامم تحرص اشد ما يكون الحرص على استعمال لغتها الوطنية في التدريس والتعليم عندها وذلك على جميع المستويات وفي كل التخصصات.

وعندما نلح على التعجيل باستكمال تعريب حياتنا الفكرية والادارية والاقتصادية وغيرها، فاننا لانقول بالكف عن تعلم اللغات الاجنبية، فهذا غير ممكن. بل ان ما يعتبره جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بحق ان الامي في الوقت الحاضر هو من لايعرف سوى لغته الوطنية.

وهكذا ينبغي بل يجب الاستمرار في تعليم وتعلم اللغات الاجنبية الحية، ولكن فقط لتكون وسيلة لنقل المعارف لدى القوم الذين يتحدثون بها وليس لتسييدها في اوطاننا اذ ثمة فارق كبير بين ان تكون اللغة وسيلة لنقل معارف اقوام اخرين وبين ان تكون سائدة على السنة المواطنين بما يشبه الغزو والتحطيم وفقدان الهوية. فكل البلاد المتحضرة تحرص على دراسة اللغات الحية وغير الحية ولكن لالتوظيفها بديلا عن لغة البلاد، وانما لدراسة معطيات الفكر في بلاد هذه اللغة او تلك. ففرنسا مثلا تعلم اللغة الانجليزية، ولكن لاتسمح لمؤسساتهاواجهزة اعلامها ومعاهدها التعليمية بتسييد اللغة الانجليزية وتفضيلها في بعض الميادين والحالات. ونفس الامر نجده في امريكا التي تعلم اللغة الفرنسية ولكن هذه اللغة لا تتجاوز حدود نشرها للاستفادة بها والتعرف منها على معطيات الفكر الفرنسي. ونفس الشيء يقال عن روسيا واسبانيا والبرتغال والسويد وغيرها من البلاد. بل ان بلدا كاسرائيل تصر على احياء لغتها التي لاحياة لها ولا يتكلم بها الاعدد قليل من السكان ولم تنهض بها حضارة قط ولم تخلف على مدى التاريخ اثرا يذكر، ولكنها في سبيل دعم هويتها والدفاع عن شخصيتها تتخطى ركب احياء لغتها الميتة، في الوقت الذي يشكك البعض منا بلغتنا التي صاحبتنا على مدى التاريخ وقامت بها العلوم والفنون وشيدت بها حضارة خالدة على جبين التاريخ.

كما ان نظامنا التعليمي مازال يعاني من الانقسام ومازالت التعدديةفيه سمة لايخطئها الناظر فيه. ولقد آن الاوان لان نتمسك بهويتنا واصالتنا لنحمي انفسنا من التشتت والتمزق. فمناهج تعليمنا وبرامجه مازالت في حاجة ماسة الى جهد لتصفيتها وتنقيتها مما يمكن ان يؤدي الى التفرقة بين افراد وطننا، ويساهم في خلق انواع مختلفة من الغايات والطموحات العقائدية التي قد لاتخدم نهضتنا ومسيرتنا نحو المستقبل الافضل بمقدار ما تضرها. واذا كان الدستور يضمن المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات فان هذه المساواة لم تتحقق بعد في التعليم باعتبار ان هناك من ليست له القدرة على التعليم لاسباب كثيرة تقع خارج طوقه وارادته. وهذا مما ينال من نظامنا التعليمي وما يجعله عاجزا على خلق وتطوير شخصية مغربية منسجمة. فالذين يحصلون على نوع من التعليم والتكوين لايتساوون مع الذين لم يتلقوا اي نوع من التعليم. كما ان المكونين في نظامنا التعليمي الحالي يشكلون اصنافا ومستويات غير منسجمة بسبب تعدد انظمته ان لم نقل تشتته.

والمتعلمون في نظام تعليمي غير موحد وغير مؤصلا لا تكون لهم فائدة كبيرة وموفورة ولا يكون لهم عائد كافي، ولذلك يمكن بسهولة كبيرة تعويضهم واستبدالهم بغيرهم ممن لا ينتمون بصلة مباشرة الى الوطن، طالما كانت الذات المغربية غير متأصلة في تكوينهم وتعليمهم. ومن هنا فإن الهدف من التعليم ومن تعميمه يتعدى حدود اعطاء المواطن المقدرة على القراءة والكتابة باللغة الوطنية او بغيرها من اللغات الى تكوينه وتزويده بعناصر حية من المعرفة والثقافة تجعله فاعلا مؤثرا وحاملا لكل الخصائص المغربي ومعبرا عن الذات الوطنية والقومية في ابعادها المختلفة.

وهكذا فان كل ما حققناه في هذا السبيل ليس بالامر الهين، ولكنه كذلك ليس بالقدر الكافي. اذ لابد من رأب هذه الخدوش التي ما زالت ماثلة في نظامنا التعليمي ولابد من القضاء على نقط الضعف فيه، ليس فقط بتطويره كميا بل بتحسينه نوعيا وجعله اداة الاخذ بيد الامة يتيح لها فرصة

المشاركة في الابداع والخلق على الصعيد العالمي. علينا اذا ان ندفع تعليمنا وبحثنا العلمي خطوات واسعة الى الامام اذا اردنا لانفسنا الرقي والتقدم اذ ليس للعلم حدود يقف عندها او اماد يستقر لديها، وهذا يعني انه ما وصلنا اليه ليس الا بداية فما زال امام الامة الكثير لانجازه في هذا النطاق وما زالت الجهود الحسنية الرائدة تسير على قدم وساق لبلوغ الغاية في مجال التعليم وما زلنا ننتظر الكثير والكثير لاستنهاض مكانتنا بين الامم.

على اننا لا نريد الانتهاء من هذه المقابلة قبل ان نورد الملاحظات التالية والتي لعلها تمثل نوعا من الاهداف المرتجاة لضمان انتظام مسيرة العلم في بلادنا نحو الغاية المنشودة:

اولا : ضرورة الاخذ بالعلم التطبيقي : — ذلك ان نظامنا التعليمي في هياكله المختلفة انما يسير على تلقين المعارف والمعلومات بحيث تمتلىء الاذهان بالوانها ولكن دون ان نشهد لها اثرا في حياتنا اليومية والعلمية. وهذا عيب كبير يجب ادراكه مثلما ادركه على افضل ما يكون الادراك اسلافنا وعلماؤنا الاولون. فهاهو ذا ابن عبد ربه الاندلسي في مؤلفه : «العقد الفريد» يقول وفي منظومته كتاب الياقوتة في العلم والادب يقول : «ان العلم علمان، علم حمل وعلم استعمال، فما حمل منه ضر وما استعمل منه نفع». ويفصل القول في هذا المعنى الامام الاصمعي حيث يتتبع مسيرة العلم وغاياته فيقول : «اول العلم الصمت وثانيه الاستماع، وثالثه الحفظ، ورابعه العمل ، وخامسه نشره واذاعته».

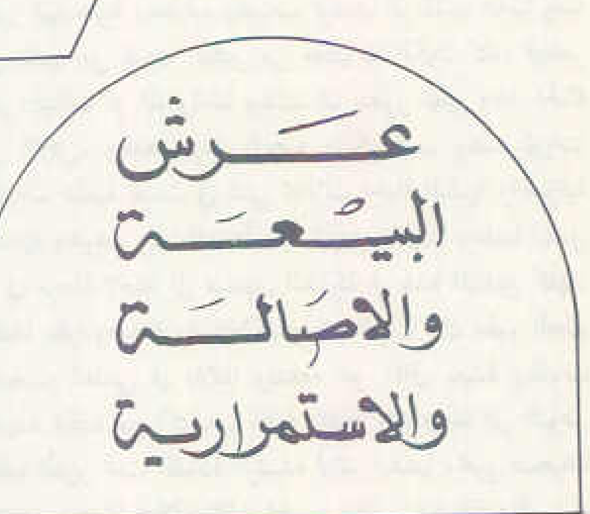
فاذا كان الاقدمون قد ادركوا هذا المعنى المحدد للعلم فاحرى بنا ان نتقدم على دربه مرحلة تتجاوز الاستماع والحفظ والتلقين لنصل به الى العمل، ونترفع بمعطياته ونظرياته الى مستوى التطبيق في حياتنا اليومية، نطور به واقعنا الاجتماعي ونجعل به حياتنا فاعلة. ولقد استعاذ رسولنا الكريم من العلم الذي لا يفيد في حديثه الشريف« اللهم اني استعيذ بك من قلب لا يخشع وعلم لا ينفع ودعاء لا يستجاب» بل ان العلم بالدين لا يخلق المتدين على نحو ما اراده الله، سبحانه وتعالى كما أن العلم بسائر الفروع الاخرى من المعرفة لا يفيد بغير توظيفه.

ثانيا : التعليم للعلم والتربية للتربية : اذا كان على التعليم ان يثمر العلم الذي ينهض للوفاء بمتطلبات المجتمع في فترة زمنية حالية او آنية حيث يجب عليه ان يطرح الحلول الناجعة لجميع المشاكل والقضايا المطروحة على صعيد الامة فان عليه كذلك ان لا يتوقف عند هذه الغاية، بل عليه ان يطور العلم للعلم نفسه باعتبار ان ذلك هو السبيل للابداع والتطور الحقيقيين. فطلب العلم للعلم من شأنه ان يتيح للفكر المغربي خاصة والفكر الانساني عامة فرصة ابتداع المعارف الجديدة، وطرق الميادين غير المسبوقة التي يمكن ان يكون فيها الخير كل الخير للامة مستقبلا. ولذا لا ينبغي القول بأن هذا النوع او ذاك من المعارف شاق ومكلف ولا يؤتي ثماره، فطالما استفادت الانسانية من طرق الميادين المجهولة وجنت منها اطيب الثمرات. هذا من جهة ومن جهة اخرى فان على نظامنا التعليمي ان يسعى ويعمل على تحقيق اهداف تربوية وترسيخ قيم اخلاقية مثلى اذ لا معنى لتعليم لا يحقق غايات تربوية سامية.

ثالثا : التعليم لانشاء العلم المشارك : لقد كفانا ان يكون دورنا الانساني في مجال العلم هو فقط المتابعة والاستهلاك ونريد ان نتجه بالعلم وجهة جديدة وهي ان نشارك في ميادينه المختلفة ولتطوير ما هو قائم وابداع ماهو غير كائن، انه لما يعز علينا بل ويحز في نفوسنا ان تكون جميع المنجزات العلمية في عصرنا الحديث من ابداعات غيرنا ومن قرائح سوانا، بحيث اصبح دورنا منحصرا في مجرد استهلاك ما انجزه غيرنا، ان الاخذ بسياسة العلم المشارك هي التي تدفع بعلمائنا الى اقتحام ميادين جديدة ورائدة في البحث العلمي قد سبق اليها غيرنا وطور فيها علوما ومعارف وتقنيات توشك ان تقلب الدنيا رأسا على عقب بل غيرت الكثير من معطيات الكون كله، فهاهو علم الجينات او الموروثات يوشك ان يتطور ليغير وجه الحياة على الارض، وهذه حرب النجوم والكواكب، وهذه ثورات وطفرات علمية تحدث في شتى مجالات الحياة البشرية والحيوانية والنباتية وغيرها، ولذا فان علينا ان نهض بتعليمنا وعلمنا ليصل بنا في مرحلة لاحقة الى مستوى المشاركة في هذه الميادين كلها، فكفانا نظرا ومتابعة واستهلاكا، وحان الوقت لان نطور التعليم والبحث العلمي في بلادنا وندفعه نحو آفاق بعيدة وغايات جديدة تمكننا من اكتساب القوة والمنعة وتؤدي بنا الى النهوض بوطننا العزيز تحت القيادة الرشيدة لرائد نهضتنا ومحرر صحرائنا وضامن وحدتنا جلالة الملك الحسن الثاني اعزه الله واقر عينه بسمو ولي عهده الامير الجليل سيدي محمد وصنوه السعيد المولى الرشيد وسائر افراد الاسرة الملكية الكريمة انه سميع مجيب. والسلام.

الدكتور محمد جلال
عميد كلية الحقوق بوجدة

العرش المغربي



لفضيلة الاستاذ محمد حدو امزيان

عميد كلية اصول الدين بتطوان ورئيس المجلس العلمي الاقليمي بتطوان

يتربع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وامد في ايامه السعيدة على عرش اصيل عريق في المجد والقدم، انه عرش يحتل قلوب الامة المغربية ويلتف حوله شعب حر ابي عرف بعزة النفس والتشبث بالاستقلال والحرية منذاقدم العصور، سواء قبل الاسلام او بعده. فقبل الاسلام عاش المغاربة في وطنهم احرار لم يخضعوا لدخيل رغم كثرة الوافدين من الفاتحين ، فلما جاء الفتح الاسلامي قاوم المغاربة الفاتحين ولم يخضعوا الا بعد حين حتى اذا فتح الله قلوبهم للاسلام وادركوا حقيقته تحولوا الى جنوده المدافعين عنه ففتحوا البلاد ونشروا هذا الدين واصبح المغرب مركز الاشعاع الاسلامي بعد ذلك ولايزال ولن يزال بحول الله.

ان هذه الارض الطيبة التي تحتل جزءا مهما في غرب العالم الاسلامي والتي سماها المسلمون باسم المغرب ذلك الاسم الذي جاء في القرآن المجيد في قوله تعالى (حتى اذ بلغ مغرب الشمس) وهذا الشعب الكريم الذي سكنه منذ القدم عرفه التاريخ وعرف اصالته وصفاء سيرته وطهارتها لانه شعب متشبع بالخير وحريص على خدمة الحضارة والمدنية في ظل وحدته واستقلاله ولذلك لما كان الفتح الاسلامي وعاش فترة من الزمن في ظل حكم الحكام ولم يطمئن الى حالته تاقت نفسه الى الاستقلال والى بناء دولته وتاسيس عرشه ولكن انى له بهذا العرش وهو متشبث ليس له زعامة ولا بين تجتمع عليه فئات الشعب كلها.

اذا اراد الله امرا هيأ له اسبابه فقد كان اهل البيت العلوي في المشرق مضطهدين من طرف ابناء عمومتهم العباسيين الى اقصى حد من الاضطهاد ، ويشاء الله ان ينجو مولاي ادريس هاربا الى المغرب كما هرب غيره من العلويين الى اطراف البلاد الاسلامية فوجد فيه المغاربة ضالتهم المنشودة وتمسكوا به تمسك الغريق بحبل النجاة، فبايعو عن ايمان واختيار سنة 171 هـ ، وبذلك تاسس العرش المغربي وتكونت دولة المغرب مستقلة عن الخلافة الاسلامية في المشرق تلك الخلافة التي كانت قد اتسعت وكثرت مشاكلها الداخلية والخارجية ومالت اطراف اخرى منها الى الاستقلال وفي مقدمتها الاندلس الذي استقل سنة 138 قبل المغرب.

ومولاي ادريس هرب الى المغرب واسس دولته فيه على اساس المذهب الشيعي الذي يرى ان الخلافة حق لابناء علي وفاطمة ولكن التشيع لم يكن مقبولا عند المغاربة كما لم يقبلوا اي حزب من الاحزاب الاخرى مثل الخوارج وهذا ما برهن على اصالة هذا الشعب واستقامة فكره فهو لا يمكن ان يجتمع على

ضلال ولا يمكن لاي نزعة ضالة ان تنجح في السيطرة على قلبه المتمسك بالكتاب والسنة والجادة.

اسس مولاي ادريس اول عائلة ملكية في المغرب المسلم وتربعت على عرشه المكين مدة 133 سنة ثم تحولت السياسة وسقطت العائلة الادريسية وقامت عائلة ثانية وهكذا تعاقبت على عرش المغرب 6 عائلات كبرى وهي الادارسة والمرابطون والموحدون والمرينيون والسعديون والعلويون ادام الله عهدهم وسدد للعاهل الكريم مولاي الحسن الثاني خطاه آمني، وبجانب هذه العائلات الكبرى برزت في تاريخ المغرب عائلات صغيرة حاولت التربع على العرش ولكن في ظروف قاسية لم يتم لها الامر كما يراد، وهذه العائلات هي عائلة آل موسى بن ابي العافية، وعائلة مغراوة وبني يفرن ثم عائلة الوطاسيين والعرض الذي ظهر فيه هذه العائلات كان من اقسى العصور في المغرب حيث كاد المغرب يفقد استقلاله بسبب كثرة المطامع الاجنبية فيه ولكن الله سبحانه كلما ساء الظروف فيض للمغرب من رجاله من ينقذه وياخذ بيده نحو شاطىء السلامة.

نرجع الى تصفح التاريخ وتجريد حوادث الاطوار التي مر فيها المغرب والتي كانت سبب قيام الدول وتبدل العائلات على العرش المغربي لنرى مدى صدق قولنا ان العرش المغربي وحدة ثابتة ومؤسسة خالدة وما المتربعون عليه في كل زمان الا عائلات مغربية حلت محل من قبلها لتستأنف السير وتواصل التاريخ فلم يكن في المغرب دول مختلفة ذات مذاهب متباينة وانما كان المغرب ولا يزال له دولة واحدة قائمة على الكتاب والسنة والجماعة فهذه هي الدول الحاكمة الثابتة الخالدة اما العائلات فلم تكن الا خادمة لهذه المبادىء وحارسة لهذه الخطة التي قررها الشعب من اول يوم دخل فيه الاسلام. فكم رأينا في التاريخ من محاولة للسيطرة على البلاد ولكن لم يكن النجاح يتم الا أولئك الرجال الذين برهنوا على صدق الايمان بعقيدة الشعب واخلاصهم في خدمة الدين والوطن.

في القرن الرابع الهجري كان المغرب يعيش في ظروف حالكة من جراء سوء الاحوال الداخلية وتلاشي السلطة الشرعية وتكالب المطامع الاجنبية ففي الشرق كانت تمتد جحافل الفاطميين للسيطرة على المغرب وجعله ولاية تابعة لهم على يد موسى بن ابي العافية وفي الشمال امتدت اطماع الامويين على يد مغراوة في محاولة فاشلة للسيطرة على المغرب ولكن المغرب قاوم وتشبث بالحياة واستقلال عرشه ودولته حتى اذا ما انتصف القرن الخامس كانت عائلة مغربية قادمة من الجنوب الغربي للبلاد تتقدم لتؤسس دولة سنية سلفية اصيلة هي دولة المرابطين التي قامت على الجهاد لمحاربة التخلف والانحراف والفساد الذي تفشى في الشعب وخاصة في الصحراء والسهل الغربي حيث انتشرت بدعة البرغواطيين وقوى سلطانها حتى جاء المرابطون بقيادة عبد الله بن ياسين وصحبه فازالوا من المغرب تلك البدع والانحرافات وأرجعوا الشعب الى السنة والجماعة واسسوا عاصمة مراكش التي اصبحت مقر العرش المغربي المتجدد الخالد. وسرعان ما تراجعت تلك القوى الاجنبية الطامعة في المغرب فقد ضعفت الدولة الاموية في الاندلس واتجهت نحو السقوط ودخلت في عصر ملوك الطوائف المعروف. اما الدولة الفاطمية التي كانت في الشرق فقد انتقلت الى مصر وانشغلت بمشاكلها في الشرق ومنافساتها مع الخلافة العباسية على قيادة العالم الاسلامي.

وبذلك اتيحت الفرصة للمرابطين ليقيموا دولتهم ويعيدوا للمغرب استقلاله وامنه وليستأنف السير في طريق المجد والحضارة النظيفة لا في الداخل فقط بل يمد يده الى الاندلس لينقذه من الخطر المحقق الذي كان محدقا به وليعطوه نفسا جديدا لاستمرار حضارة العرب بالاندلس قرونا اخرى عديدة.

لقد عاشت دولة المرابطين من الزمن 87 سنة انجبت ملكا واحدا ولكن كان عظيما جدا يعدل عدة ملوك ذلك هو امير المسلمين المصلح الصالح السلفي المجاهد يوسف بن تاشفين، ثم لم تعش الدولة بعده الا اياما من الاختلال والتعثر فاتجهت نحو السقوط وهي في ريعان الشباب ذلك ان دعوة المهدي بن تومرت كانت لها بالمرصاد فاستغل الظروف السيئة واعلن دعوة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تاثر بها في المشرق كما تأثر بافكار الشيعة فتسمى بالمهدي المنتظر ثم تسلح بسلاح المذهب الاشعري لمحاربة المرابطين السلفيين فاتهمهم بالتجسيم وسمى اصحابه الموحدين.

تلك عائلة ثالثة جاءت الى العرش المغربي كانت العائلة السابقة تنتسب الى قبيلة صنهاجة المغربية الصحراوية اما هذه فهي من قبيلة مصمودة وكلتاهما من قبائل المغرب الاقصى المشهورة قبل الاسلام وبعده. وقد احتل الموحدون العاصمة مراكش وتربعوا على عرش المغرب مدة 117 سنة انجبت الدولة من الملوك العظماء عددا كافيا لتأسيس امبراطورية مغربية تاريخية شملت شمال افريقيا كله والاندلس وبذلك استولى العرش المغربي على منافسيه القدماء وضم ممتلكاتهم الى دولته فاصبحت الدولة القوية القائمة على حماية الاسلام وحضارته في هذه الجهة من

العالم الاسلامي الدوام لله وحده لقد ذهبت دولة الموحدين القوية وبقى العرش المغربي يبحث في ابناء شعبه عمن يقوم بمهمة احياء المجد والحفاظ على الوطن والعرش، ولما بلغت الحالة السيئة درجة الخطورة حتى طمح الصليبيون في الانقضاض على بلاد الاندلس التي كانت قائمة على حماية الدولة المغربية لم يطل الانتظار فقد كانت عائلة رابعة في انتظار وعلى اهبة استعداد لاستلام الامر وحماية العرش المغربي من الاندثار، جاءت العائلة المرينية هذه المرة من الصحراء الشرقية ودخلت المغرب واحتلت العرش من سنة 668 الى سنة 876، عاش المغرب في ظل عرش المرينيين في سعة وتقدم وازدهار وانتعشت المعارف والحضارة ونبغ رجال الفكر ولعل من ابرز النماذج ظهور ابن الخطيب وابن خلدون في هذا العصر وخدمتهما للعرش المغربي في عهد المرينيين غير ان الدولة كانت قد انهدت في الشمال من جرا هزائم المسلمين في الاندلس وضعف الحكم اللامركزي هناك ورغم ذلك فقد كان المرينيون يشعرون بواجبهم نحو الاندلس والدفاع عنه فكانوا في تعبئة دائمة للدفاع عن الاندلس وكم من وقائع وهزائم الحقوها بالصليبيين حتى كسروا شوكتهم وخففوا بذلك الحمل على مسلمي الاندلس ولكن الى متى يبقى المغرب حاملا لهذا العبء وحده، هكذا تكاثرت الخطوب على المرينيين من الاندلس تارة ومن افريقيا تارة اخرى حتى بلغ الكتاب اجله وانحلت الدولة وبعبارة اصح انحدت العائلة المرينية وهي الرابعة وبقي الشعب في فوضى واتجه نحو الانحلال وفساد الاحوال بل ان الادهى من ذلك هو امتداد المطامع الصليبية الى المغرب بعدما صفى امر الاندلس فاحتل البرتغال شواطئه وبلغ المغاربة شفى الهاوية وتمكن اليأس من القلوب وفسدت الاخلاق واصبحت الحالة تتطلب الانقاذ قبل حصول الكارثة.

في هذا الظرف العصيب كانت عائلة السعديين تعيش في اقليم درعة وتلقت من الشعب كل الحاح في القيام بمهمة الدعوة الى انقاذ البلاد واصلاح الاحوال فقاموا بالامر خير قيام وتقبل الشعب دعوتهم للجهاد خصوصا وهم من أهل الصلاح والتقوى والنسب الشريف وهكذا قامت العائلة السعدية بمهمة مكافحة المستعمر البرتغالي ونجحت في تحرير بعض الشواطىء واثناء ذلك كانت العائلة تتبوأ مكانة تؤهلها للتربع على العرش المغربي عن حب وثقة من الشعب. وهكذا دخل السعديون مراكش وتربعوا على العرش وحكموا المغرب 113 سنة، انجبوا اعظم زعيم للاسلام هو بطل موقعة وادي المخازن احمد المنصور الذهبي الذي اتجه بالدولة المغربية نحو القارة السمراء فون فكون امبراطورية، تمتد الى مدينة (تمبكتو) ونعمت البلاد بالغنى والسعادة خليقة بالدولة السعدية كما اوقف السعديون مطامع الصليبية في المغرب فخف الضغط على الشواطيء المغربية الى حين. يظهر انه اصبح من العادة السارية في المغرب انه كلما ظهر عظيم وبلغت الدولة المغربية في ايامه غاية المنى ونهاية الطلب واتجهت امورها عقب ذلك الى السقوط والانهيار، بسرعة غريبة وهكذا فبعد احمد المنصور الذهبي مباشرة اختلت امور الدولة وتفرقت العائلة السعدية وانقسمت على فرعين احداهما في مراكش العاصمة الاصلية والاخر في فاس العاصمة الاولى، ولم يقف الامر الى هذا الحد فقد كانت الزوايا تنتشر في المغرب وتقوم بالدعوة الى الاصلاح والجهاد على نمط الدعوة التي اتخذها السعديون في اول امرهم ولكن كثرة الزعماء فرق كلمة الامة واصبح مركز القيادة فارغا واظلم الجو وانتشر اليأس والعدو يستشرى في السواحل ويستحوذ على البلاد وفي هذا الجو قيض الله لهذه الامة عائلة اخيرة عائلة شريفة النسب شريفة المباديء والمقاصد هي العائلة العلوية من بيت النبوة وقد تبوأت الزعامة عن جدارة لانها اتجهت الى الاصلاح والجهاد وذلك ما ينتظره الشعب لتستقيم الاحوال وتعود الامور الى طبيعتها.

قدم مولاي رشيد الى المغرب وقضى على اكبر قوة للزوايا المتمثلة في الزاوية الدلائية ثم اتجه الى العاصمة مراكش فدخلها وتم تاسيس الاسرة العلوية الشريفة سنة 1079هـ هذه الاسرة التي خدمت المغرب ورفعت قدره بين الامم وانجبت من العظماء مولاي اسماعيل ومولاي محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الاول ثم شهدت عصرا سقط فيه المغرب تحت الحماية الاجنبية في حديث طويل الى ان جاء الوقت للنهوض من الغفوة والرجوع الى الجادة وامتحن المغرب عرشا وشعبا ولكن العافية للصابرين وهكذا احرز المغرب على استقلاله بفضل جهاد العرش والشعب فحمى الله الاسرة العلوية المجاهدة وحيى الله بطل الاسلام الخالد مولانا محمد الخامس قدس الله روحه ونور ضريحه وامد الله في حياة وارث سره جلالة الملك الحسن الثاني العظيم.

وبمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لتربع جلالته على عرش اسلافه الكرام هذا العرش الخالد المكين نجدد لجلالته آيات الولاء ومراسيم البيعة سائلين الله تعالى ان يسدد خطاه وينصر اعلامه ويديم عليه نعمة العافية ويقر عينه بسمو ولي عهده الجليل مولاي محمد وبصنوه السعيد مولاي رشيد وسائر الاسرة الشريفة آمين.

محمد حدو امزيان.

صمود الملك والشعب

مثال معركة وادي إيسلي

للدكتور مصطفى الشابي

تمهيد :

يحيي الشعب المغربي قاطبة هذه الايام، من وجدة الى لكويرة، الذكرى الرابعة والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده، على عرش اسلافه الميامين. وانها لمناسبة سعيدة تسمح لي بالحديث عن بطولة من البطولات العديدة التي ميزت التاريخ المغربي، عبر عصوره. لان الارض الطاهرة التي انجبت ادريس الثاني ويوسف بن تاشفين ويعقوب المنصور الموحدي واحمد المنصور الذهبي السعدي والحسن الاول ومحمد الخامس، انبتت كذلك بذرة طيبة تألق نجمها في سماء السياسة والعلم والثقافة، قائدنا المحنك الملك الحسن الثاني نصره الله، الذي ورث الشهامة والشجاعة والتفاني في خدمة شعبه وبلاده عن ملوك علويين امجاد سجل لهم التاريخ استماتتهم الدائمة من اجل الدفاع عن المغرب ومقدساته والذود عن كرامته ومصالحه ومناصرة العرب والمسلمين.

في يوم 14 من شهر غشت سنة اربع واربعين وثمانمائة والف، وقعت في ضاحية مدينة وجدة المناضلة معركة سميت فيما بعد بمعركة ايلسي، لان اطوارها جرت في ضحى يوم قائض، على مقربة من الوادي الذي يحمل هذا الاسم.

وقعت هذه المعركة الحربية بين المغاربة وبين الجيش الفرنسي الذي قضى في ذلك التاريخ اربع عشرة سنة وهو يغزو ارض الجزائر بلا هوادة ولا تعثر مستوليا على مدنها ومعاقلها، الشيء الذي حمل كثيرا من سكانها الملتفين حول بعض رؤساء الجهاد فيها، لا الى اللجوء الى ارض المغرب فحسب، بل الى طلب النجدة والعون من اخوانهم في المغرب منذ السنين الاولى من مواجهة العدو الكافر (1).

1) الناصري (احمد بن خالد) : كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى الدار البيضاء، دار الكتاب 1956، (الدولة العلوية، القسم الثالث ص 26 وما بعدها)

إن معركة ايسلي لم تكن اول معركة خاضها المغرب ضد العدوان الاجنبي ولا آخر موقف من مواقف الشهامة والتعبئة الوطنية الشاملة ضد الشامتين والطامعين والمستفزين، بل ان تاريخه الاسلامي لم يعرف فترة خالية من المعارك ولم يعرف معارك لم ترتبط بقضية شريفة، بل ان معاركه كلها كانت في اطوار المد الحضاري، من اجل نشر عقيدته الاسلامية، وكانت، في اطوار التقلص، من اجل الدفاع عن تلك العقيدة وحماية بيضتها.

فقد توارث المغاربة، جيلا عن جيل، خلال ثمانية قرون، قضية الجهاد ضد الصليبية في الغرب الاسلامي وخاضوا معارك وحققوا انتصارات خلدها التاريخ اكاليل على هامات ملوكهم العظام حتى ان هذه العظمة نفسها، قد ارتبطت في ضمير الشعب بقضية الجهاد المقدس وذودا عن الدين الحنيف وترسيخا لدعائمه.

ان النظرة الشمولية الى التاريخ، تجعلنا ندرك ما للموقع

الجغرافي لبلادنا من اثر في بلورة هذا الدور الذي اهلتها له الإرادة الالهية. ذلك انها تقع في مكان استراتيجي ممتاز في حوض البحر الابيض المتوسط. هذا البحر الذي كان مركز الصراع الحضاري طيلة القرون العشرين التي سبقت بزوغ العصور الحديثة في اوروبا. وفي ظرفية هذه الاهمية، نشطت، منذ القرون الاسلامية الاولى، الطرق البرية المحيطة بهذا الحوض، فكانت الشرايين الحاملة للتجارة والثقافة، وعلى امتدادها، ازدهرت ولمعت مراكز عمرانية وتأسست اخرى، مثل سجلماسة وسبتة ووجدة.

ان التاريخ يذكر لنا ان عوامل معقدة ومتعددة جعلت كفة الضفة الشمالية لحوض البحر الابيض المتوسط ترجح في ميدان الحضارة المادية، منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وقد تجلى هذا الرجحان بكيفية صارخة بالنسبة للمغرب، في تعرض شواطئه للغزو منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي، فقد عمل الاوروبيوت الاسبان والبرتغال على ترسيخ وجودهم في مدينة سبتة التي كانت مركز الجهاد والثقافة والحضارة المغربية الاسلامية واهم الثغور المواجهة للضفة الشمالية. ثم تابعوا مهاجمة بقية المدن سواء على ضفة المتوسط او ضفة المحيط الاطلسي، وقد نجح الاوروبيون فعلا في احتلال عدد من الثغور المغربية، محاولة منهم للتسرب الى الداخل وجعل المغرب المرحلة الاساسية والمنطلق الضروري في مشاريعهم الاستعمارية من جهة والصليبية من جهة اخرى (2)

ولقد كان ترشيح الشرفاء السعديين للحكم تعبيرا من قبل الشعب المغربي على نبذ الخمول الذي مكن الغزاة من التسرب الى ثغوره، وكان هؤلاء الشرفاء في مستوى ذلك التأهيل حيث خاضوا معركة حاسمة في وقف وكسر الزحف الايبيري عند وادي المخازن سنة ثمان وسبعين وخمسمائة والف (3).

وقد تزامن، في القرن السادس عشر الميلادي، واقعان دوليان هامان فرضا على المغرب ظروفا جديدة. اما الواقع الاول فهو ظهور الامبراطورية العثمانية كقوة بحرية في البحر المتوسط ومضايقتها للاساطيل الاوروبية في هذا البحر واحتلال العثمانيين لمعظم دول الشرق الاسلامي وللمغربين الادنى والاوسط اي تونس والجزائر. فكان على المغاربة، بحكم هذا الواقع الجديد، ان يوجهوا اهتمامهم للحدود الشرقية التي كان يكونها عادة الخط الممتد من تلمسان الى الجنوب. فقد ظهرت لديهم مشاعر وطنية جعلتهم يحذرون من الوقوع تحت سيطرة خلفاء بني عثمان بالرغم من كونهم مسلمين. ولعل من اهم مقومات هذا الشعور الوطني عند المغاربة هو تشبثهم بالمذهب المالكي. اما الواقع الثاني الذي حدث في القرن السادس عشر وخلق حتميات جديدة للمغرب، فهو قيام الملكيات الاوروبية العظمى التي صنعت الدول المركزية الجديدة واستفادت من الثورة التجارية وموارد الكشوف الجغرافية لتأسيس جيوش نظامية وبناء اساطيل عظيمة على أهوال المحيط الاطلسي وصارت تقوم بكشوف على سواحل القارة الافريقية، بدءا بالمغرب وصحرائه ومحاذاة شواطىء افريقيا الغربية الى خليج غينيا.

واذا اردنا ان نتبين بعابرة اكثر وضوحا مغزى هذه الوقائع الجديدة بالنسبة للمغرب، فاننا نستطيع ان نلخصها في جملة واحدة هي محاولة خنق المغرب من قبل قوات اجنبية. فبعد ان كانت مشاغل المغرب الخارجية تنحصر في الشمال ف بمعركة الجهاد في الاندلس وفي الشرق في محاولات تحقيق المغرب الكبير وبينا كان يعمل في الجنوب على نشر الثقافة العربية الاسلامية في افريقيا الغربية وربط علاقات التبادل المثمر مع الدول التي نشأت في حوضي نهر النيجر ونهر السينغال، وجد نفسه محاطا بمخاطر تهدده، من جهة الشرق، متمثلة في التهديد التركي، وفي الشمال، متجسمة في مشاريع الرأسماليين التجار الذين تمازجت في محاولاتهم الاهداف المركانتيلية والاهداف الدينية.

اما في الجنوب، فان العواقب لم تكن اقل خطورة مما هي عليه في الشرق والشمال، ذلك ان الاوروبيين كانوا يعرفون منذ اقدم العصور ان المغرب يربط علاقات جيدة مع ممالك السودان الغربي وكانت المبادلات التجارية بين ضفتي الصحراء تتم في وئام وكان الاوروبين من تجار المدن الايطالية والفرنسية يقصدون سبتة ومليلية والعرائش وازمور وغيرها من موانيء المغرب للتزود بمواد السودان الغربي، ولا سيما معدن الذهب، وكان لعاب التجار الاوروبيون وابطالهم يسيل لهذا المعدن النفيس؛ وكان المغرب محسودا على هذه الوساطة التجارية من جهة، وعلى ذلك الاشعاع الثقافي من جهة اخرى. ولذلك حاول الامبرياليون ان يتسربوا الى صحراء المغرب منذئذ، لكي يخنقوا مراكزه الشمالية بالحيلولة دونها ودون المتاجرة مع بلاد غينيا وغانا والنيجر، واجتهدوا، وانطلاقا من موانيء انشأوها على شواطىء المحيط الاطلسي، جنوبي بوجدور، ان يحولوا الاتجاه الطبيعي الذي كانت

---

2) اش أ .جوليان : المغرب في مواجهة الاستعمار ــ باريز، طبعة جون افريك، 1978، ص 18 وما بعدها

3) ج . ب . مارتان : اربعة قرون من تاريخ المغرب باريس، 1923، ص 21، وما بعدها

تأخذه تلك التجارة نحو الشمال ويقطعوا شرايين الثقافة الاسلامية عبر الصحراء ويقزموا مسيرة المغرب العملاقة ويضيقوا من فرص مبادراته ومن امكانات الاستمرار في اداء رسالته وتنمية حضارته.

لا نبالغ في شيء اذا ما قلنا بان تاريخ المغرب، خلال القرون الاربعة الاخيرة، هو حلقات جهاد لرفع هذا التحدي الذي حلقة الوجود الاوروبي على المحيط الاطلسي والوجود التركي ثم الفرنسي في الجزائر، ومن هنا كانت اهمية وقعة وادي المخازن التي نحنا اليها.

لكن الشرفاء السعديين لم يستكملوا تحرير كل الثغور ولم يستعيدوا كل النشاط لمحاور العلاقات مع افريقيا الغربية جنوبي الصحراء.

وكان على العلويين ان يرثوا تلك الوضعية الخطيرة، فاذا كانت الدولة السابقة قد حكمت المغرب في عصور الامتداد، فان الدولة العلوية الشريفة قد ورثت مغرب التحديات، تحدي الحصار والخنق والتقزيم والاستفزاز. وقد كان ملوكها العظام في مستوى هذا التحدي، فعلى السواحل الشمالية، ضيقوا على الوجود الايبيري في كل مكان من سبتة ومليلية بالرغم من كل المحاولات المتكررة للتوسع، انطلاقا من هذين الثغرين المحتلين ونظموا الجهاد طيلة قرون.

وعلى شواطىء المحيط، حرروا طنجة والعرائش والمهدية والبريجة ودافعوا الهجومات ضد اصيلا وسلا وأنفا وآسفي وبنوا مدينة الصويرة استجابة لضرورة انعاش العلاقات المغربية الافريقية بانفاذ ما امكن انقاذه من نشاط الطرق التجارية الصحراوية (4).

إن القوة المادية الاوروبية ما فتئت تزداد وتبرز في مختلف الميادين الاقتصادية والتقنية والتنظيمية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ وقد حلت امبراطوريات جديدة هي الامبراطورية البريطانية والهولندية والفرنسية محل الامبراطوريتين الاسبانية والبرتغالية، وضعفت قوة الامبراطورية العثمانية وعجز ولاتها ولا سيما في تونس والجزائر عن تحقيق اي كيان راسخ للدولة في ولاياتهم كما عجزوا عن تكوين الجهاز الحكومي والاداري اللازم لتعبئة تلك البلاد ضد اي خطر اجنبي.

استفحلت قوة اوروبا في اوائل القرن التاسع عشر وظهر ذلك الاستفحال على الخصوص فيما بدأت تحقيقه من ثورة صناعية وبروز طبقة نشيطة من رجال التجارة والصناعة، وجهوا اهتمام دولهم الى البحث عن مواد لصناعتهم في بلدان اجنبية والبحث عن مواد غذائية لسكانها المتكاثرين في البلدان الفلاحية في مختلف انحاء العالم، في وقت بدأت تتحسن فيه وسائل المواصلات البحرية والبرية؛ وكان هم هذه الطبقة البرجوازية هو التوصل الى الربح بكل الوسائل وقد حققت فعلا ارباحا طائلة بغزو مناطق عديدة من العالم، بعيدة عن اوروبا، مختلفة عنها ثقافيا وحضاريا. وكانت الطبقة البرجوازية الرائدة في هذا الغزو هي البرجوازية البريطانية؛ وكانت الدولة البريطانية وقوتها الحربية في خدمة مشاريع الطبقة المذكورة، وهي ظاهرة جديدة في العالم. وبدأت نجاحات التجار البريطانيين وصناعيهم تثير غيرة بقية رجال الاعمال في بلدان اوروبا، يريدون ان يغزوا البلدان الكثيرة مثلهم ويحتكروا الاسواق ويستفيدوا مثل استفادتهم من الفرق في مستوى العيش والاسعار والتضخم المالي بين اوروبا المتصنعة، وبين بقية العالم الذي لم يحقق لا ثورة زراعية ولا تجارية ولا صناعية. وقد دشنت هذه الطبقة نوعا جديدا من التعامل الدولي مبني على المصلحة المادية يسخر الكيد الدبلوماسي وتستعمل فيه لغة المدفع والبندقية عند الاقتضاء.

ولعل الغزو الخاطف الذي قام به نابليون بونابارت لارض الكنانة، في نهاية القرن الثامن عشر، قد كون سابقة جريئة ناجحة من الناحية الحربية، شجعت الفرنسيين على التفكير، بعد ثلاثين سنة من مغامرة الامبراطور، في التسلل لبعض البلدان الاسلامية، في الضفة الجنوبية لحوض البحر المتوسط. وكانت فرنسا عندما انطلقت في هذه المغامرة سنة 1830، تعاني من مشاكل داخلية، تتمثل في العواقب الاجتماعية لتصفية الثورة، وفي كثرة السكان وتكاثر العاطلين من المجندين السابقين، وفي الاحتياج الى مزيد من القمح والغذاء، وفي عقدة الخجل عند بورجوازيتها المعجبة بالبورجوازية الانجليزية، وعند عسكرييها الذين طردوهم الانجليز من مستعمرات عديدة لهم في العالم. وكانت، الى جانب ذلك، قد تقدمت في ميدانين بارزين هما ميدان التنظيم الاداري وميدان التنظيم الحربي وتطوير المدفعية، وكيف لا، وقد استطاعت قبل عشرين سنة ان تغزو القارة الاوروبية باكملها على وجه التقريب (5)

في هذه الظروف الدولية ولهذه الاسباب المعقدة، قام

4) ش. آ جوليان : تاريخ افريقيا الشمالية. باريس، مطبعة بايو، 1980، الجزء الثاني، 223، وما بعدها

5) محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث، الرباط مطبعة الامنية، 1973، الجزء الاول، ص 2 وما بعدها

الفرنسيون سنة 1830، بمغامرة غزو القطر الجزائري الشقيق، بعد ان اختلفوا نزاعا تافها بينهم وبين الوالي التركي على الجزائر، وقد شرعوا في احتلال عسكري صارخ للعاصمة؛ ولم يكن هناك جهاز دولة قائمة تقف في طريقهم. ولكن كان هناك شعب مسلم اصيل، انبثقت منه قيادات جهادية، من أبرزها قيادة الامير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري، ولم يكن حادث غزو الجزائر من طرف الفرنسيين حادثا يهم سكان القطر الجزائري وحدهم، بل كان كارثة اهتز لها العالم الاسلامي وتنكد لها على الخصوص لأشقاء في الدين واللغة والتاريخ في المغرب الاقصى تونس، لأن المشاعر والعواطف والمعاملات واواصر الدم والقربى لم تكن لها حدود بين هذه البلدان، ولا الحكام، مهما تعاقبت ادوار التاريخ وملابساته، لم يكونوا قد تعلموا بعد، من دهاقنة الاستراتيجية العسكرية الاوروبية، ومن صناع الدول الوطنية، كيف يحولون خطوطا وهمية، الى جدران تبنى على انقاض القيم، وتفصل بين الشعوب، وتدوس العواطف، وتقطع الارحام ولا تستجيب الا لنوازع التسلط والاستبداد والشوفينية، ولا تخدم الا اهداف العدو الاستعماري المشترك، ولكي نقرب تصور هذه الكارثة ومدى ارتياع المغاربة لها، يكفي ان نذكر عنصرا واحدا لم يكن له شأن قليل ويتمثل في عواقب وجود الاجنبي الكافر بارض الجزائر على طريق حج بيت الله الحرام، اضف الى ذلك واجب الاستجابة لنداء الجهاد ونصرة الاخوة في الملة (6).

وذلك ما تحرك له المغرب ملكا وشعبا في حماس كاسح وكان على عرش المغرب، اذذاك ملك عظيم هو السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، الذي عهد اليه عمه الملك الصالح المولى سليمان، بتحمل امر حكم البلاد، نظرا لما لمس فيه رحمه الله من الصفات القيادية والخلقية؛ وكان المغرب عند اعتلائه العرش سنة 1822، يعاني من ازمات زراعية متوالية ناجمة عن الجفاف، ولما بدأ شبح الازمة يتوارى وبدأ المولى عبد الرحمن يخطط لتنشيط التجارة الخارجية واعادة تنظيم جهاز المخزن، ورأب صدع القبائل المتضررة من الجفاف، في هذا الظرف الدقيق، وقعت الفاجعة الكبرى ببداية احتلال ارض الجزائر.

وبعد اربع عشرة سنة من هذا التاريخ، وجد المغرب نفسه في مواجهة مباشرة مع الغزاة في معركة وادي أيسلي، على ارض بعيدة عن منطقة الوالي التركي بالجزائر، وخلال هذه الربع عشرة سنة، وقعت وقائع كثيفة على طول الجبهة الشرقية للمغرب، وهي

6) نفس المصدر، ص 8 وما بعدها

وقائع تثبتها وثائق المخزن ومراسلات سكان الجزائر وزعمائهم مع ملك الدولة المغربي، وهي وثائق ومراسلات صارت اليوم محل دراسات ومواضيع اطروحات جامعية، يشهد تحليلها وترتيب ملابساتها، وضبط سياقها، على مواقف سياسية واخلاقية تشرف بلادنا ومواطنين وقيادتنا، لما بذلوه من تضحيات جسام واظهروا من بطولات هي من شنشنتهم المعتادة وخصالهم الحميدة، لقد كان الامر عاديا، في منظور الواجب الديني، كان عاديا ان يرتاع المغاربة لما نزل باخوانهم، وكان عاديا ان يستنجد سكان غرب الجزائر وتلمسان بملك المغرب وان يطلبوا عنه العون والاغاثة، بعد ان انهار الكيان الحاكم في الجزائر في يوم واحد، كل هذا من اخلاقنا وفضيلتنا والذي ليس منها هو التنكر للاخوة وقطع الارحام وتزييف التاريخ وتبني الخطط الاستعمارية في استنزاف قواتنا وتشتيت جموعنا.

لقد عرف المغرب اطوارا حرجة في تاريخه، اتجهت فيها الانظار الى منطقة من المناطق في جنوبه او شماله او غربه او شرقه، ولقد اتجهت انظار المغاربة في فترة ما بين 1830 و 1844 الى مدينة وجدة وجهات بني يزناسن وفكيك، فعلى هذه المناطق يتوقف القيام بالواجب الديني، في انجاد الاخوان والواجب الوطني؛ فقد شارك في الحلات المخزنية لمدافعة الغزو واحتضنت القواعد الخلفية في صفوفهم وآوت اللاجئين منهم عندما بلغ الصراع اشده بينهم وبين الغزاة الفرنسيين، ولقد ادى المغاربة عموما وابناء المناطق الشرقية على الخصوص، ثمن هذه المؤازرة وهذه المواقف الاخلاقية الشريفة، وكانت اهم حلقات هذه التضحية في معركة وادي ايسلي (7).

فقد وجه الفرنسيون معظم قوات الاحتلال الى غرب الجزائر، لكي تضرب المغاربة وتستنزفهم بغية ارغامهم على التنكر لاخوانهم وعدم امدادهم بأي عون مادي او معنوي، ومن اجل التوصل الى هذه الغاية، قاموا عدة مرات بضرب مدينة وجدة والتوغل في جهات بني يزناسن، ولما لم يرضخ المغاربة لمطالبهم، استدعوا لمعركة كبرى. وكانت الدولة المغربية على علم بكامل مخططاتهم وقدرت خطورة الاهداف المتوخاة منها، لذلك بعث السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بنواة من الجيش المخزني لكي تلتف حولها قبائل المغرب الشرقي على عادة المخزن في استنفار القبائل للحرب.

7) عبد الرحمن بن زيدان : اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس، الرباط المطبعة الوطنية، 1933، ص 50 وما بعدها.

ومن تقدير خطورة الموقف، ان السلطان جعل على رأس هذا الجيش لتسيير عملياته وتدبير استجاداته، ولده البار سيدي محمد بن عبد الرحمن الذي كان ولي عهده وتولى الملك من بعده. واذا كانت كتب التاريخ تجمع على ان المغاربة لم يظفروا في معركة وادي أيسلي بنصر بين على ما تحققت لهم في وادي المخازن، قبل ذلك التاريخ بقرنين ونصف قرن. فان علة ذلك لم تكن في تقصيرهم ولا في سوء استعدادهم او قلة حماسهم، بل ان السبب هو في اختلاف ظروف المعركتين واختلال ميزان القوة المادية في جميع جوانبها ولا سيما الجانب التنظيمي والتكنولوجي والحربي، لا بين فرنسا والمغرب فحسب، بل بين مجموع دول اوروبا الغربية من جهة، وبقية بلدان العالم من جهة اخرى. فعندما واجه المغاربة هجوم البرتغاليين في معركة وادي المخازن، كانت اوروبا قد بدأت تحقق هذا التفوق في ميدان القوة المادية ومنها قوة السلاح والتنظيم العسكري، ولكن التفاوت كان في حدود امكن للمغاربة تعويضه بقوة حماسهم وايمانهم بالمقدسات التي كانوا يدافعون عنها. اما في منتصف القرن التاسع عشر، فان الاوروبيين كانوا مسلحين بثمار ثلاث قرون من التقدم في ميدان العلم والصناعة والنظام، فلا عجب ان يضغطوا على المغاربة في وادي أيسلي كما ضغطوا على المصريين في معركة رشيد او عديد من المعارك التي كانت بداية اقتحام بلدان مطمئنة واثقة بنفسها مستسلمة لتقاليدها وقيمها.

من المحقق اننا نستطيع ان نجد في تاريخ كل بلد من البلدان التي غزاها الاوروبيين معركة مماثلة لمعركة وادي ايسلي، يمكن ان نسميها معركة المواجهة العسكرية الاولى مع اوروبا في القرن التاسع عشر، ويسميها البعض «بالمعركة الكابوس» لانها تشبه الكابوس الذي يستيقظ عليه النائم. والواقع ان الدولة المغربية لم تفاجأ بتلك المعركة، لانها خبرت طيلة عشر سنوات على الاقل تحرشات العدو وعلى حدود البلاد، ولكنها في نفس الوقت لم تكن تستطيع ان تتجنب وقوعها لامرين اثنين : اولهما ان الشرط الاساسي لذلك، في نظر الغزاة هو التخلي عن مؤازرة الاخوان بكيفية نهائية؛ ثانيهما ان طغمة من العسكريين الفرنسيين كانوا مدفوعين برجال الاعمال لكي يقوموا بمغامرة ضد المغرب، انطلاقا من غرب الجزائر، حتى يضطروا الدولة المغربية للتفاوض في الموضوع الاساسي، الا وهو فتح مراسي المغرب على المحيط الاطلسي للتجارة مع اوروبا، بل ان الفرنسيين قصدوا الى غزو المغرب انطلاقا من الجزائر، لكن تحقيق نصر عسكري عابر، في معركة وادي ايسلي، لم يؤد بهم الى تحقيق هذا الهدف، بل على العكس من ذلك، كانت هذه المعركة بمثابة مصل مضاد استنفر طاقات الجسم ليقاوم المرض الداهم سبعين سنة اخرى.

اذا اردنا ان نتغاضى عن الجزئيات التي يتعرض لها اصحاب الحوليات من المؤرخين ونذكر باجمال الابعاد العميقة لمعركة ايسلي والجوانب الهامة التي تعطي لاحيائها معنى وطنيا ساميا، فلابد ان نذكر ما يلي:

1) لم تكن معركة ايسلي ولا عشرات المعارك التي تلتها للقضاء على كيان الدولة المغربية، بل ان هذا الكيان لم يقض عليه حتى في سنة 1912، لان الاستعمار الفرنسي اضطر الى صيغة الحماية بعد ان عجز عن احتلال المغرب، كما اضطر الى احترام مؤسسات ومراعاة قيمه واعرافه، الامر الذي ضمن الاستمرار في تلك المؤسسات والقيم وجعل مسيرة المغرب مسيرة متميزة.

2) استفادت الدولة المغربية من تجربة ايسلي، فادخلت عددا من الاصلاحات على جهازها وعلى شؤون البلاد في الميادين العسكرية والادارية والمالية والتعليمية.

3) بالرغم من ان معركة ايسلي وبعدها معركة تطوان قد خلقت مشاكل للدولة المغربية وأدت الى معاهدات قيدت الى حد ما حرية تصرفها وكانت بداية مسلسل للتضخم المالي وارتفاع الاسعار، فان الملوك العلويين الذين تعاقبوا على الحكم، منذ هذا التاريخ، قد عملوا على استغلال الظروف الدولية واعتمدوا على التعبئة الداخلية لتأخير الوجود الاستعماري سبعين سنة اخرى وهي ظاهرة نادرة في تاريخ البلدان التي تعرضت للغزو الامبريالي.

4) ان سكان مدينة وجدة وقبائل بني يزناسن قد لعبوا دورا حاسما في عمل الدولة المغربية لافشال مخطط الغزو، انطلاقا من الجزائر.

فالجيوش الفرنسية التي ارغمت وفرضت معاهدة الحماية على المغرب، جاءت من المغرب، عن طريق البحر، ونزلت بالدار البيضاء ولقيت مقاومة عظيمة من سكانه ومن قبائل الشاوية، اما سكان التخوم الشرقية، فقد ظلوا يشكلون الدرع الواقي في المغرب ضد كل تدخل او غزو او استفزاز.

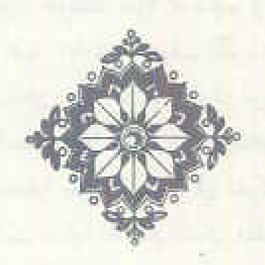
وجدة في : 21 يناير 1985
مصطفى الشابي عميد كلية الآداب:
وجدة

جلالة الحسن الثاني

الملك العالم والحاكم العادل

للدكتور ادريس العلوي العبدلاوي
عميد كلية الحقوق بمراكش





ما أكثر المناسبات المباركة السعيدة التي تزخر بها بلادنا العزيزة، والتي انعم الله بها علينا في ظل الدولة العلوية الشريفة، الوارفة الظلال، المزهرة بثمار العطاءات الخيرة، الكريمة الخصال. لكن أحلى هذه المناسبات وأسعدها وأجملها وأبهاها، وأخلد ذكرى وأغلاها، وأعزها على النفس، وأحبها للقلب، تبقى وحدها مناسبة عيد العرش المجيد. لانه الرباط المقدس بين الحب والقلب والملك والشعب، رباط راسخ مكين، وعهد وثيق متين، لاينفصم عراه مدى التاريخ وعلى مر الحقب والعصور.

وإذا كانت الذكريات والاعياد الوطنية ترمز الى الملاحم والبطولات وتحقيق أسمى الغايات، فإن ذكرى عيد العرش المجيد توحي بالكثير لما لها من معان سامية، ولما تنفرد به من أمجاد ومواقف خالدة أعظم من أن تستوعبها الصفحات والسجلات. انها ترمز الى عزة المغرب وأصالته. ووحدته وسيادته التي حافظ عليها عبر القرون والاجيال مصانة مهابة. ترمز الى نضاله المستميت من أجل اعلاء كلمته وحماية مكاسبه، ترمز الى الالتحام الدائم المستمر. والحب الخالص الصادق بين قائد محنك حكيم صاحب العرش المكين جلالة الحسن الثاني العظيم، وشعب وفي أمين شعب المغرب الطيب العنصر الكريم. هذا الالتحام الصادق والترابط الوثيق بين العرش والشعب الذي يتجلى دائما وأبدا في مختلف المناسبات، وفي شتى مواقف الشرف والبطولات.

وإن الدارس لتاريخ بلدنا العظيم في مصادره الاصلية ليجده زاخرا بما تركه الآباء والاجداد من تراث ثقافي، وكنز علمي في مختلف فنون المعرفة والعلوم. شهدت بما كان لهم من باع طويل في هذا الميدان. وعلى مدى سعة اطلاعهم، وتضلعهم، وجهودهم الجبارة. التي بذلوها لبناء هذه الحضارة، وحرصهم على الحفاظ عليها ولعل الدور الذي قامت به جامعة القرويين التي تعد من أقدم الجامعات في العالم، في انجاب خيرة هؤلاء

العلماء وصفوتهم، وفي ازدهار الحركة العلمية التي تناولت جميع جوانب المعرفة وفي الحفاظ على هذا التراث الاسلامي العربي الاصيل خير دليل وأوثق شاهد على ما نقول.

وأن تاريخنا المجيد، ليسجل بمداد الفخر والاعتزاز، وبتحية الاكبار والاجلال، الدور الايجابي العظيم الذي قام به ملوكنا الابطال في حماية هذه الحضارة الاصيلة لتبقى مشرقة زاهرة حتى في احلك الظروف، وهكذا نرى انه بالرغم من المضايقات التي تعرضت لها بلادنا بمفكريها وعلمائها ايام الاحتلال الاجنبي، وبالرغم من محاولاته العديدة لطمس معالم هذه الحضارة ومحو شخصيتها فان هذه المحاولات باءت بالفشل، بفضل محرر الامة، وباني اسس نهضتها المغربية جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله وطيب ثراه.

وهكذا، وعملا منه قدس الله روحه على تحقيق رغبات المغرب المستقل، وما تتطلبه الحركة العلمية والثقافية والتعليمية من تطور وتجدد، وتوسيع في الافاق تمشيا مع روح العصر، فقد قام طيب الله ثراه بتأسيس جامعة اخرى حديثة بجانب اختها القديمة جامعة القرويين، هي جامعة محمد الخامس التي عملت منذ نشأتها حتى الان على تأدية رسالتها في تخريج العديد من افواج العلماء والاساتذة الباحثين والمتخصصين.

واستمرارا لهذه المسيرة التاريخية الظافرة، يحتل عصرنا الذهبي اعلى درجات الرقي، واسمى مراتب الكمال، في التقدم الحضاري، والازدهار العلمي والفكري على يد حامل مشعل هذا التقدم جلالة الملك الحسن الثاني العظيم وارث سر والده المنعم، الحافظ الامين، على هذا البلد العزيز الحبيب، فمنذ تقلده حفظه الله هذه الامانة العظمى والمسؤولية الكبرى، وهو يسعى جاد مخلصا ليكمل الرسالة ويبلغ الأمانة. وهكذا نرى في عهده الزاهر الباسم قد تحققت اعظم المنجزات في مختلف المجالات من كل ما تتطلبه بلاد راقية ناهضة ففي المجال الثقافي والعلمي على الخصوص، نجد تأسيس العديد من المعاهد ودور العلم، وانشاء الكثير من الجامعات والكليات.

والمملكة المغربية، لا تقل عزما وارادة في التشبث بعقيدة الاسلام والاخذ بحزم في تطبيق مبادئه السامية، يشهد بذلك تاريخها المجيد ومعالم حضارتها قديما وحديثا، وان الدارس المتعمق للتاريخ المغربي ليجد انه بفضل ما آتاه الله من قيادة حكيمة رشيدة، في شتى ميادين الحضارة والعمران، وما حباه به من نعمة العلم والعلماء الافذاذ المبرزين، استطاع ان يحافظ على ثقافة وطنية اصيلة، راسخة الجذور والمقومات، وامكنه بحكم ماله من حصانة ذاتية مستمدة من هذه الاصالة ان يجابه شتى التحديات الفكرية الاجنبية التي واجهته على مر العصور. وان يؤكد ذاتيته في معترك الثقافات والحضارات المختلفة وان يبرز شخصيته على هذا الصعيد، ناصعة الملامح، غنية بدلالاتها، وما تنم عنه من ايحاءات خلاقة مبدعة، وهكذا واستمرارا لتأكيد قيمة الشخصية المغربية وتعميق اصالتها. يقف التاريخ المغربي وقفة اكبار واجلال امام عظمة الدولة العلوية الشريفة، التي يحمل اليوم مشعلها الساطع ويجسم مجدها الرائع، ويحقق املها الواسع، جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله واطال عمره، سليل دوحتها العالية، وان من جميل مأثرات هذه الدولة العظيمة، وكريم مفاخرها، ما دأب عليه حفظه الله ودأب عليه اجداده، من بذل محمود بالثقافة والعلم، وما سار عليه من نهج رشيد في اذكاء شعلة الفكر، واغناء رصيده، وما اولاه حفظه الله من موصول الحدب والرعاية لاهل العلم واعلام المعرفة، شحذا لهممهم على الاسهام في اغناء الثقافة بالجيد المفيد من الاعمال واستداء لمواهبهم وقرائحهم كي لا تني عن موصول العطاء في هذا المضمار.

واستمرارا لمسيرة المغرب التاريخية الظافرة، يحتل عصرنا الذهبي اعلى درجات الرقي واسمى مراتب الكمال في التقدم الحضاري والازدهار العلمي والفكري على يد حامل مشعل هذا التقدم جلالة الملك الحسن الثاني العظيم وارث سر والده المنعم.

ومن المعلوم ان جلالته كان وزيرا لوالده الكريم، وشريكا له في جهاده، ولا اريد بالوزير هنا، الاصطلاح السياسي، وانما اريد به المعنى الذي جاء في كتاب الله حكاية عن موسى عليه السلام في قوله في دعائه «واجعل لي وزيرا من أهلي هارون اخي، اشدد به ازري، واشركه في امري، كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، انك كنت بنا بصيرا. قال قد اوتيت سؤلك ياموسى».

فقد نشأ جلالة الحسن الثاني نشأة طيبة مباركة، وكان قرة عين لوالده، وكان محل عنايته فاحسن تربيته وتنشئته، وكان يؤهله لحمل اعباء الخلافة بعده، ويتوسم فيه ان يكون خير خلف. ودعاؤه له، وثناؤه عليه في الغيب والشهادة من الاخبار المتواترة التي يستوى في العلم بها الخاصة والعامة، وقد استجاب الله دعاءه، وبلغه مناه فادرك جلالة الحسن الثاني من العلوم والاعمال الجليلة، وحسن السياسة والتلطف في حل المشاكل، وصدق العزم، وقوة الارادة، وهو لا يزال في طور الشباب اطال الله بقاءه وادام عزه وارتقاءه، ما بهر العقول وقرت به عيون الاصدقاء، وشرق به الاعداء.

اما محبته للعلم والادب فحدث عن البحر ولا حرج، وحسبك انه لا يوجد في العصر الحاضر بين ملوك العرب ورؤسائهم من يدانيه في الفصاحة والبلاغة، فله من الخطب الرنانة ما يشنف الاسماع، ويبلغ الغاية في الابداع.

وعنايته بالدروس والمجالس العلمية معروفة في المشارق والمغارب لا يطمع احد من الملوك والرؤساء ان يجاريه في ذلك.

والملك الحسن الثاني بتواضعه الجميل تواضع محمدي نبوي خالص وصفاء سريرة هاشمية طيبة، وذكائه الالمعي، واستعداده الفكري ومعرفته الواسعة، يتبوأ مقام العالم المتمكن، والمفكر الامين الرصين الذي يربأ ولا يعبأ بسفاسف المعاني ويعدل ولا ينزل عن علياء المعالي، وكفى شاهدا على ذلك دروسه الدينية القيمة المحكمة التي كان لها الصدى الكبير في جميع المحافل والابهاء سواء في الداخل او الخارج والتي جمع فيها حفظه الله بين سمو العلم وجلال العلماء ونزاهة المصلحين الذين اوتوا الحكمة وفصل الخطاب.

وعندما يتناول جلالته بالتفسير الايات القرآنية والاحاديث النبوية والاستشهاد باقوال العلماء واساطين المفسرين فانه حفظه الله يبلغ بذلك الشأو البعيد تعينه على ذلك قريحة سمحة، وحافظة قوية وبصيرة نيرة وذوق سليم وخصوبة الفكر وعذوبة المنطق وحب التجديد والابتكار.

ان المستمع الى الاحاديث الدينية الجامعة لجلالة الملك وخطبه يوقن ان الله قد اكرمنا بالاستماع الى ملك عالم والتلمذة على عالم ملك وتتصور ان ابن رسول الله يشرح حديث رسول الله (ص)، ولا نملك الا أن نقول : «والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم» فنكتسب همة ونزداد يقينا بشرف الدعوة الى الله عز وجل والتبليغ عن رسول الله (ص)، ونلمس بايدينا مواطن عزنا واسباب مجدنا، ونصغي الى تشخيص الداء ووصف الدواء من عالم ماهر، ونسترشد في فن الدعوة الى الله الى ما ينبغي ان يكون عليه الداعي، والاسلوب السهل الممتنع، والسجية الطاهرة والقلب التقي يملي على اللسان الفصيح، والعقل الذكي ينتظم القضايا بمقدماتها الصحيحة ونتائجها الصادقة.

يأخذ المعاني من نص الالفاظ، ويفيض في شرح المادة اللغوية ويبدع في النطق الصحيح السليم حتى لا تفوته شاذة ولا فاذة مما قد يخفى على كثيرين من اهل الفن فاذا جاء بمعنى جديد نسبه الى نفسه حفظه الله بتواضع جم وادب رفيع، يسأل نفسه ثم يجيب كأنه يطلع على ما يخطر ببال السامعين من شبهات فيلاحق الشبهة بالجواب السديد ثم يخطو الى الناحية الايجابية.

(لا نريد ان نبني عملنا على محاربة البدعة، اريد ان نبني عملنا على توطيد السنة يقول جلالة الملك ويزيد قائلا مخاطبا العلماء اناشدكم الله دائما ان تحاربوا السلبي بالايجابي، لان السلبي ياتي وقت ينضب فيه الانبوب، اما الايجابي فان منهله دائما معطاء ودائما موجود).

الا فليهدأ بال الحياري — فان الله قد اكرمنا بقائد ملهم ماهر ولتقر عين رسول الله (ص) في برزخه الشريف فان من احفاده ملكا عالما وحاكما عادلا ووراءه شعب يستجيب ويطيع يستمعون القول فيتبعونه احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب.

لقد عرفت بلادنا الكثير من اللقاءات والمؤتمرات التي احتضنتها بشوق وحرارة، ارض هذا البلد المسلم السني الطاهر الامين، وعانقت بلادنا بلهفة لقاء الاخوة القادة الاشقاء بين احضانها، وباركت اعمالهم وجهودهم. هذه الارض التي يحفظ لها التاريخ في سجله المجيد الخالد في اعماق ما يحفظ روح الاخوة الاسلامية المتاصلة، والكفاح المجيد والانتصارات في ساحة الجهاد والعمل والبناء، والدور الفعال في نشر الاسلام

ان القضايا التي التف حول دراستها قادة العرب والسلمين وزعمائهم كعقد ثمين كان صاحب الجلالة تلك الجوهرة الغالية اللامعة التي تتوسطه، اذ بفضل حسن تصرفاته في تذليل العقبات، وتقريب وجهات النظر، وبفضل حنكته وحيويته ولباقته التي عرفها الجميع في شخص جلالته في العديد من اللقاءات التي يديرها، والتي طالما تولى رئاستها وبفضل جهوده العظيمة ومساعيه الحميدة للحفاظ على الصف العربي والاسلامي متراصا موحدا، والعمل على تسهيل المهمات امام اي حل لمشاكل المسلمين ونصرة قضاياهم العادلة حيال ما يكتنف حقوقهم الاسلامية من انتهاكات وخروق واستفزازات، وما يتكالب عليهم من اطماع ومؤامرات تحقيقا للمبدأ الاسلامي الخالد الا وهو السلم والسلام والاخوة والتعاطف والكرامة الانسانية.

انه بفضل هذه الخصال الحميدة العالية التي مكنت جلالته من تحمل الامانة بشجاعة واقتدار، وبفضل ما حباه الله به من مزايا خلقية اسلامية يتحلى بها روحيا وعمليا، جعلته يحتل في قلوب الجميع تلك المكانة السامية من المحبة والاعجاب والتقدير، واستطاعت كلمته القيمة ان تنفذ الى القلوب،

فتتمكن منها لتنقاد اليه راضية مرضية، آمنة مطمئنة، مطيعة ملبية. وما تجديد الملوك والرؤساء بالاجماع رئاسة جلالته على رأس لجنة القدس، وانتخابه حفظه الله رئيسا لمؤتمر القمة العربي ورئيسا لمؤتمر القمة الاسلامي الا اعترافا بما حققه جلالته من مكاسب لصالح القدس الشريف وكذا لصالح الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني البطل بل ولصالح شعوب الامة العربية والاسلامية جمعاء.

وها هو ميثاق مؤتمر القمة الاسلامي الرابع المنعقد بالدار البيضاء الذي اكد اليوم كما اكد بالامس المؤتمر الاول المنعقد بالرباط دوره الايجابي الفعال وطلع علينا بنتائج ايجابية موفقة، ومن بينها ميثاق المصالحة والوفاق الذي سيكون اللبنة الصلبة لاحلال السلام في كافة الاجواء الاسلامية، ان هذه النتائج الايجابية الموفقة وتلك القرارات الحاسمة التي خرج بها رغم الظروف الدقيقة والخطيرة التي تمر بها الامة الاسلامية ورغم التحديات التي تهدد مستقبلها وتسعى جاهدة لبث الخلافات بين ابنائها وتفريق صفوفهم ووحدتهم.

ان هذا النجاح الموفق المحقق ما هو في الحقيقة الا بفضل الجهود المبذولة المتواصلة لعاهلنا الكريم، وبفضل مساعيه الدعاية الى الوفاق والوئام، وتثبيت دعائم السلام، وهذا ما تدل عليه اعماله العظيمة وخطاه السديدة وخصاله الحميدة وما يشهد به له القريب والبعيد.

فبمناسبة طلعة هذا اليوم البهي الاغر، الذي اشرق علينا سلاما وامانا وغمر قلوبنا فرحا واطمئنانا.

هذا اليوم الذي يتيه على الايام بهجة وجمالا، ويفوقها تعظيما واجلالا، انه يوم اغر وعيد اطهر. ذكراه من اجل الذكريات الوطنية واعز المناسبات القومية، تحمل في ثناياها روائع المعاني ونوادر الاماني اذ بالعرش نجاهد ونقاتل، ونكافح ونناضل، وندافع عن الوحدة الترابية وبه نعتز ونفتخر، ونسود وننتصر، ونظفر ونتحرر وبه نحقق احلامنا واامانينا، ونسير في ركب التحرر ظافرين، وبرباط الوحدة مستمسكين منتصرين، ولكل مظاهر النهضة والعمران بانين محققين.

لقد انار قائدنا البلاد بمصابيح العلم والمعرفة حين انشأ المؤسسات العلمية من مدارس وثانويات ومعاهد وكليات وجامعات يتخرج منها كل عام الافواج تلو الافواج وبذل من اجلها الغالي والنفيس ليجعل منها اطرا للبلاد ترتكز عليها نهضتها والعملية.

ان المتتبع لحياة مغربنا السياسية والاجتماعية والملاحظ لنهضتنا المباركة وتقدمنا المستمر متيقنا ان حسن قيادة جلالته، ورجاحة عقله ورباطة جأشه، وقوة صموده وصدق طويته هي السر كل السر فيما نحققه من معجزات في شتى المناسبات، وما نتغلب عليه من صعاب ونتخطاه من عقبات، فقد حول الظلام نورا، والخوف امنا واطمئنانا واليأس ثقة واملا.

انه الملك الملهم الذي تربع على عرش القلوب. كما تربع على عرش المغرب بالصدق والاخلاص والتضحية، فاستحق ان ينال رضاء ربه، وحب شعبه، واستحق ان يكون الزعيم الظافر، والقائد المسلم المنتصر، اذا دعا لبيت دعوته. واذا خاطب عانق خطابه القلوب والوجدان قبل ان تتلقاه الاذان.

ان عرش جلالته نجم علوى يرف في سماء بلادنا سنا وسناء وقلوبنا ابدا به خافقات تراه ذخرا ونورا ورجاء فله منا ما امتد العمر وطالت السنين اكبر الحب والاخلاص والوفاء، وان فرحتنا بحلول هذا العيد السعيد لا يمكن ان تعبر عنها كلمات او صفحات لانها قوية كقوة محبتنا لشخصه الكريم ثابتة كثبوت عرشه الماجد العظيم، فهو من سلالة الدوحة النبوية الشريفة، وقطب من اقطاب الدولة العلوية المنيفة فهو شعار حياتنا وعنوان سعادتنا، بعيده نحتفل، وبوجوده نستظل فهنيئا له وهنيئا لنا بهذا العيد السعيد وبحلول كل ذكرى وعيد.

وشعبنا حتى نضيف في عهده الزاهر امجادا الى امجاد، ونعيش في ظله الوافر اعيادا في اعياد. ونكون بعون الله دوما في طليعة الشعوب التي لا تعرف سوى المسيرة الى الامام بحب فيه وطيد، وعزم بهمته شديد.

تتوالى الليالي وتمر الشهور في موكب الزمن السريع، ليحل اليوم الجميل المرتقب، وكم نحن في اشتياق اليه، اشرق نوره على ربوع الوجود ورفرفت راياته البيضاء في افق وطننا العزيز، فعمت الفرحة والبشرى في كل مكان. وتعاقبت القلوب والابدان، وانشرحت الصدور وتبسمت الشفاه مهنئة مرحبة اهلا بالعيد السعيد، عيد العرش المجيد، اقدس عيد في الوطن واغنية خالدة لا يفتر عن ذكرها لسان الزمن وما اجمل ان يشرق علينا هذا اليوم السعيد المتالق بالبهجة والحبور الساطع بالفرحة والسرور، الحافل بذكريات عظيمات متتاليات. يقبل علينا بعد انتظار طويل لمقدمه، وشوق عارم للقائه، يطل علينا بوجهه الوضاح الباسم، ونفحات محبته العميقة تعانق ارواحنا ووجداننا ممتزجة بنفحات قدسية اعترافا منا بما من الله به علينا من خير عميم وما حبانا به من فضل كريم، اذ جعل ولاية امرنا، وقيادة سفينة حياتنا بيد ربان يقظ امين، ورائد عظيم، ومفكر حكيم.

كلما حلت ذكرى عيد العرش المجيدة، تدفق في شرايين الامة دم جديد، يوحي بالعزم الصادق، والارادة الصلبة للسباق في مرحلة اخرى من مراحل البناء والتشييد، ويحرك عربة تاريخنا المجيد صوب الازدهار والتطور والنماء.

كلما حلت ذكرى عيد العرش العظيمة، سطع في ربوع الوطن كوكب جديد يضيء النفوس بالامل ويبعث الطمأنينة ببسمته، ويوحي بالبشر والسعادة في طلعته، فنستجمع قوانا وكلنا ثقة وعزم وايمان وحزم واستمرار وتحدي لتذليل الصعاب، وتحقيق المستحيل.

كلما حلت ذكرى عيد العرش الخالدة، ذكرى جلوس مولانا امير المؤمنين على عرش أسلافه المنعمين حل معها وعي بمرحلة جديدة من مراحل كفاحنا المستمر تحت قيادة زعيمة شابة متوقدة، قيادة جلالة الحسن الثاني العظيم، رائدنا المظفر، ورمز الفتوة والشباب الدائم والطموح والبناء والعزة لهذا الوطن.

كلما حلت ذكرى عيد العرش المجيدة، توحي بشكلها ومضمونها بلفظها ومفهومها، ان جلالة الحسن الثاني رمز للفتوة والشباب، وان الشباب ليس مرحلة من مراحل العمر تتوالى وتدبر كلما قطع الانسان اشواطا بعيدة في حياته وتقدم به ركب الزمان ليصبح عاجزا متقاعسا ولكن الشباب هو ذلك الطموح الدائم، والعزيمة الصلبة التي لا تلين والحماس المتقد ي النفس والفكر لبلوغ اسمى الغايات وتحقيق ابعد الاهداف والمنجزات.

ان جلالة الحسن الثاني وهو يحيي هذه السنة احتفالات عيد العرش المجيد بالاقاليم المسترجعة ليذكرنا بالحدث التاريخي الاعظم الذي سجله تاريخ امتنا المجيدة بمداد الفخر والاعتزاز، الحدث الذي سيبقى مجددا على مدى الازمان حدث المسيرة الخضراء المظفرة مسيرة فتح التي كان لها القرآن سلاحا ونصرا مبينا بفضل قيادة رائدنا الرشيدة وخطته السديدة وتدبيره المحكم، وايمانه الصادق.

وما اختيار جلالة الحسن الثاني العظيم اقليم العيون ليشهد احتفالات الشعب بذكرى عيد العرش المجيد الا تدعيما للمسيرة الظافرة ومكرمة اخرى من مكارم جلالته الخالدة الجليلة وسنة حميدة جديدة طلع بها علينا في هذه المناسبة العالية، وما هذه السنن الحميدة التي سنها جلالته، وما هذه الطرق السليمة التي نهجها، وما هذه الاهداف الدينية السامية التي دعى اليها، الا ايمانا من جلالته حفظه الله بان الله سبحانه وتعالى ينصر من ينصره، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم. ولا ريب ان الله سبحانه وتعالى محقق لآماله، وجاعل نصره حليفه في حله وترحاله.

ان مجد البلاد في مجد جلالته، وعزها في عزه، ورفاهيتها في رفاهيته وسعادته، فان كان الوطن جسدا فهو روحه، وان كان عمرا فهو شبابه.

هنيئا لمولانا بهذا العيد السعيد، وادام الله هلال كل عيد، تحفظه عناية الله، وتحرسه رعايته ليبقى ذخرا لامته الوفية، يصون امجادها ويرعى نهضتها، ويقود خطواتها في سبيل التطور والازدهار واعانه الله على المضي في مسيرته الموفقة، وابقى شجرته العلوية وارفة الظلال، وسلسلته الذهبية موصولة الحلقات عبر القرون والاجيال، وجعل قرة عينه في نجله الامير الامجد سيدي محمد وصنوه المحبوب مولاي رشيد الارشد، وبكافة الانجال الامراء الكرام دام عزهم وعلاهم اللهم احفظ العرش العلوي المجيد هذا العرش الذي جمع به الله شمل شعب وصان به كيان دولة وحفظ به دين امة. هذا العرش الذي ذكر التاريخ في المغرب فهو الذي سطر روائعه وملاحمه باحرف ذهبية ناصعة. واذا ذكرت الديمقراطية في المغرب فهو الذي ارس دعائمها على اسس متينة ثابتة. واذا ذكرت الوطنية في المغرب فهو الذي حمل لواءها ومشعلها.

اللهم احفظ الآصرة الواصلة بين الملك والشعب، واجعلها اللهم قوية لا تنحل ولا تنفصل. اللهم اجعل امتنا متمسكة بكتابك المبين وسنة رسولك ونبيك الامين، وثبت الايمان في قلوبنا وقلوب المسلمين ولا تحرمنا جميعا من فضل الخشية ونعمة التقوى.

اللهم احفظ ديننا الذي هو حصننا الحصين وملاذنا الركين ومكن في قلوبنا الاستمساك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه، فما ضل من استمسك بهما ولا تاه من استنار بنورها وسار على هديهما.

(الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة. لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم).

صدق الله العظيم.

الدكتور : ادريس العلوي العبدلاوي
عميد كلية الحقوق بمراكش

كوليميم

بين الأمس واليوم.

للدكتور
عبد الهادي
التازي

رئيس
المركز الجامعي
للبحث العلمي

«..إن المغرب حاضر هنا، وقد قرر اليوم تقديم مساهمة كما كان الشأن في الماضي، وسيقوم بذلك في إطار من لباقة وهدوء قيادته السياسية التي لم تكن واثقة فقط من طريقها في معالجة المشاكل وقدرتها على التحليل، بل كانت واثقة ايضا من حقها في الماضي والحاضر..»

من خطاب جلالة الملك الحسن الثاني يوم 23 شعبان 1401 — 26 — 6 — 1981



ينبغي ان نعيد الى الذاكرة ان منطقة كليميم كانت تحمل في تاريخ العهد الوسيط اسماء اخرى غير هذا الاسم، فقد عرفت باسم «نول لمطة» على ما يحدثنا ابن حوقل او لمطة الغربية كما تقول مصادر أخرى.. وحملت بعد ذلك اسم تاكاوست قبل ان يظهر اخيرا اسم كوليميم الذي ينطق به احيانا كولمين.. وهي كما يعلم الجميع، غير كوليمة التي تقع في إقليم الرشيدية.. ويعتبر لفظ كوليميم تعريبا للكلمة البربرية اكوليم، والتي تؤدي معنى البحيرة او الضاية اعتبارا للضاية التي كانت هناك تحمل اسم أم الأعشار قبل ان يزحف عليها العمران، واللفظ كما نرى قريب لكلمة اكلمام او اكلمان بمعنى البحيرة في اللهجة المصمودية والزناتية.

وتقع كوليميم في خط الطول 3 ــ 10 غرب كرينتش وخط العرض 59 ــ 28

وقد كانت المنطقة بالفعل عاصمة للجنوب المغربي وخاصة في القرن الرابع عشر والقرن السادس عشر.. ومن ثمت عرفت لها نشاطا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا تحدثت عنه كتب التاريخ..

وعن طريقها كانت القوافل تقصد افريقيا السوداء بمحصولاتها وصناعتها، وعنها ايضا انسابت بعض المرددات الشعبية كرقصة (الكدرة) وما يصحبها من فنون ما تزال في الحاجة الى دراسة دلالتها ورموزها.

ومن المعروف ان عاصمة الجنوب هذه سواء عندما كانت تحمل اسم (نول لمطة) او اسم تاكاوست، او حتى عندما اصبحت مشهورة باسم كوليميم، كانت تغطي اربع نواحي : ناحية وادي نون وناحية باني الغربية، والساقية الحمراء، ومنطقة وادي الذهب..

إن اسم كوليميم انما ظهر بارزا بمناسبة زيارة السلطان مولاي الحسن الاول للمنطقة... إن كثيرا من الأسماء الخاملة انما برزت في التاريخ بمناسبة حدث ما من الاحداث سبب ظهورها وشهرتها : خذ لك مثلا «وادي المخازن» الذي لم نجد له ذكرا قبل الوقعة الشهيرة التي صرع فيها ملك البرتغال.. وهكذا يمكن القول في كوليميم..

لقد كان من ابرز الآثار التي عرفتها المنطقة كعاصمة للجنوب وجود عدد من المنشآت والمؤسسات أذكر من ذلك دور التجارة التي كانت تحمل أسماء بعض القواد المغاربة دار بيروك مثلا.. كذلك هناك امكنة او فنادق مخصصة للتجار الاجانب «سوق النصارى» على نحو ما جرى عليه العرف في بعض الثغور المغربية او المدن القريبة منها مما يسمح للاجانب بممارسة التجارة فيها مع المغاربة وفق الشروط المتفق عليها على نحو ما سمعناه في سبتة وطنجة وسلا والرباط..

ولم تفتنا هذه المنطقة محل عناية الملوك المتقدمين الذين كانوا يقظين باستمرار لما قد يهددها من اطماع خاصة وانها على مرمى حجرة من الجزر الخالدات.

وقد حدث بالفعل ان تمت في المنطقة عملية انزال عسكري في بداية ظهور الدولة الوطاسية وبالذات عام 1499م الا ان هذا العدوان لم يلبث ان رفع بفضل تدخل المغاربة الذين تمكنوا من رمي المغيرين في البحر...!.

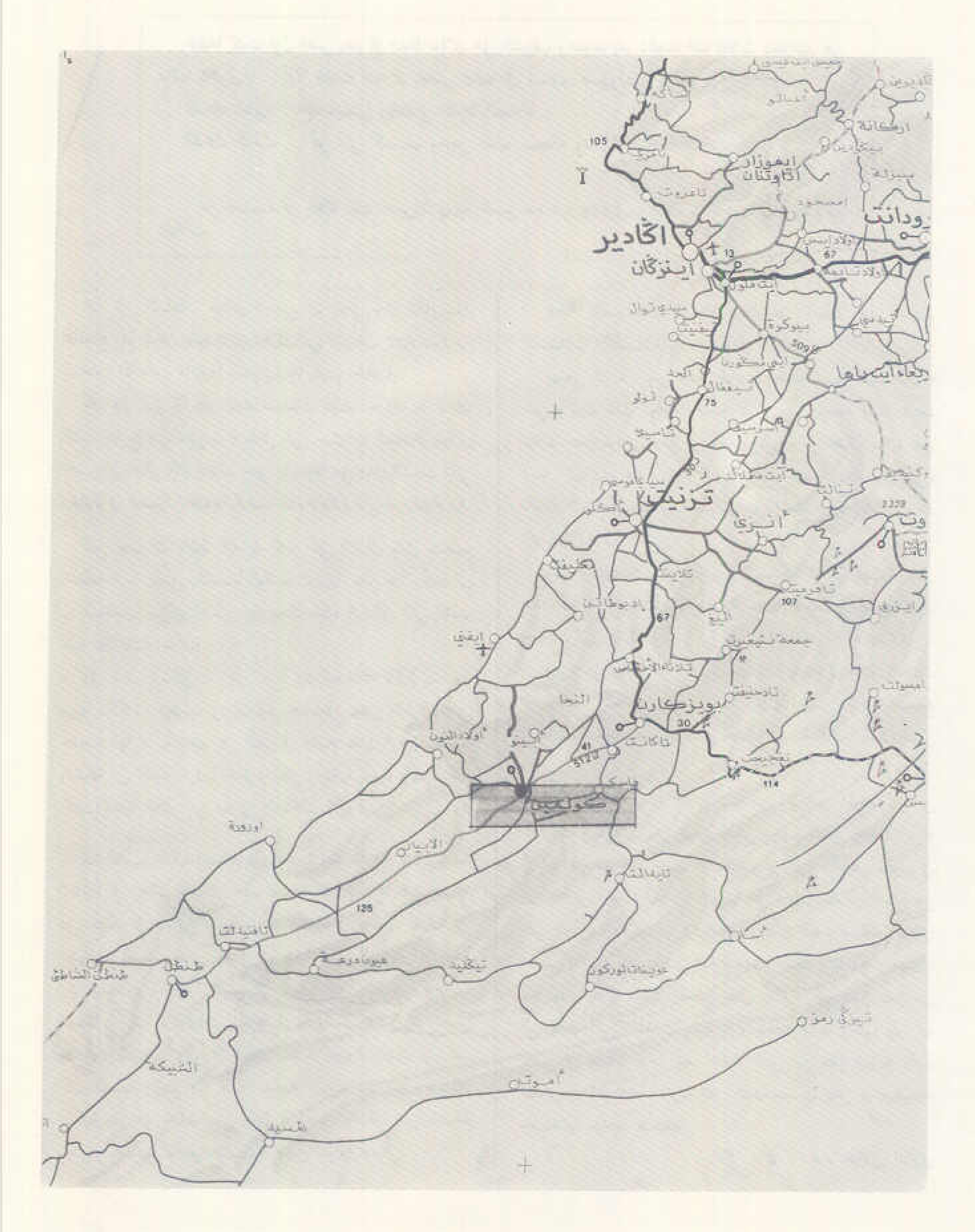
ومنذ ايام العاهل المغربي سيدي محمد عبد الله والاطماع على اشدها للاستفادة من تلك الجهات كما تدل على ذلك الحركات والمتابعات والمراسلات التي لا يخلو منها ارشيف من ارشيفات الدول الاجنبية.

وقد كان على السلطان المنعم المولى الحسن الاول ان يتصدى بجد لعدد من المحاولات الاوروبية لاكتساب موضع قدم في هذه المنطقة: انجلترا ــ اسبانيا ــ المانيا ــ بلجيكا الخ...

وفي اطار مقاومة تلك الاطماع يدخل تحرك السلطان مولاي الحسن الاول منذ قرن من الزمان ــ نحو وادي نون وكوليم، لقد كان ذلك منه تعبيرا عن ارادته وتعلقه بالاقليم الجنوبي للمملكة وبكل جزء من اجزائه.

ولقد قدر لي ان اتتبع معظم تقارير البعثات الاجنبية المتواجدة بالمغرب على ذلك العهد وهي تتحدث الى حكوماتها عن استعدادات السلطان مولاي الحسن للرحلة الى الجنوب المغربي بما في ذلك تجنيده قطع الاسطول المغربي ــ على قلتها لنقل الزاد والعتاد من مرسى البيضاء والجديدة في اتجاه وادي نون وكوليم.. لقد كانت تلك التقارير تعبر لحكوماتها عن الغيرة المتناهية التي تتملك المغاربة ازاء اراضيهم، وكانت تصور مدى الصعوبة الكبرى في ان تحاول دولة ما الاستلاء بالقوة على جزء من اجزاء التراب المغربي... وفي تلك التقارير ــ خاصة منها التقارير الانجليزية ــ ما كان يحذر من اي اغترار او فهم خاطيء للمواطنين المغاربة في الجنوب... «انهم اي سكان الجنوب على عكس ما قد يظن ــ يغارون على بلادهم وهم لا يقلون تعلقا بجلالة السلطان من باقي المواطنين الاخرين الذين يوجدون في الشمال او الشرق..».

أقول هذا وامامي عدد من الرسائل التي كان يرفعها الى بلاده القنصل البريطاني المشهور دريمون هي..



اكادير
اينزكان
تزنيت
بويزكارن
كولميم

عندما كنت اول امس بضريح جدنا مولاي علي الشريف وخلوت به، دعوت الله بثلاث دعوات، هي دائما دعواتي:. أولا طلبت منه ان يجعلني دائما في مستوى مسؤوليتي، وشعبي، واجدادي.
الدعاء الثاني : أن يلهمني ويعطيني الذرية الصالحة.
الدعاء الثالث : هو أنني كمسلم ومؤمن اطلبه سبحانه وتعالى حسن الخاتمة».

من خطاب مرتجل لجلالة الملك الحسن الثاني يوم الخميس 14 محرم 1386 ــ 5 مايه 1966 بمناسبة زيارته لاقليم تافيلالت

لقد قرر السلطان مولاي الحسن ان يجعل حدا لكل تلك الاطماع وهو لذلك يقوم بتلك الحركة التي استرعت انتباه عدد من الباحثين الاجانب فآثروها ببحوثهم وتآليفهم الخاصة.

وان من أبرز ما يثير انتباه المهتمين بتلك الحركة، ما تناقلته كتب التاريخ من عشرات الرسائل التي بعث بها السلطان مولاي الحسن الى سائر ولاة المغرب حتى يذيعوها على ابناء الشعب لكي يجعلهم في الصورة الحقيقية بالنسبة لهذه المبادرة التي قرر القيام بها.

نحن نعلم ان الملوك المغاربة كانوا على اتصال وثيق بشعبهم وخاصة فيما يتصل بالقضايا الوطنية الكبرى، ومن هنا رأيناه اي ــ السلطان مولاي الحسن ــ يبعث بهذه الرسائل التي كانت اشبه ببلاغات اعلامية..

وفي تلك الرسائل ما حمل تاريخ متم شعبان 1299 ــ 16 يونيه 1982، ويطيب لي ان اركز هنا على بعض الفقرات التي جاءت فيها مما يكشف عن السر في القيام بتلك الرحلة الطويلة والشاقة الى كلميم.. انها حقا لم تكن رحلة سياحية ولكنها رحلة حملت معها الكثير من المعاني والدلالات !.

لقد كانت اتفاقية للصلح بين المغرب واسبانيا عام 1276 ــ 1960 في اعقاب احتلال هذه لتطوان وكان هذا مما حمل اسبانيا على التفكير في الترامي على السواحل المغربية في الجنوب اعتمادا على «شرعية» السطو الذي حصل في بداية العهد الوطاسي !.. وهنا اراد السلطان مولاي الحسن ان يقول للدول الاوروبية وخاصة اسبانيا : إن الاتفاقيات المفروضة بالقوة لا يمكن ان تعيش وبالاحرى فانها لا يمكن ان تكون منطلقا لعدوان جديد «.. لقد كان القصد الاهم من هذه الوجهة المباركة ــ تقول الرسائل الملكية ــ هو حماية ديار هؤلاء المسلمين والدفاع عن بلادهم ورقابهم واموالهم مما طمحت اليه نفوس المؤملين».

فعلا كانت تلك الرحلة باعثا على اعطاء نفس جديد للمنشئات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة...

وينبغي ان لا ننسى بهذه المناسبة الحملة الدبلوماسية المكثفة التي واكبت تلك الرحلة الحسنة الاولى حيث وجدنا الملك المنعم يبعث سفارات الى عدد من الدول الاوروبية وخاصة اسبانيا التي ارسل اليها ــ فيمن ارسل ــ بسفيره عبد السلام السويسي، والقائد البغدادي ومولاي احمد البلغيثي والحاج محمد بركاش والقائد الصادق الخ...

وكأحد المهتمين بالتاريخ الدولي للمملكة المغربية كنت اجد في هذه المبادرة الرائدة التي يقوم بها اليوم جلالة الملك الحسن الثاني، إحياء لذكرى تلك الزيارة التي قام بها سلفه نور الله ضريحه.

وإني لعلى يقين من أنه كما جندت منذ قرن اقلام البعثات الدبلوماسية للحديث عن رحلة الملك الحسن الثاني فستقوم البعثات الدبلوماسية اليوم بنفس العمل بالنسبة لحركة الملك الحسن الثاني !!.

ولا شك ان هذه الزيارة ستمكن المؤرخين المعاصرين من المقارنات والمفارقات بين جهود الامس وجهود اليوم.. وانه اذا ساغ لي ان أعبر عن رأيي حول هذا الموضوع فإنني سألخص فكرتي في ان كلا من الجد والحفيد كانا يلتقيا على خط واحد هو الدفاع عن حمى الوطن، واذا كان من فرق فهو ان الملك المنعم السلطان مولاي الحسن (الاول) كان يناضل امام واجهة واحدة، وربما أمام واجهتين، بينما نرى جلالة الملك الحسن الثاني يقارع على عدد كثير من الواجهات التي اختلفت مشاربها وتعددت مللها ونحلها ولو انها تلتقي في هدف واحد وهو محاولة النيل من هذا التاريخ المجيد المتعالي الشامخ للامة المغربية التي ظلت مضرب المثل في صمودها وتضحيتها وتوحيد صفوفها.

د . عبد الهادي التازي

جانب من إحياء التراث الإسلامي في عهد جلالة الملك الحسن الثاني

للأستاذ سعيد أعراب

عرفت الدولة العلوية بملوكها العلماء، وبتشجيعها للعلم واهله، وحدبها على التراث الاسلامي واحيائه ومن مظاهر هذا الاعتناء، ان السلطان المولى اسماعيل اسس ديوان النسخ وهو كوزارة قائمة بذاتها تنسخ كتب العلم التي تصلها سواء من الداخل او الخارج (1).

وكانت الدولة تزود المؤسسات العلمية والدينية بمختلف كتب التراث في شتى انواع المعرفة، وكضمان لها تسجل في الحوالات الحبسية او تذكر صيغة التحبيس على الورقة الاولى من الكتاب، او على جزء من اجزائه ان كان ذا اجزاء.

ولنورد على سبيل المثال، ما حبسه هؤلاء الملوك، فقط على الجامع الاعظم بتطوان، من امهات الدواوين في الفقه، والحديث، والتفسير، والسير.

فمما حبسه المولى الرشيد :

1) الجامع الصحيح للامام البخاري في اثني عشر جزءا .(2)

2) فتح الباري على صحيح البخاري (3).

ـ وحبس السلطان المولى محمد بن عبد الله الكتب التالية :

3) السنن الكبرى للنسائي (4)ـ وهو من نوادر هذه الخزانة، ولعله مما جلبه من الشرق .

4) الكواكب الدراري على صحيح البخاري ـ للكرماني (5).

5) التاج الاكليل على مختصر خليل ـ للمواق (6)

6) التوضيح على الفاظ ابن الحاجب ـ للشيخ خليل (7).

(1) انظر مجلة دعوة الحق ـ مقال عبد الرحمن الفاسي ـ س 18 ع 1 ص 166.

(2) كتب على الجزء الثاني عشر منه انه حبسه سنة (1078م)

(3) كتب السفر الثامن منه انه تحبيسه ـ ولم يذكر تاريخ التحبيس.

(4) كتب عليه انه حبسه سنة (1184).

(5) حبسه سنة (1984).

(6) كتب عليه انه من تحبيسه ـ بواسطة كاتبه الهاشمي الزبير سنة (1184)

(7) حبسه سنة (1184)

7) فتح الباري على صحيح البخاري ـ للحافظ ابن حجر (8).

8) النوادر لابن ابي زيد القيرواني (9).

9) الشرح الكبير على مختصر خليل لابي عبد الله الخرشي (10).

10) التوشيح على مشكلات الصحيح ـ للسيوطي (11).

11) شرح بهرام على مختصر خليل (12).

12) شرح شهاب الدين الافندي (13)على شفا عياض .

13) المنح المكية، في شرح الهمزية لابن حجر الهيثمي (14).

14) كتاب المقدمات لابن رشد (الجد)(15).

15) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (16).

16) شرح اسماء الله الحسنى لابي عبد الله السنوسي (17).

17) البيان والتحصيل لابن رشد (الجد)(18)

18) الجامع الصغير ـ لجلال الدين السيوطي (19).

19) فتح المتعالى في مدح النعال لابي العباس المقري (20).

(8) كتب على السفر الثامن منه انه من تحبيسه ـ ولم يذكر تاريخ التحبيس

(9) كتب عليه انه من تحبيس خديمه محمد الزوين نيابة عنه سنة (1202)

(10) كتب على ج 5 منه انه حبسه سنة (1198)

(11) حبسه سنة (1190)

(12) كتب عليه انه من تحبيس المولى علي ـ نيابة عن والده محمد بن عبد الله سنة (1184)

(13) حبسه سنة (1190)

(14) حبسه سنة (1184)

(15) كتب على الجزء الاول منه انه حبسه سنة (1198 هـ)

(16) كتب على السفر الاول منه انه حبسه سنة (1202) وجاء على السفر السابع انه من تحبيس محمد الزوي نيابة عنه في بنفس التاريخ.

(17) حبسه سنة (1184)

(18) من تحبيس المولى علي نيابة عنه ـ سنة (1184)

(19) من تحبيس خديمه الهاشمي الزبير نيابة عنه وبحضور القاضي عبد السلام بن قريش سنة (1184)

(20) من تحبيس خديمه الزبير نيابة عنه سنة (1184)

20) تعليق على ارجوزة سماها الجمان، في علوم البلاغة ــ كلاهما لجلال الدين السيوطي (21).

21) فتح الفتاح : شرح ابي علي بن رحال على مختصر خليل ــ في 18 مجلدا لم يكمله (22).

ــ وحبس المولى يزيد ايام ولايته :

22) الجامع الصحيح للبخاري (23).

ــ كما حبس المولى مسلمة بن محمد بن عبد الله :

23) مسند الامام احمد ــ في ثلاثة مجلدات(24)، وهو مما جلبه والده من بلاد المشرق (25).

وهكذا كانت خزائن الجوامع، والمدارس الكبرى ــ ملاي بكتب التراث في فاس، ومراكش، ومكناس، وتازا، وتطوان وسواها .

وكانت مراكز ثقافية يجد القارىء فيها غذاء، لا الروحي ومبتغاه الفكري، ويتوارد عليها الوراق، والباحث، والمؤلف .

ظهور الطباعة بالمغرب .

وما ان ظهرت الطباعة بالمشرق وبدأت تؤتي اكلها، حتى اتجهت انظار السلطان محمد الرابع الى تأسيس دار الطباعة بالمغرب، فانشئت بمدينة مكناس المطبعة المحمدية ــ سنة 1282 هـ

وكان اول كتاب اخرجته ــ بالطبع على الحجر :

1) الشمائل المحمدية، لابي عيسى الترمذي (27) وفي ذلك مغزى نبيل.

---

(21) حبسه سنة (1198هـ)

(22) جاء في قائمة الكتب المحبسة من طرف السلطان محمد بن عبد الله ولم يذكر تاريخ تحبيسه

(23) كتب على الربع الثاني منه انه حبسه سنة (1206)

(24) جاء في وثيقة تحبيسه ما يلي :

(... حبس مولانا مسلمة ابن السلطان محمد ابن السلطان مولانا عبد الله، وجعل لملازم قراءته ثلاثة مثاقيل دراهم تاريخه، من مستفاد مرسى تطوان تدفع له عند انصرام كل شهر يأتي من تاريخه حبسا مؤبدا ، حرر في اواسط رجب سنة (1206هـ)

(25) انظر الاستقصا للناصري ج 8 : 66.

(27) جاء في خاتمة الطبع الكلمة التالية : الحمد لله، كمل كتاب شمائل المصطفى ــ بحمد الله وتوفيقه ــ بالمطبعة السعيدة بالحضرة المولوية بمدينة مكناسة الزيتون ــ بامر من توج برئاسة الاعصار وتباهت بسياسة البوادي والامصار، مجدد معالم الدين، ومحيي آثار الائمة المهتدين، مولانا امير المؤمنين، المتوكل على رب العالمين، ابقاه الله لحفظ نظام الاسلام، وايد به شريعة جده ــ عليه افضل الصلاة وازكى السلام، ونصره نصرا عزيزا مؤيدا والسلام، في رابع صفر سنة (1282هـ)

2) مختصر الدر الثمين، والمورد المعين، في شرح المرشد المعين ــ لأبي عبد الله محمد بن احمد ميارة سنة 1283 هـ

3) حلي المعاصم لبنت فكر ابن عاصم ــ للشيخ التاودي سنة 1284 .

4) الشرح الصغير على مختصر خليل ــ لابي عبد الله الخرشي ــ في ستة اجزاء 1284 -1988 ثم توقفت هذه المطبعة لاسباب نجهلها ولعل ذلك يرجع الى عدم الاطر التقنية (28).

ومن الذخائر العلمية التي امر بنشرها السلطان المقدس الحسن الاول كتاب (اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ــ للغزالي، تأليف ابي عبد الله محمد المرتضى الزبيدى ــ في ثلاثة عشر مجلدا ، وكانت هناك محاولة لطبعه من طرف رئيس العلماء بمكة المكرمة الشيخ احمد دحلان وكتب الى السلطان المذكور يطلب منه بعض النسخ الموجودة بالمغرب (29).

وظهرت في ايام السلطان المولى عبد الحفيظ حركة نشيطة في ميدان احياء التراث، فانشأ المطبعة الحفيظية ونشر عدة مؤلفات نذكر منها مايلي :

1) بداية المجتهد، ونهاية المقتصد، لابن رشد الحفيد فاس 1327.

2) كمال المعلم، في شرح صحيح مسلم ــ تأليف محمد بن خليفة الوشتاني الابي، ومعه :

3) كتاب مكمل الاكمال لابي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي ــ 7 اجزاء القاهرة سنة 1327 هـ .

4) مشرب العام والخاص، من كلمات الاخلاص ــ تأليف الحسن اليوسي ــ فاس 1327 .

5) الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع ــ تأليف احمد بن عبد الرحمان حلولو القيرواني ــ فاس 1327.

6) حاشية على رسالة الوضع للسمرقندي ــ تأليف المهدي بن سودة ــ فاس 1327.

7) التثبيت في ليلة البيت ــ نظم جلال الدين السيوطي ــ فاس 1327.

8) مفتاح الاقفال ومزيل الاشكال ــ في تصريف الافعال ــ

---

(28) انظر مظاهر يقظة المغرب الحديث لمحمد المنوني 1/211/212.

(29) المرجع السابق.

تأليف محمد ابن ابي القاسم السجلماسي ــ فاس 1328.

9) الاستيعاب في اسماء الاصحاب ــ تأليف الحافظ ابي عمر بن عبد البر ــ 4 اجزاء ــ القاهرة 1328.

10) الاصابة، في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، 4 اجزاء القاهرة 1328.

11) البحر المحيط تأليف ابي حيان الحياني ــ وبهامشه كتابان ــ

12) النهر الماد من البحر ــ لنفس المؤلف.

13) الدر اللقيط، من البحر المحيط ــ تأليف احمد بن عبد القادر القيسي، 8 اجزاء ــ القاهرة 1328.

14) حاشية على صحيح البخارى ــ للشيخ التاودي بن سودة ــ 4 اجزاء فاس 1328.

15) هيأة الناسك في ان القبض في الصلاة هو مذهب الامام مالك تأليف محمد المكي بن عزوز ــ فاس 1328.

16) مشارق الانوار على صحيح الاثار، تأليف القاضي عياض ــ جزآن فاس 1328.

17) هدي الابرار، على طلعة الانوار ــ تأليف عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنجيطي ــ جزآن فاس 1329.

18) نفحة المسك الدراري لقارىء صحيح البخاري ــ تأليف حدود بن الحاج السلمي ــ فاس 1329.

19) فتح الفتاح، على نور الاقاح ــ تأليف عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنجيطي، جزآن فاس 1329.

20) حاشية على صحيح البخاري ــ تأليف ابي عبد الله محمد بن زكري

ــ مع تكميلات وتقييدات للسلطان عبد الحفيظ، ومحمد بن المدني كنون ــ 5 اجزاء ــ فاس 1329.

21) حاشية على صحيح البخاري ــ تأليف ابي زيد عبد الرحمان الفاسي فاس 1329.

22) نشر البنود على مراقي السعود ــ تأليف عبد الله بن ابراهيم الشنجيطي ــ 3 اجزاء ــ القاهرة 1329

واسست على عهد السلطان المغفور له محمد الخامس ــ المطبعة المولوية بالرباط، فنشرت مؤلفات علمية قيمة، منها:

ــ كتاب الفتوحات الالهية، في احاديث خير البرية ــ تأليف السلطان محمد بن عبد الله طبع على نسخة ممتازة سنة 1354 ــ 1945.

ــ الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلوية بفاس الزاهرة ــ تأليف النقيب عبد الرحمان بن زيدان ــ الرباط سنة 1356 ــ 1937.

وانشىء معهد الابحاث العليا المغربية بالرباط فاخرج سلسلة من كتب التراث منها:

ــ كتاب التشوف الى رجال التصوف ــ لابي يعقوب التادلي، بتحقيق المستشرق ادولف فور ــ الرباط سنة 1958 وهو الجزء الثاني عشر من السلسلة.

واسس بتطوان معهد مولاي الحسن للابحاث، فنشر مجموعة من المخطوطات المغربية والاندلسية منها:

1) رسائل سعدية ــ بتحقيق مدير المعهد عبد الله كنون ــ تطوان سنة 1945.

2) كتاب الفلاحة لابن بصال ــ بتحقيق الاستاذين محمد عزيمان، وخوسي مارية فياس، تطوان 1955!

3) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث تحقيق عبد الله كنون ــ تطوان 1958.

كما انشىء بالقاهرة بيت المغرب فاخرج الاجزاء الثلاثة الاولى من كتاب ازهار الرياض، في اخبار عياض لابي العباس المقري، القاهرة سنة 1939-1941)لكنه لم تطل حياته فتوقف عن العمل.

ــ اما في عهد الحسن الثاني ــ الذي نسوق اليه هذا الحديث ــ فقد ازدهرت حركة التأليف والنشر، واسست مراكز للبحث واحياء التراث، فكان منها:

ا) مصلحة احياء التراث الاسلامي ــ بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، فشكلت الوزارة لجانا للتحقيق، واقترحت مجموعة من ذخائر المكتبة المغربية فاستوردت من تركيا، وبغداد، ومصر وسوريا، والسعودية ــ صورا من نسخها، بالاضافة الى ما صورته من الخزانة الحسنية، والخزانة العامة، بالرباط، وخزانة القرويين بفاس، وخزانة ابن يوسف بمراكش، وسواها.

وهذه قائمة بما اصدرته من كتب التراث واعتنى به ما كان مخطوطا فنشر (30) ونذكرها مرتبة حسب تواريخ صدورها.

---

(30) واشير بهذا الى ان الوزارة لم تقتصر فيما نشرته على المخطوطات القديمة وحسب، وانما نشرت كذلك مؤلفات حديثة لها قيمتها العلمية، واسست اخيرا بالوزارة هيئة استشارية يرجع اليها فيما يصلح للنشر من المؤلفات ــ سواء منها القديم او الحديث.

1) اربعون حديثا في اصطناع المعروف ـ تأليف ابي محمد المنذري، وشرح ابي زيد الثعالبي الجزائري ـ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي سنة 1962.

2) مختصر العين (القسم الاول) لمؤلفه ابي بكر الزبيدي الاشبيلي، تحقيق علال الفاسي، ومحمد بن تاويت الطنجي سنة 1963.

3) الاعلام بحدود قواعد الاسلام ـ تأليف عياض بن موسى اليحصبي السبتي، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي 1964.

4) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، الى معرفة اعلام مذهب مالك تأليف القاضي عياض صدر كاملا في ثمانية اجزاء :

ـ الجزء الاول بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي 1965.

الاجزاء 2ـ3ـ4 بتحقيق عبد القادر الصحراوي 1966-1970 والخامس بتحقيق د محمد بن شريفة (بدون تاريخ)

والسادس والسابع والثامن بتحقيق كاتب هذه السطور 1980-1983.

(5) التمهيد، لما في الموطا من المعاني والاسانيد تأليف ابي عمر بن عبد البر القرطبي .

صدر منه الى الان ثلاثة عشر جزءا .

ـ الاول بتحقيق مصطفى احمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري 1967

ـ والثاني بتحقيق هيئة من العلماء بدون تاريخ .

ـ الثالث بتحقيق محمد التائب السعيدي 1971.

ـ والرابع بتحقيق محمد التائب وكاتب هذه السطور 1974.

ـ والخامس بتحقيق محمد الفلاح وكاتب هذه السطور 1976.

ـ والسادس بتحقيق محمد الفلاح وكاتب هذه السطور 1977

ـ السابع بتحقيق عبد الله بن الصديق 1979.

ـ والثامن بتحقيق محمد الفلاح 1980.

ـ والتاسع والعاشر ـ بتحقيق كاتب هذه السطور 1981 .

ـ والحادي عشر بتحقيق مصطفى احمد العلوي 1985.

ـ والثاني عشر بتحقيق كاتب السطور 1983 .

ـ الثالث عشر بتحقيق محمد الفلاح 1984

ـ والرابع عشر بتحقيق كاتب هذه السطور 1984 (31) وتحت الطبع الان الجزآن 16-17

ونقدر ان يخرج الكتاب ـ هذه الموسوعة الكبرى في فقه السنة ـ في نحو 27 جزءا، وهو من مآثرات الحسن الثاني التي سيخلدها التاريخ .

6) المحرر الوجيز، في تفسير الكتاب العزيز لابي عبد الله محمد بن عطية الاندلسي ـ وهو موسوعة اخرى في تفسير كتاب الله العزيز ـ جمع خلاصة التفاسير التي تقدمته مع تحرير واتقان، وسيخرج في عدة اجزاء، صدر منه الى الان تسعة اجزاء ـ بتحقيق المجلس العلمي بفاس .

الاول والثاني سنة 1975

والثالث والرابع 1977 .

والخامس والسادس 1979

والسابع والثامن 1980-1981

والتاسع 1982

7) مناهل الصفا، في ماثر موالينا الشرفا ـ لابي فارس عبد العزيز القشتالي :

تحقيق د عبد الكريم كريم 1973

8) بغية الرائد، بما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد ـ تأليف القاضي عياض، ومعه شرح نفس الحديث للسيوطي .

ـ تحقيق الاساتذة صلاح الدين الادلبي، محمد اجانف، محمد لشرقاوي 1975 .

9) التعريف بالقاضي عياض ـ لولده محمد، تحقيق د محمد بن شريفة بدون تاريخ .

10) كتاب الاربعين الطبية، المستخرجة من سنن ابن ماجة، وشرحها ـ عبد اللطيف البغدادي ـ عمل تلميذه محمد بن يوسف البرزالي. تحقيق عبد الله كنون 1979.

11) المعيار المعرب والجامع المغرب، في فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب ـ تأليف ابي العباس احمد بن يحي الونشريسي بتصحيح ثلة من الاساتذة وباشراف د محمد حجي .

صدر في ثلاثة عشر مجلدا 1981 .

12) التعريف في اختلاف الرواة عن نافع ـ تأليف ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني .

---

(31) يوجد الجزء الخامس عشر قيد التحقيق عند الدكتور محمد بلخوجة بتونس

بتحقيق التهامي الراجي الهاشمي 1982.

13) مشارق الانوار، على صحاح الاثار — تأليف القاضي عياض، بتقحيق احمد يكن البلعمشي.

صدر منه جزآن :

الاول 1982

الثاني 1983

14) اضاءة الراموس، واضافة الناموس، على اضاءة القاموس — لمحمد بن الطيب الشركي تحقيق عبد السلام الفاسي، والتهامي الراجي الهاشمي، وهذه موسوعة ثالثة وموضوعها متن اللغة — ستخرج في عدة اجزاء ، صدر الجزآن الاول والثاني 1983 .

15) النوازل — لابي الحسن علي بن عيسى (33)العلمي — تحقيق المجلس العلمي بفاس.

صدر الجزء الاول 1983 .

ب) الصندوق المشترك لاحياء التراث — بنفس الوزارة، من منشوراته :

16) ازهار الرياض، في اخبار عياض — تأليف ابي العباس المقري — في خمسة اجزاء .

صدرت الاجزاء الثلاثة الاولى عن بيت المغرب بالقاهرة سنة 1939، بتحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي .

ثم اعاد الصندوق طبعها — مع استدراكات وتصحيحات لمحمد بن تاويت التطواني — وكاتب هذه السطور سنة 1978.

وصدر الجزء الرابع بتقحيق محمد بن تاويت وكاتب هذه السطور 1978 والخامس بتحقيق د. عبد السلام الهراس، وكاتب هذه السطور 1979 .

17) معيار الاختيار، في ذكر المعاهد والديار — لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمد كمال شبانة 1976.

18) اوصاف الناس في التواريخ والصلات — تأليف لسان الدين بن الخطيب تحقيق محمد كمال شبانة 1977.

19) ايضاح المسالك، الى قواعد الامام مالك — تاليف ابي العباس الونشريسي بتحقيق احمد الخطابي (1980).

20) تاج المفرق، في تحلية علماء المشرق — تاليف خالد بن عيسى البلوي — بتحقيق حسن السائح — جزآن (بدون تاريخ).

(32) تحرف في المطبوع بـ(عيسى بن علي)

(33) هذا الصندوق تموله المملكة المغربية والامارات العربية المتحدة — تحت اشراف وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب.

21) نشر البنود، على مراقي السعود — تأليف عبد الله بن ابراهيم الشنقيطي جزآن — (بدون تاريخ)

22) دليل الرفاق، على شمس الاتفاق تأليف الشيخ ماء العينين، بتحقيق احمد يكن البلعمشي.

صدر الجزء الاول (1982)

23)المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب تأليف جلال الدين السيوطي.

بتحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي (1983)

هذا، وقد فاتني ان اذكر على رأس هذه القائمة — تلك التحفة الثمينة التي اهداها جلالة الملك الحسن الثاني — الى العالم الاسلامي، لانها تراث (34) المسلمين جميعا، الا وهي المصحف الحسني الذي امرت جلالته بطبعه على مقريء نافع الذي هو مقرا المغاربة (35) كافة منذ اربعة عشر قرنا، وقد قدم له بنطقه الكريم : (...نهدي اليك ايها المسلم الكريم — حيثما كنت من مشارق الارض ومغاربها — هذا المصحف الشريف، راجين من الله — جلت قدرته — ان يجعله بين يديك نورا يهديك الى اقوم السبل — في دنياك، واوضح المسالك — الى آخرتك، وشفاء لنفسك، وطهرا لقلبك، وقوة يشتد بها عزمك، وتتمكن بها ارادتك، ويعلو بفضلها شأنك بين الناس، ومقامك بين الانام، وتحل بها ارفع الدرجات، وتبلغ معها اسنى ما تتوق اليه نفسك من مقاصد وغايات.

وأملنا — ايها المسلم الكريم — ان يثيب الحق — سبحانه وتعالى — عملنا هذا اجزل الثواب، ويلهمك كلما رتلت هذا الكتاب ترتيلا، وتلوته تدبيرا واحتسابا، بالدعاء لنا بالهداية والتوفيق، والتييد والتسديد — فيما نحن مضطلعون به من مهام، ومطوقون به من مسؤوليات عظام، وما نقوم به دفاعا عن حوزة الملة والدين — لصلاح شعبنا، واعلاء لكلمة امتنا..).

وقد صدرت الطبعة الاولى منه في حجم كبير بخط مغربي

(34) ويخطيء اولئك الذين يبعدون عن التراث الاسلامي — اذا تحدثوا عنه — كتاب الله، وسنة نبيه، قال عليه الصلاة والسلام : تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله، وسنة نبيه رواه مالك في الموطا ص (648).

وفي صحيح البخاري : ما ترك (ص) الا ما بين الدفتين (المصحف الشريف) انظر كتاب فضائل القرآن ج 150/3.

(35) انظر مجلة دعوة الحق — مقال (بين يدي مصحف الحسن الثاني) لكاتب هذه السطور س 19 ع 2 — 3 (مزدوج) ص 62.

ممتاز، وطبع بديع، وتجليد فاخر — سنة (1387 — 1968).

ثم اعيد طبعه سنة (1390 — 1975) — وعدد ما طبع منه 000 12 نسخة، كما طبعت منه نسخ عديدة في احجام مختلفة، فيها الكبير، والمتوسط والصغير.

ج) — المطبعة الملكية بالقصر العامر.

ومن منشوراتها — في موضوع احياء التراث (36)

1) العز والصولة، في معالم نظم الدولة — لعبد الرحمان بن زيدان — جزآن، صدر الجزء الاول سنة (1961)، والثاني (1962).

2) روضة التعريف، بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف.
تأليف محمد الصغير اليفرني (1962).

3) روضة النسرين، في دولة بني مرين — لابي الوليد اسماعيل بن الاحمر (1962).

4) التحفة السنية للحضرة الحسنية — لابي العباس احمد بن محمد الكردودي (1963).

5) نظم السلوك، في الانبياء والخلفاء والملوك — تأليف ابي فارس عبد العزيز المازوزي (1963).

6) عروسة المسائل، فيما لبني وطاس من الفضائل — لابي عبد الله محمد الكراسي (1963).

7) روضة الآس، فيما لقيته من اعلام الحضرتين : مراكش وفاس — تأليف ابي العباس المقري (1966).

8) ايليغ قديما وحديثا تأليف المختار السوسي بتحقيق محمد ن عبد الله الروداني (1966)

9) جني زهرة الآس، في بناء مدينة فاس — لابي الحسن علي الجزنائي (1967).

10) نشر ازهار البستان، فيمن اجازني بالجزائر وتطوان — لابي عبد الله محمد بن زاكور (1967).

11) اختصار الاخبار، عما كان بسبتة من سني الآثار — لأبي عبد الله محمد بن قاسم الانصاري (1980).

12) الاعلام، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام — تأليف العباس بن ابراهيم.

صدر في عشرة اجزاء.

الجزآن : الاول والثاني سنة (1974)
والثالث، والرابع، والخامس (1976)
والسادس، والسابع، والثامن (1977)
والتاسع (1980)
والعاشر (1983)

13) المقصد الشريف، والمنزع اللطيف، في التعريف بصلحاء الريف — تاليف عبد الحق بن اسماعيل البادسي — تحقيق كاتب هذه السطور (1982).

هـ) مديرية الوثائق الملكية — بالقصر الملكي ايضا، ومما يتصل باحياء التراث، نشر الوثائق التاريخية، فالوثيقة لا تقل اهمية عن الكتاب والمخطوط، والمغرب — ولله الحمد — غني في هذا الباب، فالقصور الملكية، والخزانات، العامة، ملأى باكداس من الوثائق، وتعد بعشرات الالوف، يرجع تاريخ بعضها، الى ازيد من سبعة قرون.

والذي يعنينا في هذه العجالة ما تقوم به مديرية الوثائق الملكية من نشاط متزايد، على رأسها مؤرخ الدولة العالم البحاثة عبد الوهاب بن منصور، وقد اصدرت المديرية الى الآن ست مجموعات:

1) المجموعة الاولى سنة (1976).

وتضم (150) وثيقة، يرجع تاريخ الوثيقة الاولى منها الى عهد حسان بن النعمان الازدي، من ولاة الدولة الاموية على المغرب في حدود 80 هـ — 699م)

2) وصدرت المجموعة الثانية في نفس السنة (1976) وتضم كذلك (150) وثيقة، تتضمن الوثيقة الاولى منها — وهي تحمل رقم (151) رسالة من السلطان المولى عبد الرحمن الى عامله بتطوان، يؤكد فيها ان وادي تافنا، هو الحد الفاصل بين المملكة المغربية، والايالة الجزائرية.

3) وصدرت المجموعة الثالثة سنة (1977) وضمنها مائتي وثيقة (200) وهي تنتهي بالوثيقة رقم (500) المؤرخة ب 16جمادى خ (1297) ويتعلق موضوعها — بسفر مريب في صحراء المغرب، لشخص الماني ومرافق جزائري.

4) وفي نفس السنة (1977) صدرت المجموعة الرابعة، وتضم مائة وسبعا وعشرين وثيقة (127)، تحمل الوثيقة الاولى رقم(501)، وهي رسالة من السلطان محمد بن عبد الرحمن الى نائبه في الشؤون الخارجية محمد بركاش، وتتعلق بمخاطر انشاء الحماية وقراره ارسال موظف سامي الى طنجة للتفاوض مع نواب الاجناس على حسم مادة فسادها.

---

(36) صدرت اكثر هذه المؤلفات تحت اشراف مؤرخ الدولة عبد الوهاب بن منصور، ولم ينسب اليه تحقيقها — بالرغم من ان طائفة منها قدم لها، وعلق عليها تعاليق اضافية — لانه نفسه لم يثبت ذلك تحت عناوينها — كما هي العادة، ولعل ذلك لسر نجهله.

وتنتهي المجموعة بوثيقة رقم (627)، وهي رسالة من السلطان الحسن الاول — الى وزيره في الخارجية محمد بركاش، تتعلق بطغيان يهودي محمي بانجلترا — في مدينة مراكش.

وتمتاز هذه المجموعة بالدراسة القيمة التي قدمها مؤرخ الدولة عن قضية نظام الحماية القنصلية بالمغرب — منذ نشأتها الى مؤتمر مدريد، التي استغرقت (115) صفحة وهو كتاب بذاته.

وصدرت المجموعتان (5 — 6) ولكن مع الاسف الشديد — لم تصلاني، ولم يمكنني الوقوف عليهما.

وأملنا ان تنشيء المديرية فروعا لها في سائر جهات المملكة، او تنشأ اقسام لذلك بالمكتبات العامة، والمؤسسات الثقافية.

وعهدي بقسم الوثائق والمخطوظات في المكتبة العامة بتطوان، انه فهرس عشرات الآف من الوثائق، واصدر ثلاث مجموعات.

1) المجموعة الاولى من القسم الاول سنة (1961)، وهي خاصة بمراسلات السلطان الحسن الاول، وتتضمن (413) وثيقة.

2) وصدرت مجموعة (القسم الثاني) — وتتناول مراسلات وزراء المولى الحسن الاول — سنة (1965) — وتتضمن (308) وثيقة.

3) ثم صدرت سنة (1970) — مجموعة ثالثة تحت عنوان :

فهرس الوثائق التاريخية

(سلسلة جديدة)

— عن عصر مولاي الحسن الاول —

وتضمنت المجموعة (983) وثيقة ولكنه سرعان ما توقف عن العمل، ولا ندري لماذا ؟

(و — المركز الجامعي للبحث العلمي — بجامعة محمد الخامس، وقد اصدر الكتب التالية :

1) — انس الفقير، وعز الحقير — لابي العباس احمد الخطيب المشهور بابن قنفذ — تحقيق محمد الفاسي، وادولف فور (1965)

2) الاكسير، في فكاك الاسير — لمحمد بن عثمان المكناسي — تحقيق محمد الفاسي (1965)

3) حوليات المثاني — لاهل القرن الحادي والثاني، تاليف محمد بن الطيب القادري — بتحقيق عبد الهادي التازي (1978)

ز) معهد مولاي الحسن للابحاث — بتطوان، التابع لجامعة محمد الخامس اصدر هو بدوره — ما يلي :

4) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب — لابن عذاري المراكشي (الجزء الثالث) بتحقيق اميروس هويسي ميراندة، ومشاركة محمد ابن تاويت التطواني، ومحمد بن ابراهيم الكتاني (1960).

5) مناهل الصفا، في اخبار الملوك الشرفا — لعبد العزيز الفشتالي بتحقيق عبد الله كنون (1964)

6) ديوان الامير ابي الربيع سليمان بن عبد الله الموحدي — بتحقيق :

محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن العباس القباج، ومحمد بن تاويت التطواني، وكاتب هذه السطور (1965).

7) نظم الجمان في اختصار أخبار ملوك المغرب والأندلس — لابن القطان — تحقيق د محمود علي مكي (بدون تاريخ).

8) مستودع العلامة، ومستودع العلامة — لابي الوليد بن الاحمر، تحقيق محمد التركي التونسي، ومحمد بن تاويت التطواني (1965).

ح) وزارة الشؤون الثقافية، ومن منشوراتها :

1) أنس الساري والسارب.. لابي عبد الله محمد بن احمد القيسي، الشهير بالسراج، تحقيق محمد الفاسي (1968).

2) — ((الرحلة المغربية)) — لابي عبد الله العبدري الحيحي — تحقيق محمد الفاسي (1968).

3) امثال العوام في الاندلس — لابي يحيى الزجالي القرطبي (37) — (القسم الثاني) تحقيق وشرح د محمد بن شريفة (1971).

4) كشف الصلصلة، عن وصف الزلزلة — لجلال الدين السيوطي، تحقيق عبد اللطيف السعداني — سنة (1971).

5) المختار من شعر شعراء الاندلس — تاليف ابي القاسم الصيرفي — تحقيق هلال ناجي (1977).

ط) وزارة الانباء.

ومما وقفت عليه من منشوراتها في موضع احياء التراث :

1) الانوار الحسنية، في نسبة من بسجلماسة من الاشراف المحمدية — تاليف احمد بن عبد العزيز العلوي المدغري — بتحقيق عبد الكريم الفيلالي (1966).

2) الترجمانة الكبرى لابي القاسم الزياني — تحقيق عبد الكريم

(37) وهو مسنوخ من كتاب ((ري الاوام، ومرعى السوام، في نكت الخواص والعوام)) وقد حاز به الاستاذ المذكور — الدكتوراه من جامعة القاهرة.

الفيلالي (1967) ــ في مجلد ضخم تجاوزت صفحاته (600) ص.

ولا ننسى ما قامت به وتقوم ــ كليتا الآداب بالرباط وفاس ودار الحديث الحسنية ــ من نشاط ملحوظ في دراسة وتحقيق كتب التراث، فمن الرسائل التي ناقشتها كلية الآداب بالرباط:

1) كتاب المن بالامامة ــ لابن صاحب الصلاة ــ دراسة وتحقيق عبد الهادي التازي (1963)

2) روضة التعريف بالحب الشريف ــ للسان الدين بن الخطيب ــ دراسة وتحقيق محمد الكتاني (1969)

3) الوفي، في نظم القوافي ــ لابي البقاء الرندي ــ دراسة وتحقيق محمد الخمار الكنوني (1974).

4)كتاب التعازي والمراثي ــ لابي العباس المبرد ــ دراسة وتحقيق محمد الديباجي (1974).

ومن اهم الرسائل التي ناقشتها كلية الاداب بفاس:

ــ ((المنزع البديع، في تجنيس اساليب البديع)) ــ لابي محمد القاسم السجلماسي ــ دراسة وتحقيق علال الغازي (1977) (38).

وناقشت دار الحديث الحسنية بالرباط التابعة لجامعة القرويين ــ الرسالة التالية:

1) كتاب نيل النجاح، على غرة الصباح ــ دراسة وتحقيق محمد الكبير العلوي (1974).

2) تحوير المقالة، في شرح نظائر الرسالة ــ دراسة وتحقيق احمد سحنون (1975).

3) قانون التاويل ــ لابي بكر بن العربي ــ دراسة وتحقيق مصطفى الصغير (1977).

4) تحقيق المذهب، في ان النبي (ص) كتب، لابي الوليد الباجي دراسة وتحقيق احمد البزار (1977).

5)تقييد وقف القرآن ــ لابي عبد الله الهبطي ــ دراسة وتحقيق الحسين وجاج (1977).

6) ايضاح المسالك، الى قواعد الامام مالك ــ للونشريسي ــ دراسة وتحقيق احمد الخطابي (1978).

7) الوضع الجديد، لفن المخارج والصفات ــ مع ما اولاه من فني الفواصل والتجويد ــ دراسة وتحقيق احمد مسكنة (1978)

8) مسائل ابن رشد (الجد) دراسة وتحقيق محمد الحبيب التجكاني (1978).

9) الفوائد الجميلة، على الآيات الجليلة ــ للحسن الشوشاوي ــ دراسة وتحقيق ادريس العزوزي (1978).

10) الايضاح لما ينبهم عن الورى، في قراءة عالم أم القرى ــ لابي زيد عبد الرحمان بن القاضي ــ دراسة وتحقيق محمد بالوالي (1981).

ومن بين الاطروحات التي نوقشت في موضوع التراث ــ بهذه الدار :

11) عمل اليوم والليلة ــ للامام النسائي ــ دراسة وتحقيق فاروق حمادة (1978).

12) الناسخ والمنسوخ للقاضي ابي بكر العربي ــ دراسة وتحقيق عبد الكبير المدغري العلوي ــ (1978)

13) رسالة القضاء ــ لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ دراسة وتحقيق احمد سحنون (1979).

14)قواعد الامام ابي عبد الله المقري ــ دراسة وتحقيق محمد الدردبي (1980).

وهو تراث نعتز به، وقد رأى النور بعض هذه الرسائل ونرجو ان تلقى التشجيع الكامل من المسؤولين ببلادنا ــ والله الموفق.

ومما يدخل في موضوع احياء التراث، جائزة الحسن الثاني لمعرض المخطوطات والوثائق، وتقوم مديرية الشؤون الثقافية بهذه المعارض كل سنة، وتصور كل مخطوطة، او وثيقة لها اهميتها، وهو عمل جليل، يفتح آفاقا جديدة لاكتشاف تراثنا ولا سيما ما كان منه بيد الافراد والعائلات.

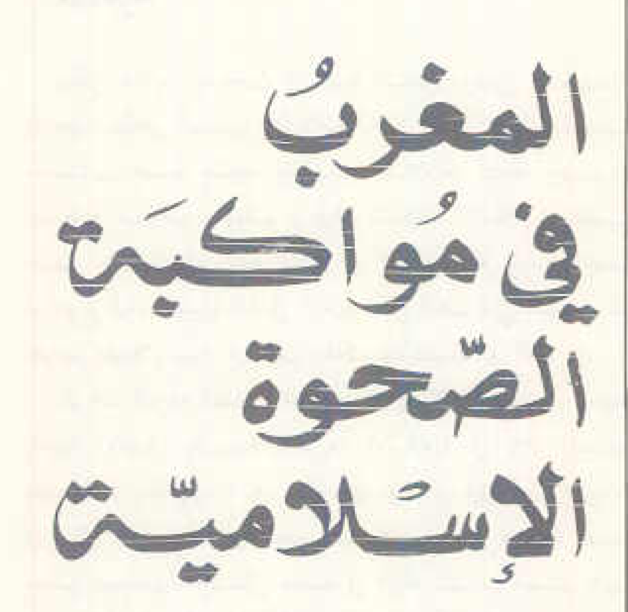
ونعلق الآمال الكبار على اكاديمية المملكة المغربية، التي هي من غرس جلالة الحسن الثاني، وقد بدأت تؤتي اكلها، فاخرجت لنا ــ اخيرا ــ السفر الثامن ــ بقسيمه (1 ــ 2) من موسوعة:

((الذيل والتكملة)) ــ لابن عبد الملك المراكشي، بتقديم وتحقيق د محمد بن شريفة.

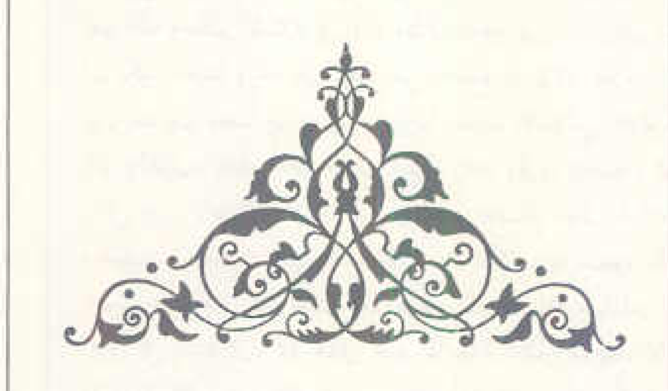
هذا جانب، هناك جوانب اخرى لم اعرض لها في هذه العجالة ــ وليس في وسعي ذلك ــ وهي اعمال الافراد، وربما كانت اضخم من عمل الحكومات، ولكنها ــ جميعا ــ جداول تصب في نهر المعرفة الذي نتوق اليه، (وانا لنرجوا فوق ذلك مظرا).

تطوران : سعيد أعربا

(38) نال به جائزة المغرب للآداب سنة (1980) وطبعته دار المعارف بالرباط سنة (1980).



للدكتور يوسف الكتاني



ان النداءات والصيحات التي ارسلها رواد الاسلام، مثل الافغاني وعبده ، والكواكبي وغيرهم منذ مطلع القرن الهجري الماضي، كانت الناقوس الذي هز كيان الامة الاسلامية وايقظها، وحرك مشاعرها، ووجهها من جديد نحو حياة الحرية والعزة والاعتماد على النفس مؤكدين ان خلاصها رهين بامرين:

التشبث بالاسلام

والالتزام به.

ومنذ ذلك الحين بدأت في العالم الاسلامي صحوة مباركة كانت ايذانا بفجر جديد.

تعريف

اذا ما هي هذه الصحوة ؟ وماهي مراحلها واسبابها ؟ وما هي مظاهرها وآفاقها ؟

الصحوة الاسلامية هي شعور المسلمين بالذنب بتخليهم عن مبادىء دينهم، وبعدهم عن معالمه، وتنكرهم لقيمه، واعترافهم بتاخرهم وتلمس اسبابه، وآية ذلك هو ان هذا الشعور العارم، حل محل الكلمات التي كنا نبكي بها احوالنا، ونجتر بها امجادنا، وهي احساسهم بان صحوتهم ينبغي ان تكون مستمدة من عطاء الاسلام الذاتي، ومنطلقة من طاقاته الخلاقة، ومنبثقة من حقيقته باعتباره دين الحرية والتفكير والاختيار.

والصحوة هي الرغبة الملحة والاصرار العظيم، الذي اخذ يمتلك شباب المسلمين وشعوبهم للعودة اليه كما كان نقيا خالصا، في انفسهم وديارهم، حقا وقوة، ثقافة وحضارة.

وهي رغبتهم في ان ينشئوا بينهم وبين الحضارة والتقدم، صلة ورحما، دون مجافاة للدين، ولا تنكر لمبادئه، والسعي الحثيث لتحرير العقول والنفوس، من الجهل والخوف والخرافة، الى الوحدة والتأسي برسول الله (صلعم).

مراحلها واسبابها

ومن هنا نلاحظ أن هذه الصحوة تمر بمرحلتين :

الاولى : وتتمثل في تجديد عملية الانتماء للاسلام، والالتزام باحكامه، والانضباط بشرائعه.

الثانية : وتتمثل في اعادة بعث النفوس، وتقوية الايمان، وتجديد الثقة بالنفس، واعادة بناء مكونات المسلم.

لقد تعددت اسباب الصحوة التي نذكر منها:

ـ الرغبة في الاتصال والترابط والوحدة بين المسلمين
ـ الشعور بضرورة العودة الى الاسلام باعتباره مناط الخلاص.
ـ فشل النظريات والمذاهب الاجنبية في بلاد المسلمين.

مظاهرها

يمكن للدارس والباحث في حياة المسلمين وتطور مجتمعهم ان يلاحظ مظاهر الصحوة الاسلامية، التي تتمثل في احياء وانشاء مؤسسات علمية وثقافية واقتصادية اسلامية، نتيجة رغبتهم في تصحيح مسارهم ، ووضوح الرؤية السليمة للاسلام في اعينهم، حيث اخذ المسلم اليوم ينظر الى دينه باهتمام ورغبة، ويعمل للرجوع اليه، باعتباره البديل الوحيد لكل النظم التي سيطرت على حياتهم طويلا، سواء في نظم الحكم والاقتصاد او التشريع.

ان هذا التوجه الصادق نحو العدالة الى الاسلام كمنهج للحياة، واعادة الاعتبار والسيادة للشريعة الاسلامية في بلاد المسلمين ومجتمعاتهم ونظمهم، لا في دولة دون دولة، او فريق دون اخر، بل في سائر الدول الاسلامية، ومن جماهيرها، هو خير ضمان للصحة ومبشر بنجاحها، والمتمثل خاصة في التزام الشباب المسلم بدينه، واقباله على الثقافة الاسلامية، والمطالبة بتحكيم الشريعة في امور الحياة وهو ايضا ما دفع بعض القيادات في دول المسلمين، الى الرجوع الى المؤسسات الاسلامية، تحقيقا لشمولية الاسلام كما اكد ذلك القرآن الكريم «قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي الله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين» (1).

واستجابة لتعاليمه باعتباره دينا قيما، يلبي حاجة الناس، ويحقق مصالحهم، ولكون التغيرات التي تطرأ على الحياة تجد حلولها وعلاجها في الاحكام الدينية، والاوامر الشرعية، لاتصافها بالمرونة، لذلك تحاول المجتمعات الاسلامية اليوم، ان تتكيف على حسب اوامر الدين وان تبني نفسها على الحرية والمساواة، والعدل، وتقديس العمل والتفوق، والالتزام بفضائل الدين والحياة والعمل على تكوين المجتمع الاسلامي الايجابي الذي يفكر بطريقة سلمية(2)

ويمكننا ان نلاحظ بعض مظاهر الصحوة الاسلامية التي تمثلت في العودة الى المؤسسات الاسلامية في مختلف انحاء العالم الاسلامي والتي نذكر منها:

تاسيس البنوك الاسلامية

وهي مؤسسة اسلامية في مجال الحياة المالية والاقتصادية تؤكد حق الله وحكم الاسلام في المال وطرق تداوله بين الناس من اجل ان يكون مفيدا وربحه طيبا يعود على المجتمع بما يؤكد علاقة المودة بين بعضهم بعضا ويربط بينهم برباط التعاون الاسلامي القائم على البر والتقوى، وتعتبر هذه البنوك خطوة رائعة وتجربة ناجحة، تبشر بكل خير، باعتبارها اللبنة الاولى لاصلاح اقتصاد العالم الاسلامي، وتخليصه من ويلات الربا والاستغلال. والاحتكار، مما سيعود بالنفع العميم على العالم كله بفضل ما تحققه نظم الاسلام ومبادئه، التي تحرم كل استغلال، مما حقق لهذه المؤسسة انتشارا سريعا، لا في الامة الاسلامية وحدها، بل امتد نشاطها الى جهات كثيرة من انحاء العالم.

احياء نظم الحسبة

وقد كان المغرب كعهده دائما، السباق الى العودة الى نظم الاسلام وخططه ، واحيائها وتجديدها وفي مقدمتها احياء نظام الحسبة، واعادة الاعتبار اليها، واصدار ظهير ملكي ينظم اختصاص المحتسبين وعملهم ونفوذهم، حيث اصبح المحتسب في المغرب احد رجال السلطة في كل عمالة واقليم، باعتبار الحسبة خطة اسلامية عظيمة، تعصم المجتمع من عناصر الانحلال والفساد والزيغ، وتعمل على اقامة الشريعة وتطبيقها في سائر المرافق والنواحي، وانني ادعوا من هذا المنبر الاسلامي الكريم، مختلف دول الاسلام الى تبني هذه الخطة الاسلامية، والعودة اليها لما تحققه للمجتمع من خير ومعروف واستقامة وفضل (3)

المجالس العلمية

وكانت الخطوة الثانية والمظهر الكريم للصحوة الاسلامية في المغرب، احياء دور المجالس العلمية استجابة للرغبة الملحة، والاقبال العظيم، الذي تشهده بيوت الله في جميع انحاء العالم الاسلامي، والمتمثل في اقبال الشباب المسلم ـــ خاصة ـــ على عمارتها، والكرع من ينابيع المعرفة، والتفقه في الدين، بعد ان وضحت رؤيته، وتمزقت امام عينيه حجب الشك والزيغ، وباعتبار المسجد في الاسلام الخلية الاولى في الامة الاسلامية، ومصدر الاشعاع العلمي، والتوجيه الديني والقيادي، كما اسسه الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد صدر بالمغرب ظهير يتعلق باحداث المجلس العلمي الاعلى، والمجالس العلمية الاقليمية، مفتتحا بالاسباب الموجبة لها، والتي

---

(1) الآية 163 ـــ سورة الانعام

(2) انظر حديث الدكتور عمر نصيف الامين العام لرابطة العالم الاسلامي «جريدة الشرق الاوسط» بتاريخ 5 ـــ 5 ـــ 1984

(3) راجع الظهير الملكي المؤسس لنظام الحسبة

نذكر منها :«ان الاسلام اهم مقومات الشخصية الاسلامية، والاساس الذي قامت عليه وحدة الامة، والعامل الذي ضمن لها التماسك والاستقرار، وبانها استمرار للعمل المتواصل في اطار المؤسسات التي تنظم جهود العلماء وعملهم، لارشاد الامة وتعريفها بالاسلام، واقامة البرهان على صلاحيته لكل زمان ومكان، وان فيه غنى عما عداه من المذاهب والعقائد....الخ. (4).

ومن مهام هذه المجالس :

ـ احياء الكراسي العلمية، والقيام بالوعظ والارشاد والتثقيف الشعبي بالمساجد.

ـ توعية الفئات الشعبية بمقومات الامة الروحية والاخلاقية والتاريخية.

ـ الاسهام في الابقاء على وحدة البلاد، في العقيدة والمذهب، في اطار التمسك بكتاب الله وسنة رسوله (5).

وقد اوضح جلالة الملك هذه المهام، في خطابه الذي حدد فيه اهداف ومقاصد المجالس العلمية بقوله : «فعلى مجالسنا العلمية ان لا تبقى منحصرة في نواقض الوضوء وموجبات الغسل، عليها ان تواجه الغزو الخارجي والمادي، وحتى تعرف بالاسلام وخصاله وفضائله »(6)

وتعتبر هذه المجالس العلمية وسيلة ارجاع الحياة الحقيقية الى مساجد المسلمين واحياء دورها في المجتمع، في التوجيه والاصلاح، والقضاء على النظر السلبية الى مؤسساتنا الدينية ، حتى لا يبقى الدين منفصلا عن روح العصر، وعن حياة المسلمين.

المجمع الفقهي

والذي تم تاسيسه بالمملكة العربية السعودية، كاحد مؤسسات المؤتمر الاسلامي، والذي يسعى لتحقيق وحدة الامة الاسلامية، من خلال توحيد تفكيرها ومنهجها وفقهها في الحياة، ووضع حلول موحدة لمشاكل المجتمعات الاسلامية، وما يعرض لها من احداث .

مؤسسات الزكاة

ومن بين مظاهر الصحوة الاسلامية، نلاحظ احداث مؤسسات للزكاة، وقد اخذت تنتشر في ربوع البلاد الاسلامية، قصد تطبيق ركن الاسلام واحياء معالمه ، باعتبار فريضة الزكاة مظهر العدالة الاجتماعية، والسلام الاجتماعي، التي حققت الاستقرار والتكافل عند تطبيقها، ونشرت المودة والرحمة بين المسلمين، وحققت لهم الكفاية، وعصمتهم من الحاجة.

ولا ننسى هنا ان ننوه بالتقنين العصري الجيد ، الذي بادرت اليه دولة الباكستان، باصدارها كتاب الزكاة، والذي تضمن قانونها وادارتها، ومحاسبتها، ومراجعتها، اذ من شأن هذه المحاولة الرائعة ان تسهل على مختلف الدول الاسلامية تطبيق هذا الركن الاسلامي (7)

تطبيق الشريعة الاسلامية

ومن مظاهر الصحوة بل من اعظمها في نظرنا، ان الامة الاسلامية بجميع طبقاتها وفئاتها، اخذت تهفو الى جعل الشريعة الاسلامية إطارا شاملا لحياتها، بعد مللها واكتشافها لزيف النظم الاجنبية، التي عاشت عليها حقبة من الزمن مرغمة عليها، وذلك ما حدى ببعض الدول الاسلامية ان تسارع الى نبذ القوانين الاجنبية والمناهج الدخيلة، والتخلص منها.

ولقد كانت دولتا السودان والباكستان رائدتي الدول الاسلامية، التي سارعت الى تغيير قوانينها الوضعية، واستبدالها بقوانين مستمدة من الشريعة الاسلامية، وبدأت العمل بها وتطبيقها، مما يبشر بالخير، رغم المكائد والمضايقات والامل كبير في ان تعود الدول الاسلامية الى رشدها ، فتعيد النظر في قوانينها القائمة، وتعيد الاعتبار الى شرع الله، بالغاء القوانين الوضعية والتخلص منها دون توجس او خوف.

افاقها

ان ديننا يبشر اتباعه بالخير والفوز ان هم آمنوا وعملوا صالحا وتواصوا بالصبر، لهو الدين الحق كما اكد ذلك تعالى : «ان الدين عند الله الاسلام» (8).

ولا يمكن ان يطول سبات اهله كما بين ذلك الرسول الكريم في قوله : «بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء».

اننا نعتقد جازمين ان المسلمين في هذا العصر، هم هؤلاء الغرباء الذين كتب الله لهم أن يروا عودة اشراق شمس الاسلام من

---

(4) انظر الظهير الملكي المؤسس للمجالس العلمية رقم 270 1080 بتاريخ 3 جمادى الاخرة 1401 دعوة الحق ع 6 س 22 ذو الحجة 1041 ص 10 وما بعدها.

(5) المصدر السابق نفسه

(6) راجع الخطاب الملكي في الموضوع ــ مجلة دعوة الحق ــ العدد 6 السنة 22 بتاريخ ذو الحجة 1041 اكتوبر 1981.

(7)انظر كتاب الزكاة الصادر عن الادارة المركزية للزكاة بوزارة المالية الباكستانية سنة 1402 ــ 1982 ــ ترجمة جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية

(8) الآية 19 ــ سورة آل عمران

جديد، بعد ان عز الامل، وعم الظلام، وتلك آية الصحوة الاسلامية وعلامتها ومنطلقها.

لقد شعر بهذه الحقيقة البعداء عن الاسلام قبل اهله، ولا ينبغي ان نقف عند التمني في مواجهة المشكلة الحقيقية، التي تفرض نفسها على كل فرد منا، ويتوقف على حلها احتضار العالم او بعثه من جديد، فالاسلام هو دين كل العصور وليس دين عصر واحد (9) ان هذا هو ما توصل اليه المفكر رجاء جارودي، بعد ان هداه الله الى الحق، واعلن اسلامه بعد ان استقرأ روح عصره، بعيون متفتحة كما اكد ذلك نفسه.

وان اعظم آفاق الصحوة هو ترشيدها، بتصحيح مسار المسلمين، والرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله، والاخذ بآدابه في المودة بين المسلمين، وفي اعتماد المناهج التي تجمعهم حول فكر واحد، وفي البحث عن المشكلات التي يعاني منها المسلمون، توخيا لايجاد الحلول لها ، وذلك بالعودة الى الاجتهاد الذي يعتبر مظهر حيوية الفكر الاسلامي وباب انفتاحه، ومظهر تطوره، لان الاجتهاد مبدأ حركة التعليم الاسلامي كما قرر الامام احمد بن حنبل، وهو الذي يمثل المستقبل، كما اكد ذلك السيد رشيد رضى، ان السلميين في مسيس الحاجة الى ترشيد صحوتهم اذا هم ارادوا، ان تصل بهم الى النهضة، باعتبار الصحوة ظاهرة لها، ومؤشرة عليها، وذلك بسبب بروز احداث وقضايا لها لم يكن مثيل في الماضي، كما ان ظروف التعايش والعلاقات الدولية اليوم، ومظاهر التقدم التكنولوجي والعلمي، وكل ذلك تطور بشكل اصبح من العسير على اي دولة، ان تعيش منعزلة عن المجتمع الانساني.

كما ان الامة الاسلامية تستطيع ان تؤثر على الحضارة الانسانية وتوجهها، اذا كانت منغلقة عن الحضارات الاخرى التي تراكضت اديولوجياتها مع العصر، وحاولت اضاعة الجثة فينا وليس الانسان (10) ذلك ان الاسلام بنظره ومبادئه ، يستطيع ان يحل مشكلات الشرق والغرب على السواء كما استطاع المسلمون الاولون ان يفعلوا ذلك عندما استطاعوا ان يقرأوا القرآن ويفهموه بشكل رائع، مؤمنين بانه خالد، ويستطيع في كل وقت وحين من التاريخ ان يهدي الناس الى الصراط المستقيم.

ان احتكاك الاسلام المستمر مع فلسفات العصر، يمكن ان يبلور لنا في النهاية، فكرا اسلاميا معاصرا، يربط العلم بالايمان،

(9) من حوار التجديد الذي اجرته جريدة العلم الثقافي مع رجاء جارودي ملحق العلم الثقافي العدد 682 السنة الخامسة عشرة 4 ــ 2 ــ 1984

(10) من حوار التجديد المذكور سابقا مع رجاء جارودي

ويعالج قضايا المجتمع على اختلافها، وعلى المفكرين ان يتجهوا الى الكتاب والسنة، لبناء ما يمكن ان يسمى فلسفة الاسلام، التي تتجه بنظرة شمولية الى الانسان، وعلاقته بالله والكون، فلا نكتفي باتخاذ مواقف بل لابد ان يصبح لنا سلوك اسلامي متميز، يأخذ ويعطي، في حدود معتقداتنا واصالتنا (11) ولذلك نرى ضمانا لنجاح صحوتنا، وتحقيقا لاهدافها، ضرورة التخطيط لنشر الاسلام، والتعريف بحقائقه واصوله، وتحبيبه للمسلمين، وتجريد صورته مما علق بها من الشوائب والتصورات المخالفة له، حتى نستعيد التعقل للمسلم الاصيل، في عصرنا الحاضر.

وان مسؤوليات الجامعات في اعادة الناس الى الاسلام، وتطبيقه في السلوك، وايجاد القدوة الصالحة، ليعد من اكد الواجبات في هذه المرحلة بالذات، ولتحقيق ذلك لابد من وضع البرامج والمناهج المحققة له، بما يجعل الاسلام يتمثل في حياة الامة وضميرها قادة وشعوبا.

واذا ارادت شعوبنا حياة العزة والكرامة، فلتتجه بقوة وعزم واصرار نحو الاسلام، فذلك وحده الاجدى والانفع، لان المستقبل للاسلام وآية ذلك هذا الاقبال المتزايد على دراسة الاسلام، والدخول فيه افواجا من سائر الانحاء والقارات ، حتى اصبح دعاة العلمانية انفسهم يطالبون به، ورأينا عشرات المفكرين وكبار العلماء يجهرون باعلان اسلامهم والدخول فيه باعتباره الملاذ الوحيد لهم وللانسانية مما تعانيه.

وآية ذلك ان يقف عالم كبير مرموق، في مؤتمر علمي يضم الفين وخمسمائة طبيب، ويشهر اسلامه قائلا : آن الاوان لاعلن انتمائي للاسلام، وغيري يحمل ما في نفسي ولكنه مكابر (12) لقد كان هذا العالم هو البروفيسور تاتاجا رئيس قسم الاجنة في جامعة جان ماي في تايلاند.

ان الحكم الاسلامي آت لا ريب فيه، وعما قريب ستشرق شمسه على العالمين فلنقبل على صحوتنا ولنحياها، فذلك قدرنا، ليتحقق لنا وعد الله في قوله : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا...الآية (13)

(11) انظر الاستجواب الذي اجره الاهرام مع الدكتور زكي نجيب محمود حول الفكر الاسلامي بتاريخ 12 ــ 1 ــ 1979

(12) راجع محاضرة الشيخ الزنداني حول الاعجاز العلمي للقرآن والسنة ــ اخبار العالم الاسلامي ع 874 بتاريخ رجب 1404 ابريل 1984.

(13)، الآية 53 من سورة النور.

العرش المغربي

أقدم عرش في الإسلام وأثبته في العالم

للأستاذ محمد ابن تاويت

قضية تبدو غريبة، أو مبالغ فيها، أو مدعاة لأساس لها في حقيقتها، ولكنها غير تلك ولا هذه، بل هي في واقع التاريخ، مسلم بها، ولايمكن أن ينازع في صحتها.

ففي افريقيا الكبرى، لم تعرف أمة منها ملكا، بمعناه المتعارف بين الدول، الا مصر، ومن المغرب، الذي جاءت منه الدولة الفاطمية، وبرجال منه أقوياء أشداء، فاستقروا بها وما زالت آثارهم باقية للعين، في عاصمتها القاهرة، التي أسسوها ..وبعدهم. كما كان قبلهم، لم تعرف مصر الا إمارات، خارجية عنها، لها استقلالها أحيانا قليلة، وتبعيات لغيرها أحيانا كثيرة، الى أن كان العهد الاخير، الذي عاش فيه، لمدة سنوات، الملك فؤاد. ولمثلها ابنه الملك فاروق، ولحظات لاتتعدى الاسابيع للطفل الرضيع الذي لم يفارق احضان المربية، وانتهى الامر بالصورة، التي لم تبتسم لنا وتبتشر، الا وعبست اثرها وابتسرت.

وفيما عدا مصر، فانما هي امارات، مستقلة احيانا، وتابعة احيانا اخرى، واقوى هذه وتلك، امارة الحفصيين، التي أنشأها المغرب نفسه، ولم يكتب لها استقرار، يعتد به، بل كانت في تناحر وتشاجر، داخلها وخارجها...

تلا هذا وذاك التبعيات المطلقة، التي شملت الشمال الافريقي كله، بما فيه مصر وغير مصر، ولم يبق بعد هذا الشمال، الا امارات، منزوية منطوية، هي بالقبائلية أشبه منها بالدول.

هذا في الاسلام، أما خارجه، فقد بادت الفرعونية، وتلتها البطالسية، وجثم على الجميع الاحتلال الروماني، الذي عرفت في اخره، امارات، نعمت بالاستقلال الصوري، وذلك كما في الحبشة، المسيحية، التي صارعت طويلا، في سبيل البقاء، وكافحت لتقف على رجليها، ولكن، سرعان، ماكانت الزعازع تعصف بها، والتماسيح تلتقمها، وكان اخر هذه، الاحتلال الايطالي الموسوليني، الذي ماتخلصت منه، وعاد اليها «امبراطورها هيلاسلاسي» حتى كانت المناورات، والدسائس، التي لفظته نهائيا، وزال حلمه الذي كان يحلم به، من الهيمنة النصرانية، على الامة الافريقية. ومازال حتى الان ظل هذا الحلم، يستظل به القوم، وغيرهم خلفهم أو امامهم على السواء. وهو حلم لم يعد ان يكون حلما لذيذا، تعقبه اليقظة، المرة، بعد ان كان حلوا...

ومهما يكن، فقد انتهى كل شيء، في القارة الافريقية أما في غير القارة الافريقية، فلم تبق الا ممالك حديثة، لم تعمر أقدمها وأعرقها، مائة سنة، فقط، بل دون ذلك، وندعو لها مخلصين بطول العمر، وبالبقاء الهني المستمر، ففي ذلك خير للاسلام عامة، ولها خاصة، فما رأينا خيرا، في غير ذلك، وان طالما نشده الناشدون، وغفل عن ذكر الاسلام الغافلون.

وهكذا نجد ان آسيا قد ودعت ملوكها، ووزعت املاكهم فيما بينها، مسلمين وغير مسلمين منهم..وهاهي الان، حديثة العهد، بالنشأة الاولى أو الوراثية، ولا تتعدى جميعها، من الكف ثلاثة الاصابيع، المختومة، أدام الله حليها.

لم يبق الا اوربا، التي عرفت دول منها ملوكا، محدثي الملك، بعد انسلاخ اخرين، في مقدمتهم فرنسا، وفي اخرهم ايطاليا واليونان.

أما انجلترا، العجوز الشمطاء، في ملكها، فانها، لم تستمر على حال من هذا الملك، بل وجدنا في القرن السابع عشر، يعصف بملكها، الزعيم «اولفار» الثائر فتودع، الى حين، ملكها الذي فر الى فرنسا لاجئا، ولم يعرض عليه نصره وارجاع الملك، اليه، بشرطه، الا ملك المغرب، المولى اسماعيل...

ونحو هذا ماحصل في الجزيرة الايبيرية، فقد ودعت ملوكها البرتغال، بسيستيان، الصريع في موقعة وادي المخازن ولم يعد لها الملك، الا في فصول من المسرحيات الهزلية، وبتدخل من جيرانها الاسبان.

وهؤلاء الاسبان، نفسهم، الذين، قوض ملكهم «نابليون» واقام عليهم اخاه يوسف، الذي اعترف به ملوك، غير ملوك المغرب، الذين امتعضوا لجيرانهم، فلم يرد المولى سليمان ان يعترف لهذا بملكه، ولو كان مقابل هذا الاعتراف عودة مليلية وسبتة وغيرها، الى حظيرة المملكة الشرعية.

ثم ماذا كان؟ كانت عودة الملك الى اسبانيا، التي صارت تجتر في حكمها، او تتنمر لمن نصروها في محنتها، وتكون القاضية على ملكها، اخيرا، الجمهورية، التي طردت الملكة الفونص الثالث عشر، او فر منها بجريعة ذقنه.

ومع هذا وذاك، فقد وجدت في الجيوش المغربية، من عمل على طرد الجمهوريين وحلفائهم، واستماتت في تظفير الثائر الزعيم «فرنكو» فقضى على الجمهوريين، ثم مكن حفيد الملك العاثر، من الملك لقمة سائغة، كما تبدو، او غير سائغة، وهذا لايهم.

أما المغرب الاقصى، فقد عرف الملك، بمعناه المتعارف بين الدول، اواخر القرن الثاني للهجرة، فكانت الدولة الادريسية التي لم تتخل عن الملك، حتى في عهد الانقسامات بينها، وعهد التعرضات، لتيارات من أعدائها وأصدقائها وما نشأة دولة بني حمود أوائل القرن الخامس، الا انتفاضة، من تلك الانتفاضات العديدة، التي لم ترد ان تلفظ نفسها الاخير، حائرة مستسلمة وسرعان ما كان هذا القرن ينتصف، فتقوم ملكية أقوى ماعرف الاسلام، من ملكيات له، الدولة المرابطية، التي استمرت نحو قرن من الزمان،، تسلمت الملك بعدها، دولة الموحدين، التي طال حكمها اكثر من سابقتها، فتسلم دست المملكة الدولة المرينية ثم الوطاسية واثرها كانت دولة الاشراف، التي عرفت بعد بدولة السعديين، والتي ورث الملك منها دولة الاشراف العلويين، فاستمر الحكم مدة اطول – حتى الان – من اية دولة اسلامية، وغير اسلامية، وتنشد في حقها قول الشاعر:

شجو حساده وغيظ عداه

ان يرى مبصر ويسمع واع

ولا عبرة بالقرون الخمسة التي عاشتها الدولة العباسية، فانها بعد اثنين كان فيهاينشد:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما يقول البغا

لقد صم احد الوزراء الشرقيين، حينما سمع من احد سفرائنا، رحمه الله، ان ملكنا، سليل ملوك، ورثوا الملك عن عشرات الملوك، توارثوه ابنا عن اب ، وحفيد عن جد، منذ القرن الحادي عشر، في استمرار الى قرننا هذا الخامس عشر، ولن يزال..

وحتى الاحتلال الاجنبي، لم يكن فيه حلقة مفقودة لهذا الاستمرار، فالقوم واجهوا ملكا قائما، وعملوا مضطرين، ملتزمين بثباته، ودعامة قوائمه، حتى ولو كانوا قد ودعوا الملك في عقر دارهم الى الابد

ذكر لي العلامة، سيدي عبد الحي الكتاني، ان المقيم «اليوطي» اختار المغرب، اقامة له، لانه كان من المتمين للملكية، بفرنسا، ولهذا كان ينعم بالملكية في المغرب، بعد حرمان بلاده منها.

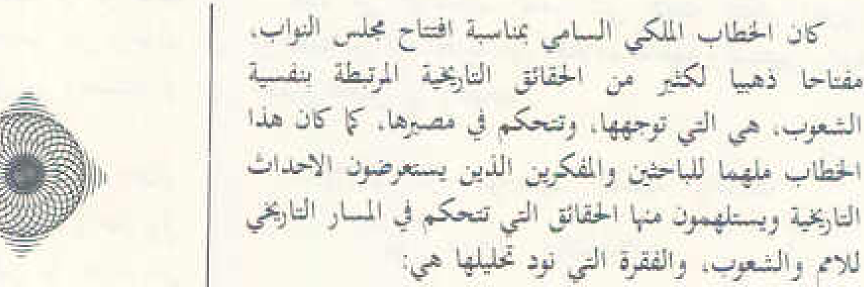
ذكر لي هذا سنة احدى وخمسين، وانا على مائدته بداره من فاس، وزاد انه كان يصارح «اليوطي» المذكور بما كان عليه المقيم في داخليته، فكان هذا يؤمنه على ذلك، ويعترف به.

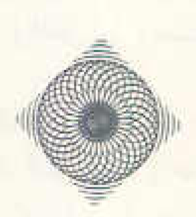
فالنتيجة ان العرش المغربي، اقدم عرش في الاسلام، واثبته في العالم على الاطلاق حتى ولو كانت البداية من قيام دولة المرابطين، لكان الاستمرار يستغرق عشرة قرون بلا انقطاع.

محمد بن تاويت



الوحدات العشر





للأستاذ
عبد الحي العمروي

كان الخطاب الملكي السامي بمناسبة افتتاح مجلس النواب، مفتاحا ذهبيا لكثير من الحقائق التاريخية المرتبطة بنفسية الشعوب، هي التي توجهها، وتتحكم في مصيرها، كما كان هذا الخطاب ملهما للباحثين والمفكرين الذين يستعرضون الاحداث التاريخية ويستلهمون منها الحقائق التي تتحكم في المسار التاريخي للامم والشعوب، والفقرة التي نود تحليلها هي:

«المدرسة الحقيقية للمغرب هي اولا : لا تسامح في المقدسات : الدين الاسلامي ووحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية، امور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية واحدة».

وهي حقا مقدسات اربعة لا تناقش : الاسلام ووحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية، وكانت مقدسات لانها كانت وما تزال سببا في المحافظة على ذاتية المغرب واستقلاله، طيلة ثلاث وثلاثين ومائتي سنة، منذ ولاية الادارسة سنة 172 الى 1405 باستثناء اربع واربعين سنة، هي مدة الحماية المفروضة، وتلك ظاهرة فريدة تميز بها المغرب، تحتاج الى تحليل، وتعليل، وتفسير، فبم نفسرها ؟ وكيف نعللها ؟ انها ذاتية منبعثة من روابط فكرية اصيلة، كانت سببا في الروابط العضوية، بين الفئات المغربية، على اختلاف سحناتها، وبقاعها، ولغة تخاطبها.

وكثير من الناس يفسرون الوحدة الثانية الواردة في الخطاب الملكي بوحدة المذهب المالكي، وفي اعتقادي انه تفسير ضيق، فالاولى ان تكون هذه الوحدة شاملة لكل وحدة مذهبية، انتظمت المغاربة، واجمعوا على اعتبارها، وتطبيقها في حياتهم،

ويتبين ذلك في التعرف على المعنى اللغوي لكلمة مذهب، فما هو معناها اللغوي ؟ وماذا يراد بهذه الصيغة التي تاتي على وزن مفعل ؟.

تحليل لغوي

واذا عدنا بصيغة مذهب — الى قواعد الصياغة والاشتقاق، واستشرنا كتب القواعد واللغة، متسائلين عن معناها الحقيقي، وعن معناها المجازي، مستفسرين عن دلالة مثل هذه الصيغة التي تأتي على وزن مفعل، اجابنا الراغب في مفرداته بقوله : الذهاب المضي، ويستعمل في الاعيان والمعاني، فمن الاول قوله تعالى : «إني ذاهب الى ربي»، ومن الثاني قوله تعالى : «فلما ذهب عن ابراهيم الروع»، وقوله تعالى، «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» ه. ثم ان صيغة مفعل مترددة بين اسم الزمان، واسم المكان، والحدث، الذي هو المصدر، ونرجح

انها هنا اسم مكان، فمذهب في الاصل مفعل من الذهاب، صالح له، ولمكانه، ولزمانه، نقل في العرف وجعل اسما للمسائل التي يقولها المجتهد، والتي يستخرجها اتباعه من قواعده ووجه المناسبة بين المنقول عنه والمنقول اليه، ان تلك المسائل تشبه الطريق.

ولذا يعبر به عنها، فيقال طريق مالك وطريقته، كما يقال مذهبه، والطريق محل الذهاب، فعلى هذا يكون منقولا من اسم المكان.

فدلالة المذهب على الطريقة هي دلالة مجازية، وليست حقيقية، وهذه الدلالة المجازية هي التي يراها الزمخشري في اساس البلاغة إذ يقول : ومن المجاز والكناية فلان يذهب الى قول ابي حنيفة أي يأخذ به.

ماهي الوحدات العشر ؟

فإذا انتهينا الى ان المذهب هو الطريقة والمعتقد، واننا نريد بمذهب مالك طريقته وطريقة اتباعه، الذين اصلوا القواعد، وفرعوا الجزئيات، فلماذا لا نعمم كلمة مذهب، في كل طريقة جمعت المغاربة ؟ لا نجعلها شاملة لكل الوحدات التي وحدت رأي المغاربة، واجمعوا على اعتبارها، والعمل بها وتطبيقها في حياتهم، كما قلنا سابقا.

فما هي إذن تلك الوحدات المذهبية التي جمعت الفكر المغربي، وجعلت المغاربة كانهم يعيشون تحت سقف واحد، وفي أسرة واحدة ؟ ماهي تلك الوحدات التي تميز بها المغاربة عن غيرهم، وخلقت لهم ذاتية خاصة في التفكير، والتطبيق، والعمل والانتاج ؟.

إن الذي يستعرض الجوانب الفكرية التي كان المغاربة يعنون بها، ويؤلفون الكتب فيها، ويدرسها العلماء للطلبة، والعامة، في المساجد، والمدارس، والزوايا، والربط، يجدها متسقة منتظمة ضمن عشر وحدات، هي الآتية:

1) وحدة المذهب الفقهي، في عباداته ومعاملاته وهو مذهب الامام مالك.

2) وحدة المذهب العقدي، وهي عقيدة أهل السنة، وطريقة ابي الحسن الاشعري.

3) وحدة المذهب الصوفي، الذي يعني بتصفية الباطن وتطهيره من الشوائب وهي طريقة الجنيد، مرورا بأبي الحسن الشاذلي المتوفى سنة 656 هـ.

4) وحدة المذهب في تلاوة القرآن، وهي قراءة نافع من رواية ابي سعيد عثمان، الملقب بورش المتوفى سنة 110 هـ.

5) وحدة المذهب في تنظيم الوقوف على آي القرآن، وهي الوقوف التي رتبها ابو عبد الله الهبطي المتوفى سنة ثلاثية وتسعمائة بفاس وبها دفن.

6) وحدة المذهب في رواية صحيح البخاري، وهي رواية ابن سعادة، وهي رواية لم تكن موجودة بالمشرق، ولم يعثر عليها ابن حجر شارح البخاري.

7) وحدة المذهب في المدرسة النحوية، وهي المدرسة الكوفية.

8) وحدة المذهب في حكم القضاة وافتاء المفتين، وهي المجموعة في نظم العمل الفاسي.

9) وحدة المذهب في مسطرة التوثيق، وهي مجموعة من الوثائق التي الفها كثير من الموثقين.

10) وحدة المذهب العددي، وهو ما اصطلح على تسميته بالقلم الفاسي، وقد نظمه الشيخ عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091 هـ.

هذه هي الوحدات العشر التي جمعت الفكر المغربي، ووحدت بين اراء المغاربة على اختلاف بقاعهم والسنتهم، والتزم الجميع بالعمل بها وتطبيقها.

الارتباط بين الوحدات الفكرية والمحافظة على الذاتية والاستقلالية

واذا كنا نريد ان نحلل كل وحدة من هذه الوحدات العشر، متبعين اطوارها وتطورها، عارضين خصائصها، مناقشين من يوجه الانتقاد الى بعضها، مستعرضين كتبها، مترجمين لبعض العلماء، الذين تزعموا مدارسها، واثروا في اتجاهها فلا بد لنا قبل ذلك ان نشير الى حقيقة واضحة كما سبق، هي ان هذه ميزة لم تتوفر في اي بلد عربي او اسلامي وهي ميزة حقا، لان هذا الرباط المذهبي جعل المغاربة يحافظون على ذاتيتهم واستقلالهم، واذا قررنا وقلنا ان المغاربة يستظلون بالوحدات العشر، لا يبغون عنها بديلا، فليس معنى ذلك اننا منغلقون على انفسنا، منطوون على ذاتيتنا، نفر من الجديد، ونحتمي من الغريب، اللهم اذا كان الانغلاق والانطواء تجاه الاستلاب لتقاليدنا ومقدساتنا ومحو ذاتيتنا، وتحويلنا عن الوجهة التي اخترناها لصياغة ذاتنا، فنحن منغلقون منطوون.

اما المعاملات السياسية والاقتصادية والعلمية مع العالم، فقد كنا وما نزال منفتحين، فاعلين منفعلين، مؤثرين متأثرين.

ونعود الى الوحدات التي نظمتنا، لنقرر انه كلما زدنا وحدة فكرية وارتبطنا بها، اضفت حبلا جديدا يربطنا، ويؤلف بيننا، فالوحدات الفكرية بين الامة ضمان من التمزق العضوي بينها.

ذلك اننا نقدر ان وحدة مذهبية واحدة بمنزلة الحبل الوارد، الذي يربط بيننا، فاذا جمعنا عشر وحدات كنا بمنزلة من يرتبط بعشرة حبال.

فلعل هذه الوحدات العشر التي نرتبط بها، ونتعامل في ظلالها، هي التي جعلتنا كالاسرة الواحدة في هذا العالم الكبير.

الوحدة الاولى، وحدة المذهب المالكي

واولى الوحدات واولاها بالتقديم والدراسة هي الوحدة المذهبية في الفقه، التي جمعتنا على فقه امام دار الهجرة مالك بن انس.

نبذة موجزة عن حياة صاحب الوحدة الاولى

هو مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر وجد ابيه ابو عامر، كان من اصحاب الرسول وشهد معه المغازي كلها الا بدارا، وجد مالك كان من التابعين، وهو احد الاربعة الذين حملوا عثمان بن عفان، لما قتل ليلا الى قبره، وتولوا غسله ودفنه، وكان من كتاب المصحف العثماني، وكان عمر بن عبد العزيز — كما ذكر مالك في الموطا — يستشيره في امور الدولة، اما أنس ابوه فهو من التابعين، واسم أمه العالية بنت شريك، وله اولاد ثلاثة، يحيى ومحمد وفاطمة، ولد مالك عام ثلاثة وتسعين، وتوفى عام تسعة وسبعين ومائة.

وكان طويلا جسيما عظيم الهامة، شديد البياض الى الصفرة، اعين، اصلع، أشم، عظيم اللحية، يتأنق في لباسه ومأكله، ويهتم بالطيب، لم يملك في حياته منزلا، وانما كان يسكن بالكراء، في منزل عبد الله بن مسعود، ويكتب على بابه، ما شاء الله، وكان يختار مجلسه للتعليم في موضع الفراش الذي كان الرسول يفترشه في مسجد المدينة اذا اعتكف ويقول : ما جلست هذا المجلس، حتى شهد سبعون شيخا من اهل العلم انى موضع لذلك، وقد كاد الاجماع يقع على انه هو المقصود بالحديث المشهور الذي رواه رواه الترمذي: «يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل يطلبون العلم، فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة».

وقد امتحن مالك بالضرب حتى انخلعت كتفاه، ولم يكن يستطيع رفع يديه، ولا اصلاح ردائه، وسبب امتحانه فيما يروي — موالاته للعلويين في شخص محمد بن عبد الله الكامل، الذي ثار على المنصور، او رفضه كتمان حديث : ليس على طلاق، ولم يكن هذا الحديث في صالح الحكم العباسي.

الادلة التي بنيت عليها الوحدة الاولى

لقد بني الامام مالك واصحابه المذهب على سبعة عشر دليلا وهي :

1) نص القرآن (2) ظاهرة القرآن (3) مفهوم المخالفة (4) مفهوم الاولى (5) التنبيه على العلة (6) نص السنة (7) ظاهر السنة (8) مفهوم المخالفة في السنة (9) مفهوم الاولى في السنة (10) التنبيه على العلة في السنة (11) الاجماع.

(12) القياس (13) عمل اهل المدينة (14) قول الصحابي (15) الاستحسان (16) الحكم بسد الذرائع (17) الاستصحاب. ويزيد بعضهم اصلا آخر هو : مراعاة الخلاف.

أسباب انتشار الوحدة الاولى في المغرب

لقد كتب الباحثون كثيرا من الاراء والبحوث، يعللون بها سبب انتشار المذهب المالكي في المغرب، وسوف نلخص هذه البحوث منسوبة الى اصحابها، لنعود الى مناقشتها.

— رأي ابن خلدون : يرى ابن خلدون في الفصل السابع من الباب السادس ان اختصاص المغرب بالمذهب المالكي راجع لأمرين :

1) ان منتهى رحلات المغاربة كانت تتجه الى الحجاز، والمدينة يومئذ دار علم، ولم يكن العراق في طريقهم، فاخذوا العلم عن الفقهاء المالكية إذ المدينة هي معهد الفقه المالكي. (2) أن البداوة كانت غالبة على اهل المغرب ولم يكونوا يعانون حضارة العراق، فكان المغاربة الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة. (1)

رأي الاستاذ السائح(2)

---

1) مقدمة ابن خلدون، مطبعة مصطفى الحلبي صفحة 449.

2) دعوة الحق العددان السادس والسابع السنة 14.

وناقش هذا الرأي الاستاذ السائح قائلا : ان ابن خلدون تستهويه ضرورة التعليلات ويهيم بقضية البداوة والحضارة، وهي منهجية خلدونية اراد ان يطبقها على انتشار المذهب المالكي في المغرب، فضل الصواب، ثم يرى الكاتب إن مرد هذا الانتشار يرجع الى ستة اسباب :

1)وجود كتلة مسيحية متراصة مجاورة للمغرب في الاندلس، جعلت المغاربة يتأثرون بعامل الضغط النفسي ــ ويكونون وحدة فكرية تحت ظل المذهب المالكي. 2) مرونة المذهب المالكي اتجاه المذاهب الاخرى، وتسامحه معها، واشتماله على كثير من اصولها. 3) دواعي سياسية لان الولاة والدول المتعاقبة على الحكم بالمغرب كانت في معظمها مالكية المذهب. 4) مقاومة المغرب لنظريات الشيعة والخوارج. فقد بدت الشيعة قوية في المغرب كما ظهرت الفكرة الخارجية، لذا تمسك المغاربة بالمذهب المالكي وجعلوه درعا واقيا من تسرب الشيعة، التي قاطعها المالكية حتى تركت المغرب الى مصر، 5) شخصية مالك، والتزامه، واخلاصه، ومرونته في الفهم والاستنتاج، جعل النبغاء من طلاب العلم في المغرب ياخذون مذهبه، وينشرونه. وعلى رأسهم ابو ميمونة دارس ابن اسماعيل الجراري المتوفى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة هـ.

لان هذا الرجل هو الذي ادخل المذهب المالكي الى المغرب وكان المغاربة قبله على مذهب ابي حنيفة. 6) المذهب المالكي يعتمد الاصول العامة المتفق عليها وهي القرآن والسنة والاجماع والقياس ويتجاوزها الى مرونة في تطوير الفكر الفقهي باعتماده على المصالح المرسلة وسد الذرائع، والعرف، وعمل اهل المدينة.

رأي الاستاذ الجيدي (3).

لقد استعرض الاستاذ الجيدي الاسباب التي ذكرها الباحثون، وذكر منها سبعة 1) شخصية مالك 2) ملاءمة مذهبه لطبيعة المغاربة 3) مناهضة فقهاء المالكية لفقهاء، الاحناف، اذ كان المالكية ياخذون على الاحناف تواطؤهم مع الامراء الاغالبة، الذين ناصروا المذهب الحنفي، وقربوا فقهاءه، واسندوا اليهم الرئاسة والقضاء، فنكلوا بالمالكية، وقد تساهل الفقهاء الاحناف في اصدار بعض الاراء التي يخالفها المالكية، مسايرة لحياة الترف، كتحليل النبيذ، وكذا القول بخلق القرآن الذي مال اليه الأغالبة.

وخلق القرآن مسالة امتحن بسببها امام كبير من المالكية، وهو الامام سحنون، فقد امتحن فيها امتحان الامام ابن حنبل في المشرق، اذ طلب الفقهاء الاحناف قتله وتقطيعه ارباعا، يجعل كل ربع بموضع في المدينة، واستقر الامر ان يقتل معنويا بايقافه عن الاتصال بالناس، ومنعه من مجالس العلم والافتاء والزامه ان يمكث بداره، وهذا موقف جعل الناس يتفرون من المذهب الحنفي، ويميلون الى المذهب المالكي.

هذا عن الاحناف، اما بالنسبة الى الشافعية، فقد نقل عن المقدسي قوله ان سائر بلاد المغرب لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله، انما هو ابو حنيفة ومالك، وكنت اذاكر بعضهم في مسالة، فذكرت قول الشافعي، فقال : اسكت، من هو الشافعي ؟ انما كان بحران. ابو حنيفة لاهل المشرق، ومالك لاهل المغرب افنتركهما وتشتغل بالساقية ؟ اما عن ابن حنبل، فلانه اخذ بالخبر الضعيف، وفضله على القياس، حتى ان كثيرا من الفقهاء لم يعدوا احمد بن حنبل من الفقهاء وانما صنفوه في طبقة المحدثين. 4) ومنهم من يرد اسباب انتشار المذهب المالكي الى بعض الملوك الذين حملوا الناس بالقوة على مذهب معين ومن هؤلاء ابن حزم الذي يرى ان المذهبين المالكي والحنفي انتشرا بقوة السيف. 5) تشابه البيئة بين المغرب والحجاز 6) رحلة المغاربة للحجاز 7) مناهضة المذهب المالكي لمذهب الخوارج الذي تسرب الى المغرب منذ اوائل القرن الثاني الهجري.

على يد بعض خوارج العراق، وفي الاخير يستبعد الاستاذ الجيدي معظم هذه الاسباب ويقول : والذي نميل اليه، هو ان المذهب المالكي قدر له ان ينتشر في هذه الربوع، ويقاوم الزمان، كما انتشرت بقية المذاهب الاخرى في غيره، دون ان يرجع ذلك الى اي سبب من الاسباب، اللهم الا ما كان من حمل الملوك الرعايا على الالتزام به والهجرة المتتابعة بين المغرب والحجاز.

رأي المرحوم التهامي الوزاني (4).

ويرى المرحوم التهامي الوزاني رأيا جديدا في اسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب لم يصرح به، ولكنه يلوح اليه تلويحا يكاد يكون تصريحا، في المقال المطول الذي اختار له عنوان : الجيش المغربي عبر الاجيال، ذلك انه يرى ان عبد الله

---

3) مجلة دعوة الحق العدد 223 العدد الخاص بالعيد الفضي للمجلة.

4) دعوة الحق العدد 2 السنة 15.

الكامل جد الادارسة من المدينة المنورة، وانه كان صديقا لمالك بن أنس، فأخذ عنه الفكر المعتدل، ثم حمل هذا الفكر الى المغرب احفاده الادارسة من بعده، ثم يقول : غير ان الادارسة لم يكن لهم من الوقت ما ينتقلون فيه من مرحلة الوحدة الدينية الى تمام الوحدة المذهبية. ان المرحوم الوزاني كاد يقول ان الشرفاء الادارسة بحكم صلتهم بمالك حملوا اصول مذهبه الى المغرب وان لم يفرضوه على الناس.

رأي الاستاذ الخطابي (5)

اما الاستاذ احمد بوطاهر الخطابي، الذي حقق كتاب : ايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك لابي العباس الونشريسي، فهو يرى انه ليس من اليسير تقصي الاسباب التي حفزت المغاربة الى التشبث بمذهب مالك، مكتفيا بالاسباب الآتية، ومن الملاحظ ان جلها مكرر مع الاسباب السابقة 1) فأول الاسباب عنده نشوء المذهب بالديار المقدسة 2) ورود الاثر في صاحب المذهب 3) اشاذة مختلف الامة به 4) تشابه البيئتين المغربية والحجازية 5) طبيعة المذهب وخصائه 6) كونه يعتبر المثل الاصيل لفقه الفقهاء السبعة 7) توسطه بين الافراط والتفريط 8) خصوبة مصادره وتفنن اصحابه في وضع القواعد 9) جمع الكلمة على رأي واحد والاستفادة مما وقع فيه غيرهم من البلدان الاسلامية، فمزقتهم شر ممزق.

رأي القاضي عياض (6)

ونحل القاضي عياض منحى آخر في الموضوع، فهو صراحة اسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب، ولكنه عدد — اولا — الائمة الذين قلدهم الناس واتبع — ثانيا — ذلك بذكر الآفاق التي انتشرت فيها هذه المذاهب، وعدد — ثالثا — الاشياء التي يترجح بها المذهب المالكي — وقارن — رابعا — بين المذاهب الخمسة التي صارت اليها في عهده، وهي المالكية، والحنفية، والشافعية، والحنبلية، والداودية التي يقال لها ظاهرية.

ويقول عن الموضع الاول : فكان المقلدون المقتدي بمذهبهم هم مالك بن أنس بالمدينة، وأبو حنيفة والثورى بالكوفة، والحسن البصري والاوزاعي بالشام والشافعي بمصر، واحمد بن حنبل ببغداد، وكذا ابو ثور وابو جعفر الطبري وداوود الاصبهاني.

وفي موضوع المقارنة بين الائمة يقول : وأما أبو حنيفة والشافعي فيسلم لهما حسن الاعتبار، وتدقيق النظر والقياس، وجودة الفقه، لكن ليس لهما امامة في الحديث، ولا معرفة به، ولا استقلال بعلمه ولا يدعيانه ولا يدعى لهما، وقد ضعفهما فيه اهل هذه الصنعة، واهل الصحيح لم يخرجا عنهما منه حرفا، ولا هما في اكثر المصنفات ذكر، فقد كان الشافعي يقول لابن مهدي وابن حنبل : انتما اعلم بالحديث مني، فما صح عندكما منه، تعرفاني به لاخذ به، وهذه درجة تقصر عن درجة الاجتهاد العلية.

رأي الونشريسي (7)

ويرى الامام الونشريسي ان المذهب المالكي انتشر 1) بقوة السلطان 2) بخلوه من اصحاب المذاهب الضالة كالجهمية والرافضة والمرجئة والشيعة ويقول بالحرف : فأخذ هشام بن عبد الرحمن جميع الناس بالزامهم مذهب مالك وصير القضاء والفتيا عليه، وذلك في عشر السبعين ومائة من الهجرة، في حياة مالك وقريب من موته، وشيخ المفتين يومئذ صعصعة بن سلام امام الاوزاعية وراويهم، فالتزم الناس بهذا المذهب من يومئذ وحموا بالسيف عن غيره، وما تدين بغيره احد من الناس. الا من يوبه له، وفي آخر كتاب الحكم الى الفقيه ابي ابراهيم : وكل من زاغ عن مذهب مالك فانه ممن رين على قلبه، وزين له سوء عمله، فانا لم نره مذهبا من المذاهب اسلم منه، فان فيهم الجهمية والرافضة، والخوارج، والمرجئة، والشيعة، الا مذهب مالك فانا ما سمعنا ان احدا ممن تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة ان شاء الله.

تلك هي جملة من مناقشة هذه الآراء آراء الباحثين، القدامى والمعاصرين، الذين يحاولون ان يعللوا اسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب، تعمدنا ان نستوفي تلخيصها بامانة، وان تكرر معظمها، ولم نرد ان ندخل في الاعتبار الاسباب الراجعة

5) إيضاح المسالك ص هـ.
6) المدارك جـ 1 ص 64 وما بعدها.
7) المعيار جـ 6 ص 357.

الى المنامات والاحلام، وهي كثيرة جدا، كان العلماء الاقدمون يستأنسون بها، ويضيفونها الى الاسباب المتقدمة، كما غضضنا النظر عن كثير من الاراء التي وردت في بعض المحاضرات، التي القيت في الندوة التي نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بتاريخ 25 – 26 – 27 – 28 – ابريل 1980 في موضوع ندوة الامام مالك ثم طبعت في ثلاثة اجزاء، لانها اسباب لم تأت بجديد نضيفه الى الاسباب السالفة.

ونحن نريد ان نناقش معظم هذه الاسباب او كلها مناقشة نستهدف منها الحق ونتوخى الانصاف.

السبب الاول : ملاءمة طبيعة المغرب والاندلس للحجاز، ونحن نتساءل متى كانت هذه الملاءمة ؟ وهل تشبه الطبيعة الاندلسية والمغربية طبيعة الحجاز ؟ وذلك غير صحيح، فنحن نعلم بالبداهة ان بيئتها مختلفة، وطبيعتها متباينة، وهو امر معلوم من علم الاجتماع، معلوم بالمشاهدة، فكيف يزعم ذلك ابن خلدون ثم يتبعه الباحثون ؟

السبب الثاني : ذهاب المغاربة الى الحجاز وهو أمر مردود، فان المدينة قبلة لجميع المسلمين، وملتقى لهم من جميع انحاء العالم، ولا يؤمها المغاربة وحدهم حتى يصح ان نقول : إن المغاربة اخذوا بالمذهب المالكي لهذا الاعتبار.

السبب الثالث : قضية المرونة، وهي قضية يلوحون بها ، ويذكرون انها من اسباب انتشار المذهب المالكي، والحقيقة ان قضية المرونة تكون من جزئيات المذهب الحنبلي احيانا، واحيانا تكون المرونة واضحة في الفروع الحنفية، احيانا يكون المالكية اكثر مرونة من غيرهم، فالمرونة – إذن – ليست صفة ثابتة في مذهب معين، بل هي متنقلة، مترددة، بين المذاهب الخمسة.

ولولا الاطناب لمثلنا لمرونة كل مذهب بمثال او مثالين، هذا إذا اردنا بالمرونة اليسر والسهولة، فإذا اريد بها معنى آخر احتيج الى تفسيره لمناقشته.

السبب الرابع : قضية حمل الحكام على المذهب المالكي، وهو سبب ايضا غير صحيح، لان حمل الحكام بالقوة على مذهب معين انما ينشره لفترة معينة، لا تستمر وكثيرا ما قاوم بعض الموحدين المذهب المالكي نفسه، فكانت النتيجة زيادة انتشاره، والامثلة كثيرة من التاريخ المغربي القديم والمعاصر.

السبب الخامس : تعاطف مالك مع الادارسة، الذين اسسوا ملكا في المغرب، بمعنى ان الادارسة هم الذين اتوا بالمذهب المالكي، وهم الذين نشروه، وهذا مناقض لما يذكرونه، من ان المالكية قاوموا الشيعة وطردوهم من المغرب، الم يكن – إذن – بين الشيعة – والادارسة منهم – وبين المالكية عداوة ومدافعة ومزاحمة ؟ اننا نستبعد ان يكون الادارسة من المدرسة المالكية، ونستبعد ان يكون هناك اتصال بين المالكية والشيعة.

الاسباب الاخرى : شخصية مالك، توسط مذهبه واعتداله، طبيعة المذهب، وخصائصه، خصوبة مصدره، اشادة الامة به، جمع الكلمة على رأي واحد، وكلها اسباب غير معقولة، ولا ثابتة، ولو كانت معقولة لكانت سببا في انتشار المذهب المالكي، في جميع الاصقاع لا في خصوص المغرب، لاننا نفترض انها خصائص ينفرد بها المذهب المالكي وتختلف في غيره، بالاضافة الى ان اصحاب المذاهب الاخرى يصفون مذاهبهم بمثل هذه الصفات وربما بأكثر منها :

ثم انه اذا كانت هذه الخصائص موجودة في المذهب المالكي وحده، وكانت من اسباب انتشاره، فلم خرج من خرسان بعد ما انتشر فيها، وغلب عليه فيها المذهب الحنفي ؟ ولم كان المذهب المالكي بمصر ثم اخرج منها وغلب عليه مذهب الشافعي ولم خرج من العراق وخلفه المذهب الشافعي ؟ لكل ذلك، ولغيره من الاسباب التي طويناها، فان الباحث لا يكاد يطمئن للاسباب التي اوردها الباحثون، بما فيهم ابن خلدون والذين قلدوه او انتقدوه.

أمهات كتب المالكية

ومن المفيد ان نذكر – ونحن نتحدث عن الوحدة الاولى – ان المطابع الحجرية، انجزت طبع ورقتين غفلا من التاريخ، والكاتب، واسم المطبعة، عددت فيها جملة من مشاهير كتب

المالكية حيث سجل الكاتب في الورقتين اكثر من عشرين ومائة كتاب، منسوبة لمؤلفيها، ونكتفي بذكر نموذج من الورقتين ابتداء من المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وبعد فالمقصود ذكر جملة من مشاهير كتب المالكية رحمهم الله تعالى ورضي عنهم ونفعنا بهم آمين.

المدونة، وتسمى الام والمختلطة للامام ابي سعيد سحنون التنوخي القيرواني، التهذيب لابي سعيد خلف بن ابي القاسم الازدي البرادعي تلميذ ابن ابي زيد القيرواني، العتبية المستخرجة من الاسمعة المسموعة من الامام مالك واصحابه التي شرحها ابن رشد بالتحصيل والبيان، وهي لابي عبد الله محمد بن احمد العتبي وهو اندلسي قرطبي، الموازية لابي عبد الله محمد بن المواز الواضحة، ومختصها لابن حبيب، الاسدية لاسد بن الفرات، النوادر لابن ابي زيد القيرواني صاحب الرسالة، السليمانية لسليمان بن سالم يعرف بابن الكحالة من اصحاب سحنون، المجموعة لابن عبدوس، المختصر لابن عبد الحكم المبسوط ليحي بن يحيى.

وهكذا تمضي الورقتان حتى يصل عدد الكتب الامهات الى اكثر من عشرين ومائة كتاب، واهمية هذين الورقتين تاتي من الاوجه الآتية : 1)معرفة اسماء تلك الكتب 2) معرفة مؤلفيها 3) البحث عنها من اجل تحقيقها وطبعها، احياء للفقه المالكي وتعريفا بمصادره الاولى.

المطابع الحجرية الست والوحدة الاولى

وقد اسهمت المطابع الحجرية الست، التي توزعتها احياء مدينة فاس، في طبع كتب الوحدة الاولى، تبعا لمساهمة العلماء المؤلفين في التأليف، ففي الدروب المظلمة من مدينة فاس تحركت ست مطابع حجرية، وكانت اولى تلك المطابع بحي جزام برقوقة، وثانيتها بدرب حسان بالبلدية، وثالثتها بدرب الحمام بالجوطية، ورابعتها قرب سيدي احمد الشاوي، وخامستها بحي البستيونية، وسادستها في مكان لم اهتد اليه بعد، فمن تلك الدروب المظلمة في الازقة اللازقة جدرانها، المتآكلة لبناتها، اسهمت المطابع في حمل الكلمة المشرقة، مغنية الفكر والمعرفة، غير مبالية بالاحداث السياسية والاقتصادية التي كانت ترهق بلدنا قبل فرض الحماية ومع فرض الحماية فرضها، فلم تشغلها هذه الاحداث عن عملها الثقافي، وانجزت مائات الكتب في الوحدات العشر السالفة، وتناقلت هذه الكتب المراكز العلمية المبثوثة في الحواضر والبوادي، المنتشرة في السهول والجبال، فاتسق العمل ــ ضمن الوحدات ــ بين المراكز العلمية.

ومن الكتب التي انجزتها المطابع الحجرية في موضوع الوحدة الاولى.

1) حاشية الشيخ الرهوني في ثمانية اجزاء طبع سنة 1293 وهذه الطبقة سبقت المطابع السلكية بمصر.

2) شرح محمد بن قاسم جسوس على الرسالة طبع في ثلاثة اجزاء سنة 1312

3) حاشية المهدي الوزاني على شرح التاودي لابن عاصم في ثلاثة اجزاء

4) حاشية التسولي علي التاودي لمنظومة الزقاق طبع سنة 1314

هذا مثال من ماآت الكتب التي انجزتها المطابع الحجرية، في موضوع الوحدة الاولى، اقتصرنا عليها بقصد التمثيل فقط.

وبقي علينا ان نحلل الوحدات التسع الباقية في مقالات تالية ان شاء الله.

التوقيع : عبد الحي العمروي



مكانة العرش و سمعة المغرب

للأستاذ علي العلوي

ان الكاتب كثيرا ما يتعرض لبلبلة فكرية في طريق معالجة موضوعه، ويتارجح بين الحد والجزر لاكتشاف الفكرة ومعالجتها، ويطلق عنان فكره ليتجول في الموضوع واكامه كي يجمع حصيلة من المعطيات تساعده على اقامة صلب الموضوع الا ان الكاتب في موضوع العرش المغربي، وقادته الامجاد، ورواده الافذاذ وخوالد الاعمال التي اقاموها، وروائع المؤسسات التي شيدوها، وغيرتهم على السيادة الوطنية وتضحياتهم المثلى في المحافظة على الشخصية المغربية، ومظاهر الحضارة العربية الاسلامية، هذه الموضوعات واضرابها تنهال على فكر الكاتب، وتتراكم عليه من كل جانب، فلا يدري ما الاحظى منها بالتقديم او الاحرى منها بالتأخير، لان جميعها جدير بالاهمية وموسوم بالعناية.

وذلك ما خامرني بالفعل امام كتابة موضوع تاريخ الجلوس على العرش المجيد فتوالت الموضوعات امام الذاكرة كما تتشخص احداث شريط امام العين فاخذت جميعها بمجامعي وكأني في حديقة غناء، وكانها زهرات ذات منظر بهي، ونفح مؤرج عطري، او كاني امام سماء صافية الاديم وكانها نجوم لامعة ينعكس نورها الفضي فيأخذ بالمشاعر، فوقفت برهة حيث الفكر مشدود الى مشاهدها، فتناولت زهرة من بين تلك الزهرات قرأت من خلال منظورها البهي، ورائحتها الشدية سمعة المغرب الدولية ومكانة العرش العالمية فسرح الفكر في هذا الموضوع يتقصاه منذ أن خفقت الراية الاسلامية على هذه الارض الطيبة،

وارتفعت كلمة التوحيد في سائر ارجائه حيث حفلت هذه الارض بمشاركة مستمرة في الاحداث، وعاشت مع الاقطار المجاورة والبعيدة تساهم بفعالية وتصنع التاريخ السياسي بقيادة ملوكه الجالسين على العرش، المبايعين بالامارة من طرف الرعية، والموضوعة في ايديهم مقاليد القيادة وحماية الحرية والسيادة، وان العالم المعاصر باجمعه يعلم مساهمة المغرب وآثاره التي لا يمحيها التاريخ داخل حدوده وخارجها ويعلم دوله التي شادت حضارات عبر العهود المختلفة، والعصور المتباينة، واوربا بصفة خاصة تدرك حيوية هذه الدول وما ابرمه ملوكها معها من معاهدات وما امضوه من اتفاقيات، وسجلات هذه الامم التاريخية مليئة بالوقائع وغنية بالمراجع، تتضمن ما يعتبر في سماط الخوالد والروائع، والدارس لتلك الاتفاقيات يدرك مدى الاهمية التي كانت لملوك المغرب في ربوع المنطقة، وتأمين السابلة في البحار، والسماح لسفنهم بالاتجاه الى الموانيء المغربية في حالة الطواريء المفجعة، وفي حالة الاستجمام والراحة.

لقد كانت للمغرب كلمته المسموعة مع ملوك اسبانيا والبرتغال وفرنسا وانجلترا وايطاليا واليونان والدول الاسكندنافية، وسفاراته المستمرة من اجل الصلح والاخاء واستشاراته المتوالية لصالح الاسرى، وحسن معاملتهم والافتداء عن طريق المال او التبادل، كما جعلت السجلات بالمراسلات الغامرة بين سائر الاقطار العالمية، وخاصة في عصر الدولة العلوية مما مكن المغرب من قوله في كل حدث سياسي واعطاء رأيه وموقفه منه مثل ما فعل الملك سيدي محمد عبد الله العلوي حينما ايد استقلال الولايات المتحدة من السيطرة البريطانية وابدى استعداده لمدها بكل اعانة محتملة.

هذه الاحداث السياسية كانت من صنائع العرش المغربي، ومن يقظة شعبه، ومن موقعه الجغرافي، ووفرة النعم بارضه، وكونه نقطة الالتقاء عبر التاريخ وسر الاحقاب، وما يزال يتمتع بهذه الحساسية الدولية ومن ثم كانت سمعته السياسية في سائر ارجاء العالم بالغة المدى يؤكدها اليوم تاريخنا المعاصر بقيادة العرش المغربي، فبالامس القريب رج العالم الاستعماري لثورة ملك المغرب محمد الخامس وسنده الحسن الثاني وشعبه، وشاهد مجذاف السياسة يسير في اتجاه الحرية والاستقلال فيعم الدول الافريقية، ويبرهن على كيان هذا الشعب ومناهجه السياسية ومواقفه التاريخية، ومطامحه في بناء شخصيته المستقلة وارسال اشعاعاته التاريخية على ارضه وعلى من حوله من جيرانه.

واليوم يبرهن الحسن الثاني للعالم من جديد على دور المغرب الفعال في الاحداث السياسية العالمية ونضالاته المتتالية مطبوعا بالنضج والاتزان، ومختوما بالنظرة المجردة المفيدة لبني الانسان، ونابضا بالشجاعة للدفاع عن الاوطان، وحفظ حقوقها من كل تبعية وهوان، فسمعة العاهل المغربي الحسن الثاني في كفاءاته ومواهبه الخطابية والارتجالية الموفقة حيث رنت كلماته في محافل العروبة والاسلام فرحبت بها المشاعر، واقتنعت بها الافكار، واشرقت لها النسمات وصفقت لها الايدي بحرارة تصديقا لمقاصدها واهدافها، واستمساكا بنهجها ومذهبها، وارتجل كلماته باللغة الفرنسية وسط جموع مصاقعها وابنائها والمنتسبين اليها فاندهشوا من طلاقته وروائع لفظه وعميق قصده فطاب القول والفعل بالثناء عليه معترفين بفصاحته وبلاغته ومقرين بسداد التحليلات وطرق الحل للمشكلات، والتمسك بمباديء الديمقراطية ومناهج الحريات، وارتجل في هيئة الامم المتحدة فلم تقصر عبارته ولم تجف سلاسته بل كان بحرا زاخرا في اللفظ والمعنى مستجيبا للتطلعات المرتقبة منه حيث افاد واغنى، فقامت الجموع من كل نحله، اكبارا لاثاره وافكاره، واعجابا بحمس تعبيره وقوة جنانه في ارتجاله.

ومواقفه الدولية جمة وافرة، وكلها بالحكمة والعبرة زاخرة وجميعها من حيث التنسيق والتساوي بليغة ساحرة، وبالمبادرات والسبق كاشفة سافرة، مما جعل المحافل تؤزره بالتكريم وتلبسه رداء القيادة والرئاسة، وتؤمن كمال الايمان واتمه بمواقفه السياسية، وتجربته المثالية، وطباق قوله لاعماله وركوب الحزم والجد في تنفيذ مقولاته داخل مملكته، والالتزام بذلك خارج بلاده. مما اصبحت معالم الديمقراطية تطبع ارضه وتجلل وطنه، وتخطو خطواتها المتسقة في مناهج محكمة، ومراقي مركزة، وتشاور مثمر لا يكتنفه ابهام ولا يعتمه قتام.

هذه السياسة اكسبت المغرب سمعة اتسعت بوسائل الاتصال، فهرع الى المغرب من كل جانب، وفي مقدمتهم القادة والاقطاب مفاوضين منافسين، زائرين ومتفسحين، فوجدوا في شعب المغرب شعب الحسن الثاني سيمة الامتثال، وجمال الاستقبال، وحسن الاستعداد، فتوطدت العلائق وتكشفت الحقائق فشاهدوا عن كثب وقرب.

شعب المسيرة الخضراء التي هزت العالم باجمعه واقتلعت جذور الاستعمار من اقاليم الجنوب، وصنعت المعجزات على الرمال وصانت التراب بدماء الشهداء وتلك سمعة المغرب المدوية في كل الارجاء فاقت مسيرة الصين وما علم لها المثيل في

غضون التاريخ سمعة المغرب في مبادرته لانشاء المنظمات، وتعزيز الهيئات والجمعيات، دفاعا عن الكرامة وصيانة للحرية، وانعتاقا من التبعية.

سمعة المغرب في الدفاع عن الاسلام ونصر كيانه ورفعة شأنه بارسال الجيوش الى الجولان، والى سيناء وبذل النفس والنفيس في سبيل القدس الشريف وارض فلسطين واستنكار ابادة شعب الافغان واحتلال ارضه بقوة السلاح، سمعة المغرب بالدعوة الى الاسلام والاخاء بين الاقطار الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها، ومد الميامن النظيفة بالطهر والمحبة لازالة كل خلفيات وخلاف، واحياء شعوبها لاداء رسالتها المقدسة في سائر الارجاء.
سمعة المغرب لدعوة العروبة الى التضامن والوفاء، والاتحاد نحو التعاون والبناء، وجمعهم على ارض المغرب في كثير من المناسبات، للوصول الى اتفاق تام، تنحل معه سائر العقد المستعصية، وتنمحي كل الخلافات المزمنة، وقد دوى في سائر انحاء العالم، اتفاقية فاس وصادق عليها الشرق والغرب واعتبرت محل الاجماع، تقديرا لما تضمنته من اتجاهات بالغة الحكمة والرزانة.

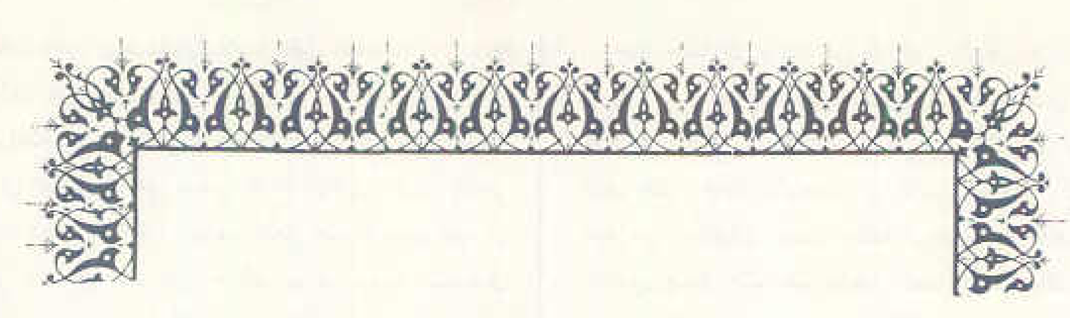
سمعة المغرب في دعوة الشمال الافريقي تحقيقا للآمال التي اقرتها شعوب المغرب العربي وتغنوا بحلمها منذ عهد الاستعمار، وفعلا ولاول مرة بدأت المسيرة الفعلية الى هذه الامنية بالاتحاد العربي بين المملكة المغربية والجماهيرية الليبية الشقيقة، وانه اتحاد قلب كل المعايير، واستنزل ما استبعدته الاحلام ولم يخطر حتى في ضبه الاوهام، وانه لمثال نادر تغلبت عليه حكمة الحسن الثاني ومعمر القذافي حيث ازالا كلمة المستحيل من قاموس السياسة امام مصلحة الشعوب، وامام التضامن الاسلامي، والاخاء العربي والافريقي.

سمعة المغرب التي اعترف معها الاوروبيون ببعد نظر الحسن الثاني ومواكبته لمسيرة التعاون والتضامن فتخلوا عن بحران الهيجان الاستعماري، ونسيان ما انزلقوا فيه من حماة العنصرية، ومزاولة السلطة والانانية، وجنحوا الى التعاون الناجع للشعوب وابناءالانسان بصفة عامة.
سمعة الحسن الثاني الداعي الى تأمين المنطقة وخلع ما تبقى من الاغلال الاستعمارية على اراضي سبتة ومليلية في الضفة الجنوبية، وعلى جبل طارق بالضفة الشمالية، والاقبال على التعاون في المجالات الحميدة للشعبين المجاورين، في مجال الاقتصاد والثقافة والاجتماع.

سمعة الحسن الثاني صاحب اليد البيضاء الممدودة الى الجميع كانت انظمة ملكية ام جمهورية، اتسمت بالرأسمالية والليبرالية، ام اتصفت بالاشتراكية المختلفة لدى مصلحة الشعوب فوق التيارات المتضاربة، والمناهج السياسية المتباينة.
سمعة المغرب تجلت في لقاءات الحسن الثاني مع الملوك والرؤساء على ارض المغرب وفي اقطارهم مع رجال العالم المتقدم ومع قادة العالم الثالث، واتفقت الآراء معه على بناء صروح التعاون، وتمتين روابط الصداقة مما جعل الانحاء يفوق العمل السياسي ويزجي بالقطرين الى وفاق مثالي.

سمعة المغرب برزت في المحافل الدولية بقراراته المركزة على الاعراف الدبلوماسية وبياناته المبنية على القوانين الدولية، وحججه المستفادة من مضامين الاتفاقيات العالمية، واجتهاداتها القضائية، ودساتيرها المتداولة المرعية.
وكم ثم كم من حدث سياسي اكسب المغرب سمعة سامية، سلجت الاقلام في صحيفة الحسن الثاني وخلق آثار حميدة في الاوساط الدولية، لا يستطيع القلم حصرها والاتيان عليها.

نعم ان السمعة المغربية ليست وليدة المهد المعاصر وانما هي خيوط الاشعاع في هذا المجتمع منذ الاحقاب الغابرة، ماثلة في كل دفقة من حياته، وفي كل نبضة من قلبه، وكل ومضة في عقله ووجدانه، يغذيها العرش حينا بعد حين، ويجزيها تمسكا بالعقيدة والايمان، وينعشها كلما هبت عليها سنة من الغفلة والنسيان، ذلك الاشعاع الذي لم يقتصر داخل البلاد بل تجاوزها الى خارج الوطن، غيرة من ابنائه، وطلبا من الراغبين في الاستفادة منه، وترحيبا بالوافدين عليه من كل الانحاء، لقطف ثمار العلوم والصناعة، ومختلف انواع الحضارات المتميزة، والاستعانة بما يغمره من مناهج سياسية تتفتح اكمامها، وتزهو معالمها، ويعلو مقامها، وهذا شكل المغرب ونسجه ولن يصده صاد عن طبعه وطبيعته، وسوف يعي ويفشل من يحاول طمس سمعته لانها شمس ساطعة مدى الدوام، ويكفي دليلا على ذلك ما سبق في غضون التاريخ انها ضياء وهاج تغشى امامها فتائل الفتانين والمختالين بل ان بريق السمعة المغربية لن يزداد الا اتساعا وشمولا يهدي الحائرين وينير الطريق امام المتمردين، ويمد يد الاخاء للغاوين والضالين سواء اندمجوا في الركاب او شطوا عن الصواب، وما يوم عودتهم ببعيد لان مسيرة المغرب التاريخية، وراء عرشه المجيد، طبعتها العناية الالهية منذ اقدم العصور، بالتجلة والظهور، وحسن الخاتمة في جميع المقاصد والاهداف.



وهذا صراط ربك مستقيما.

للأستاذ محمد العربي الزكاري

حديثنا عن عيد العرش المغربي يرتبط ارتباطا وثيقا باحداث داخلية لها اثرها في بلورة الكفاح الشعبي سياسيا وحربيا، ويدفعنا من المواجهة الخارجية الى القاء نظرة على الانظمة المعاصرة، مساهمة منا في توضيح الصورة بالنسبة لاسس وابعاد حكم يستمد جذوره من شريعة الله، وتسليطا للاضواء على انظمة نابعة عن اعراف مدنية تخضع في اغلبها للتقلبات السياسية والممارسات الحزبية والمتطلبات الظرفية.

وفي هذا السياق نجد كتاب الله تعالى يحدد لنا مهمة الانسان في هذا الكوكب «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة» (1) ومعنى (الاية الكريمة ان حكم البشر في الارض يتمثل في الخلافة عن الله، واذا فالخليفة يستمد سلطته ومسئوليته من القرآن باعتباره المصدر الاول للتشريع، وحيث يستحيل تطبيق الاحكام من لدن المجتمع ككل، ارشدنا الحق تعالى الى الحل العلمي لهذا الاشكال في قوله سبحانه «ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» (2).

وولي الأمر في مفهومنا الفقهي يخضع لرأي الأمة وللقرار الاجماعي الذي يتخذه «اهل الحل والعقد» باعتبارهم نخبة الجماعة الاسلامية المكونة من صفوة العلماء والوجهاء والاعيان وذوي الرأي الحصيف والمتصفين بالاخلاص والنزاهة وعمق الايمان، ومن هذا المنطلق لابد وان يرتكز اختيارهم في الاساس على اسناد هذه المسؤولية العظمى لشخصية تتوفر فيها المؤهلات الشرعية، بالاضافة الى التزام المرشح بتنفيذ شروط اساسية لفائدة الامة وصالح الجماعة

ومن هنا جاءت «البيعة» في الاسلام عقدا مقدسا بين الحكام والمحكومين، ورغما، عن أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غير مطالب ببيعة تزكي اضطلاعه بالاشراف على مصالح المؤمنين بحكم نبوته ورسالته الالهية العامة، فقد سن عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ منذ فجر الاسلام كارشاد لما يجب ان تسير عليه الجماعة الاسلامية بعد التحاقه بالرفيق الاعلى، وقد اكده فيما بعد بقوله صلى الله عليه وسلم : «من مات وليس في عنقه بيعة مات موتة جاهلية».

وجدير بنا ان نقارن بين الحكم في المجتمع الاسلامي وبين انضمة مدنية صرفة، واول نموذج من الحكم المدني يتمثل في اولئك المتسلقين لكراسي القيادة عن طريق التسلط وبواسطة الاغتصاب، وهو نوع ساد كثيرا من مراحل التاريخ البشري، فتحملت المجتمعات سلبياته الكثيرة وايجابياته القليلة تبعا لاهواء الحاكم وميوله وما يتوفر عليه من رغبة في تصحيح اوضاع فاسدة، او طمعا في السيطرة وتطلعا لاشباع نزوات شخصية جامحة.

ونجد على الساحة نظاما آخر يعتمد على التنافس بين شخصين فاكثر، ينتهج كل واحد في جملته وسيلة التنقيص من اهمية منافسه وان كان يفوقه ثقافة وكفاءة واخلاصا، وهذا السلوك يؤدي في الغالب الاغلب لاحترام النقاش والمواجهة الكلامية ليصل الصراع الى الاتهام ! وفي المقابل يخلع المهاجم على نفسه هالة القداسة

---

(1) سورة البقرة (20)
(2) سورة النساء (59)

والمؤهلة للقيادة والتي يرفضها الاسلام في قول الله تعالى : «فلا تزكوا انفسكم، هو اعلم بمن اتقى» (3).

وكبرهان قاطع وحجة ملموسة على ان هذا النوع من الاختيار لا يقوم ـــ في اغلبيته ـــ على اساس اقتناع الناخبين المجرد، وانما هو نتيجة تاثيرات دعائية واعلامية موجهة، ولعل اهم ما يوخذ عليه ان المنهزم لا يتورع ـــ في كثير من الحالات ـــ عن مباركة استحقاق خصمه للقيادة، والتحليل المنطقي لمثل هذا الموقف ان كل ما قيل اثناء التنافس على كرسي القيادة لا يمت الى الحقيقة بصلة، وانما املته مصلحة المرشح او الهيئة التي يمثلها.

وليس غرضنا من هذه المقارنة معارضة الانظمة المدنية او التشهير بها، فلكل وجهة هو موليها، وامتنا ولله الحمد في منجاة من هذه الممارسات، وانما غرضنا الاول والاخير تعميق الوعي في المجتمع الاسلامي عموما والمغربي بصفة خاصة، بان نظامنا الاسلامي اسمى الانظمة وانفعها للسير بالانسانية في الاتجاه الكفيل بسعادة البشر في الدنيا والاخرة، وان المسلم يجب عليه الاهتداء بهدى السماء وان لا خير مطلقا في انظمة تخضع في جوهرها لعوامل الدعاية المتقلبة واساليب السياسة الملتوية، وصدق الله العظيم «وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله، ان يتبعون الا الظن، وان هم الا يخرصون» (4).

ونحمد الله الذي هدانا منذ الاشراقة الاسلامية علينا للسير في الخط السوى والصراط المستقيم الذي خطه الرسول الكريم واسعفنا على الدوام بمدده العزيز وسنده الكبير، بحيث لم نحد عن توجيهاته تعالى ولم ننحرف عن تعليماته في اختيار الحكم الصالح، ولا ادل على هذه العناية الربانية من المحنة التي عشناها تحت وطأة الاستعمار وجبروته، فخرج منها شعبنا قوي العزيمة لمواصلة السير، فتين الايمان لمواكبة يقظة المسلمين، حريصا على ان يرم ما تزعزع ويجدد معالم ما تصدع.

فاختيارنا للملكية المستمرة من البيعة اختيار موفق، جنبنا كثيرا من الهزات، وحال بيننا وبين الارتباك امام التحديات، فقد جمعت ملكيتنا الشرعية الشمل ووحدت الاهداف وبرمجت الانطلاق وكانت باستمرار في طليعة جولاتنا السياسية وتحركاتنا الوطنية وملاحمنا الحربية، وها نحن اليوم اكثر ما نكون التحاما واشد تماسكا للدفاع عن وحدتنا الترابية التي زكتها عدالة دولية لا تخضع لا لاعيب السياسة ولا تنجذب لاغراءات الذهب الاسود !.

(3) سورة النجم (32)
(4) سورة الانعام (116)

ومن حقنا ان نؤكد على ان السر الدفين في النجاح الباهر الذي واكب انتفاضتنا ضد الاستعمار، والمحور الذي ارتكزت عليه انطلاقتنا لانتزاع الاستقلال، نبع من وحدة الشعب والعرش، الامر الذي اقلق دهاقنة الاستعمار في الماضي فحاولوا بكل ما يتوفرون عليه من امكانيات تحطيم الحلقة الروحية التي جمعت بين محمد الخامس رضوان الله عليه وشعبه المتعلق بعرشه والمتشبث ببيعته.

ومن الظريف ان الهستيرية الاستعمارية جاءت حقنة لرفع معنويات الشعب واندفاعه الهادر لزعزعة دعائم الحكم الدخيل، فكلما امعن في جبروته وبطشه وطغيانه ازدادت اواصرنا متانة، ومحبتنا استحكاما، ووشائجنا رسوخا، مما ادى بالمستعمر الى الرضوخ لمطلبنا في مباركة عيد العرش اولا، وعودة محمد الخامس الى عرشه ثانيا، والاعتراف باستقلالنا ثالثا.

فهذه المكاسب الباهرة والانتصارات الساحقة لم تكن الا نتيجة طبيعية «للبيعة» الدينية التي ابى شعبنا التنكر لها رغم غطرسة الدخيل ووعده ووعيده واغراءاته التي حاول بها تفتيت الاجماع المغربي حول ملكه الشرعي.

ومن هذه الزاوية تتجلى حكمة الله في البيعة التي يقول سبحانه في شأنها «ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم» (5) فهي الرابطة المتينة التي تربط بين افراد الامة، والاساس القوي الذي يرتكز عليه الاجماع الوطني، والضمانة الكبرى والقلعة الحصينة التي يعتمدها المغرب في مواجهة التحديات، وهي في نهاية المطاف «الرباط» الذي تنطلق منه جحافل الفدائيين والمجاهدين لتأديب من تسول له نفسه التطاول على حق من حقوقنا.

فالاعتماد دائما وابدا على الله القوي العزيز الذي يبارك الحكم الشرعي بين عباده، والاتكال بعد ذلك على تماسك جبهتنا الموحدة والمرتكز على بلورة هذه الوحدة في مظاهر رائعة كلما اظلتنا ذكرى عيد العرش التي تحل اليوم في ظروف استثنائية يواجهها الشعب بصبر وحزم وتصميم وعزم ويعالجها الملك المطاع، بلباقة السياسي الماهر وعبقرية القائد الشجاع.

فعلى بركة الله نواصل السير تظلنا بيعة دينية، وترفرف علينا وحدة وطنية، وتحرسنا عناية ربانية«وهذا صراط ربك مستقيما» (6).

محمد العربي الزكاري

(5) سورة الفتح (10)
(6) سورة الانعام (126)



للأستاذ عبد الحي العمراني

يتميز المغرب بكونه من حصون الاسلام المنيعة وخطا دفاعية صلبا في وجه الاستعمار والصليبية منذ ترسخ الاسلام بارضه ونصبت منابره وارتفعت اعلامه وثبتت اركانه وآمن المغاربة بمبادئه فجاهدوا في سبيله واستشهدوا من اجل عقيدته وشريعته ولم يتوانوا في تحمل اعباء النضال والنزال لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

وقد ظل المغرب طيلة قرون وقرون ارضا للاشعاع الاسلامي والرسوخ العربي والتنوير الفقهي والتضامن الاجتماعي بكل ما في معنى التضامن من اخوة وتعاون وتآزر ضد كل عدو ماكر يستفز المغاربة او يحاول المساس بوطنهم او حقوقهم الثابتة وهم شعب الف نسيان الخصومة المحلية كلما دعاه الواجب الاسلامي الوطني ليتكاثف لدحر اعدائه والدخلاء عليه كيفما كانت قوتهم وتحالفهم.

ولن يصعد المغرب مرة اخرى الى القمة مجده التليد الا بالشموخ الاسلامي والاصالة العربية النابعة من اصول الامازيغ منذ هجرتهم العريقة في القدم من بلاد اليمن الى ان تعززت بالهجرات العربية المتوالية منذ الفتح الاسلامي حيث تكون الشعب المغرب العربي المسلم وغدا شعبا له مميزاته الخاصة واصالته المتمكنة واخلاقه النبيلة بما جبلت عليه من كرم وتحرر وتضامن في الشدائد والمآسي والازمات.

وينبع الحكم في المغرب من اصالة شعبه وما جبل عليه من فضائل كريمة تمكنت فيه بفضل القرآن الكريم واحاديث الرسول الامين وبذلك فجميع الدول التي حكمت المغرب منذ عهد ادريس الاول لم يقم حكمها الا على الاسس الراسخة في اعماق المغاربة ولم تقم حضارته الا بفضل الاسلام ولغته وقيمه وتشهد على ذلك المآثر السامقة والمؤلفات الضخمة وتاريخ الرجال الذين حكموا المغرب في رقعته الحقيقية الممتدة من نهر السينغال

الى القارة الاروبية بما تضمنه من مدن وسواحل وجبال وسهول وانهار وغابات وصحاري شاسعة وبقي المغرب محافظا على طابعة في هذه الاراضي المنطلقة شرقا وغربا شمالا وجنوبا تصمد بابطالها ازاء كل من تسول له نفسه الشريرة ان يدنس ارضه او يمس شرفه او يهين كرامته او يعبث بوحدته.

ولم تفلح الدول الاستعمارية الاروبية في تآمرها على المغرب لتغيير وجهته او ابتلاعه رغم ظروف القهر والغلبة والاستعمار والتآمر المشين ماضيا وحاضرا واستطاع المغاربة رد كل حملة من حملات الحقد والصليبية ودحر الجيوش الكائدة ولو تحالفت وتضامنت لفك الرابطة المغربية العتيدة فانهزم اعداء المغرب وبقي المغرب مسلما عربيا ثابتا مستظلا بوحدته وما يحمله من بذور نافعة توتي ثارها الطيبة جيلا بعد جيل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

لقد استمر الشعب المغربي تقيا في عقيدته وتشريعه رزينا في سياسته وحكمه امينا في عهوده ومواثقه مراعيا للاخوة العربية الاسلامية ينافح عنها في كل ركن من اركان العروبة والاسلام لا يبخل بمال ولا يتوانى في بذل المهج والارواح كلما دعا لا واجبه الديني والوطني للجهاد والنضال وظهر ذلك جليا في موقف الشعب المغربي من الدفاع عن فلسطين السليبة حيث ارسل ملك البلاد والقائد الاعلى للجيش الملكي كتيبتين لمؤازرة اخواننا في المشرق امام جحافل الصهيونية الماكرة فقاتل المغاربة في سيناء والجولان وفي كل رقعة يقف عليها الاعداء ليدنسوا المحارم والمقدسات، ولولا بعد الديار لما بقي عدو الاسلام يصول ويجول في مسرى رسول الاسلام محمد (ص). ان كلمة المغاربة لا تجتمع الا بالاسلام ولا تجاهد الا تحت رايته ولا تبذل الا من اجل الوفاء له ومن يتخرص بغير ذلك فانما يضرب في حديد بارد ولا يجني الا الحسرات لان مشاعر المغاربة لا تهتز الا بالاسلام وقيمه ولا تتحمل اعباء الدفاع الا عبادئه واهدافه وتنبذ الشعارات الدخيلة والاماني الخادعة والاقاويل المزيفة والاهواء والتطاول المغرض والانحراف الفاسد والتشيع الاعمى.

لقد وفي ملوك الشعب المغربي لاسلامهم كما وفى المغاربة اجمعون ووقفوا جميعا في وجه الكفر والطغيان والجبروت ولا يبخلون بعزيز ولا يضنون بجليل وبذلك قامت حكومات مغربية اسلامية قوية اسست حضارات وامبراطوريات وانطلقت بالاسلام في مجاهل افريقيا وفي معاقل النصرانية فامتزج الاسلام بقلوب كثيرة واستساغته قلوب وافرة وخضعت لحكمه اجناس متعددة تعلمت منه الاخوة الانسانية في اجلى مظاهرها بلا لونية ولا نعرة ولا طائفية ولا عرقية ولا عنصرية ولا قبلية وقد تعاقب على عرش المغرب ملوك نشروا كلمة الله ورسخوا تعاليم الاسلام غير مشوبة بخلافات مفرقة ولا بنعرات طائفية ولا بعنصريات هدامة مفسدة.

وظل ملوك الدولة العلوية ياخذون بزمام المبادرة ويتصدرون ركب الاسلام ويقودون جيوشه ويحافظون على وحدته ويحطمون الاغلال ويكسرون الحواجز ويشعلون روح النضال في افراد شعوبهم ويعلمونهم ان الاسلام قوة للتوثب والاحياء والتحرر من مفاسد الايديولوجيات الدخيلة وما تحدثه من بلبلة وتراجع وانكماش ثم اندحار.

وجلالة الحسن الثاني ملك مغرب أصيل عارف باحوال المغاربة واصولهم وتاريخهم رضع لبان الاصالة المغربية بكل ما تحمله من عوامل موقظة للاحاسيس الشريفة النابعة من تعاليم الاسلام المترسخة في اعماق الشعب المغربي وهو يعمل جادا لاحياء ما اندثر من عبقريات وإظهار ما خفي من مكرمات خدمة لشعبه وهداية له حتى لا يتيه جزء منه في المنعرجات المهلكة والمنحرفات المضلة الى ان يتعمق في جميع العقول المغربية ان المغرب يكون سلسلة ذهبية في تاريخ الاسلام ويترعرع شبابه الناشيء في احضان العزة والكرامة الاسلامية فيعمل ويصمد لتحقيق الاهداف المرجوة وينطلق في مجال البناء والتشييد واحياء المعالم المضيئة في تاريخه ليظل شعبا قائدا ماهرا عالما بطريقة الوصول الى تبوء المكانة اللائقة به وبتاريخه العظيم.

إن خطاب جلالة الملك عند افتتاحه لاعمال مجلس النواب جاء معبرا عن مضامن ما يعتقده شعبه وما يومن به في قرارة نفسه وما يتطلع اليه في مستقبله وما يؤمله في حاضره فبعد ان استعرض جلالته الاحوال السياسية واعطى تعاليمه للاعضاء ووجههم الوجهة القيمة حصر جلالته الاهداف المتوخاة في قوله : المدرسة الحقيقية للمغرب هي اولا لا تسامح في مقدسات الدين الاسلامي ووحدة المذهب ولغة الضاد والوحدة الترابية امور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية واحدة.. نعم لا يمكن مناقشتها لانها راسخة وثابتة وجامعة وشاملة فلا يناقش فيها الا دخيل او مفتري او متعنت او اجير او خائن او متآمر شرير لكونها اهدافا ثابتة مستقرة توحد بين المغاربة وتجعلهم شعبا

ملتئما متساندا منظما قويا يطمع في المعالي وينظر الى الامام لا يتراجع في خطواته ولا يتعثر في مسيرته.

وسنحلل باختصار شديد الاهداف الاربعة الواردة في الخطاب الملكي السامي لنتبين معالم الطريق ونسير على هدى من الله ونتجنب المزالق والاوهام.

1) الاسلام : هو دين الدولة الرسمي المنبعث من اعماق كل فرد من افراد الشعب المغربي الا من كفر وعصى وخان وخرج عن الجماعة فصوت تصويتا ناشزا لا يتلاءم مع المجموعة المغربية المتأصلة في اسلامها وتاريخها ووحدتها.

والتنصيص في الدستور المغربي على ان المغرب ودلة اسلامية هو مجرد تقرير واقع وتأكيد، والا فان المغاربة يدركون هذا الواقع ويعيشونه ويقدسونه ولا عبرة بمن شذ فتلبس بما جعله خارجا عن الجماعة منبوذا تافها عميلا.

ان الشعب المغربي بعرشه قد نشأ في ظلال الاسلام وعلى هدى من الله فاستمر تسلسله مع التاريخ يحمل لواء الاسلام ويدين بتعاليمه واعتبر الجيش المغربي جيشا للاسلام ينافح عنه ويذود عن حياضه ويقف بالمرصاد لكل معتد اثيم ومتحيز ظالم او جبار عنيد وعلى اساس وحدة الشعب المغربي بجيشه وعرشه حصل الامتياز لشعبنا.

انه يكون وحدة اسلامية وقومية لا مثيل لها ولا يتصور المغرب الا بكتلته المتراصة وبقيادته المسلمة الصادقة فلم يقع بذلك في مهب التخاذل الشعبي والحكمي والمذهبي والعنصري والطائفي وحافظ على وحدته السياسية والجغرافية والفكرية مما جنبه الوقوع في مستنقعات النحل والاهواء وبقيت عقيدته طاهرة وتشريعه نظيفا فعاش مرفوع الرأس متحديا الاحداث الجسام فلما حاول الاستعمار الغربي مس شرفه وكرامته ودينه ولغته بالبطش والتسلط والقتل تصدى له المغاربة شعبا وعرشا الى ان انتزعوا استقلال وطنهم واعادوا كرامتهم المفقودة وطردوا المستعمرين وسوف يقضون على البقية الباقية من اذنابهم بما لهم من تشبث بقيمهم ورسوخ في اصالتهم.

وقد اشار جلالة الحسن الثاني في خطابه التوجيهي بالقصر الملكي بالرباط عند ترأسه للمجلس الاعلى للمجالس العلمية بان من واجب العرش المغربي ومن اسمى واجباته الوفاء للامانة المقدسة وان انتشار الاسلام في الشرق لم يكن كانتشاره في الغرب لان الاسلام في المشرق الاقصى كما قال جلالته وجد نفسه مبنيا على نوعين من الرهبانية ونجد ان الاسلام الذي انتشر غربا لم يحتج الى تلك الرهبانية بل منذ اليوم الاول كان سنيا وبقي سنيا. وتساءل جلالته عن السبب في هذا الفرق واجاب بان ذلك يمكن ايجازه في كلمة واحدة : عدم التعريف بالعربية، واستدل بقول النبي (ص) لا رهبانية في الاسلام، وبذلك فان جلالته يدرك الاخطار المحيطة بالمسلمين لتفريطهم في شؤون دينهم ولغتهم مما اضعفهم واصابهم بالانحلال والخلاف واطمع فيهم اعداءهم وكل ذلك يستوجب النقد الذاتي والرجوع الى الاصل لاستفتائها والسير بالدعوة الاسلامية سيرا متعقلا رزينا مع الارتكاز على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

والدعوة الاسلامية كما يريدها جلالته في حاجة اكيدة الى النظام والوعي والتوجيه وازاحة المتلبسين بالاسلام لتكون اسلامية حقة غير مصبوغة بالمذاهب المنتحلة الفاسدة والنازعة الى الشر والتهديم والرعونة والافتيات.

ولابد ان تسير الدعوة الاسلامية باللين والحسن والتسامح والمعرفة للاسلام معرفة قيمة شاملة اذ الجهل بالاسلام اساس المصائب ومجال التأخر والهبوط والانحطاط والضعف والانهيار، والاسلام مبسط في احكامه وتشريعاته بلا تظاهر ولا رياء ولا كهنوت ولا تقليد ولا تصنيع لان التظاهر بالدين نفاق والمسلم الصادق ما كان ظاهره كباطنه اذ لا رهبانية في الاسلام ولا نفاق ولا تهريج ولا ضلال.

وقد نهى القرآن اهل الكتاب عن الغلو في الدين فقال سبحانه : «قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل» وقال : «يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله»

لقد دعا جلالة الحسن الثاني الى نبذ الكهنوت في العبادات والى التمسك بالقرآن والسنة المطهرة وال يتطهير الاسلام من الجهلات والرهبانية ليبقى المغاربة سنيين محافظين على مسيرتهم الاسلامية المظفرة.

وقد حذر جلالته من السلبية في الوعظ واكد على تعزيز التربية الاسلامية في المنزل والمدرسة والمسجد ليبقى المغرب كما نشأ في ظل الاسلام منذ ما يزيد على اربعة عشر قرنا.

ونهى جلالته عن الفوضى في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكون الاسلام ينهى عن التزمت والتعصب والرجعية والافكار الهوجاء ولا يريد قتل الشعور الانساني في الناس ويدعو الى التيسير والتبشير والتفتح والاجتهاد وينهى عن العسر والتنفير إذ في اليسر والبشرى سعادة وانشراح وفي العسر والتشديد انقباض وقنوط.

روي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي (ص) قال : « سددوا وقاربوا وبشروا فانه لا يدخل احدا الجنة عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال : ولا انا الا ان يتغمدني الله بمغفرته ورحمته.

ويقول سبحانه وتعالى : «وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون».

ويقول : «ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق.

ويقول : ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »وعند ما تنتشر المناكر والاهواء في مجتمع من المجتمعات ويضعف فيه الوازع الديني فان النفوس تمرض والضمائر تتخرب والقلوب تقسو فيسرع الخراب ويكثر البهتان وتتلاشى الفضائل والاخلاق وفي القرآن الكريم : ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون».

وفيه : «كنتم خير أمة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله».

2) وحدة المذهب : ومن مميزات المغرب بل الشمال الافريقي كله وحدة المذهب اذ ياخذ المغاربة جميعا بمذهب الامام مالك وهي ميزة مغربية فذة تبعد المغرب عن المشاحنات والخلافات وتحفظ له قوته الاسلامية سليمة من التضاربات وبذلك لم يحصل في المغرب ما حل في المشرق من المجابهات الانقاسمية.

والتمزق في الوحدة التشريعية طيلة قرون كثيرة وبقي مبتعدا عن الصراع المحموم بين اصحاب المذاهب المختلفة في دولة واحدة مما خلف صراعا عنيفا وصل الى حد المجاهرة بما ينفر منه الاسلام ويمقته مما ادى احيانا الى التباغض والتكافر والتقاتل بين المسلمين مع بعضهم وكانهم اعداء لا تجمعهم رابطة ولا توحدهم عقيدة ولا تربط بينهم شريعة.

ان الاسلام في المغرب يتفوق بالوحدة المذهبية اقتداء بالامام مالك وبالوحدة العقيدية اتباعا لمذهب الامام الاشعري وللمغاربة متسع في اقوال المالكية واستنباطاتهم وتفريعاتهم وفتاويهم وبذلك يحق للمغرب ان يتولى الزعامة السنية الاصيلة لابتعاده عن المخاصمات والمنابذات والبدع المذهبية والمنكرات العقيدية التي وقع فيها اخواننا المشارقة فانقسموا طوائف وشيعا. ان وحدة المذهب تجمع بين افراد الشعب وتحجب عنهم الانقسامات وتجعلهم كتلة متراصة متآزرة غير مضطربة ولا متناحرة وبدون الوحدة المذهبية لا يستقر القضاء ولا يخطو خطواته الثابتة العملية وتكون الاحكام مقبولة من الجميع مسايرة للواقع المعاش المقبول من جميع اطراف الشعب فاذا وقع التنازع حلت المشاكل كل بما يرضي الحق ويزيل الخلاف ويخضع الاطراف للحق والانصاف.

والمذهب المالكي مذهب جامع ومتسع الارجاء ومرن ومرتكز على أسس اصولية ثابتة مقررة معروفة فهو مذهب يعتمد على الكتاب والسنة والاجماع والقياس والعرف والعادة وياخذ بالمصالح المرسلة وهي باب واسع ومحجة للاجتهاد القيم وقد اعطت للمذهب المالكي ما جعله كثير الفروع غزير الاستنباط كثير الاحتواء لا يقف مشدوها امام الحضارات مهما اتسعت وتشعبت ولذلك كثرت فيه التآليف البارعة والمسوعات الفقهية الجامعة فاصبح مذهبا مستبحرا قابلا للاجتهاد لا تقف في وجهه عقبة ولا تقلص من امتداده مستحدثات ولو تعقدت وتكاثرت فلا يحتاج الا للفقهاء المهرة والمعطلين المبرزين والدارسين المتازين.

3) ان اللغة العربية من موحدات الشعب المغربي الاساسية وبها بقي المغرب محافظا على نظافته الاسلامية بغير زيف ولا

تشويش ولا انقسام واراد الاستعمار الفرنسي ان يزيف وحدة المغرب بظهيره البربري فاخفق وانتهى امره وبقي المغرب عربيا ثابتا صامدا للزوابيع والاعاصير ومن شذ فانه على شذوذه، وتعاسته وتقوقعه وعمالته لان اصول المغاربة تنبع من منبع واحد لا ثاني له وقد قال ابن خلدون : ان هؤلاء البربر قدموا من جنوب جزيرة العرب وان جدهم الاول يدعى مازيغ.

وهذه الشهادة وحدها من عالم جليل ومؤرخ عظيم واجتماعي ماهر ومطلع خبير تكفي وحدها للرد على اتباع الاستعمار وانصار التفرقة والخذلان فلا نترك اقوال العلماء الاعلام والباحثين الافذاذ لننصت الى اصوات الاذناب والتوابع الدنيئة وندوس ميزتنا المغربية واصالتنا العربية وتاريخنا حافل بعلماء العربية وكتابها مما جعل المغرب يحافظ على سلامة العربية بعلمائه الاوفياء ومؤلفيه الاتقياء.

وقد قال جلالة الملك الحسن الثاني في احدى خطبه : وما هو السبب في هذا الفرق بين الاسلام الاقصى الشرقي والاسلام الاقصى الغربي الفرق او السبب لهذا الفرق هو سهل ويمكن ان نوجزه في كلمة واحدة عدم التعريف بالعربية فجهل اللغة العربية

هو الذي نشر رجال الدين الذين كانوا يتنكرون اللغة العربية تلك اللغة التي يجب علينا ان ندركها ونكون ملمين بها حتى يمكننا الاستفادة من تلك اللغة التي يجب علينا ان ندركها ونكون ملمين بها حتى يمكننا الاستفادة من اولي الفكر والعلماء.. انها كلمة ذهبية من جلالته اعلنها عن ايمان وادراك

ووعي بمسؤولياته العربية والاسلامية الكبيرة ذلك ان الاسلام يضيع بضياع لغته التي نزل بها القرآن الكريم فلن يفهم هذا القرآن حق فهمه الا في لسانه العربي وغير العربي يسمح له مؤقتا ان يتدين بالاسلام ريثما يتعلم لغة القرآن ولذلك الح جلالة الملك في مؤتمر القمة الاسلامي بالدار البيضاء على رؤساء

الدول الاسلامية ان يعتنوا باللغة العربية لمعرفة الاسلام ودقائقه وسياسته وقيمه ليتوحد المسلمون وتجتمع كلمتهم فهو كقائد مسلم عربي متفوق ومفكر قدير يدرك ان للغة الحظ الاوفر في وحدة الامة المسلمة لذلك نصح رؤساء الدول الاسلامية باعطاء اللغة العربية ما تستحقه من مكانة وبالاخص في المناهج

الدراسية لتقارب شعوب المسلمين وتتوحد في التفكير لبناء امة اسلامية دستورها ولسناها لغته ومنهجها سنة رسول الاسلام محمد (ص).

ونؤكد مرة اخرى نظرا لمكر الدعاية وخبث الاستعمار واذنابه وقبح الصهيونية وخططها ان الشعب البربري شعب اصيل في عروبته عريق في اسلامه تحمل الرسالة الاسلامية وأذاعها وتشبث باللغة العربية ووطد دعائمها وقاد الفتوح الاسلامية وما ذلك الا لدمائه العربية ولم يكن العرب في المشرق

يسمحون لغير العرب بالقيادة في الفتوح والأمر على العكس في المغرب حيث اسندت القيادة الى برابرة لكونهم عربا كاخوانهم القادمين من الشرق العربي فهذا طارق بن زيادة يقود الجيوش الاسلامية في الاندلس ويخطب في الجيش بلغة عربية رائعة ثم ياتي

المستعمرون ومن يسمون انفسهم بالباحثين ليختلقوا الاراجيف وليشككوا في عروبة طارق واقرأوا ان شئتم تاريخ المرابطين والموحدين والمرينيين فستجدون العروبة ناصعة والاقوال مأثورة والاسلام لامعا.

4) الوحدة الترابية

بقيت وحدة المغرب الترابية ثابتة في اعقاب تاريخه الطويل واستمر الجهاد المغربي يتخطى الصعاب والعقبات موقنا بالنصر متمسكا بالعزة مستميتا في الدفاع والنزال بمدنه وقراه وسهوله وجباله وصحاريه ولم يسكت المغاربة عن الهوان ولم يخضعوا للابتزاز والاحتلال وتتابعت مواكب المقاومة المغربية بالسياسة والسلاح اذ جذور الحرية عريقة في شعبنا لا تقهر بالقتل والتسلط والاحتلال مما جعل المغاربة بالمرصاد لكل طامع او متربص او حاقد ولم تستطع اي قوة محو اصالة الشعب المغربي او منعه من الالتحام في المعارك الفاصلة بين الحق والباطل رغم تعرض وطننا للاطماع المتكاثرة وذلك يؤكد الاستمرار في وحدتنا وترابطنا وادراكنا لما يراد بوطننا وما يدبر له من مكايد من الكفرة وانصافهم.

والعرش المغربي هو الضامن الوحيد لوحدة الشعب المغربي والرمز الاسمى لهذه الوحدة المقدسة التليدة والروابط بين افراد العشب المغربي ثابتة قائمة ولن يقبل اي فرد ان تمس وحدتنا الترابية او تستمر بين عالم الاطماع ولن يتخلى الشعب المغربي

عن وحدته ولو قست الظروف وتكالب المتآمرون وهي شنشنة مغربية راسخة. فقد يختلف المغاربة فيما بينهم على شيء او اشياء ولكنهم لم يختلفوا ولن يختلفوا في وحدتهم الوطنية ابدا ولذلك تراهم في عالم السياسية يدلون بآراء مختلفة ولكننا لا نجد مغربيا واحدا يجادل في وحدة ترابه او يقبل المساومة او يخضع للتخريب والابتزاز وسوف يظل المغرب بقيادة ملكه بالمرصاد لكل من يحاول المساس بوحدته الترابية وهو مستعد للجهاد والتضحية للحفاظ عليها.

لقد استعاد المغرب جزء من صحرائه وما زال امام الشعب المغربي نضال شاق لاستكمال وحدته التاريخية لكن المهم الآن ان الصحراء المسترجعة قد تم ادماجها في الوطن الاب وقامت بها منشآت هامة وانفتح المجال بين جنوب المغرب وشماله ليلتحم الاخوة حاضرا كما كانوا في ماضيهم وارتفعت اعلام الحرية متحدية اطماع الطامعين وقضي الامر الذي فيه تستفتيان.

واخيرا فان البيعة بين الشعب والعرش من اعظم الجوامع الموحدة للشعب المغربي وقد قام الحكم في المغرب منذ عهد ادريس الاول على البيعة الاسلامية وما تحتويه من شروط واعراف بين الوالي ورعيته واستمرت قائمة في جميع العهود بحيث لم يحكم المغاربة بدون بيعة شرعية.

وتعتمد البيعة على الشورى الاسلامية الجامعة للمزايا والفضائل بين الحاكمين والمحكومين وحيث انها تقوم على دعائم اسلامية فان الخروج عنها يعتبر تحديا للاسلام ذاته وارتكاسا في الاهواء المضرة وجلبا للفرقة والتصدع بين صفوف الامة.

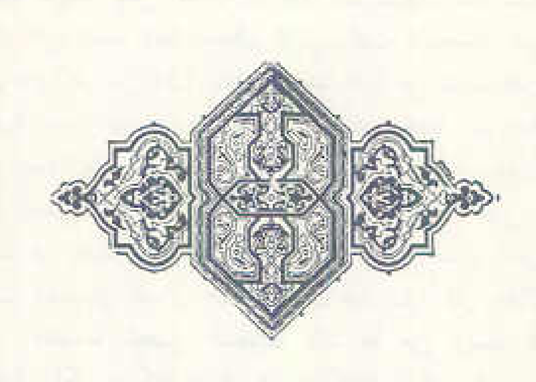
ان البيعة عهد وثيق وطاعة وولاء في المنشط والمكره والصفاء والكدرة ولا تخترق الا بكفر صراح وتتم بنقاء الضمائر وصفائها وسلامتها والوفاء لها بلا شطط ولا خيانة ولا تدليس.

وقد تطورت في الاسلام حسب الازمان والمؤثرات وكانت العادة عند المسلمين ان يبدأ بالمبايعة كبار الناس ثم يليهم حسب درجته مع احترام السن والعلم والمكانة بين الناس وكانت في اول الاسلام شفوية ثم اصبحت كتابية او يجمع فيها بينهما وكان المسلم شديد الحرص على الوفاء بعهده ولا تزحزحه المطامع واذا دعاه الامر للدفاع عن بيعته حمل السلاح وقاتل واستشهد في سبيل عهده.

وسارت الدولة العلوية على النهج الاسلامي في بيعة ملوكها واول ملك علوي اخذت له البيعة العامة بالمغرب هو المولى الرشيد الذي عاجلته المنية قبل اكمال رسالته وتولى بعده المولى اسماعيل فوحد المغرب وبنى امجاده بناء محكما قويا وبعد وفاته حدثت بالمغرب احداث جسام الى ان بويع الملك المصلح محمد بن عبد الله فاسترد للمغرب هيبته وقضى على الشغب والخلاف واسترجع للمغرب بعض المدن التي احتلها البرتغاليون ووقف في وجه المطامع الاجنبية برأي حصيف وحزم مستنير وحكمة بالغة وقد بايعه الشعب المغربي لكفاءته ومقدرته وعلمه ووفائه واستقامته واسترسل الحال بعده الى مبايعة الملك المجاهد الحسن الاول في ظروف محفوفة بالاخطار فواجهها مواجهة الخبير المتبصر وقضى معظم ايامه في مقاتلة الخارجين والمتآمرين واستطاع ان يجمع وحدة المغرب بعد تفككها وان يضرب المعارضين الجامدين النكاثين وبعد وفاته مر المغرب في ظروف قاسية واليمة وابتلي بالاستعمار الاجنبي والاحتلال العسكري وفي هذه الفترة الحالكة بويع محمد الخامس وقد هيأه القدر ليقود شعبه للخلاص من ربقة الاحتلال وكان عميق الايمان بالاسلام وتعاليمه شديد التمسك بالعروبة وامجادها فقاد المغرب بحكمة ووطنية نادرة الى ان رد الاعتبار لوطنه. بجهاده وجهاد شعبه بقيادته وتحمل وقاحة الاستعمار عندما خلعه الفرنسيون عن عرشه ليعود اليه حاملا بشرى الحرية والاستقلال.

ولما شاءت ارادة الله ان ينتقل الى الرفيق الاعلى خلفه ولي عهده جلالة الحسن الثاني الذي يعتبر من الابطال العظام الصامدين فورث سر ابيه ليقود المغرب من نصر الى نصر ومن عزة الى عزة ومن مجد الى مجد.

وقد بايعه الشعب المغربي قاطبة بعلمائه واحزابه وهيآته وافراده فكان خير خلف لخير سلف وانبرى يكمل تحرير وطنه مما تبقى منه في يد المحتلين فكان هو الموحد للمغرب بعد شتات ومحرر الصحراء بلا منازع فبقيادته الحكيمة يتخطى المغرب العقبات ويقطع المراحل ويحقق الامال ولا شك انه مفخرة من مفاخر الدولة العلوية الشريفة وقائد اسلامي ماهر وزعيم عربي فريد وسوف يحقق المغرب بقيادته امجادا وامجادا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز.





للأستاذ محمد العثماني

قال جلالة الحسن الثاني في نهاية خطابه التاريخي الذي ألقاه في مؤتمر نيروبي الثاني، وهو يرفع بيده علم المغرب .

«.. انني مسؤول عن حماية هذا العلم، لانني أمثل المغاربة كخادم، لا كملك يسودهم، بل هم يسودونني» : بهذه الكلمة المعبرة اعطى الحسن الثاني للتاريخ مفتاح شخصيته، واعطى للباحثين مادة غزيرة يستوحونها في البحث والتحليل، وجوانب مضيئة من عبقريته، تنكشف على ضوئها اسرار وخصائص للشخصية الفذة والعظمة الذاتية التي يتميز بها الحسن الثاني العظيم .

والكلمة الملكية تحمل معنيين كبيرين :

1) حماية الوحدة الوطنية، وقد عبر عنها جلالته برفع العلم والالتزام القسمي بحمايته .

2) ريادة الديمقراطية، وقد عبر عنها جلالته بقوله : أنا خادم المغاربة، لا اسودهم بل هم بهذا الاعتبار يسودونني..»

هذا ما يتبادر الى ذهني وانا احمل القلم لاكتب شيئا حول هذه الذكرى المجيدة، ذكرى عيد العرش الخالد ...

اذا راجعنا تاريخيا بعيدا نجد ان دولة المغرب من احرص الدول على وحدتها، أرضا، وانسانا، وعقيدة، ووجدانا، وعلى حماية حدودها التي كانت في الماضي لا يمنع امتدادها البحر على جهة الشمال الغربي، ولا صحراء شاسعة على جهة الجنوب، ولا بلاد واسعة اصبحت فيما بعد دولا على جهة الشرق، ثم غير الزمان مداره فجاء تاريخ ليسخ تاريخا، جاء تاريخ ليقلب التاريخ ويبدل الارض غير الارض، ليقعد دولا ويقيم دولا، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء على خارطة الدنيا وعلى صعيد القارات ..

الا ان الحقيقة التاريخية تعلن دائما وعلى مدار الزمان ان المغرب لم يغير التاريخ موقعه الحضاري، وان نقص ارضه من اطرافها، ولا خضع لاي تأثير اجنبي عن عقيدته وتراثه، فيحوله عن مساره التاريخي الذي اختاره منذ اكثر من 14 قرنا، وهو الاسلام الذي ارتضاه الله للناس دينا يهيمن على الحياة والناس، او يحوله عن نظامه المؤسس على تقوى من الله ورضوان، وهو منهاج الحكم الذي اختاره منذ عهد ادريس الاول الى عهد الحسن الثاني العظيم .

هكذا نرسل نظرة خاطفة الى تاريخنا البعيد القائم على قاعدتين ـــ الاسلام والعرش، لان العرش المغربي في سائر ادواره التاريخية مرتبط بالاسلام، كما ارتبط به الاسلام في هذه الديار .

واذا رجعنا الى الوراء قليلا لمراجعة تاريخنا القريب نجد المغرب في بداية هذا القرن يفقد استقلاله بسبب تكالب الدول الصليبية على بلاد الاسلام شرقا وغربا، وقد كان المغرب حافظ على استقلاله حتى آخر لحظة، بمعنى انه آخر من سقط تحت الاحتلال الاجنبي

في قارة افريقيا، وقبل المغرب ــ مثلا ــ بسبعين سنة سقطت الجزائر التي كانت تابعة للحكم التركي، تحت الاستعمار الفرنسي الذي دام اكثر من 130 سنة، فجعلها جزءا من التراب الفرنسي دستوريا، ودون ان يكون لها حق في السيادة، بحجة انهم وجدوها بدون سيادة ولا نظام حكم ذاتي على الاقل.. ومعنى ذلك ان الجزائر ليست لها جذور تاريخية كدولة ذات كيان ونظام دولي.. او ليست لها بوصلة تاريخية على حد تعبير جلالة الحسن الثاني في حديث الصحافي اللبناني جلال كشك منذ سنوا. قال جلالته :

«عندما تتحرر الشعوب لابد لها من بوصلة تحدد اتجاهها، ولكن مشكلة الجزائر هي انها تعرضت لقهر استعماري دام عدة قرون، من الاتراك الى الفرنسيين، فقضى على الشخصية الجزائرية، ولذلك افتقد الاتجاه، لانه لم يجد البوصلة، لا في جيبه ولا في مكتبة قديمة، ولا في خزانة الوالد، وكان من الممكن ان يتكيء على شقيقيه في اليمين واليسار ــ التوانسة والمغاربة، لا لنعطيه بوصلتنا، فهي لا تصلح له، ولكن لنعينهم على تركيب وتحديد بوصلة، ولكنهم اختاروا العمل الانفرادي» .

ويعجبني ما ختم به الصحافي حديثه حيث قال : «.. فودعت الرجل الذي شغله صنع التاريخ عن هواية تدريس التاريخ».

الواقع ان المغرب بعد ان استهلك طاقته في الدفاع عن سيادته واستقلاله وقع بدوره تحت الاحتلال باسم الحماية، لا باسم الاستعمار، ففقد الاستقلال حينا من الدهر (44عاما) ولكنه لم يفقد سيادته في يوم من الايام، بفضل العرش الذي بقي منارا لتاريخه وحضارته، ورمزا لوحدته وسيادته، فلم يستطع الاستعمار ان يغير مسار التاريخ، ولا ان يقتلعه من جذوره.

لقد ادرك هذه الحقيقة اول مقيم عام لفرنسا بالمغرب الماريشال ليوطي الذي كانوا يسمونه (خالق المغرب) فقال في التقرير السري الذي رفعه الى حكومته وهو يزاول مهمته بالمغرب.

.. اننا وجدنا هنا دولة وشعبا، دولة لها نظامها وادارتها، وشعبا يختلف عن الاهالي في تونس والجزائر.. وزاد قائلا :

«.. لسنا هنا امام التونسي البارد، ولا امام الجزائري المتهور، ولكننا امام المغربي النشيط الذكي الذي ينزع الى الحرية ويتطلع شبابه الى مباشرة شؤونه» ثم قال وهو يحذر حكومته من الاعتماد على الجيش دون مشاركة المغاربة في الادارة والتعاون معهم..«اننا بدون ذلك نمر على جسر سريع العطب».

كذلك كان، فلم يهدأ بال في المغرب للاستعمار، ولا طاب له ولجيشه القرار، فمن ثورة مسلحة في الاطلس المتوسط، الى ثورة الريف، الى مقاومة مستمرة في الاطلس الصغير. الى الحركة الوطنية والتنظيمات الشعبية التي ظهرت مع بداية الثلاثينات، وبالضبط، مع اعلان الظهير التنصيري الذي يعرف في تاريخ النضال الوطني «بالظهير البربري».. فبلاد جزولة (سوس) لم تلق سلاح الدفاع عن الوطن الا في سنة 1934 م اي بعد الحماية بـ 22 سنة، وقبل الانتفاضة الشعبية العارمة بـ 18 سنة، والتي فجرها حادث ابعاد جلالة المجاهد المغفور له محمد الخامس ــ رضوان الله عليه ــ وهو الحادث الذي فجر الطاقة الوطنية في هذه الديار، فعصفت بالاستعمار، ومن معه من الاعوان والانصار.

كان برنامج الاستعمار، والهدف الذي يسدد له هو التخطيط المستمر لتمزيق وحدة الوطن أرضا وشعبا، ولغة، ودينا، ونظاما.. وقد بالغ في تمزيق المغرب، فاخضعه لخرائط متعددة ومعقدة عاش منها حينا من الدهر وضعية الانشطار والانفصام.

1) خريطة سياسية، وهي عبارة عن مناطق مخزنية، ومناطق عسكرية.. ومناطق بربرية، واخرى عربية..

2) خريطة دولية ــ منطقة تحكمها فرنسا ــ ومنطقة تحكمها اسبانيا، ومنطقة تخضع للنظام الدولي (طنجة).

وفي داخل هذه الخريطة تركيب عجيب، فاسبانيا تحكم مناطق الشمال باسم الحماية، وتحتل الصحراء الغربية باسم الاستعمار والضم الى الدولة الاسبانية، وتحتل منطقة افني وقبائل آيت باعمران تارة باسم السكان، وتارة باسم السلطان، واخرى باسم الادماج في النظام الاسباني.

اما فرنسا فقد وضعت تندوف والصحراء الشرقية تحت حكم خاص كاحتياط لما قد يحدث، ثم الحقتها بالجزائر لتوسع بها املاكها التي تعتقد ان ملكيتها تدوم لها.

3) خريطة قضائية ــ اقاليم تخضع للمحاكم الشرعية الى جانب المحاكم المدنية، واخرى تخضع لمجالس العرف، وبعبارة ــ محاكم عربية (ومحاكم بربرية) الى جانب المحاكم الفرنسية مدنية وعسكرية.

4) خريطة اقتصادية، وهي التي بنوها على المبديء المعروف ((المغرب النافع، والمغرب الغير النافع)).

5) والى جانب كل ذلك اسس مراكز التنصير في مختلف الاقاليم لزعزعة العقيدة واستيلاب التراث الحضاري والوجداني الديني.. وهذا الاستلاب، هو الهدف الذي يرمي اليه الاستعمار القديم والجديد.

الحقيقة ان للاستعمار اهدافا قريبة واضحة هي وسائل فقط لاهداف بعيدة لا تظهر للبسطاء السطحيين، ولكنها هي الغاية المرادة، وما سواها انما هو تخطيط وبرمجة للوصول اليها.

فرنسا ــ مثلا هل كانت تعمل للسيطرة على الارض والانسان؟ نعم، ولاخضاع الشعب لحكمها وهيمنتها ؟ نعم، كل ذلك صحيح، ولكن الذي تريده بالدرجة الاولى هو غسل الادمغة وفصل الشعب عن قيمه وعقيدته، وبتعبير اوضح : احياء الصليبية بعقاقير جديدة ووسائل تقنية لا يوبه لها الا بعد حين، وبعد فوات العلاج على المصلحين.

ولعل اصدق كلمة كشفت النقاب عن هذا المخطط الرهيب ذلك التصريح المثير الذي فاه به رئيس الديبلوماسية الفرنسية اثر اختطاف جلالة المغفور له محمد الخامس بساعتين، وهو قوله : «ان هذه العملية الرائعة نصر للصليب على الهلال».

كلمة ذات مدلول كبير صرح بها جورج بيدو وزير خارجية فرنسا آنذاك، فقد سحب صفة الروعة على العملية القذرة واعطاها مدلولها الاساسي، واذا كان لبعض الاحداث الكبرى في التفسير والتقدير عبر ومفاجآت، فان لهذا الحدث الفاصل اكثر من عبرة واكثر من مفاجأة، فقد انقلب تفسيره لدى المخططين له، فاعطاهم اسوأ النتائج وابعدها في السلبية والانعكاس، فشاء الله لإرادة الشعب الا يتجاوز عمر هذه العملية (الرائعة) في نظرهم اكثر من 26 شهرا، والا ينتصر الصليب على الهلال في هذه الديار التي اراد الله ان تبقى دار الاسلام ولغة القرآن.

****

كان المخطط التمزيقي الذي عرضنا بعض خطوطه مدلا خطيرا لتدمير الوحدة الوطنية، وتهيىء المغرب ــ ولو على المدى البعيد ــ للتجزئة الى ولايات او دويلات كما فعلوا في بلاد الشام بعد ان تقلص عنها ظل الخلافة الاسلامية.

ولكن المغرب له في نظامه وعرشه العريق حماية من التمزيق، ومناعة ضد التأثر بعوامل الانشطار، فقد وجد جلالة محمد الخامس نفسه امام هذا المخطط الرهيب، فشرع في مسلسل النضال ــ وبجانبه ولي عهده جلالة الحسن الثاني ــ لابطال مفعوله وضربه في الصميم على مراحل.

1) في 1943 والحرب العالمية يتضح مسارها لفائدة الحلفاء طرح الملك المجاهد قضية المغرب في مؤتمر انفا الشهير.. فاخذ من الرئيس روزفيلت وعدا بتمكين المغرب من حقوقه المشروعة بعد انتهاء الحرب.

2) في 11 يناير 1944 ــ والحرب تقترب من نهايتها أوعز جلالته الى الحركة الوطنية بتقديم وثيقة الاستقلال المعروفة..

3) في 9 ابريل 1947 اقدم جلالة محمد الخامس على زيارة طنجة رسميا بالرغم من معارضة فرنسا، ومحاولة عرقلته بتدبير مذبحة الدار البيضاء في 7 ابريل 1947، حيث اعلن جلالته في خطابه التاريخي ان المغرب يطالب بحقوقه التاريخية وتوحيد ترابه.. وليس من الصدف ان ام المسلمين في صلاة الجمعة، بل ذلك تعبير بليغ للاستعمار الدولي عن تمسك المغرب بحقه في الوحدة والاستقلال.

وبسبب هذه الحركة التاريخية التي هزت اركان الاستعمار، عزل مقيم فرنسا العام «اريك لابون»، وعين مكانه الجنرال «جوان» لممارسة الضغط والتهديد على القصر الملكي والحركة الوطنية التي تستمد طاقتها من العرش والجالس عليه.

4) ولتوكيد المعنى العميق لزيارة طنجة واشعار فرنسا عمليا بان الملك هو رمز سيادة المغرب وضامن وحدته قرر جلالته محمد الخامس رفع العلم المغربي على القصر الملكي لاول مرة في تاريخ المغرب على عهد الحماية.

ففي 19 مايو 1947 ترأس جلالة محمد الخامس احتفالا رسميا مؤثرا لرفع الراية المغربية فوق القصر الملكي الذي يجسم سيادة المغرب ويضمن تحقيق آماله في الحرية والانعتاق.. ويلاحظ ان هذا الحادث التاريخي وقع بعد زيارة طنجة كرد فعل للضجة التي اثارتها في فرنسا والاوساط العالمية.

وهذا العمل الجزئي بالقياس الى ذلك الظرف الدقيق قد يكون رد فعل مقابل لحادث طغت عليه الاحداث فاغفله التاريخ او غفل عنه.. ذلك هو ازالة العلم المغربي فوق الادارات الرسمية في تافراوت وما جاورها من بلاد جزولة، بعد ان وضعت الحرب اثقالها، وحين كانت فرنسا تفكر في ضم سوس الى الصحراء الشرقية، او فصلها عن الشرق والشمال كولاية ملحقة بارض فرنسا، لا ندري، كل شيء ممكن، ويدور في امخاخ المستعمرين آنذاك.. ثم بدا لهم ما بدا فاعادوا العلم الى مكانه بعد غيابه عدة اسابيع..

5) في 1950 م قدم جلالة محمد الخامس الى فرنسا مذكرة المطالبة بحقوق المغرب المشروعة، ثم استدعى جلالته من طرف رئيس الجمهورية لزيارة فرنسا بهدف دراسة مضمون المذكرة، فقام جلالته بتلك الزيارة التي انتهت بتصلب فرنسا وصممها عن الاصغاء الى صوت حق المغرب في فسخ عقد الحماية.. ثم عاد جلالته بعد ان ترك في فرنسا مذكرة ثانية اشد صراحة وأحد لهجة.

وهكذا سارت الاحداث سراعا حتى بلغت قمتها في عهد مقيم فرنسا العام الجنرال «كيوم» الذي نفذ عملية ابعاد جلالة محمد الخامس عن عرشه، ولكنه لم يستطع ان يبعده عن التاريخ، ولا ان ينزعه من قلوب شعبه، فكانت هذه العملية بداية النهاية للوجود الاستعماري في هذه البلاد.

اتيت بهذا العرض السريع لمراحل كفاح العرش ومقاومته لمخطط تمزيق الوحدة الوطنية، لنرى كيف اتقن الاستعمار ذلك المخطط وعقده، ولنتذكر المسلسل البطولي الذي ابتداه جلالة الملك الراحل لتصفية التركة الثقيلة التي خلفها الاستعمار، ثم استأنفه خلفه ووارث سره وجهاده جلالة الحسن الثاني حفظه الله.

مرت 23 سنة من عهد جلالة الحسن الثاني، والمغرب — بريادة جلالته — يحرر مزيد من المكتسبات، ويحقق في مجال استكمال وحدته الترابية اروع الانتصارات، فقد تحقق في عهد جلالته من المنجزات الاقتصادية والعمرانية والاجتماعية، الى جانب تحرير الجناح الايمن من الوطن، ما يملأ صفحات التاريخ ويزين امجاد العرش العلوي.

ومراعاة لموضوع حديثنا نذكر — فقط — ما تم على يد جلالته من تحرير الصحراء بفضل المسيرة الخضراء التي كانت حدثا تاريخيا لفت انظار الدنيا وملأ اسماع الزمان، وغطى على احداث القرن الذي ودعناه منذ اربع سنوات مع العالم الاسلامي، وكأن الدورة التاريخية بالنسبة الى المغرب وقعت ارهاصاتها بالمسيرة الخضراء ليستعيد بعدها كل امجاده، ويستأنف سيره الى المستوى الحضاري الذي كان له في ضمير التاريخ.

لقد سجل المغرب انتصارا عظيما بقيادة عاهله العبقري وهو يقتحم الصحراء، ويحطم الحواجز الوهمية التي وضعها الاستعمار الصليبي بين شطري المغرب — شماله وجنوبه، فكان اول انتصار من نوعه في التاريخ اتى عن طريق الزحف السلمي الذي قام به الشعب في نظام رائع وانتظام بديع، موحد الصف والكلمة خلف رائده العظيم.

الا ان المغرب لم يمر بمرحلة من مراحل بناء استقلاله واستكمال وحدته الترابية، هو احوج فيها الى توحيد الصف وتكتيل الجهود، والتعبئة المادية والنفسية من هذه المرحلة التي نحن فيها الآن وجها لوجه مع عدو خبيث لئيم يتسم بالشراسة والوحشية وتخريب الذمم ونقض العهود واساءة الجوار.. عدو من نوع شاذ لا يمل المخاتلة واللف والدوران، لانه — الى جانب عداوته الغريزية — معبأ من قوى خارجية لتفجيره متى ارادت، وفي اي موقع حددته، فهو لغم جاهز برؤوس متعددة تنفجر في آن واحد على اكثر من جهة وضحية، وقد كنا منذ سنوات هدفه، فحاول جلالة الحسن الثاني بحكمته ونبله نزع فتيله وابطال مفعوله، ولكن اللغم اللعين يزداد التعبئة بادوات التفجير طالما تشبث المغرب بحقه، وكلما نجح في مرحلة لاستكمال وحدته الترابية.

ان افريقيا اصبحت حقلا لالغام الا عملاء ينجح الاستعمار الايديولوجي في اختيارهم واعدادهم وتاطيرهم ليصدروا الفتنة والشغب الى جيرانهم، والى كل شعب كان للاستعمار الخارجي مصلحة في توهينه وتحطيم قدراته، ومسخ هويته حتى لا يكفر الا نفكر ا نجح الاستعمار في زرعها، فكل لغم موقوت يفجره الزارعون في الزمان والمكان المحددين وما هذه الالغام المستعمر، ولا يحمل الا شعاراته التضليلية التي توهم الشعوب انها ستجد فيها علاجا لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية التي تتعقد كلما الح العملاء على ربط عجلتها بقوى اليمين او اليسار.

ان القارة السمراء اصبحت ضحية اولئك المجانين الذين يلعبون بمصيرها، وهم — مع الاسف الشديد — من ابنائها العاقين المسخرين لاثارة الفتنة بين شعوب القارة وتهميش القضايا الاساسية المشتركة وتعويمها في الزوابع التي يثيرونها هنا وهناك، بهدف وقف قطار القارة عن السير في طريق التنمية والبناء.

وكما قال جلالة الحسن الثاني في المؤتمر الصحفي الذي عقده بعد مؤتمر منروفيا:

«.. **اننا نعيش في عالم يزداد حمقا، فان اي مغامر يستطيع ان يضع درهما في جهاز الهاتف العمومي، فيتصل بالمطار ليشعره بان قنبلة موقوتة وضعت في طائرة المسافرين المستعدة للاقلاع، ثم يتأخر اقلاعها بساعات**».

انه درس قيم اعطاه جلالته للعالم، ولافريقيا بصفة خاصة.

ان المكتسبات التي حصل عليها المغرب من مسيرة فتح الى تحرير وادي الذهب لا تقل عن المكتسبات التي تمخض عنها الغاء عقد الحماية سنة 1956 ، فقد تبخر كل ما هيأ العدو من مكر وشر لاغتصاب قواعد ثابتة في صحرائنا، بفضل يقظة جيشنا الباسل، وحكمة العاهل الرائد، فاصبح العدو امام الواقع المر الذي من شأنه ان يفسد عليه الخطط ويحمله على التقلص امام الحقيقة الناصعة، كما قال «لافونطين» **الانسان يتقلص بردا امام الحقائق، ويتأجج حرارة عند الاكاذيب.**

ان الشعب في صحرائنا يحتفل الآن مع الشعب في كل الاقاليم المغربية بعيده الوطني، فالمسيرة تزحف والذئاب تعوي.. ان ثلاثين صفرا من الدول الخائعة لا يساوي الا صفرا واحدا فليس هناك رقم صحيح اذا اعتمدنا على انفسنا وعلى ايماننا وعزيمتنا.

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل

اكادير : محمد العثمان



جلالة الملك الحسن الثاني ملك النضال

للشاعر الاستاذ مولاي الطيب المريني دنيا
نائب عميد كلية اللغة العربية بمراكش

دعتني المعالي ان ازف لك الشعرا … وانشده حبا، وقد جدت الذكـري
وما كانت الذكرى ليوم تربعت … جلالتكم فيه سوى النعمة الكبرى
فهل ياترى يستصعب الشعر شاعرا … وقد نطقت اعمالكم بالذي يدري
وهبني افضت القول جهد بلاغة … فهل استطيع الوصف، او ادرك الحمرا
وانت الذي حملت رغم حداثة … امانة هذا الشعب، تبغي له الصدرا
كفاح مرير خضته بشجاعة … بها جدك الاعلى يتيه وقد سرا
انارت لك الدرب الطويل عزيمة … قهرت بها الاحداث، تطعمها الحرا
عرفت هموم الشعب، طفلا، ويافعا … وكهلا، فاوجبت الفداء لها الدهرا
وهل مثل حر مادرى ذول عهد … (حماة) يطيق الذل، او يقبل القهرا
وما كان هذا الامر نزوة قادر … يرى بطشه عدلا، ورحمته جورا
ولاكنه امر (التخلف) في الورى … يعز ذليلا، اذ يهين الفتى البارا
وما كل ما يلقي الفتى صنع نفسه … ولاكنها الاقدار تجبرنا قسرا
فبادرت والشهم الهمام (محمد) … على جدث منه يفوح الشذى عطرا
تجدد منهارا، وتبني مجددا … لتهزم روح الشر ملتحفا غدرا
لترفع اعلاما (وحقك) لم نزل … بها نتهدي حتى قطفنا بها النصرا
وزايلنا الكابوس، لاكان عهده … وان كان عهدا مظلما صنع الفجرا
فأذن في صبح له كل مؤمن … وقام يصلي للذي دفع الضرا
ويسأله التوفيق في صنع حاضر … جدير بان يحيا، جدير بنا قدرا
فعبر عهود المجد كان لقاؤنا … مع الحدث المشهود، ميزتنا الصغرى
وهاهي ذي الارقام اكبر شاهد … بمالك من نعمى، تمجد في الذكرى
فهل مثل جيش انت ماسك درعه … رسول سلام، يرهب البر والبحرا
يرد الاذى عنا، ويحمي عريننا … ويزرعها امنا، ويمنحها خيرا
سوى نعمة افضالها لك عائد … وقد ركب الخطب الكريمه وفي الصحرا
ليضمن تحريرا لجبات رملها … (من القزم) الباغي، غدا امره امرا
ليفهمه انا اسود معارك … لزاما علينا ان تواريه القبرا
وهل مثل تعليم الشباب وسيلة … لقطع مفازات مخاوفها تدري
اقمت له في مدة قل مثلها … معاهد، للاعداء قد قصمت ظهرا
فهام بها الرواد يحدو جموعهم … شعور دفين بالتعلم قد اغرى
يقولون، لا نرضى وفينا جهالة … كما قلتم، طابت مواقفكم طرا
ومن رضي الجهل اللعين زمانه … يطل غمه، مهما تكبر واغترا
ويرفضه العصر الذي هو روحه … وتلعنه الاجيال، ساخطة شزرا
ولم ينسك الانسان ارضا وهيتها … حياتك فوق الحد مستعذبا اسرا

فعانقت في اجوائها الريح بعدما ... ابيت على (الجلاد) ان يصدر الامرا
فاطبقت الدنيا عليه، كأنما ... قيامته قامت، وقد ورد الحشرا
فلما رأى ان الحقيقة غيرما ... رأى، وكيان الشعب لن يقبل الهدرا
وأيقن ان الارض ملك لربها ... وان سيطر الباغي الدخيل بها عصرا
واذعن للاحرار يخطب ودهم ... وقد هاله هول الفجائع اذ تترى
توليت انت الدفع، دفع سفينة ... وقد ماجت الامواج من حولها شرا
تعيد لها الالواح، والخرق سافر ... يراه الذي عين الحقيقة قد يقرا
فاجريت في سهل البلاد وحرثها ... بحار سدود، قد تديم لها القطرا
ورصعتها بالباسقات شوامخا ... نضيج ثمار، لا نزال به سكرى
لربح رهان قد وضعت اساسه ... لمصلحة الانسان، انعم به ذخرا
سنربحه حتما، وفينا سواعد ... ستجعل من صخر اجنتها الخضرا
ومن وهب الارض الحبيبة نفسه ... يحطها بغال من جهاده مفترا
وينسى الحدود الامنات مقاوما ... لفك التي في الاسر، مسترخصا عمرا
فيا قدس النصرآت، وحق من ... بعيده قد اسرى، سنسجد في المسرى
كذلك قال العاهل الحسن الذي ... اذا قال قولا رددته الدنا جهرا
سيفديك بالارواح ياقدسنا التي ... بك الظلم قد والى جرائه النكرا
وها أمة الاسلام ساعده الذي ... اذ ما رمت عن قوسه بلغت امرا
فقد اشهدت كل الضمائر عندما ... (بمكة عند البيت)قد رفضت جورا
فيا أمة الاسلام وحدتك التي ... بها سنزيل العار عن قدسنا، جبرا
فما فرقتنا غير ايد اثيمة ... رأت في اجتماع الشمل محنتها البكرا
فهبت وفي تخطيطها الموت كامن ... وفي موتنا كان الوجود بها احرى
وما مات من كان الجهاد سبيله ... ليحيا شريفا غير منتقص قدرا
والا فان الموت حتما نصيبه ... وما هو الا العار، والخزي في الاخرى
فحي عليه لا تهلك عصابة ... على المكر قد عاشت، وما اقبح المكرا
ويا لجنة للقدس بوركت ملجئا ... وبارك رب الكون رائدك البدرا
واسعده بالفتح وفق جهاده ... والهمه التوفيق يحفظه ذخرا
ودام لنا فكرا، وروحا مشعة ... ودامت له النعماء تزجي له الشكرا
ودام ولي العهد يوسم خطرة ... وقد حقق الآمال تنتظم القطرا

مولاي الطيب المريني دنيا

أبداً تنشئ الحياة وتبني ...

للشاعر الأستاذ عبد الكريم التواتي

عهدك التزاهي (يامتني) روائع   كل شيء مرونق رائع
عهد يمن تترى رخاء اديه   وترى نعماؤه، والمنافع
هل عيدا، ودام عيدا، واعياد   ك أيامها النجوم السواطع

****

كان يمنا على الحياة وبشرى   لبنيها، وهل اسعد طالع
فالسماوات والملائك والأ   رض لدنياه داعيات ضوارع
ردد الكون في ابتهال دعاها   وارنت مساجد وصوامع
وشدا المغرب المفدى وغنى   وهفا: عاش عهده للمرابع

****

والحياة ازدهت وهلت تباشير   ، اشاقت بكل ابهج ماتع
تتباهى ان هل عيد المثنى   والمثنى روائع وبدائع
وسباها عرش اثيل فراقت   وتباهر محاسنا وصنائع
وتثنت من الغضارة نشوى   اسكرتها اشواقها واللوائع
وتهادت دنيا المباهج جذلى   قبلات الهنا ويمن الطوالع

****

وبدا الكون، كل ما فيه زاه   يتغنى، يشدوه فيجشجي المسامع
الربيع الضحوك ريان ساج   هدهدت رفهه الغيوم الهوامع
تتملاه في انتشاء ازاهير   الروابي وياسمين المرابع
وتناغيه ريقات التهاني   وتحيات بالرواء رصائع

****

والنهير الوسنان داعب شطيه   نسيم مضمخ العطر وداع
فجرى ينشد الرياحين انسام   الخوارزمي، والورد ريان ضائع
طارحته خمائل الروض اشواق   الاماني وأغنيات، المنابع

واسرتها للطيور فهاجت ... بلغاها : عناديل وسواجع

بك (آدار) يامثنى قد اعتـ ... ـز، وعزت ايامه بالبدائع

عز آدار، فالزمان له خـ ... ـدن، واذار منتداك يطاوع

وبناغي ايامه الغر، يـ ... ـاغرة عرش موطد العز فارع

(حسن) الفأل كان (اذار) فألا ... وشعارا، وكان حسن مطالع

لم تتوج به اعتباطا، ولكن ... كان بشرى لخالدات الصنائع

كان فتحا على العروبة والاسـ ... ـلام والضاد، للمبرات جامع

كان للمغرب الحبيب ازدهارا ... ورخاء وانعما ومناجع

****

والمثنى لامة المغرب الا قصـ ... ـى ربيع مغد ودون النبت يانع

قد، لنا، الله خاره فسعدنا ... والسعادات في حماه منابع

ولقد طابت الحياة بما اسـ ... ـدى، فدنيانا طيبات المراتع

ولئن تاهت الكنانة بالنيـ ... ـل، وبغداد بالفرات ترافع

فلقد شدت – يامثنى – سدودا ... ما لها النيل والفرات تضارع

الفيافي تحت عيونا، واو ... اشر المفازات ظلة ونواجع

وبساتين من حدائق رف الظـ ... ـل فيها، والعيش رفهان واسع

سر شمالا، او سر جنوبا، فاثـ ... ـار المثنى فيض من الخير تالع

واذا طفت غربا شاقك الخصـ ... ـب ربيعا ومزهرات المزارع

واذا الشرق زرته شمت آيـ ... ـات نماء : معاملا ومصانع

اين يممت طالعتك شهود ... ناطقات بالمعجزات النواصع

كليات شوامخ المقصد، حفتـ ... ـها كلا معاهد ومجامع

أرفدتها (اكاديميات) تاهت ... بهداة فطاحيل ومصاقع

حول ابنائها تجمعت الدنـ ... ـيا، وآراء قومها والنوازع

بين شرق ومغرب وشمال ... وجنوب، والعلم اوثق جامع

****

ابدا تنشيء الحياة وتبني ... تتحدى عراقيلا وموانع

دين (طه) عقيدة، وملاك الامـ ... ـر دستور من هدى الشعب نابع

صنت للعدل والقوانين شأنا ... حين بالدين حطتها، لا المقامع

فاستقامت دسوتها واستقرت ... نظما يشتفي بها كل ضالع

****

وتأليت ان يوحد هذا الشـ ... ـعب دينا ومذهبا وشرائع

وبصان الاسلام والضاد والا ... رض، وتحمي اصالة وطبائع

فأياديك – يامثنى – تتالت ... منجزات مخلدات الروائع

كل يوم علـيك للوطـن الغالـ ـي التـزام اخترتـه وتوابـع

والتزمـا اذا التـزمت ومـا شعبـ ـك الا ما ترتيـه يشايـع

أبـدا كنت للعروبـة للاسـ ـلام، للقـدس، جنـة ومـدارع

و(فـلسطين) في حيـاتك ميثـ ـاق تبنـاه شعـبك الحر طائـع

قد تحمـلت في صمـود وايمـ ـان قضاياهـا باذلا كل ناجـع

ولئـن غيرك استلـذ المعاذيـ ـر، فقـد رمت ـ أنت ـ كل الذرائـع

****

وتبنـيت وحـدة العـرب على اللـ ـه يشفـي اذواءهـم والمواجـع

في الإرادات في المناهـج في السـ ـر، وفي الجهـر، في اقـتضاء الدوافـع

ورأى العـرب، والخليفـة، في خطـ ـوك رشدا قد صدقتـه الوقائـع

ورأوا عزمـا ايدتـه مزايـ ـاك، ونضجا منذ كنت ـ يا ملك ـ يافع

ولقـد حنـكت قـناتك غيـ ـلان الدواهـي فلـم تهنها الزعـازع

انما زادهـا العنـاء مراسا يتحـدى مروعـات الفواجـع

فاستخـاروا، فايقنـوا أن اراءك مصبـاح للـمسيرة لا مـع

فتـواصوا، وقلـدوك ـ على طـ ـوع ـ مقاليـد أمرهـم والمنافـع

ورأوا أنك المرشح يا مسعـ ـر حرب إذا تدوي المدافـع

ولقـد كنت ـ يا مشـاي ـ كفـؤا عربيـا ومسلمـا ومصارع

****

يا مشـى، وعيـد عرشك عيـ ـد الشعب إنـا لما تراه نسارع

شهـد اللـه والملائك أنـا في هواكم لا نمتـري، لا نصانـع

إنـه الحب خالصا وولاء روحـه الطهـر والوفـاء دوافـع

ربـطت بيننـا عهـود قطعنـ ـاهـا، وايمان وشجتها المراضع

ومقاديـر وحدتنـا مدى الدهـ ـر، وكانت لغـى الهدى خير جامـع

ومـواثيـق بيعـة رضّهـا اللـه واجمـاع شعبـك المتتـابـع

بيعـة لم يشبها زيـف ولم تعـ ـبـأ بزيـغ، ولا بكيـد مخادع

انها بيعـة الجدود وآبـ ـاء تألـوا ان لا يخونـوا الودائـع

عاهـدوا اللـه ان يفـوا بالمـ ـواثيـق وينقضوا على خبـيث المطامـع

وعلى دربهم نسير ونقفـو يـقين خطاهـم ونتابـع

****

يا مشـى عنايـة اللـه تحمـ ـيك، وشعب معـأ، لك طائـع

سر لتحريـر ارضنـا وصحـار انـا، فكـل رديـف، وجـيشك رادع

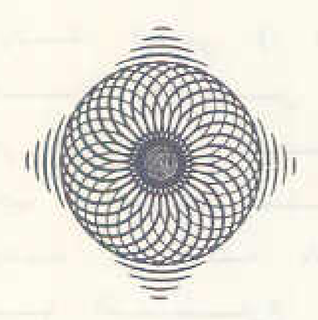
كذب الادعيـاء، ما في مداهـا لسوانـا منـابذ او منـازع

هيـا منـا، ونحن منها توابـ   ـخا ودينا والسنا وطبائع
وشجت بيننا المنابت، مذكانت   وكنا برغم انف المنازع
ليس فيها لغيرنا اي حق   لا أياد، ولا رؤوس اصابع
اي حق لغيرنا في ثراها   نحن ابناؤها، وهي المراضع
..وقضى الله ان يحقق آملك، والد   ـه للمحقين سامع
فمضى جيشك المعبأ يسترجـ   ـع غصبا، وكل ما هو ضائع
زاحفا يسحق العدو، ويجتـ   ـث الخزايا : قيادة وتوابع
والاله القدير ربك للحـ   ـق نصير، للظلم اعظم قامع
فالحمى عز، والحدود امان   والصحاري معززات الموانع
والاعادي مرزأون اسارى   وخزايا، والله للبغي باخع

****

(حسن)الفعل انت آمال شعب   يتحدى بك الدواهي القوارع
شاقة عيدكم فماس اختيالا   ودعا الله خاشع القلب خاضع :
... كل شبر من ارضنا، كل بيت   كل قلب يدعو ويهتف ضارع...
يارعى الله عرشكم،، وولي العهـ   ـد، وليحفظ الحمى والمرابع

فاس :عبد الكريم التواتي



هدية أنت من رب السماوات

ملحمة تمجد عهد جلالة الحسن الثاني في عيد العرش المجيد

للأستاذ الشاعر أحمد عبد السلام البقالي

هدية أنت من رب السماوات
تضيء كوكبنا بين المجرات
من نوره مثل مصباح اشعته
من كوكب ساطع في قلب مشكاة
ورائد انت لم يكذب عشيرته
يوما، ومرشدها وسط المتاهات

* *

اربع قرن مضى ؟ ! ما كان اسرعه !
وكان أقصر أعمار المسرات !
في عمر قصة حب مالها ابدا
نهاية، فهي في فجر البدايات
ما بين شعب وعرش خالدين على
مر الزمان، وماضي الحب كالآتي
كلاهما هائم في حب صاحبه
يفديه من حبه بالروح والذات
ما زال يكتبها التاريخ منبهرا
بما تعاقب فيها من عناقات
للشعب بالشعب، يابن الشعب، انت وكم
حققت من هدف سام وغايات !
لو كان للحب ان تعطى شهادته
لنلت منا ملايين الشهادات

ياقائـــد « لجنـــة القـــدس » الشريـــف الى
نصر يؤيـــده المولى بآيـــات
و « لجنـــة السبعـــة » الاقطـــاب ترأسهـــا
لشرح « قمـــة فاس » والقـــرارات
اقطـــاب امتـــا اختـــاروك قائدهـــم
وناطقـــا باسمهـــم عنـــد الملمـــات
لو كنت فظـــا غليـــظ القـــلب لانصرفـــوا
الى سواك، ولم تظفـــر باصوات
لكنهم وجـــدوا روحـــا مهذبـــة
تذيب حكـــمتها كل الخلافـــات
وعبقريـــة توفيـــق وتسويـــة
ورأب صدع، وتخفيـــف لصدمـــات
فكـــم قضيت لاقنـــاع الجماعـــة بالـــ
إجماع من صبر ساعـــات وساعـــات
انضيت جسمك في التقـــريب بينهمـــو
ولم تجاهـــر بشكـــوى وانتقـــادات
ان الجسوم ، وان صحت، لتذبلهـــا
مطـــامح الانـــفس الـــكبرى العظيمـــات
فأجمعـــوا، واجتماع العـــرب معجـــزة
لم يستطعهـــا سوى رب السمـــاوات
ولا غرابـــة فيمـــا جئت انت به
من معجـــزات كبـــار او كرامـــات
فجـــدك المصطفـــى في الجاهليـــة قد
اعطـــى قريشا مثـــالا في المساواة
بوضعـــه الحجـــر الميمـــون وسط ردا
ئه، وحسم صراع الافضليـــات

❋ ❋

لكـــن جارك لم يمهـــلك ثانيـــة
لنشر الوبـــة، او رفـــع رايـــات
او الدفـــاع عن القـــدس المشرف أو
شرح القـــرارات او كسب الصداقـــات

فلا فلسطين تعنيـــه، ولا شرف الــــ
أعـــراب مرغ في الاوحــال مرات

اغــري بك الجار نبـــل لا حدود له
ينبـــي بأنك من أنقــــى السلالات

أغـــراه ملــــمس قفــاز حريريــة
ضمت يدا ما درت غير العطــاءات

لم يدر ان بها كفـــا حديديـــة
تردي العـــدو بطعنـــات شديـــدات

جاؤوا لكـــي يسرقـــوا صحراءنـــا عبثــا
فضيعـــوا العمـــر في حرث المحيطـــات

يحرضون على أبنـــاء جلــــدتهم
عدو دينهمـــو المستـــكبر العـــاتي

من بيت مالكمـــوا، يامسلـــمين شروا
من العـــدو صواريخ المسافــــات

ليقتلـــوا اخـــوة في الديـــن والـــدم لم
تنلهمـــو منهمـــو ادنى الاساءات

رمـــوا « فلسطين » و « القـــدس »الشريـــف وراء
ظهورهـــم مثلمـــا خانـــوا الامانـــات

وباركـــوا الوحـــدة الـــكبرى بالسنـــة
كذبـــا، وهبـــوا الى خلـــق الكيانـــات

دم « الجزائـــر » يجري في الرمـــال، ولـــن
يطفـــي من الحقـــد آهـــات وانـــات

لن يخرجونـــا من الصحـــرا ولـــو قتلـــوا
منـــا الملايين في حرب العصابـــات

ماضرهـــم لو اتـــوا بالصلـــح واتحدوا
وجارهـــم، ونسوا تلك الحزازات

الحق يعلـــوا ولا يعلى عليـــه، ولـــو
طال الزمـــان على نشر السخافـــات

كم زورواضدنـــا تاريخنـــا، وشروا
ضمائـــرا لاناس جد امـــوات

وأشبعـــوا شعبهم جوعـــا ومسغبـــة
لينفقـــوا المال في خلـــق النزاعـــات
اعـــمت بصائرهـــم احقادهـــم فغـــدوا
عقاربـــا ملـــئت سما وحيـــات
تحولت عقـــد الـــنقص التـــي بهـــو
الى التعـــالي على اهـــل المروءات
لا شيء يجدي مع المستكبريـــن ففـــي
قلـــــوبهم مرض صعب المداواة
تبـــــدو سرائرهـــــم سوداء كالحة
على وجـــوه عبـــوسات كئيـــات
فلا ترى غير قبضات موجهـــــة
الى العيـــون، واسنـــان كسيرات
ولست تسمـــــع الا ما تصك به
آذان كل حيـــي من سفاهـــات
هم حاسدونك على ما قد افـــاء به
علـــيك ربك من فيض العطـــاءات
ملك ولـــدت به، واتـــيت حكمتـــه
لم تسع انت اليـــه بل هو الآتي
مقـــدر لك مكتـــوب علـــيك كما
ارادو ربك في أسنـــى السجـــلات
من بيت آل رسول اللـــه انت، وهـــل
اسمى وارفـــع من بيت النبـــوات ؟
فايـــن من مثـــل هذا المجد شرذمـــة
من الطغـــام وابنـــاء الخـــالات ؟
فلا غرابـــة ان يبغـــوا زوالكمـــو
وان يكونـــوا لكـــم اعـــدى العـــداوات

❊ ❊

قالـــوا « سيـــخشى جنـــود الجيش ان كثرت
ولـــن يجنـــد للصحـــراء قوات
قالـــوا « سيـــخشى جنـــود الجيش ان كثرت
ولـــن يجنـــد للصحـــراء قوات

وكيـف ينتـزع الصحـراء من بلـد
أقـوى وأعظـم منـه عشر مرات ؟
قالـوا : «سنفتتـه فيها، ونصرفـه
عنها، ونخرجـه في ظرف سـاعـات! »
قالـوا» : سيتـعب من . اصرارنـا زمنـا،
وتـلك عادتـه عنـد النزاعـات..»
قالـوا، وقالـوا.. فلـم تصدق نبـوءتهم
بل اخطـأوا العـد في كل الحسابـات
فاستسلـمت قوة (فرانكـوا) بعـدتها
أمـام افـواج آيـات ورايـات
وفاجـأت دول الدنيـا مسيرتـا الـ
خضرا، ومـا قد تلاهـا من مسيرات
وامتـد فيها جدار الأمـن يحرسهـا
من هتك مرتـزقيهم للكرامـات

❊ ❊

«البوليزاريـو» وليـد «للجزائـر » من
أب زنيم ومشبـوه العلاقـات
ربتـه في طاعـة الشيطـان مرضعـة
آيـاه سما، واحقـادا دفينـات
لكـي يكـون لها عبـدا تغير به
على الشقيـق، وتـقضي بعض حاجـات
لكنها اصبـحت في ملكـع أمـة
يسومهـا الخسف في كل المجالات
أهـل « الجزائـر » ان الساعـة اقتـربت
في الافـق لاحت لها بعض العلامـات
«ومـن علامـاتها في الارض ان تلـد الـ
امـاء ربـاتهن المستبـدات

❊ ❊

شعـوب مغربنـا تبغـي السلام، ولا
تريـد حربـا ولا ترضي اقتـالات

فليسألوهـــا.. ولـــن يرضوا، فعنـــد همو
لا فرق ما بين فرد الشعب والشاة !
سجـــن كبير يعـــيش الشعب داخلـــه،
لا حريـــات، ولا ديمقراطيـــات
شعـــوب مغربنـــا تصبـــو لوحـــدتها
وهـــم يجدون في خلـــق الدويـــلات
«فـــرق تسد» مبـــدأ جاء العـــدو به،
فقلـــدوه كفعـــل الببغـــاءات
فلا حيـــاة لهم الا بوحدتنـــا
معا.. «يـــد اللـــه في ايـــدي الجماعـــات»
تخلـــف الشعب يغـــري نفس حاكمـــه
بالـــزج بالشعب في حرب الزعامـــات
وتركـــه جاهـــلا كي يستبـــد به
فيتـــرك الامـــر في ايـــدي الحكومـــات
تجاوزتنـــا شعـــوب في تطورهـــا
وخلفتنـــا لأنـــواع الخصومـــات
هم ينظـــرون اليـــنا بين ارجلهـــم
نكيـــل للبـــعض لكمـــات ورفسات
فيضحكـــون، ويـــرثي الاصدقـــاء لنـــا
ويكتفـــي البـــعض منهم بابتسامـــات

❊ ❊

لان تكونـــوا رعايـــا دولـــة عظـــمت،
وهـــابها النـــاس في كل المجالات،
اجـــل من ان تكونـــوا حاكـــمين على
قبائـــل، ودويـــلات حقيرات !
لا يسلـــم الشرف العـــالي وعزتـــه
من الاذى، رغـــم حرص واحتياطـــات
قد قالها «المتنبـــي» وهـــو احكـــم من
غنـــى له الدهـــر آيـــات وآيـــات
وتـــلك حجتنـــا انـــا لنـــا شرف
ادنى مشارفـــــه هام المجرات

نحن الالى ورثـــوا المجد الاثيــــــل عن
الاجـــداد جدا فجـــدا والخلافـــــات

نحن الالى فتحـوا «اسبانيـا» ومــا تركـــوا
«فـــــرنسا»، ودانت لهم كل الحضارات

نحن الالى ايقظوا«افريقيــا ومـــا تركـــوا
صحـــراء ارض ولا ادغـــال غابـــــات

نحن الالى صنعـــوا الفـــلك المنيـــف ولم
يقهـــــر عزائمهــــم هول المحيطـــــات

من عهـــد «ادريس»، تاج العنصريـــن الى
باني الحداثـــــــــــة منصور المسيرات

مليكنـــا «الحسن الثـــاني» الـــذي انحدرت
له الخلافـــــة من خير الـــــرسالات

اضفت للـــنسب العـــالي العلـــوم، ولم
تقنـــع بشيء سوى اعلى الشهـــادات

وخضت بحر علـــوم الديـــن مكتشفـــا
كنـــــــوزه، رافضا بدع الضلالات

حفـــظت في الصغـــر القـــرآن أجمعـــه
كما حفـــظت الاحـــاديث الشريفـــات

وصرت في فلك القانـــــون فرقـــــده
بنـــوره يهتـــدى وسط المتاهـــات

وهمت بالفـــــــن في اعلى مراتبـــــه
شعـــــرا، ولحنا،والوانـــــا، وآلات..

تعـــددت عنـــدك الابعـــاد واختلـــفت
كانما انت الـــف مفـــرد الـــذات

كماسة صقـــــــلت منها الجوانب أو
بلـــــورة بين مرآة ومـــــرآة

الشمس الـــــقت عليها من اشعتها
خيطـــا رقيقـــا كاحـــلام الفـــراشات

فضاعفتـــه المرايـــا الـــف الـــف سنـــى

وارسلتـــــه لغـــــزو اللانهايـــــات

وكان اعظـــم ما اخفـــى تواضعكـــم..

فلا يراه سوى سامـــي المقامـــات

جمعت في واحـــد ما لو تفـــرق في

الـــف لصاروا شموس العبقريـــات

فهـــل نرى منك الا قمـــة برزت

لشامخ سابـــح وسط المحيطـــات

❋ ❋

في عيـــد عرشك، الـــفضي جئت الى

مقامكـــم رافعـــا ازكـــى تحيـــاتي

ومـــنشدا بعض ما اوحـــي الي به

حبـــي لكـــم ودعـــائي وابتهالاتي

ان يحفـــظ اللـــه فيكـــم سر وحدتنـــا،

ويصطفيكـــم لمجد وانـــتصارات

وان يحقـــق للاسلام عزتـــه

على يديكـــم، وآلاف الفتوحـــات

وان يبـــارك في اعمـــار عترتكـــم،

«محمـــد» و«رشيـــد» والاميرات

وان يخلـــد ملكـــا انت حارسه

وأن يقيـــه بالطـــاف خفيـــات

احمد عبد السلام البقالي

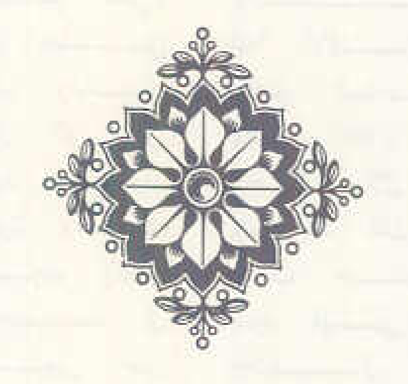


غداً تشرق الشمس

للشاعر محمد الحلوي

دعوا الشمس تشرق في وطني … ولاتحجبوا النور عن اعيني
دعوا الروح تسبح في افقه … نفير قيود تقيدني
وخلوا نشيد بلابلد … مع الفجر ينساب في اذني
تدغدغ الحانها خلجا … تي ويوقظ ايقاعها ارغني
رؤى وطني بهجة لاتغيـ … ـب، ومن بجماله لايفتن !؟
خمائله الخضر ملء العيو … ن عرائس فواحة الاردن
وانهره وهي تروي البطا … ح وتنساب في الريف والمدن
سلاسل تجري على تربه … وفيض سنابل في مخزني
تفيض جداولها كل خيـ … ـر وتعطي عطاء بلا منن
واطلسه يتحدى الخطو … ب ويرسو على هامة الزمن
عرين اسود وقلعة مجد … ومقبرة المعتدي الارعن
تهاوى على ساحة كل باغ … فادبر في جيشه المثخن
وسطر في المجد ابناؤه … ملاحم عاشت على الالسن
خيول ابن تاشفين في كل واد … وملء المقابر والسفن
وشعب ابن يوسف يجلي الدخيـ … ـل ويرمي بهيكله العفن
يخوض المسيرة في وحدة … ويلقى الخطوب بلا وهن
وابناؤه الصيد عبر الحدو … د قلاع شوامخ لاتنحني!
لهم كل يوم معلمة … من المجد غالية الثمن
يلاقون اعداءهم بابتسام … ويمشون للحرب في كفن
سجايا المغاربة الاكرميـ … ـن يسيرون فيها على سنن
ترابهم حرم لايباح … وسارقه غير مؤتمن !
وموت عدوك لاشك فيـ … ـه اذا املأ الصدر بالاحن !
وكم يقتل الحقد مرضى به … ومن يصطلي الحرب في مأمن !
وليس البلايا بقاتلة … لشعب تمرس بالمحن
ولكن افظع مايبتلى … به جار سوء على دخن!
تذود الاذى عنه ذود الكـ … ـرام ويزديك ماستطاع في مكمن
وتصغي لاهاته في الخفاء … وينكي جراحك في العلن

واعمق جرح جراح يد ... لها كنت كالساعد الايمن!
فيامن ذكرتك والخطب داج ... اناشدك الله لاتنسني!
ولاتنس شعبا باجمعه ... عرفته في الموطن الخشن
ولا تتنكر لماضي نضال ... بغير تضامننا مابني
فما كنت احسب ان الذي ... وهبته روحي سيكرهني!
كأنا غريبان ما التقيا ... على الدرب يوما ولم نكن
سوى خاطر في ضمير الزمان ... تمخض عن حاضر محزن!
فيا للشهامة كيف استحال ... ت الى خلق هين في دني
ويازمنا مات فيه الوفـ ... اء وولى عدمتك من زمن!
نسيت العدو بما نالني ... من الاقرباء وما هالني!
فياوطني ان يكن قدرا ... شقاؤك في ظل عهد هني
تحررت فيه من الغادرين ... واوتيت فيه من المأمن!
فقد ينجلي الليل عن فلق ... ويغمرنا نور فجر سني
ويشدو الحمام الذي روع ... وه نشد السلام على الفنن
غدا تخمد النار فوق الـرم ... ال غدا يرجع النوم للاجفن
غدا تعرف البسمات الثغـ ... ور وينعم طفلي بالاحضن
ويرقد في كل قلب شهيد ... وتحلو الحياة بلا شجن
وياوطني انت حبي الكب ... ير وغيرك في الكون ماهزني
المجد ربي ولو ان لي سو ... اه تخذتك لي وثني!



ها هو اليوم ذا يتم اللقاء

للشاعر محمد الكبير العلوي

كل يوم مسيرة خضراء   وطموح ومفخرة وثناء

كل يوم تقدم وازدهار   وانتصار ووحده وبناء

كل يوم عهد جديد وبعث   وانتفاض وموعد ولقاء

كل يوم توثب للمعالي   وكفاح لنيلها وارتقاء

كل يوم مسيرة ونضال   وتحد وعزة واباء

كل يوم يسمو بنا الحسن الثانـ   ـي فتحثوا لقدرنا العظماء

صوت حق مجلجل وخطاب   للمعالي ودعوة ونداء

وصمود وموقف يتحدى   فله الارض كلها اصداء

هكذا هكذا يكون التسامي   وتسود الأرومة الشماء

هذه الأرض حلها اليوم يمن   وأمان وساد فيها الهناء

هذه الارض مالها تترأى   كاللآلي حصبؤها الحمراء

هذه الارض مالها تتسامى   في شموخ ويعتريها ازدهار

هتفت نشوة وغنت وتاهت   خيلاء وحقها الخيلاء

هل اتاك الحديث عن مقدم العا   هل صبحا ففي الحديث الشفاء

قيل يأتي المليك فالتفت النا   س حشودا ضاقت بها الانحاء

أمل مشرق وفجر مضيء   بالبشارات باسم وضاء

واذا الموكب العظيم مطل   يملأ الأفق نوره والضياء

فتميد القلوب بشرا وتهفوا   وتضج الساحات والأرجاء

ويروق الجمال في كل نفس   ويسود الجلال والكبرياء

طلعة زانت الوجود وعز   وجلال وبهجة وبهاء

اطرقت عنده العيون وقرت   وتروت تلك النفوس الظماء

وتغذت منه القلوب وكانت   اشربت حبه ونعم الغذاء

ومضى والقلوب تصحبه في   سيره فهي حوله رفقاء

ولقد هاج في النفوس حنين   واشتياق من شأنه الاذكاء

وتلظت عواطف القوم حبا   وغراما فما لها اطفاء

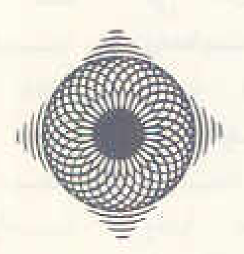
خفقت منهم القلوب هياما   وولوعا وفاض منها الاخاء

ياحبيب القلوب أهلا وسهلا   كلنا اليوم فرحة وغناء

فاملأوا الأرض والسماء هتافا   وزغاريد أيها الخلصاء

انه عيد بهجة وسرور ... طاب منه الاصباح والامساء
طالما همتموا به وجننتم ... والتطت في احشائكم رمضاء
واشرأبت قلوبكم للتلاقي ... ها هو اليوم ذا يتم اللقاء
فتداعت حتى الدموع سرورا ... واستبدت بالأمة السراء
نظرات وأنفس وقلوب ... ملؤها الحب روحها الاهواء
وهتاف وملتقى وحشود ... وأناشيد كلها ايحاء
وغرام به العواطف جاشت ... وهوى عنه ضاقت الاحشاء
أيها الشاطيء المضيق تشرف ... انت للمجد والسمو سماء
ايها البحر فاض فوقك قدس ... وجلال وعزة وابـاء
فتضاءلت هيبة واحتراما ... وتصاغرت واعتراك حياء
وتدفقت مطربا ومشيدا ... وتغنت امواجك العجماء
اشرقت حولك الحواضر نورا ... وسعودا واخضلت البيداء
خلع اليمن والأمان عليها ... برده فهي روضه خضراء
وازدهت في جمالها وحلاها ... وزهت فهي غادة حسناء
انت يا ابن رسول سر ونور ... بعده ترتقي بك الأنحاء
أنت ظل منه على الارض ممدو ... د وشمس بنورها يستضاء
فعمي صحراء المعالي صباحا ... فلقد سادك الهنا والرخاء
حسن الشعب ذاءه قد اظلتـ ... ـك حنوا من دفئه الأفياء
فامرحي وافرحي فأنت قديما ... دأبك العهد والوفا والولاء
مجدي العرش فهو سر ورمز ... وضمان ووحدة وبقاء
واستعيدي شبابك اليوم غضا ... فلأنت الكريمة العذراء
حدثينا عناونك قديما ... منذ كنا وكانت الصحراء
حدثينا عما عرفت قديما ... وحديثا فعندك الانباء
اسمعينا انشودة العرش لحنا ... وحدويا به يشيد الفضاء
عرش شعب وشعب عرش تما بيـ ... ـهما الحب والفدا والوفاء
وأقاما للمكرمات بناء ... شامخ الصرح دونه الجوزاء
حسن الشعب انت اعظم شأنا ... ولك العز والعلا والثناء
حار في وصفك البليغ اندهاشا ... وتبارى في وصفك الشعراء
شاعر الوحدة المشيد ثناء ... في معاليك راقه الانشاء
خدمة الوحدة الوطيدة ديني ... مثل ما كان قلبي الادباء
فتقبل مني معاني غرا ... وتفاعيل كلها غراء

شاعر الوحدة
محمد الكبير العلوي



وبالعرش نلنا كل مجد ورفعة

للشاعر محمد عبد الرحمن العلوي الدرجاوي

لك الخير كل الخير ياحسن الذكرى ... وماحزت من خير فأنت به احرى
وأحرى بشعر الشاعرين منقحا ... وأحرى به حرا وأحرى به نثرا
ومنا لك البشرى بعزك في الورى ... وبشرى من الرحمن ما فوقها بشرى
وبشرى لشعب في يديك شؤونه ... تسير به يمناك سيرا الى اليسرى
ويسراك واليمنى سواء بيمنها ... وكلتاهما يمنى فمالك من يسرى
وعسرك يسر من وجوه كثيرة ... بها العسر يغدو من سهولته يسرا
ومثلك من يسرى اليه لحاجة ... قليل قليل من إليه لها يسرى
وذكرك ذكر للنفوس يسرها ... وحكمك حكم بالعدالة قد سرا
وذكراك ذكرى لا تقاس بغيرها ... من الذكريات الجاريات إذ تجرى
بها نفع الله العباد بأسرهم ... وليس عجيبا ما به تنفع الذكرى
فلله كم رأى مصيب رأيته ... ربحنا به الدنيا ولم نخسر الاخرى
وذلك جمع قل في الناس مثله ... فكم ربحوا تجرا ولم يربحوا تجرا
وكم من مقال قلته فأجدته ... وكم عمل زين شرحت به صدرا

□□□

هنيئا لك المجد الذي أنت أهله ... ونصرا وفتحا يتبع الفتح والنصرا
وأهلا بعيد العرش في كل أوبة ... يزور بها الاوطان يملؤها عطرا
ومرحى لأوطان تطيب بعطره ... ويبهجها سرا ويبهجها جهرا
ويرقصها شيبا ومردا وفتية ... وقاعدة كبرى وقاعدة صغرى
فبالعرش كنا واستقامت أمورنا ... وبالعرش كنا واغتنمنا به وفرا
هو العرش لا غيث سحائب فضله ... ولا برحت امطار حكمته تترى
ولا انفك في الاوطان ينشر ظله ... على أمة كبرى تتيه به فخرا
ولازال يغنيها ويسعد أهلها ... ويحفظها حصنا ويحفظهاذخرا
أمنا به المكروه من كل عابث ... فلسنا نخاف الدهر في ظله اصرا
ولا كيد حساد ولا حكم جائر ... ولا قولة تؤذي ولا نظرا شزرا
حبانا به الرحمن مالك أمرنا ... وياحبذا ذاك الحباء وما جرا
وبالعرش نلنا كل مجد ورفعة ... ونلنا به التكريم في الناس والازرا
مسيرتنا كانت به خير خطة ... رفعنا بها عنا المظالم والحظرا

ودسنا بها التفريق دوسة حازم | يرى الحزم ان لا يقبل الضيم والحجرا
ونلنا بها التوحيد في عقر دارنا | ولا شيء كالتوحيد يرفعنا قدرا
ولا هدي كالقرآن يحكم أمرنا | ويرشدنا نهيا ويرشدنا امرا
وادمن بالتوحيد ربي بفضله | فواجبنا ان نبذل الحمد والشكرا

□□□

جزى الله عناء ال مولاي يوسف | أئمتنا الأحرار من كرموا نجرا
لقد أحسنوا سعيا فآبوا بجنا | وبالمدح منا كلما ذكرهم مرا
وذا شاهد الأعمال من حسن يرى | وإن جميع الناظرين به ادرى

□□□

وقالوا أجدت الشعر قلت لعلني | وحسبي شعورا أن أكون لهم نهرا
ويوجد في الأنهار ما لم يكن يرى | على عتبات البحر ملتمسا درا
وليس غريبا ان اجيد فإنني | بمدحي لآل البيت اسلتهم الشعرا
وتأتي طباعي أن افوه بمدحه | لمن لم يكن في الفضل قد بلغ الشعرى

العيون : محمد عبد الرحمن الدرجاوي



عرشنا وصحراؤنا

للشاعر عثمان جوريو

وطني انت الاماني وتراث الأولينا
لم تزل رمزا لمعالي للأباة الطامحينا

□□□

اخصبت فيك حقول بجهود العاملينا
وأمدتها سدود تسكب الماء المعينا

□□□

وتعالت منشئات بالبناة الناهضينا
ومشاريع تجلت تبعث الآمال فينا

□□□

عرشنا حزم وعزم وصمود الفاتحينا
صانه الشهم المفدى وأمير المؤمنينا

□□□

من بنى للعرب صرحا في مجال الخالدينا
وحمى القدس المعلى ومقام النبيينا

□□□

بقلاع طائرات وعتاد الحاذقين
وجنود قد اجابوا صرخة المستنجدينا

□□□

في ربى الجولان حلوا وازالوا خط سينا
لقنوا صهيون درسا ارعب المستعمرينا

□□□

فاستطاروا في وفود تنشد الغوث المعينا
والفنا تملي شروطا في صفوف المعتدينا

وبعد الصحراء لا تموت   وأنت بالوافدينا
فحماها من طغاة   ودعاوي المبطلينا

□ □ □

بمسيرات ارتنا   معجزات الأولياء
تحمل القرآن رمزا   وشعارا للمهتدينا

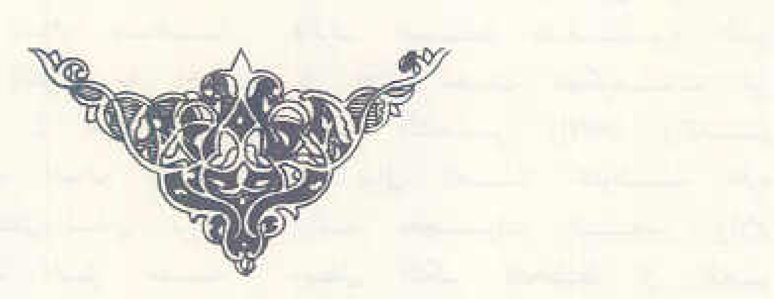
□ □ □

فقدت دار سلام   ومقر الآمنينا
علم الوحدة فيها   يحرس الكنز الثمينا

□ □ □

دام للشعب منارا   وملاذا للمخلصينا
ينشر الامجاد تترى   يعلن الفتح المبينا

عثمان جوريو



وحدة العرش والشعب

للشاعر عبد الواحد اخريف

تعود كالشمس ذكرى شامخ القمم ... تختال في حلل الامجاد والنعم
يزهو العرش في لألآئه فرحا ... ويطرب الشعب ريان الوفا العمم
تعود والارض نشوى من سلافها ... يسقي الربيع حواشيها بمنسجم
كأنه ماأرى حسنا لطلعته ... حتى تمازج حسان على شمم
فالعرش في موسم الازهار مبتهج ... والزهر بالعرش يذكو عاطر النسم
انظر ترى سنسا يسبي العيون وفي ... اعطافه النور يهدي اجمل الحلم
بهم في خضرة حسناء يانعة ... كأن خضرتها من «نجمة العلم»
عيدان للشعب احيا الله مهجته ... بصادق الود والاخلاص والقيم
قد سلسل الود منذ كانت سجيته ... على الوفاء مثالا ساطع القدم
ما صفق القلب في احنائه ابدا ... الا لحب الهدى والعرش والذمم
اخلاقه زكى الاسلام منشأها ... فأثمرت امة مشكورة الشيم
تمضي على العهد لايلوي بها احد ... كما مضى سلف للمكرمات نمي
من عهد «ادريس» لم تفتأ معبرة ... برائع الشعر والالحان والنغم
لعهد من رفعت اعماله وطنا ... الى مراقي العلا محفوظة الحرم
العاهل «الحسن الثاني» الذي برزت ... آياته معجزات العصر والامم
يقضي النهار مضيئا افق امته ... ويبذل الفكر للتخطيط في العتم
اضفى على الشعب من خير يبوئه ... اسمى مقام رفيع باذخ سنم
سل «المشارق» عن عنوان نهضته ... تخبرك ان صداها غير منكتم
قد اشرقت بجلال في الربوع ضحى ... كما تحدث عنها صانع الكلم
العاملون رأوها في ضميرهم ... مثالهم يحتذى في السير والرسم
و «الغرب» رغم امتلاك العلم يرقبها ... علامة للنهى والنضج والحكم
قد طبقت عالم الانسان وارتفعت ... الى السماء كذخر غير منبهم
لا يستطيع قصيد نظم جوهرها ... ولو كشعر «زهير» في حمى «هرم»
تكفي الاشارة للبيب يدركها ... والشعر لمح البليغ الحاذق الفهم
هاذي المعاهد للتعليم سامقة ... افواجها نحوها تمشي على نهم

تشيد اعمدة يبني الرقي بها   هياكل المجد في شوق وفي همم
تضيء وجه العلا انوار فطنتها   بعيدة عن سواد الظلم والظلم
هاذي المصانع تحيي العيش تقصدها   سواعد بسوى الانتاج لم تهم
عمالها يمدح الاخلاص جدهم   فيشكر الصنع بالعرفان كل فم
وما المزارع الا كالجنان بدت   موفورة العد والالوان والقسم
تعطي الجزيل من الخيرات ناضجة   ثمارها دون نقصان ولا عدم
تروي السدود ثراها كلما ظمئت   لا تشتكي ان سواها بالجفاف رمي
مكاسب تبعث الايام جدتها   من دون غدر ولا بخس ولا سأم
وكيف تفتر يوما والمليك لها   كالروح في الجسم يحيا جد معتزم
يطوي بأمته كل المراحل لا   يثنيه صعب ولو كالشاهق العلم
بهمة مالها غير العلا هدفا   وجرأة مثل عزم الاسد في الاجم
حسن الارادة من ضافي شمائله   الفكر البسها اردية العصم
موفق الخطو تمشي في معيته   مواكب النصر في حرب وفي سلم
مفوه ان علا متن المنابر من   كفاية فيضها كماطر الديم
يختار در المباني من براعته   لجوهر المحتوى في سلك منتظم
نسوغ بيت اجاد الله نعته   فنسله في دنا المعمور خير دم
قد طهر الله اصلابا له كرمت   تزكو الفروع بها في الناس كلهم
وكيف لا ورسول الله اسمه   نموذجا للهدى والبر والكرم
تفيأ الخلق ظلا قام فوقهم   من غرسه واستطابوا لذة النعم
يسير في هديه الوضاح معتصما   العاهل «الحسن الثاني»على قدم
والشعب من خلفه صف توحده   مشاعر الود والاخلاص لم يرم
يجله كل يوم في ذرى نزل   من المفاخر سام جد محترم
وما الشعب سوى اقيالها فهم   عنوانها وهي ــ ان جدوا ــ على عظم

□*□

مولاي ياملك التوحيد صنت به   اجزاء قطرك صون القائد الفهم
هفت اليك من الصحراء افئدة   ما سبحت بسوى التوحيد للحمم
وشائج بيننا تهتاج صارخة   دم القرابة فيها غير متهم
سارت«،مسيرتك الخضراء»تفتحها   سلما كما فتح الهادي حمى الحرم
وفي يديها «كتاب الله» يحفظها   من كل سوء ويحميها من النقم
وما يزال «دخيل» الدار يسكنها   عناده وهو في حصن به تم
فجاء نصرا فريدا في طبيعته   والفتح بالروح غير الفتح باللجم
قد حير العالم المادي ظنيته   لان ايمانه بالسيف لا القلم
ان قدر الله نصرا للشعوب تجد   سلاح ظالمها ضربا من الوهم

اعيدت الارض فاغتاظ الذيـن هم اخواننا ابـدا في الديـن والرحـم
كادوا وما الكيد الا اللؤم اجمعه فولـدوا صنما يسعـى الى صنـم
وحولـوا السلـم نارا انت مطفئها بكل شهم لدى الهيجا وكل كمي
متـى تعـود الى رشد عقـولهم ويدبر الحمق مكسورا على وضم ؟ !

★ □ ★

مولاي ديـدنك التوحيـد تنشده سيان في الدار اوفي العرب من امم
«ليبيا»و«ومغربنا الاقصى»جناحـا هدى لم يخفقـا بسوى التوحيـد للامم
شوط اردت به توحيـد امتنـا من المحيط الى القاصي من التخم
والعرب وحـدتهم لا شك قادمـة ان كان مثلك فيهم بادىء الهمم

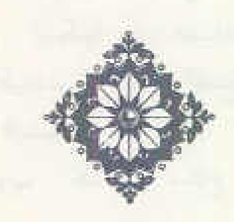
★ □ ★

مولاي في القدس آمال رجتك لها وانت سبط الذي سرى الى الحرم
بذلت من اجله جهدا يضاف الى ما تبقى من جليل الأمـر والخدم
سيطلع الفجر في آفـاق روضتـه وتنـجلي غمـرات الحزن والغمـم

□ ★ □

مولاي في العيد اشدو شاعرا غردا سبـاه منك جميـل الفعـل والشيم
ما قيمة الشعر ان لم يبد عاطفة للشعب والملك المحفـوف بالـعصم ؟
جزاك ربك عن شعب وفـيت له وفاء من اخلصوا النيات في الحكم
فاهنـأ بعيـد له في كل خاطـرة عيـد وفي كل قلب نشوة العظـم
ودمت تبني على أس العلا وطنا تربـده اليـوم سباقـا الى القمـم
وعاش في حضنك الموحي لخير هدى ولي عهـدك بين العلـم والـقيم
و«للرشيـد»صلاح الـرشد يصحبـه والشعب خلفك صف غير منقسم

تطوان : عبد الواحد اخريف



بين بطاح العيون

للشاعر قدور الورطاسي

هنا «عاصمة الصحراء» للمجد يخطب
وللكون اقلام تصيخ فتكتب
مليك له في المجد عرق مؤصل
وفكريه الابداع يزهو، ويطرب
متى قال، قال الكون حي على العلا
فجاءت جنود الله توا ترحب
مليك تسامى، العلا فتهيبت
خصوم حمى الصحراء والنفس ترغب
بدا في سماء الامجاد ملكا مدويا
تلين له الغبراء دوما وتعجب
وتسمو به الزرقاء نبلا وعفه
وتحيى به الجرداء دوما وتنجب
كأن ذرى الالهام موطن فكره
فمنها يشع الحق، والحق اغلب
ومنها يشع السلم فكرا ومشعرا
ودينا به الدنيا تهيم وتعذب

□ □ □ □

الا ايها الغاوون مهلا فانه
مليك عزيز بالعلا يتمذهب
فما عاش الا منهلا متفجرا
به يحمد الظمئان سلما ويرقب
واما تنادت في الحروب جنوده
ترى مثل صوت النفخ والارض اخرب
فلله ما أحجاه بالعرش مالكا
واكرم به ملكا يقول ويدأب

يصوغ المعـــاني الغـــر درا منسقـــا

كعقـــد نسيـــق في الدجـــى يتكهـــرب

وصدر رحـــيب في الخطـــوب وعزمـــة

فولاذيـــة، والقـــول كالحلـــم يعـــذب

فمـــا ضاق ذرعـــا من خطـــوب كثيرة

ولا ضاق من خصم يجيء، ويـــــذهب

ففـــي كل آن صدره متـــأهب

لسلـــم، على حرب تثـــور وتغـــرب

الا تلك آيـــات العباقـــرة الالي

يعـــيشون رواداً، وان شط مطـــلب

فلا عجب الا يكـــون ممجـــدا

وان كان للامجاد يرى ويـــنصب

هنيـــا بنـــي الصحـــراء اذ شع ملكنـــا

بصحرائنـــا، والكـــون يشدو ويطـــرب

فمـــا الحسن الثـــاني سوى من سلالـــة

اضاءت لنـــا الآفـــاق والكـــون غيهب

فمنـــذ تولى العـــرش، والشعب آمـــن

وإن لجت الاعـــداء أو تتـــعصب

لقـــد خابت الاعـــداء في كل موقـــف

وبـــاءت بخسر دائمـــا يتـــرقب

وعـــاشت ذي الاقصى على النـــصر خافقـــا

كما عاش قبـــل اليـــوم، واللـــد غضب

فمـــا تنصب الامجاد في ارض شعبنـــا

وفي موقـــع الاعـــداء تخفـــى وتـــنضب

رعـــا اللـــه عرشا لم يزل متـــرصدا

لنـــا كل عز بالمنـــى يتطـــيب

ومـــا خاب فيـــه الظـــن منـــذ عهـــوده

فكيـــف — وايم اللـــه — فيـــه يخيب

فكـــم حالت الاحـــوال واشتـــد كربنـــا

فلذنـــا به والخطب يرغـــي ويصخب

فآتت لنـــا الدنيـــا نعيمـــا مكرمـــا

وصارت ذي الخطـــوب تبكـــي وتنـــدب

فعش — ملك البـــلاد — عيشا منعمـــا

على قمـــة الخلـــود، والكـــون معـــجب

وعـــاش ولى العهـــــد فينـــا مؤمـــرا

حبيبـــا محببـــا بـه العـــيش يعـــذب

وعـــاش الرشيـــد الفـــذ عزا وسؤددا

يقـاضى السهـى دومـــا فيسمـــو ويغـــلب

وعـاش ـ بعـيش الكـل ـ شعب ممجـد

به صارت الدنيـــا تتيـــه وتطــــرب

ودامت دنى الاسلام في الشعب كوكبـــا

تشع السلام الحق والمجـــد ينـــحب

ودامت لنـــا الصحـــراء غرة ارضنـــا

وخـــابت ظنـــون لم تزل تتحـــزب

الرباط : قدور الورطاسي



كأن خطوك أنداء ترويها

للشاعر وجيه فهمي صلاح

ربــوع مغربنــا غنت روابيها
وهش منتشيــا بالــنصر واديها
واشرقت شمس عرش العــز فامتــلأت
آفــاق كثباننــا ذكــرا وتنــويها
تثنــي على الحسن المقــدام معلنــة
ان المثنــى ـ حبيب اللــه ـ راعيها
منــذ الحداثــة كان الــنصر مطلبــه
فحقــق الــنصر للصحــراء واهــليها

□□□

ياسيــدي انت في اذهاننــا أمــل
لامــة انت بالاشراق تهديها
اوصلتها لرفيــع الشأن فانطلــقت
على هداك الى الصحــراء تبــنيها
فاخضرت الساقيــات الحمــر وانتــعشت
كأن خطــوك انــداء ترويها
وطيرهــا صادح في كل مزدهــر
من الخمائــل قاصيها ودانيها

***

مرحــى لعاهلنــا مرحــى لمغربنــا
مرحــى لشعب عزيــز النــفس عاليها

عرش وشعب وارض ظل يجمعهم
مدى الزمان وفاء زادهم تيها
فحقق معجزات ذكرها عطر
شذا الزمان بها واحتار محصيها

□□□

بالعرش صلنا وجلنا في مسيرته
الى العيون فعانقنا روابيها
كتائب السلم رشت في مفاوزها
ماء الحياة وفجرنا سواقيها
هي العيون عيون الشعب تحرسها
لانها درة في تاج محييها

***

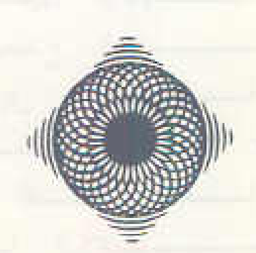
اليوم تستقبل الصحراء عاهلها
وبهجة الروح تسري في نواديها
وتملأ الفرحة الكبرى مرابعها
ويصدح الشعر فواحا بواديها
تشدو حساسينها للعرش ملحمة
يبدو الوفاء سموحا في معانيها
اشعارهم من شغاف القلب نابعة
فيها البلاغة قد زانت قوافيها
هنا عكاظ وعيد العرش كعبتنا
وذي الروائع ارواح تغنيها
تمجد الحسن المنصور رافعة
له الولاء قلوب عرشه فيها

□□□

يهنيك ياسيدي شعب يقدسكم
يهنيك دار بكم ترق معاليها

يهنيك شعب جنود خلف عرشكم
يوم النزال اسود طوع حاديها
يهنيك انك بالرحمن معتصم
ينير درب خطى للنصر تمشيها
تفتح الافق بعد الافق منشرحا
امام شعبك للدنيا وما فيها
نظامك الخير والقرآن منهجه
قدم لملتنا السمحاء حاميها
وليق عرشك نبراسا لامتنا
تجزيك خيرا وبالخيرات تجزيها

وجيه فهمي صلاح



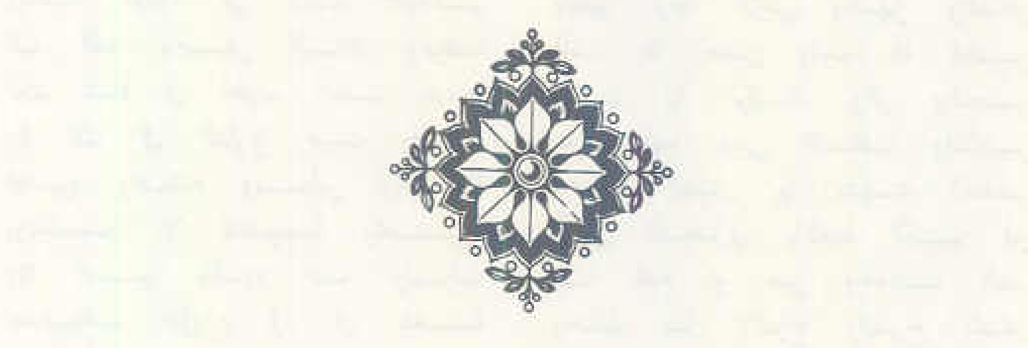
وكلُّ سبيلٍ للمكارمِ هيِّنُ

للشاعر عبد الفتاح إمام

على صفحات المجد فليكتب الدهر ... فما بعد هذا النصر عز ولا فخر
صبرنا وما صبر الآبي مهانة ... ولكن صمت الليث يعقبه الزأر
متى نسي الأوغاد انا بنوا العلا ... لنا الغضبة النكراء و الفتكة البكر
ألم يعلموا أنا أسود كواسر ... وأنا أباة لا يفزعنا الغدر
فهذى سمارا والعيون وغيرها ... شربتم بها كأس هي العلقم المر
قطيع من الجرذان يزحف في الدجى ... فباغته خسف واهلكه المكر
جموع كامثال النعاج تقاطرت ... وذو الغدر اولى ما يكون به القبر
ولما رأوا بأس الكماة تفرقوا ... وكانوا بغاث الطير داهمها النسر
رأيتم جنودا بل أسودا كأنهم ... صواعق لا بر وقاكم ولا بحر
سقتكم من الموت الزؤام كؤوسه ... وحاق بكم خزي وباء بكم خسر
مواقع للتاريخ يشدو بذكرها ... تظل مدى الايام ينشرها الدهر
فررتم من الابطال صرعى كأنكم ... من الخوف انعام تملكها الذعر
هلموا الى الصحرا فإن مصيركم ... هو الموت حتى يشبع الذئب والنسر
وبالله عودوا كي تبيد جموعكم ... ويطهر وجه الأرض والسهل والصخر
لك الله ياجيش البلاد وعزها ... فأنت لها حصن وأنت لها فخر
فكم شدة في الحرب خضت غمارها ... وسارت بها الركبان والبر والبحر
وكم لك في التاريخ صيت وسمعة ... على مثلها تبنى المناقب والذكر
فحزم واقدام وبأس وجرأة ... وحكمة ابطال بها يشهد الدهر
رويدكموا لا تغضبونا وتغدروا ... فأرض الصحاري ياطغاة لكم قبر
ولا تحسبوا ياقوم انا تزلزلت ... بنا قدم او مس وحدتنا الضر
تصافحت الارواح في كل بقعة ... وحلت بنا الافراح وانشرح الصدر
تلاقت أمانينا على خير غاية ... وسارت بنا الآمال يقدمها النصر
فقولوا لأهل البغي موتوا بغيظكم ... فإنا جمعنا الشمل وانحسم الأمر
وإنا رفعنا راية النصر والولا ... تؤيدنا الآيات والحجج الغر
فمن ذا الذي يسعى لتفريق شملنا ... ونحن الجبال الشم والبلد الحر
وما ساد اقوام تغير عزيمة ... ولا تم الا بالكفاح لهم امر
نسيتم ايادينا وخنتم عهودنا ... الا ان نكران الجميل هو الكفر

تعالوا عسى ان يهلك الله جمعكم ... فعند بنى الدنيا ببغيكموا خبر
وما طاب عيش في الحياة لخامل ... ولا خاب شعب قاده الحسن الحر
مآثره مثل النجوم عديدة ... وأمجاده يعيا بها العد والحصر
فبالحسن الثاني بلغنا مكانة ... تباركها الافلاك والأنجم الزهر
بنينا على هام الثريا مآثرا ... تغني بها التاريخ والشعر والنثر
بناها مليك ايد الله ملكه ... فبات لنا على أم النجوم لنا ذكر
فياسيدي دمت الملاذ لشعبنا ... فأنت له الروح المدبر والفكر
ففي كل قلب من جهادك فرحة ... تغنت بها الافواه وابتسم الثغر
وجردت للاعداء عزما وهمة ... بها اندحر الباغي وحل به الذعر
وكل سبيل للمكارم هين ... ذلول فلا صعب لديك ولا وعر
لهذا فإن الشعر فيك محبب ... وأنت خليق ان يصاغ لك الدر
لسدتك العليا نزف تحية ... يتوجها الاخلاص والحمد والشكر
ولا زلت بحرا بالمفاخر زاخرا ... «ولا زال منهلا بجرعائك القطر»
وعاش ولي العهد للمجد والعلى ... ودانت لك النعمى ودام لك النصر

عبد الفتاح إمام



أعراس الحب

للشاعر أحمد العمراني

من نشوة العيد يزهو الشعب مفتخرا
والشمس قد عانقت من شوقها القمرا

والكون يرقص في ابهى خمائله
فيبهج القلب والوجدان والنظرا

عيد تزينت الدنيا لمقدمه
عروسة لعريس كان منتظرا

عيد المفاخر حان اليوم موعده
فانشد بعذب الغنا واستنطق الوترا

عرش وشعب على درب الوفا التقيا
فبارك الله لقيا بالوفاء عطرا

حب كبير واخلاص وتضحية
بين المليك وبين الشعب ما فترا

والمجد بالحب ان اركانه بنيت
يخلد مدى الدهر لا ترقى ذراه ذرى

□□□

شعب على دين ملك ملهم الحكم
ملك على دين شعب يعشق السهرا

نعمى بنعمى يسير الشعب والملك
والحب مجرى الدما ملء القلوب جرى

هي القلوب اذ ما الحب وحدها
راحت ايادي ذويها تصنع الدررا

المنجزات توالى المنجزات، فم التـ
ـاريخ غنى بها نشوان والمفتخرا

هذي سدود بفيض الخير شامخة
تروي القفارة وتنمي البذر والثمرا

هذي مصانع بالعمال زاخرة
وليس يغشى جفون العاملين كرى

هذي معاهد تسقي النشيء معرفة
تبنيه بالعلم والاخلاق مقتدرا

هذي مساجد بث في مرابعنا
والنور منها عل بالارجاء قد زهرا

هذي مسيرة فتح يا لروعتها !
بالذكر والسلم جاء الحق منتصرا

فعانق الوطن الغالي حبيبته
صحراؤنا اليوم صارت مرتعا نضرا

هذي وهذي وهذي.. ما لها عدد
امجاد عرش وشعب ابهرا العصرا

تحفها عين ربي والملائكة
عناية وتراعي من بها ظفرا

فالحمد والشكر لله لذي النعم
والله دوما يزيد العبد ان شكرا

□□□

مولاي عرشك للامجاد مفخرة
وعيدك الزاهر الاسنى به افتخرا

فأي عيد كهذا العيد مكرمة
وأي ذكرى كهذي تلهم العبرا

رعاك رب كريم بالحبيب قلو
بنا بما قد رعى الآيات والسورا

واهنأ بعيدك في يمن وفي رغد
واسلم لشعبك تهديه العلى ظفرا

وليهنأ ولي العهد وليعش
كذا الرشيد وباقي الآل والأمرا

وليهنأ الشعب مسرورا ومبتهجا
في ظل عرش مجيد يصنع الفخرا



للشاعر محمد أجانا

العيـد اقبـل زاهيـا متبسمـا
يختـال في ثوب الوسامـة ناعمـا
تسري بموكبـه الفخيم تبـاشر ال
فرح العـميم وكان طيبـا عارمـا
وتقـود مقدمـه البهي حجافـل ال
حب الـذي يبـدو زكيـا سالما
وتغـرد الاضواء عنـد مزاره
وتـردد الانغـام لحنـا حالما
وتسير بالـركب الجميـل مفاتـن
ومشاهـد اجـدى تكـون ملاحما
فالعـرش يضحك والبنـود ترفـرف
والشارع الممـدود يرقص باسما
وتـرى القـرى بجبـالها وسهـولها
مشغولـة بالعيـد رمـزا قائمـا
فاعـجب لاطفـال يجبـون الليـ
ل بعيـده متناشديـدن لوازمـا
امـا الشبـاب فانـه بحمـاسة
تحلـق فوق السمـاء نسائمـا
واذا الشيـوخ جميعهـم في نشوة
طرحـوا الرزانـة تاريـكين عمائمـا
والشعب اجمعـه يفـيض محبـة
والعـرش يجمـع شملـه متضامنـا

والمغرب الاقصى تراب خالد
حراسه ملك وشعب دائما

كم ضحيا ليعيش حرا راقيا
متوحد الاطراف لا متقاسما

كم ناضلا وتحملا من كل ألوا
ن الخطوب وسجلاه مغانما

خاضا الشدائد قاسيات مرة
وتذوقا ألما وكان مداهما

بالصبر والاخلاص قدنا لا المنى
وتحقيق الحلم الكبير ملازما

وتسابقا سعيا الى صرح البنا
ء فشيداه مفاخرا ومكارما

لله من شعب وفي مخلص
ومليك شعب كان فكرا عالما

فاذا هما اجتمعا لأرض اصبحت
خضراء تنعم بالهدوء موائما

وتعيش في بحبوحة الامن الوريـ
ـف وظله المدود يبقى راحما

وترى الوجوه مشعة وقريرة
تحيا هناء عادلا لا ظالما

ويحس كل بالكرامة داخل الـ
وطن المحرر في السعادة عائما

ويذوق في لهف حلاوة نصره
ويريد ان يمشي طريقا قاهما

تتعانق الايدي وتسبح كلها
في النهر يبقى للجميع مواسما

تنفس الارواح في مجرى الهوا
ء وترتوي بالماء عذبا شابما

والنور للفكر الذي يسعى به
نحو الحرية راكعا اوجاثما

فإذا الحياة جميعها موفورة
والكون اجمعه يصير مباسما

فالشعب والحسن الحبيب كلاهما
روح الزمان مناضلا ومقاوما

عشقا بلادهما الى حد العبا
دة والتصوف خالصا لا قاتما

لم يبخلا - وغطاء كفهما غريـ
ـب - لم يمسكاه مداوما

فهما بعمق روح عصر حاضر
وغدا الجميع مسايرا ومساهما

لحقا بركب العصر لم يتأخرا
إن التأخر كان موتا آثما

والعصر مطبوع بطابع سرعة
وتطور علما وفكرا فاهما

كالورد مغربنا غدا الثقافة
غربية متفتحا ومنادما

فتنوعت افكاره وتعددت
كلماته والوعي صار مهاجما

والفن يمشي في الطريق ودربه
والمسرح الوثاب كان مزاحما

تلك الصحافة والمجلة والكتا
ب تسير سيرا ناميا متراكما

كثرت مشاريع وعممت منجزا
ت للتقدم كان خيرا خادما

تبني الحضارة شامخا بنيانها
ومخلدا تاريخها متعاطفا

تنبي عن الحسن الفريد وعصره
متميزا متباهيا متناغما

فالنهضة الكبرى غدت في عهده
تسمو سموا رائعا متلائما

من كل ناحيـــــة اتـــــيت بها ترى
فنــــا وتجديـــدا و حسنـــا ناغمــــا
شتـــى مظاهرهـــا وقـــد رفت وفــــا
ح عبيرهـــا من حيث ينبـــع قادمـــا
لن من ملك عظيم عبقـــــــــــــــر
ي فكـــــره يبـــدي ابتكــــارا حاسما
هز الوجــــــود جميعــــــــه بمسيرة
خضراء كان لها الصدى متلاطمـــــــــــا
جمع الجنـــــاحين اللذيــــن تمثـــلا
في المغـــــرب الاقصى وليبيــــــا راسما
عهـــدا جديـــدا للعروبــــة والافـــا
رقـــة الذيـــــن سيثبتـــون القوائمـــــا
ويـــفك اغــــلالا عن القـــدس الشري
ـف محررا ومصليـــــا ومداعمـــــــا
امــــا فلسطين الحبيبـــــة فهـــي طا
ل اسارهـــا وامتـــد ويـــلا ناقمـــا
والشرق اجمعــــــه غدا هدفــــا لاســ
رائيــــل تبغـــي ان يكـــــون مسالما
حتــــى تهـــيء فوقـــه مستوطنـــــا
ت لليهود لكــــــي تدوم دعائمـــــا
وجنـــــوب لبنــــــان وغـــــزة والجولا
ن جميعهـــا ذاقت عذابـــــا حاطمـــا
مصر العزيـــــزة والعـــــراق واردن
قد نالها حرب الصهايــــــن هادمـــــا
بيروت يابــــرج الفـــؤاد وغـــوره
قد مسك التـــدمير لغـــوا هازمـــا
والمجسد الاقصى اصيب بمحنـــــــــة
وأذى كثير قد غدا متفاقمـــــــــــــا
ان اليهود تصهينـــــــوا وتحزبـــــوا
فالشر يلحقنـــا دمـــارا قاصمــــا

وتجنسوا كي يدركــوا أعلى المنــا
صب في الوجــود يملكـــوه خواتما
بوسائــل الاعــلام اصبــح صوتهم
مترامـيـا متعاليــا متناظمــا
ملكــوا عواطــف اوروبــا وامريكــا
يجنــون من ثمراتها المتوائمــا
فلنتخــذ اسلــوبهم وبــه نحا
رب مكرهــم وعنادهــم ومناقمــا
ان لم نحاربــه كيدهــم بمكيــدة
عربيــة فالموت امسى حائمــا
ان لم نكــن متيقــظين استعمــروا
كل الأراضي من قرى وعواصمــا
بعــزيمة الحسن القديــر وصنــوه الــ
قذافي البــادي قويــا صارمــا
وبوجــدة جمعتهمــا في اسرة
تهوى الــنضال مجاهــدا ومقاومــا
ستــرد للعــرب الأراضي كلهــا
وتعــيش أمنــا واقعــا لا واهما
ويعــزز الاسلام عزا سامقــا
ويــذيب خلفــا كان شرا لاطمــا
والوحــدة الــكبرى على ايديهمــا
ستصير حقــا صادقــا متــراحما
امــا الجزائــر ويحهــا – من وحــدة
خلــطت لها الاوراق شومــا لاغمــا
ونــرى الصهائــن في الدمــار المحرق
عادوا الى الــذل القــديم سوائمــا
والثــأر يؤخــذ – لا محالــة – طالما
من خلفــه طلب يكــون عزائمــا
–●–
ياقرحــة الشعب الاميرة مريم
كانت لنــا عرسا فريــدا فاغمــا

قد ساهمت فيـــه الاقـــالم كلهـــا

حيـــا واظهـــار الـــولاء مساهما

صارت بها فاس العتيقـــة مسرحـــا

لفنـــون شعب كان دومـــا خادمـــا

يهوى التعامـــل بالمحبـــة والـــرضا

ويـــود أن يبقـــى وفيـــا حازمـــا

فلتهنــــــأي يا أميرة اكـــــلس

بزفـــاف سعـــد دام حلـــوا غانما

ولتنعمـــي برضاء والـــدك المليـــ

ـك وظفـــرا باللـــه امسى عازمـــا

-●-

ياقائـــد العـــرب الذيـــن تشتتـــوا

في الـــرأي والعمـــل الخصيب شراذمـــا

فلأنت أجمع للميـــول وضمهـــا

واصحهـــم نطقـــا ورأيـــا ناظمـــا

بالمسلــــمين فسر بهم نحو الهدى

متحديـــا (غربـــا) يموج شتائمـــا

بكـــم يعـــود لمجده اسلامنـــا

غضا طريـــا بانيـــا للهادمـــا

تتلألـــؤا الشورى بكـــم في البرلما

ن صفيـــة وطليقـــة وحمائمـــا

فالشعب يهنـــأ بالعدالـــة راضيـــا

متمتعـــا بحقوقـــه متفـــاهما

يحيـــا بدون مخاوف مستأمنـــا

متقلبـــا في الضوء نورا حاكما

ليست حيـــــاة المرء غير مسيره

وفـــق النظـــام لكـــي يجوز متاعمـــا

وشغلـــت نفسك بالعروبـــة جاهـــدا

تبغـــي لها شرفـــا ونصرا عاصمـــا

تسعـــى الى ضم الصفـــوف مطهـــرا

جو الحيـــاة شوائبـــا وغمائمـــا

انت الخبير بها وقـــد خالـــطتها

وعـــرفتها في العمـــق سرا كاتما

وخـــرجت اكثر ما تكـــون تشاؤمـــا

أمـــا التفـــاؤل صارو هما أواهما

—●—

مولاي شجـــعت العلـــوم وقـــدتها

ولها بـــنيت معاقـــلا ومعـــالما

هذي (اكاديميـــــة) في ارضنـــا

شيـــدتها قمـــرا يضيء عوالما

طعـــمتها من كل صوب بالرجـــا

ل لكـــي يقـــودوا في البـــلاد عظائمـــا

فالفكـــر ياتي بالروائـــع باحثـــا

والعلـــم يطلـــع بالعجـــائب ساجما

وغـــدوت تقتـــرح البحـــوث لانها

تثري العقـــول طلاقـــة ومفـــاهما

وبها تنـــافس اوروبـــا وامريكـــا

والشرق ينبهر انبهارا عارمـــــــــا

إني لانظـــر فيك روح افريقيـــا

لتقـــود وحـــدتها زعيمـــا رائمـــا

وتريدهـــا صفـــا قويـــا واعيـــا

يبنـــي الحيـــاة تفـــاهما متفـــاهما

وتـــود ان يبقـــى التعـــاون بينها

في غير تضليـــل يكـــون جرائمـــا

((والخامس)) المرحـــوم اسسهـــا لها

تبـــدو و((منظمـــة)) رست بدعائمـــا

لا زالت تبغـــي ان تطـــول حيـــاتها

لتعـــيش وفـــق مبـــادىء ومـــراسما

أسفـــــي عليها قد اراد خصومنـــــا

تخريبها فعقـــــدت رمـــــادا فاحما

قد ابعدوهـــــا عن اصول روادهـــــا

وتسابقـــــوا نحو الفتـــــات اراقمـــــا

فقـــــدت معـــــانيها وذاب صلاحهـــــا

واصابها العفـــــن الكريـــــه مساومـــــا

ضاعت لها اوزانها مختلـــــة

وبـــــدا السواد مناوئـــــا ومخاصمـــــا

آه على ميثاقهـــــا بينـــــوده

قد زيفـــــوه ضلالـــــة وسخائمـــــا

فمليكنـــــا بقـــــراره يـــــدو حكيمـــــا

نبرا متوازنـــــا متحـــــاكما

فإذا انسحبنـــــا من (معطلـــــة) فقـــــد

قبـــــلت بها (مسخـــــا) هزيـــــلا غاشما

كيـــــف الجلـــــوس اليـــــه وهـــــو ممسخ ؟

كالـــــوحش عاش بغابـــــة ليهاجما

صنعـــــوه وهما خاسرا من خلقـــــه

قد رددوهـــــا مكاذبـــــا ومزاعمـــــا

بوسائـــــل الاعـــــلام سار واحطـــــوة

وتقدمـــــوا يبغـــــون ربحا داسما

يستحـــــوذون على الرمـــــال توسعـــــا

والى صدورهـــــم تضم مناعمـــــا

حسبـــــوا وظلـــــوا في عمايـــــة وهمهـــــم

ونسوا المغـــــارب للـــــنضال صوارمـــــا

إن الجزائـــــر عكـــــرت صفـــــو الجوا

ر ولم ترد الا اللظـــــى متفاقمـــــا

وإذن فنحـــــن لها اسود نبتغـــــى

خوض المعـــــارك لا نخاف مآثما

بجدار أمـــــن حافـــــظ لحدودنـــــا

ضاع ادعـــــاؤك ياجزائـــــر ناقمـــــا

بصلابـــــة الجيش العتيــــــد فأننــــا
نحمــــي الرمــــال ولا نهاب مصادمــــا
صحراؤنــــا بين الضلـــــوع نكنها
حبــا عميقــا صادقــا لا هائمــا
من دونها تجري الدمـــاء سواقيــــا
بل ابحرا حتـــــى تصد مراغمـــا
الحق في يدنــــا وفي اعماقنــــا
لا لا نخاف دعايــــة او لائمـــا
سر ياملـــيك طليعـــة شعبــــه
فلقـــد غدا جنـــدا يهب مقاومـــا
شعب احيـــط بوحـــدة وطنيـــة
لا لا يذوق مدى الحيـــاة هزائمـــا
ما دمتم ترعونــــــه بفـــــؤادكم
يحيــا طلقيــا صامـــدا متــلاحما

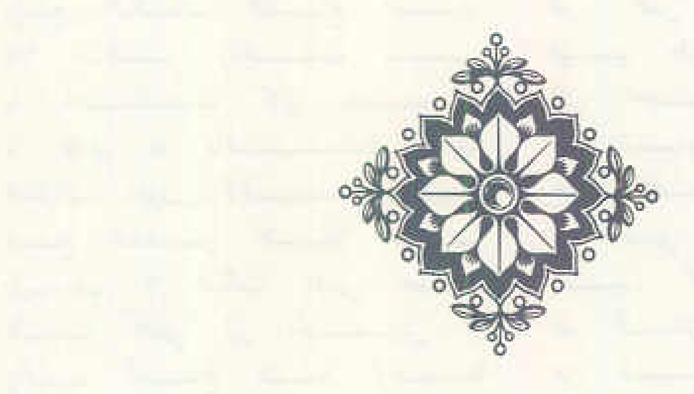
-•-

مولاي شعـــبك قد اصاب حياتــــه
عسر يثير مشاكـــــلا ومغارمـــــا
يشكـــو قليـــل شرائـــه من سلعـــة
فوق الجبـــال وقـــد يراهـــا نائمـــا
ان الغـــلاء سرى الى اضلاعـــه
طمعـــا لسلبـــه اماتـــا واغمـــا
والضعـــف ينخـــر في اليديـــن فصارتـــا
كالشعـــرة البـيضا تحل جماجما
ومثقفـــون غدوا على كف البطـــا
لة ينظـــرون غدا ظلامهـــا غائمـــا
ومـــوظفون سعـــوا على كل الــــدرو
ب متيـــمين بوردة وبراعمــــا
قلـــق يساورهــــم ويبـــعث في صدو
رهـــم اظطرابـــا وانقبـــاضا قاتما
وشبابنــــا تاهت به اقدامــــه
يخطـــو شروقـــا؟ أم غروبـــا هائمـــا ؟

مولاي حالـــــة شعبكـــــم صورتها
كما احسنتها متـــــــــأملا
ولي اليــــقين بأنكــم ستبدلـــو
ن الشوك وردا والنحـــوس نعائمـــا
عفـــوا إذا فاه الـــلسان وتـــرجما
عمـــا يخالج في الفـــؤاد مهـــاجما

-●-

إني سعيـــد ان وجـــدت بعهـــدكم
اشدو به متغنيـــا متـــــرنما
متمنيـــا لكـــم صوابـــا في الـــرؤى
متغلـــبين على العـــدو متـــاخما
وولي عهـــدكم الامير محمـــد
يحيـــا المنـــى ويعـــيش دومـــا سالما
متحمـــلا عبء الاهانـــة صائنـــا
عهـــد الجدود منـــاصرا وملازمـــا



عرشنا في الكون عنوان لنا.

للشاعر محمد بن محمد العلمي

عاد عيد العرش أبهى موسم، بالتحايا للمليك الملهم
تلك ذكرى طفحت انوارها بالمعاني، وجليل القيم
اصبحت اوطاننا في ظلها ذات وعي للطريق الاقوم
عرشنا في الكون عنوان لنا، فهو حقا من اجل النعم
فسلوا (عقبة) او (ادريس) عن ذلك العهد الاعز الأفخم
وسلوا من لحقوا، عن شاوننا تجدوا اقوى جواب مفحم
اودع الاجداد في الاحفاد ما جعل العرش ضمان المغنم
انه الأس الذي نحن به نرفع الامجاد منذ القدم
إنه مصدر إلهام، فكم اغدق الوحي على المستلهم!
وصل الله به ارحامنا، ابد الدهر، فلم تنصرم
ومع العرش على طول المدى، عهدنا الاوثق لم ينفصم

□□□

من صميم القلب جئنا كلنا بالتهاني للامام المنعم
نرفع الباقات للتاج الذي هو شمس قد بدت من أمم
يملأ الناظر والقلب سنى فهو طيب الطيب للمغتنم
به غنيت كأني بلبل ثمل، احيا بأبهى حلم
لا تؤدي ما باعماق الحشا من ثناء كلمات المعجم
فاشارات الهوى كافية، حيث اغنت عن فصيح الكلم
ينبع الشعر جميلا طيعا من ضمير المستهام المغرم
كيف لا اسكب نفسي نغما لحبيب كان دوما ملهمي؟!
فأنا افضي الى العرش بما قد أتاني من فؤادي المفعم
وأنا أبدع فيه لوحة من فنون مثلها لم يرسم
إنه نور طريقي، وهدى لضميري، من به معتصمي
جامع الامة، من يحفظها، بإخاء، من جميع النقم
معه الله يقوي جنده أذ وقاه نقمة المنتقم
حسب هذا الشعب في عرش له أنه توأم ازكى توأم!
ذاك فضل الله في محبوب، ظاهر، لم يك بالمنكتم

إنه يعطي ويعطي عبده، ... ثم لا يسأل طبعا، بكم؟!
دعم الحق، وقوى اهله ... بالولاء الفاعل المستحكم
فأذا الحق على آثاره، ... واضح الصولة لم ينهزم:
في (نيويورك) (الحسن الثاني) سما ... بـ (فلسطين)لأعلى القمم
(لجنة القدس) التي يرأسها ... كان فيها كاشفا للغمم
فرحاب (المسجد الاقصى) شكت ... بغي (صهيون) الاذل الاظلم
وبقاء الرجس فيه سبة، ... مرة في طعمها كالعلقم
إن (صبرا) و (شاتيلا) فيهما ... حسرة الجرح العميق المؤلم
و (صلاح الدين) مبعوث هنا؛ ... أمرنا من دونه لم يقم
وتوالت حلقات للعلا، ... يرتقي فيها بأعلى سلم
(قمة البيضاء) في (فاس) لها ... قبس نحو الثريا يرتمي
نجح (المؤتمر الرابع) في العـ ... ـمل الاجدى، الاهم، الالزم
ولقد عادت لنا (مصر) التي ... هي للاسلام حقا تنتمي
أيها الباعث للاسلام والعـ ... ـرب، لنا دم في صعود، واسلم!
بيعة الاجماع من قادتنا ... تثبت عند الزعيم الاعظم

□*□

قد رضعنا الحب في الابتداء، لا ... نرتوي منه، ولم ننفطم
وهيام الشعب بالعرش هنا ... سكن الاعماق، لم يتكتم
وعلينا كتبت ملحمة ... للتحدي مثلها لم يرم
والايادي البيض من عاهلنا ... تستحق اللثم من كل فم
هتف الشعب به، فانظر الى ... بحره، في موجه الملتطم
نحن في الحس وفي المعنى لنا ... نكهة من شملنا الملتئم:
إن للذات مع الذات هنا ... وحدة للروح لم تنقسم
يرجع الفضل الى العرش الذي ... هو معنى شعبه المحترم
عادت الامجاد للامجاد في ... تلكم الصحراء، مجلى الانجم
فالرمال العسجديات لها ... قيمة فاقت جميع النسم
فهي منا والينا ابدا، ... رغم مكر للدخيل المجرم
الف كلا! لم يفز مرتزق، ... بالضمير الميت المنعدم!
للدعايات التي تنسجها ... طغمة الاشرار لم نستسلم
هذه صحراؤنا نحن لها ... كسوار محدق بالمعصم
وحدة كانت وتبقى دائما، ... لم تجزأ بيد المقتسم
فالى (الساقية) (الوادي)أنتمي ... بعهود، حبلها لم يصرم
وجميع الشعب يفديها، فمن ... بأسها رهط الحالم يسلم
ولنا فيها وجود راسخ ... تاريخي، ليس بالمنهدم
ذاتنا واحدة، لم تفترق ... ابدا في أمل او الم!

و (العيون) الحور في صحرائنا   بسوى عشق لها لم تحلم

رفرفت راياتنا في عزة   قانيات، فوق تلك الأكم

ليس منا من طغت اطماعه،   وغدا العروبة للنهم

ومع التزييف فيما قد نوى   كيف تصفو ذمة المتهم؟!

فإذا نحن وعينا حقنا،   لا علينا في الذي لم يفهم!

موقف المغرب دوما واضح   لم يكن في الورى بالمبهم

□

والمسيرات هنا ماضية   لحقوق في الحمى لم تهضم

فلقد اقسم شعب مؤمن   بر في ايمانه بالقسم

وهنا عرش وشعب اخلصا،   في نظام من اعز النظم

ولنا الصدر من المجد الذي   صرحه مكتمل، لم يثلم

وكذاك الشمس لا ينكرها   في شروق غير معتوه عمي

صوتنا النابع من وجداننا،   قد وعاه مرغما ذو صمم

ولقد انطق ما نحن به،   من نماء، حجرا ذا بكم.

وعلى كل صعيد قدرنا   زاد خطا في رفيع القسم

وأرى عملتنا قد سلمت :   الف مرحى لضمان الدرهم!

نحن لا نزكي، ولكن خصمنا   بسهام الله في الويل رمي!

بركات العرش اذ نشهدها   في الرعايا ظهرت كلهم!

□*□

منجزات عاشها مغربنا   ورعى مكسبها في شمم:

نهضة شاملة مؤمنة،   افلحت في جهدها المنسجم

واتجاه ناضج في وحدة،   رسخت في شعبنا المنتظم

قمة قامت على قاعدة،   فاستوى تصميمنا في الهرم

أنما الشعب مع العرش هما   عمدة في شملنا الملتحم

مغرب الاحرار والامجاد قد   زاد باسا في رسوخ القدم

فالحضارات به ماثلة،   وله منها رفيع الاسهم

والحضور الدائم امتاز بما   في اختيارات (التحدي) الاعظم

ثمن المجد جهاد صادق،   واصطبار، مع شد الحزم!

وطني الغالي رصيد زاخر   بكنوز من فنون الكرم

دعم استقلاله في نخوة،   وعلى صون الحمى لم ينم

والى تنمية فاعلة   كان سباقا الى المزدحم

مغرب الفتح المبين المرتضى   قد مضى في جهده المقتحم

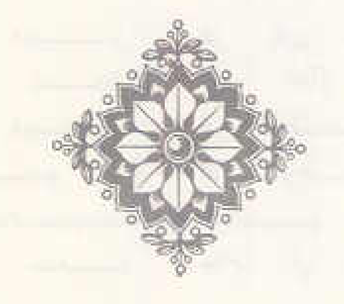
مبدأ الشورى قد استوحاه من   مصدر الهدى بـ (دار الارقم)

وعلى (الدستور) قد شاد العلا، … في ضمان العرش، بين الامم،
فهو حصن الملة السمحاء، قد … ذاد عنها دائما، لم يسأم:
عرب نحن، وفي افريقيا … وجد الاسلام اقوى حرم
تلك ذات (المغرب الاقصى) الذي … كان في اشعاعه كالعلم
يشهد التاريخ في اطواره … اننا اهل الحجى والحكم
في ظلال (الحسن الثاني) لنا … قيمة تفضل كل القيم
في ذلك الرمز لقد سدنا به … ابدا في عرب او عجم
نطقة الشهد، علاج ناجع، … طفحت آياته بالبلسم
إنه الأمن والاطمئنان إذ … كل من لاذ به لم يضم
إنه النور، وما ادراك ما … جوهر النور الجليل الميسم!
حسبنا ان به عزا لنا … فهو اكليل لنا في الامم
قد رعانا، وحمى حوزتنا، … وهدانا للسبيل الاسلم
أيها التاريخ سجل مجده، … وعن الله تدبر، وافهم!
علوي عرشنا، مقتدر، … فاز شعب بحماه يحتمي
وصل الحاضر بالماضي، وقد … كان سباقا لبعث الهمم
كل ذرات كياني استلهمت … منه احلى وألذ النغم
فاذا دقات قلبي عبرت … عن ولائي، وغدت ملء فمي
عجبا للعشق يروي مهجتي، … حيث احيا كل عرق من دمي!
هاهو العيد لقد لاح لنا … بادي البشر، بهي المبسم
إن عيد العرش قد جاوز ما … رسم الفن، ومالم يرسم
والتهاني عطرت ارجاءنا … بشذى يحيى ضمير المسلم
تلك اجيال عن الاجيال قد … وطدت للعرش اغلى الشيم
فالمروءات هنا موصولة، … والهدى في صلة للرحم
والكرامات لعرش ماجد، … مخلص، يحفظ طهر الذمم
فهو في الداخل والخارج قد … غمر الاهل بأوفى الانعم
بعضنا عون لبعض في الهدى، … اذ نلبي صرخة المسترحم
فالثري الموسر ارتاح الى … نجدة الصنو البئيس المعدم
نحن فيما يرتضي عاهلنا … من صلاح ابدا لم نحجم!

□ * □

لم يحب شعب عريق مؤمن … عن يقين بالكتاب المحكم
فكلام الله فيه ينجلي … منهج الحاكم والمحتكم
امره او نهجه متبع … غير منقوص ولا منخرم
ذاك تقدير الهي، فهو من … الهم الوجدان وحي القلم
اذ هو المحسن، من احسانه … «علم الانسان مالم يعلم»
ومن السنة صنا مذهبا … حاسما في امرنا المنحسم

(مـــالك) وجدنـــا في منهج ... بسوى عصمتـــه لم نسلـــم
لم يدر خلفـــا بما انفـــذه، ... فهـــو حقـــا حجـــة المختصم
من يسر في غير نهج واحـــد ... ضاع حتما في دروب النـــدم
وبـــفضل العلمـــاء انـــقشعت ... ظلمـــة الجهـــل البغـــيض المعتم
اينما ازهـــرت التقـــوى، فقـــد ... افلـــح الحق الـــذي لم يهضم
وقبـــول العبـــد في سجدتـــه: ... فهـــو من مبدعـــه لم يرجـــم!
والرعايـــا اينما قد وجـــدوا ... فهمـــو للعـــرش او في الخدم
دعـــوات الخير منهم صدقت ... للملـــيك المؤمـــن الملتـــزم
نخبـــة الاشراف فيهم برزت ... نخوة الـــفضل، ونبـــل الكـــرم
إن آل البـــيت نعتـــز بهم ... ولقـــد عشنـــا على حبهم
فأنـــا منهم إليهم، اذ أرى ... بعضهـــم حز الى بعضهـــم
واجتباهـــم ربهم، واختارهـــم ... وطلـــوع النـــور يبـــدو فيهم
فهمـــو للوطـــن الغـــالي، همو، ... لا يسود الأمـــن الا بهم
من تفـــانى في هواهـــم، فهـــو لم ... ينـــكسف في عشقـــه، لم يلـــم!
وشعـــاع المصطفـــى مؤتلـــق ... عنـــد سبـــط، بالـــرضا متسم
فلـــه النـــصر مع التأيـــد من ... ربـــه الكـــافي، الأبـــر، الأرحـــم
ذلك الفـــرع من الاصل الـــذي ... في اعتـــزاز للمعـــالي ينتمـــي،
رضي (الخامس) عنـــه دائمـــا ... في الجهـــاد الحاسم في المحتـــدم
فهـــو برد وسلام، مطفـــيء ... للهـــيب الكـــاسح المضطـــرم
وكـــذلك النـــسر في عليائـــه ... محـــن تربيـــة للهـــيم
فهـــو في المنفـــى مجيـــد، مثلمـــا ... هو في العـــودة آسي السقـــم
محنـــة الاحـــرار تشريـــف لهم، ... إذ جلا الصبـــح سجـــوف الظلـــم
ينصر اللـــه دومـــا عبـــده ... فالبلايـــا ابـــدا لم تدم!
واختيـــار الشهـــم تكـــريم له، ... فهـــو من نيـــل المنـــى لم يحرم
والـــصلات هنـــا موصولـــة ... من مجيـــد لمجيـــد قيم
وارى الاشبال قد سادوا بما استـ ... ـلهمـــوه من كفـــاح الضيغـــم
حفـــظ اللـــه (ولي العهـــد) من ... كان صنـــوا (للرشيـــد) الاكـــرم
وحمى (أسماء) (حسنـــاء)، فقـــد ... زادتـــا حسنـــا محيـــا (مـــريم)
ورعـــى العـــرش الـــذي تحرسه ... عين مولانـــا التـــي لم تنـــم
وفـــم الدهـــر ثنـــاء عاطـــر ... دائم، في عرشنـــا، لم يختم !!!



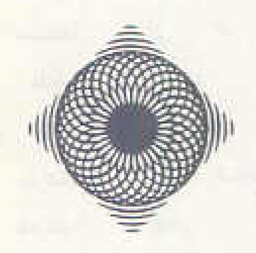
مرحى بعيد العرش

للشاعر الجمالي احمد

لقد اقبل العيد الكريم مبشرا ... فهلل هذا الكون تيها وكبرا
لقد اقبلت العيد الذي جل شأنه ... لدى الشعب طرا بالسعادة مشعرا
لقد اقلبن ـ والله ـ اكبر فرحة ... فما اروع الذكرى واغلى واكبرا ! !
لقد اقبل العيد الذي ذكر الورى ... شهامة ملك بالفخامة اجدرا
فذي (دولة الاشراف) شاد ملوكها ... بذا الوطن المحبوب ملكا مظفرا
وذادوا عن الاوطان كيد خصومهم ... ومن قد طغى منهم ومن قد تجبرا
فنالوا بذا عزا رفيعا مخلدا ... واعلوا لواء في دنا العرب احمرا
سلوا الملك (اسماعيل) من قهر العدا ... بجيش عظيم لا مثيل له يرى
وكم شاد من حصن يعز نظيره ... بناء وتحصينا وكم شاد من قرى
اذا رام شعري وصف مجد ملوكنا ... فيالك شعرا عاجزا ومقصرا
وذا الحسن الثاني مليك بلادنا ... يوالي بناء المجد في خدمة الورى
فمرحى بعيد العرس اقبل بالمنى ... فعطر هذا الجو مسكا وعنبرا
نعم اقبل العيد الحبيب كذابه ... ليبرز حب الشعب للعرش اكثرا
فيلهج هذا الشعب حبا بذكره ... ويعرب عن افراحه متفجرا
ويمضي الى الساحات يفرش ارضها ... ليرقص في اعياده متبخترا
اياطير غرد فالعيون قريرة ... وياطير انشد لحنك المتكررا
وبارك لنا العيد الذي هز قلبنا ... واكسبنا عزا ومجدا ومفخرا
سنسهر طرا ليلة العيد كلها ... فيانجم لا تغرب وبت متنورا
ونلقي من الاشعار ما لذ مسمعا ... الى ان يلوح الفجر بالصبح مسفرا
سننشد شعرا مادحين لملكنا ... وندعو له كيما يعز وينصرا
هو الحسن الغالي فكم من يدله ... علينا وكم ضحى وجد وشمرا
وكم شاد من سد عظيم بارضنا ... وكم شجع الفلاح كي يحرث الثرى
وللعلم والعرفان شاد معاهدا ... ليمحو جهلا في الشباب ويقبر
ماآثره شتى ومن شاء حصرها ... فلابد طبعا ان يخيب ويخسر
تعلق هذا الشعب بالحسن الذي ... يراه جديرا بالامارة اقدرا

فكم كان هتافا بذكر مليكه ... وكم قال يحيا للامير وكررا
وكم انصت الشعب العزيز لقوله ... ليسدي اليه النصح درا وجوهر
فهو — ورب البيت — افصح ناطق ... يشنف سمع المرء ان يرق منبرا
سل الدول العظمى تجبك بانه ... طليق لسان ان يخاطبك تبهرا
هو الرجل المقدام ياشعب ابشرن ... به ملكا عند الشعوب مقدرا
لقد حرر الصحراء وحررا اهلها ... فولى بها عهد الدخيل وادبرا
فويل لمن قد سولت له نفسه ... ورام بها شرا، سيغدو مكسرا
مسيرتنا الخضرا سيخلد ذكراها ... وتبقى مع التاريخ مجدا مسطرا
بها نزد هي ان ضمنا اي مجلس ... نفاخر قوما ان دعينا ومعشرا
وذي قمة الاسلام لف جموعها ... مليك بلادي مرشدا ومدبرا
فاخلاقه لانت كما شاء ربنا ... وفكرته سادت فامسى موقرا
فسل تربة (البيضاء) تنبئك اننا ... رزقنا مليكا بالرئاسة اجدرا
حباه الاه العرش لبا ومنطقا ... واعطاه قلبا طاهرا متطهرا
لتوحيد صف المسلمين مجند ... ليرقى بهم حتما الى قمم الذرا
غيور على الاسلام في كل موطن ... يريد له نصرا عزيزا مؤزرا
غيور على الاوطان يغضب ان رأى ... دخيلا تصدى للشعوب مسيرا
فسل قمة الاسلام تخبرك انه ... ولا غرو — اضحى للشعوب محررا
فلسطين ديست يأمير وشعبها ... تشرد في الدنيا وبات مبعثرا
وها انتمو مولاي تسعون دائما ... ليغدو هذا القطر شعبا محررا
ولبنان، ما ادرك ماهو ! إنه ... يريد ولا يلقى امانا موفرا
فعش سيدي للكل خير مساعد ... ودمت هلالا في سما العرب نيرا
وعشت سليما يامليك لأمة ... تراك لها كنزا ثمينا وجوهرا
ويحيا ولي العهد تاجا لعرشنا ... ودام عزيزا رافع الرأس خيرا
وعاش الرشيد الصنو لتاج لؤلؤا ... وابقاه رب الكون للعرش مفخرا

الجمالي احمد



أهلاً بعيد العرش

للشاعر شهاب جنبكلي

تضوع المسك في الاجواء تقديرا ... وغرد الطير في الافراح مسرورا

واستقبل الكون افواجا موحدة ... تسعى الى البر خلاقا ومعمورا

والارض تمرح من اعماقها طربا ... فتطلق الزهر فواحا ومعطورا

والصبح يحكي انتصارات يحققها ... شعب المسيرة تصديقا وتقريرا

والقائد الشهم يهدي من محبته ... شعبا ابيا، اراد اليوم تبشيرا

بشرى وبشرى بعيد العرش نحملها ... وضاحة بالعلى، ثبتا وتعبيرا

يايها الحسن المنصور نسمعه ... قولا كريما، وفي الافاق مبرورا

يأيها الحسن المأمون نتبعه ... نورا يضيء دروب الحق ميسروا

يامن تصدر في الاسلام مجلسه ... كان الورد بعين الخلق مشكورا

هو النعيم اذا الايام قد وهنت ... هو السعادة ان صار الورى جورا

هو السحابة تهمي عند طالبها ... في مزنها الخير دفاقا وموفورا

ما اسعد الشعب لما قال قائده: ... «هبوا الى قمم العلياء تكبيرا

وجاهدوا في سبيل الله،لا تهنوا ... يامن مسحتم عن الصحراء تزويرا

خضوا كما خاض من اجدادكم نفر ... نحو المعالي زمانا كان تنويرا»

صدقت يامن ازلت الضيم عن رحم ... وسرت في حالك الايام مذكورا

وعذت بالله من درب يضللنا ... فكنت ذا القائد الميمون منصورا

جادت وجادت لك الدنيا على غرر ... قدرا رفيعا الى العلياء مقدورا

* □ *

يامغرب الحسن الباني يقربنا ... من ذي الحضارة انشاء وتاطيرا

يامغرب العرب انت الروح في جسد ... منك العطاءات،ان كان الثرى بورا

تمت لنا وحدة البلدان وانصرفت ... عنا الخديعة تمزيقا وتحقيرا

والنفس راضية عن كل بادرة ... جاد المليك بها انسا وتطويرا

وقد رأى الباطل المفتون غربته ... في البيد قهرا،وفي الساحات محصورا

تحطمت في الثرى اهدافه ورست ... اعلامنا في الربا،تيها وتعفيرا

على اديمك، ياصحـراء ملحمـة غنـى لها الـطير افراحـا وتحذيـرا
ماخاب شعب وصوت الحق ينصره والقائد الاوفى يصون العهد مغمورا

★□★★

لبـيك، ياحسن المقـدام نشعلهـا نارا على الطامـع الطاغـي وتسعيرا
لبـيك، ياقائـد الاسلام نجعلهـا سلما وأمنا، وفي الساحـات تدبيرا
تهز باليمن آفاقـا مروعـة وتحضن الشعب مامونـا ومستـورا
ترقى وترقى، وعين الله تحفـظك وصوتك في الوفا قد صار مأثـورا
فاهنأ بشعب كدر الارض منبتـه واهنأ فخورا طوال العمر مشهـورا
اهلا واهلا بعيد العرش نوسعه قولا وفعـلا، وبـالايمان تيسيرا

شهاب جنبكلي



الوراقة العلوية

عبر سبعة عقود من المائة الهجرية الثالثة عشرة

القسم الثاني

للأستاذ محمد المنوني

يتفرع الموضوع إلى تسع نقط رئيسية : مدخل - وراقون ذكرتهم المصادر - وراقون معروفون من خلال منتسخاتهم - وراقون من طراز خاص - وراقتان من النساء - مخرجون للمؤلفات - الوراقة الأميرية - تكملة - ملحقات.

وكان موضوع القسم الأول تحليل النقط الثلاث الأولى في 63 إسما، وفي القسم الثاني نكون على موعد مع النقط الباقية حسب العرض التالي :

وراقون من طراز خاص

أولا : وراقة برسم جهات معينة :

أ - وراقة بالاشتراك : والقصد إلى المنتسخات المتعددة المجلدات، فيشترك في كتابتها عدد من الوراقين، إستجابة، لرغبة من الجهات المهتمة، ومن نماذج ذلك «شرح المختصر» الخليلي لأبي علي بن رحال، وهو ديوان تطغى عليه المادة التشريعية، وتتعدد مجلداته حتى تصل - حينا - إلى العشرين، فيقع التصريح في بعضها باسم ناسخها، واسم الجهة المقترحة، حتى نستنتج من ذلك إشارات تكشف عن أسماء طائفة من الوراقين والمقترحين، وتتبين - أيضا - أفرادا من النخبة وهم يهتمون بالوراقة :

- ناسخون لمجلدات من الشرح المنوه به برسم الوزير محمد بن عبد السلام السلوي (1)

☆) هذه هي الحلقة السادسة من سلسلة الوراقة «المغربية»، حيث نشرت - تباعا - كالتالي :
- القسم الأول : من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الوطاسية : مجلة البحث العلمي : العدد 16 ص 37 - 65.
القسم الثاني : الدولة السعدية : نفس المجلة : العدد 18 ص 17 - 47.
القسم الثالث : العصر العلوي الأول : مجلة دعوة الحق : العدد 10، السنة 16 ص 80 - 92.
القسم الرابع : عصر السلطان العلوي محمد الثالث : نفس المجلة : العدد 2، السنة 18 ص 45 - 56.
الخامس : يتناول الوراقة عبر سبعة عقود من المائة الهجرية الثالثة عشر : المجلة ذاتها العدد 4، السنة 23 ص 10 - 24 : القسم الأول.

1) ترجمته في «إتحاف اعلام الناس» 186/4 - 187.
مع «تاريخ تطوان» 240/3 - 244.
وقد كان يباشر النساخة بنفسه، فيوجد - بخطه - نسخة من الأرجوزة الطبية : «الهدية المقبولة...» لأحمد بن صالح الدرعي، كتبها عام 1202 هـ : خ. س 4540 ضمن مجموع.
وله خزانة كتب كان يفتحها للمستفيدين، وذلك ما يستفاد من إشارة على ظهر مخطوطة «خاصة» من «تبصرة الغافل» لمحمد الطيب المريني، فيذكر ناسخها أنه كتبها من أصل مملوك للفقيه الأديب محمد بن عبد السلام السلوي المكناسي الدار، أصلا وفرعا بها مع جل القرار، بدأها ناسخها ببلد سفيان بمنزل الجراطيط في العدير : في خزانة المنوه به وعلى مئونته، وفرغ منها - بالعرائش في مصرية المذكور - عشية الإثنين 25 صفر 1225 هـ : على يد كاتبها لنفسه : محمد بن الفقيه سيدي أحمد بن مهدي بن محمد بن أحمد بن الشيخ الصالح : سيدي أحمد بن مهدي، الزياتي الجلاتي.
وهناك معلومات أخرى عن النشاط المكتبي للسلوي : في دراسة لمحمد المنوني بعنوان : «ترجمة مغربية لفهرس الإسكوريال» : مجلة «البحث العلمي» : العدد 6 ص 16 - 23.

64 ـ **البقال :** عبد الفضيل بن المهدي الحسني، كان حيا عام 1814/1229 :

مجلدان : الثاني : بتاريخ الأربعاء 6 ربيع الثاني 1223 هـ.

العشرون : بتاريخ 24 جمادى الثانية 1229 هـ.

65 ـ **سكيرج :** عبد السلام بن أحمد (التطواني)، ت 1250/(2)34 ـ 1835 :

مجلدان : الخامس : ضحوة الأربعاء 20 ربيع الثاني 1223 هـ.

خ. س 8650

التاسع عشر : 25 جمادى الثانية 1223 هـ.

خزانة خاصة

ـ ناسخون لمجلدات من نفس الشرح برسم قاضي فاس عبد الهادي العلوي (3)

66 ـ **السفياني :** مُحمد بن محمد السلوي، كان حيا عام 1838/1254 :

المجلد الأول : عشية السبت 16 رجب 1254 هـ.

67 ـ **الصقلي :** أبو بكر بن رشيد الحسيني الفاسي : 1838/1254 :

المجلد الرابع : 16 جمادى الأولى 1254 هـ.

68 ـ **المهدي بن عطية :** 1255/39 ـ 1840 :

المجلد الخامس : 1255 هـ.

وهذا هو الذي أفاد كتابة هذه النسخة باسم قاضي فاس : في تتفة شعرية ـ من ستة أبيات ـ ختم بها هذا المجلد.

69 ـ **بنونة :** إدريس بن الطيب الفاسي : 1838/1254 :

المجلد التاسع : أواسط ربيع الثاني 1254 هـ.

70 ـ **الطاهري :** محمد بن محمد الحسني الفاسي : 1838/1254 :

المجلد السادس عشر : صبيحة الإثنين 14 رمضان 1254 هـ.

خ. س 3703

ـ ناسخون لمجلدات من الشرح ذاته برسم جهة غير معينة

71 ـ **الصقلي :** إبراهيم بن المكي الحسيني الفاسي : 1858/1275.

المجلد الخامس : الإثنين 13 جمادى الأولى 1275 هـ.

72 ـ **الحجازي :** العربي بن محمد بن سليمان : 1857/1274 :

المجلد السابع : الخميس 8 ربيع الثاني 1274 هـ.

73 ـ **الصقلي :** الحسين بن أبي بكر الحسيني الفاسي : 1858/1275 :

المجلد الثامن : سحر الإثنين 14 ربيع الأول 1275 هـ :

خ. س 3702

ـ ناسخون لمجدات من أنساب الأشراف للبلاذري

وهذا نموذج آخر مع نساخة الكتاب المشار له برسم جهة غير مذكورة، فتوجد منه ثلاث مجلدات اشترك في كتابتها ثلاثة وراقين :

الدلائي :محمد بن محمد إلى خمسة، بن عبد الرحمن، سابق الذكر عند رقم 8 :

المجد الأول : 19 ربيع الثاني 1209 هـ.

ابن الحاج :عبد الله بن عبد الرحمن السلمي، سالف الذكر عند رقم 5 :

المجلد الثالث : 16 رجب 1209 هـ.

الوافلاوي : الحسن بن عبد القاهر مار الذكر :

المجلد الرابع وهو الأخير : 28 جمادى الثانية 1209 هـ.

خ،س 6914.

---

2) هو مؤلف تاريخ تطوان، وترجمته في «تاريخ تطوان» 285/6 ـ 286.

3) ترجمته في سلوة الأنفاس 117/1 ـ 118.

وعلى هذه الوتيرة سارت كتابة نسخة من «شرح إحياء علوم الدين» للزبيدي، وبين أسفاره توجد ثمانية اشترك في كتابتها بعض الوراقين، حيث عرف منهم إثنان :

الدلائي : محمد بن محمد إلى خمسة بن عبد الرحمن المتكرر الذكر :

السفران السادس والسابع.

74 ـ **ابن سليمان** : محمد الطيب بن عبد الرحمن الأندلسي ثم الفاسي سابق الذكر :

الأسفار 12، 13، 14.

خزانة القرويين رقم 655.

وأخيرا : نشير إلى «حاشية» البيدري التلمساني على الشرح الصغير للخرشي على المختصر الخليلي : في مجلدين كتبهما وراقان.

75 ـ **العلمي** : العربي بن إدريس بن محمد : المجلد الأول دون تاريخ.

76 ـ **الوراجلي** : علي بن أحمد بن العربي الدرداري العبد السلامي 1264 : المجلد الثاني عام 1264 هـ.

خ، س، 167.

☆ ☆ ☆

ب ـ **وراقة دون اشتراك** : والمعني بالأمر الحالة التي يكون فيها الناسخ للجهة المعيّنة واحدا غير متعدد، حسب الأسماء التالية :

77 ـ **الأمين البخاري** : نزيل فاس، وهو من مدينة بخاري، وكان هو الإسم الثامن في لائحة الوراقين بالبلاط السليماني سابقة الذكر، وكتب ـ أيضا بخطه ـ كثيرا من مصنفات الحديث والتصوف برسم خزانة الزاوية الصقلية بفاس، وبها كان ينزل مدة إقامته بفاس (4).

78 ـ **التازي** : محمد بن عبد الله : 1793/1208 :

«الميزان» للشعراني : 5 ربيع الأول 1208 هـ : برسم أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الله **التوزيني** التازي (4ك).

خزانة القرويين رقم 491.

79 ـ **الوافلاوي** : محمد المكي بن محمد بن محمد بن أحمد : 1798/1213 :

أ ـ «تحرير الكلام في مسائل الالتزام» للحطاب : 7 شعبان 1211 هـ.

خ. س 8027

ب ـ «شرح المختصر الخليلي» للحطاب : الأسفار 1، 2، 3، فرغ من الأخير : عشية 1213 هـ.

خ. س 10767

كتبهما لشيخه أبي الحسن علي بن عبد الله **التوزيني، إمام الزاوية الناصرية بتازا** (5).

80 ـ **العمراني** : إدريس بن علي بن أحمد : 1799/1214 :

«شرح المختصر الخليلي» لأبي علي بن رحال : المجلد 8 : 2 جمادى الأولى 1214 هـ : للشيخ محمد بن عمرو **والوزروالي** ثم الفاسي (6).

خ. س 4872

81 ـ **الزهراوي** : محمد المكي بن محمد بن العربي المكناسي : 1801/1216 :

«الرحلة العياشية» : الإثنين 15 رجب 1216 هـ، مع من شاركه في نسخ أولها : برسم **قاضي مكناس** أحمد بن علي العلوي المدغري (7).

خ. س 525

82 ـ **السبيطي** : الطاهر بن علي : 1810/1225 :

«الجمان في أخبار الزمان» للشطيبي : 25 جمادى الثانية 1225 هـ : لأبي العباس عبد الرحمن بن أبي شعيب **الدكالي الهلالي**.

خ. س 523

83 ـ **القيسي** : محمد بن عيسى الجرفطي ثم التطواني : 1812/1227.

---

4) من مقيدة بخط الشيخ محمد عبد الحي الكتاني.

4ك) أورده محمد بن عبد السلام الناصري في «الرحلة الحجازية الصغرى».

5) ذكره أبو الربيع الحوات في «الروضة المقصودة» : عند باب الشيوخ الصلحاء لمحمد التاودي ابن سودة.

6) ترجمة في «سلوة الأنفاس» 3/5 ـ 6.

7) ترجمته في «اتحاف اعلام الناس» 365/1 ـ 366.

«شرح الصلاة المشيشية» لمحمد بن عبد السلام بناني : ضحوة الإثنين 19 محرم 1227 هـ : برسم الوزير محمد بن عبد السلام **السلوي**.

خ. ع. ك 2/1595

84 ـ **الودغيري :** محمد بن المختار بن عبد الله الحسني 1229.

«الشرح الكبير للشريشي على مقامات الحريري» : السفر الأول 1229 هـ، كتبه للوزير محمد بن عبد السلام **السلوي**.

خ. ع. حـ 81

85 ـ **القصري :** محمد التهامي بن العربي العبدري المكناسي 1829/1244 :

«الاكتفا» للكلاعي : السفر الثاني : عشية الأربعاء 24 رجب 1244 هـ :

للقائد أحمد بن الحاج الخدري الزموري.

خ. س 9424

86 ـ **الجامعي :** محمد بن عبد العزيز الفاسي : 1833/1248 :

أ ـ «درة السلوك» للأمير العلوي : عبد السلام بن السلطان محمد 3 : ضحوة الإثنين 16 صفر 1245 هـ : برسم **السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام**.

خ. س 237

ب ـ «صحيح مسلم» : السفر الأول خال من التاريخ : **لقاضي فاس** مولاي عبد الهادي بن عبد الله العلوي.

خ. س 11165

ج ـ «شرح بناني على السلم» للأخضري : يوم الأحد 16 ذي الحجة 1248 هـ.

خزانة خاصة

87 ـ **الفاسي :** عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين الفهري (8)، ت 1844/1260.

أ ـ «صحيح البخاري» : خمسة أجزاء من الثالث إلى السابع : تجزئة عشارية : 1242 هـ.

مكتبة الزاوية الحمزاوية رقم 399.

8) ترجمته عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 123/8.

ب ـ «منهج العمال» للمتقي الهندي : بعد صلاة الظهر من يوم السبت 17 ربيع الثاني 1242 هـ : **بالزاوية العياشية**.

خ. س 11807

88 ـ **غازي :** أبو بكر بن المهدي الفاسي ثم التطواني : 1850/1266.

«سراج الملوك» للطرطوشي : ضحوة الإثنين 19 ربيع الثاني 1266 هـ : برسم قائد تطوان الباشة عبد القادر بن الباشة محمد **أشعاش** (9).

خ. س 11433

89 ـ **ابن سودة :** محمد الرشيد بن جعفر بن محمد الطالب بن أحمد المري الفاسي : 1856/1272.

«القاموس المحيط للفيروز ابادي» : نسخة تامة في مجلدين، فرغ من أولهما ليلة السبت 28 رجب 1272 هـ، حيث ذيله بنتفة شعرية ـ من خمسة أبيات ـ ورد بها إسم **السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام**.

خ. س 11099

90 ـ **الغزاوي :** أحمد بن قاسم السلوي : 1860/1276 :

«صحيح مسلم» : الأرباع الأول والثاني والرابع في ثلاث مجلدات : 17 ذي القعدة 1276 هـ : برسم **الأمير عبد القادر** بن السلطان أبي زيد بن هشام.

خ. س 5647

☆☆☆

ثانيا : وراقون بخطوط غير مغربية

91 ـ **المراكشي :** صالح بن محمد 1213/98 ـ 1799.

يوجد بخطه ـ في تونس ـ جزء من «صحيح البخاري»، وجاء في وصفه أنه أتم نسخه سنة 1213 هـ في مكة المكرمة : بخط يشابه **الخط الشامي** (10).

9) ترجمته تأخذ حيزا كبيرا من «تاريخ تطوان» 6/ ابتداء من ص 11.

10) «فهرس المكتبة العبدلية» بتونس 94/2.

92 ـ **الثعالبي** : محمد السعيد بن الغزواني بن محمد السعيد بن الحاج المفضل الإدريسي الحسيني (كذا) المغربي نشأة، من تلامذة رئيس الخطاطين وتاج الكتاب، العالم الأديب، نادرة الزمان، الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم الشهير بابن الخط، المصري منشئا، الحسيني نسبا، المقيم بإسلامبول...

هكذا يوقع على قصيدة أنشأها، وأجاب بها عن قصيدة خاطبه بها أبو إسحاق إبراهيم الرياحي، لما اجتمع هذا بالوافد المغربي على تونس : في أوائل شعبان (11) 1232/«1817».

93 ـ **بوحدو** : محمد الطاهر بن الحسين بن محمد الدكالي ثم الرباطي : (12) 1832/1248.

يكتب بخط مرسوم على وضع الخط التونسي، حسب المنتسخين التاليين :

أ ـ «شرح المختصر الخليلي» للدردير : النصف الأول : إبتدأ نساخته يوم الأربعاء 11 ذي القعدة 1234 هـ : في مدينة الرشيد بمصر قبل سفره منها، ثم فرغ منه ضحوة الجمعة 13 شعبان 1235 هـ، وختم كتابته في ضريح السلطان الغازي محمد خان بالقاهرة.

خ. س 4831

ب ـ شرح القصيدة الخزرجية للزموري، فرغ منه يوم 8 جمادى الآخرة 1247 هـ.

خ. ع. د 115 أول مجموع

94 ـ **الحبابي** : الحاج محمد بن الطاهر بن أحمد الفاسي موقت منار القرويين (13)، ت 1851/1267.

يوجد بخطه «رسالة في التوقيت» للكنبوي مبتورة الأول، كتبها بخط يميل للمشرقي منقوط على الطريقة المغربية، انتسخها في تركيا بالمدينة التي سماها «قوش أضاسي»، وفرغ منها ضحوة الخميس 3 جمادى الأولى 1220 هـ.

خزانة خاصة

ثالثا : وراقون مزخرفون ومسفرون

95 ـ **إدريس السجلماسي** : مستوطن فاس، وهو الإسم العاشر في لائحة الوراقين بالبلاط السليماني، سابقة الذكر، فينعته الزياني «بصانع الدفاتر ومحليها».

96 ـ **الحلو** : محمد بن عبد العزيز بن محمد بن المهدي المريني الوطاسي ثم الفاسي : كان حيا عام 1831/1246.

يقول عنه الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور : «وانتشرت بتونس شهرة الكاتب المجيد المتقن : محمد بن عبد العزيز الحلو في صدر القرن الثالث عشر، وتنافس الناس بتونس في آثاره... وبالزيتونة نسخة من البخاري في مجلد واحد برواية ابن سعادة عن الصدفي : هي غاية في الصحة، وجمال الخط، وبديع الطوالع والتزاويق، وروعة التلوين والتذهيب، كتبها محمد بن عبد العزيز الحلو سنة 1227.

وأخرى بالعبدلية كتبها هو بنفسه سنة 1221.

وكلتاهما مجلدة بإتقان : في إحكام الربط، وحسن التجويف والتلوين والزخرفة وفنون الترصيع بالذهب الإبريز الملون، ومكتوب ـ على لسان السفر في كل منهما ـ بالحرف البارز في الجلد : الجامع الصحيح للإمام البخاري» (14).

وهنا تنتهي ارتسامة العلامة التونسي عن وراقة المنوه به، ونشير ـ الآن ـ إلى وصف المكتبة العبدلية ـ بتونس ـ لإحدى النسختين ـ المشار لهما ـ من صحيح البخاري :

---

11) «تعطير النواحي...» تأليف عمر بن محمد بن علي بن إبراهيم الرياحي ط. تونس سنة 1320 هـ 89/1 ـ 90.

12) لا تعرف له ترجمة، وورد إسمه بين جماعة من علماء وعدول الرباط : في وثيقة مؤرخة بربيع الثاني 1248 هـ، حسب ابن إبراهيم في «الإعلام» : المطبعة الملكية 406/2.
وهو يضيف إلى اسمه في مخطوط الخزانة العامة : «من حفدة سيدي بلقاسم بوحدو : بقرية مكرس بدكالة».
ويوجد خطه ـ أيضا ـ على رسالة «كفاية العوام...» للفضالي : خ. ع. د 115 ضمن المجموع أعلاه عند ورقة 159/أ، فيكتب عليها : «أكرمني بتمليك هذه الرسالة المحب في الله (تعالى) : العلامة المشارك أبي (كذا) عبد الله سيدي محمد التازي المغربي المنشأ، المستوطن بوكالة المجاورين بالصنادقيا، بين مسجد الأزهر ومسجد الأشرف، وإقامته بالأزهر إثنا عشر سنة على طلب العلم، وتوجه ـ في سنة تاريخه ـ للحج والمجاورة بمدينة الرسول ﷺ، وحج حجة الفرض قبل، وسفره في شهر شوال سنة 1234، وهو المشهور في مصر بالشيخ التازي في زمن تاريخه، قيده عبد الله تعالى : محمد الطاهر بن الحسين بوحدو».

13) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 360/2.

14) مجلة «المغرب» التي كانت تصدر عن وزارة الممثل الشخصي لجلالة الملك : العدد 6 ـ 7 «مزدوج»، دجنبر 1965 ـ ص 18.

«نسخة تامة منه «البخاري» في جزء بخط مغربي، نسخه محمد بن عبد العزيز الحلو... سنة 1221، وطوالعه محلاة بأشكال مطروزة بالذهب والألوان على أبدع أسلوب، وله فهرس لأبواب الكتاب محلى بأشكال حسان، وصفحاته مجدولة بالذهب وبالحبر الملون... مجلد بذوق فني، مكتوب على لسان السفر بأحرف بارزة : الجامع الصحيح للإمام البخاري» (15).

وفي نحو من هذه الخصائص لوراقة محمد بن عبد العزيز الحلو : نشير إلى نسخة من صحيح البخاري في تجزئة رباعية، ويوجد منها ثلاث مجلدات :

الثاني : يوم الجمعة 7 محرم 1237 هـ.

الثالث : يوم السبت 8 ربيع الثاني 1237 هـ.

الرابع : يوم الجمعة 19 رجب 1237 هـ.

خ. س 7733

97 ـ **ابن الحاج :** محمد بن عبد الرحمن بن حمدون السلمي المرداسي ثم الفاسي 1825/1241.

قال عنه في رياض الورد : (16) «إنتهت إليه الرئاسة في حسن الخط والتزويق، وتنميق الأشكال العجيبة بدقائق الألوان والذهب الأنيق... وكان أخذه هذه الصناعة عن الفقيه أبي الحسن علي الوافلاوي».

وبين منتسخاته نشير إلى ثلاثة :

أ ـ «زاد المجد الساري لمطالع البخاري» لمحمد التاودي ابن سودة : نسخة تامة في ثلاثة أسفار، فرغ منها صبيحة يوم الجمعة 10 ربيع النبوي 1239 هـ، وبطالعة كل من أسفارها ترجمة أنيقة.

خ. س 3876

ب ـ الشرح الكبير على المقامات الحريرية للشريشي : في مجلدين فرغ من ثانيهما صبيحة الثلاثاء 25 ربيع النبوي 1241 هـ.

خ. س 5961

ج ـ صحيح البخاري : المجلد الثاني دون تاريخ.

خ. س 10639

15) «فهرس المكتبة العبدلية» بتونس 60/2.

16) مخطوط خ. ع. ك 2313 : ضمن مجموع.

98 ـ **أجانا :** إدريس بن التهامي المكناسي 1838 ـ 37/1253.

كان ـ حسب ابن زيدان ـ (17) يحترف بتسفير الكتب وإصلاح المبتور منها.

ـ **ابن الحاج :** محمد بن إدريس العمراوي سابق الذكر عند رقم 14.

يذكر أكنسوس 18 بين منتسخاته ثلاث نسخ من الشفا يسفرها بيده.

99 ـ **باكَتل :** محمد بن الحسن السوسي، تـ نحو 1848 ـ 47/1264.

يقول عنه المشرفي : (19) «وله صناعة عجيبة في تجليد الكتب وتسفيرها».

100 ـ **التادلي :** محمد بن عبد القادر بن علي الرباطي، تـ عشرة الستين ومائتين وألف، وهو والد أبي إسحاق إبراهيم التادلي شيخ الجماعة بالرباط، فيقول عنه : «وكان والدي عالما، قرأ النحو والفقه والطب، وكان متقنا للخط، فكان يضرب المثل بخطه، وجل كتبه التي كتبها : «المصاحف» و«دلائل الخيرات»، وعندي من ذلك مصحف ودليل، وكان يرسل الدلائلات للمدينة المنورة : يرسلها كل سنة... ويبذل في كتابتها أموالا، ويتقن تراجمها بأنواع الألوان والزخارف، وكل لفظ «سيدنا محمد» أو «اسم الجلالة» : مكتوب بلون يخصه، وكثيرا ما يجعل للفظ سيدنا محمد وحده جهة وورقة تخصها، أو اسم الجلالة...» (20).

وعلى هذه الصفة يعرف ـ الآن ـ إثنان من منتسخات محمد بن عبد القادر التادلي :

أ ـ «ذخيرة الكنوز في الصلاة على النبي العزيز» للشيخ الغازي بن العربي الهرغي ثم السجلماسي : الإثنين 17 جمادى الأولى 1250 هـ.

17) «اتحاف أعلام الناس» 23/2 خلال ترجمته.

18) «الجيش» ط. ف 151/2.

19) «نزهة الأبصار...» خ. ع. ك 579 ص 227.

20) أبو إسحاق التادلي في اختصاره لتذكرة داود الأنطاكي، باسم «التذكار لما في التذكرة من الطب مع الاختصار» : قطعة منه ضمن كناشة في المكتبة التطوانية بسلا، وللتادلي ـ الذي نعلق على اسمه ـ ترجمة عند محمد دنية في «مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط» : مخطوط خ. س 779 222/1، وجاء فيها : «ونسخ بيده عدة كتب... ولم أقف على تاريخ وفاته».

خزانة خاصة

ب ـ «دلائل الخيرات» للإمام الجزولي : الإثنين 17 جمادى الأولى 1258 هـ.

خزانة خاصة

وكنموذج من عمل الوراق الرباطي : نشير إلى وصف نسخة دلائل الخيرات :

خطها مغربي مليح مبسوط في غالب أوضاع حروفه، مكتوب بالمداد الأسود الباهت قليلا، مع استخدام المداد الملون على التناوب : أحمر وأزرق وأصفر، وخصوصا عند فواتح الصلوات النبوية، وفي كتابة اسم الجلالة أو الاسم النبوي، مشكول باللونين الأحمر أو الأخضر، ومؤطر بثلاثة خطوط تحيط بالكتابة : اثنان بالمداد الأحمر، والثالث ـ وهو الخارجي ـ بلون أزرق.

وكثيرا ما يكتب اسم الجلالة أو الاسم النبوي في صفحة على حدة، بخط عريض ملون على التناوب، وموضوع داخل إطار يعلوه شكل قوس مزخرف زخرفة منوعة بين الصفحة والأخرى فتتدلى منه ومن جهات منخفضة : رسوم مصابيح معلقة بواسطة خيط دقيق.

وإلى هذا فإن الوراق يتأنق في رسوم الروضة الكريمة، ومحراب ومنبر المسجد النبوي، ويضيف رسم مثال النعل الشريف : في زخرفة رائعة ملونة بأربعة ألوان، وخصوصا لون الحمرة.

هذا فضلا عن زخرفات عند فواصل دلائل الخيرات : عند أوائل الربع الثاني والنصف الثاني والربع الثالث، وعند أول الثلث الثاني والثالث، ثم عند أوائل أجزاء الدليل السبعة.

يشتمل على 159 ورقة، مطرة 10، مقياس 160/200.

101 ـ **الحلو** : عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد المريني الوطاسي ثم الفاسي، تـ 1853/1269.

كان ـ حسب التاشفيني ـ (21) عالما بتسفير الكتب وتنزيل الذهب.

والزياني ـ من جهته ـ يلمح لبراعته في الزخرفة والتسفير، فيذكره في عداد المقرظين لرحلة «الترجمانة» هكذا : «تم الفقيه الأديب، ذو الصنع العجيب، الذي صانها (الترجمانة)، ونسج حللها، وفي ثياب الزركش دحاها، وهيأ لها ماءها ومرعاها، وقال لها : لا تبرحي عني، فما بهذا المصر قريني، فأنا أبو زيد عبد الرحمن المريني» (22).

وفي تعبير الزياني «بتحفة النبهاء» : (23) «الذي نفائسه في الدفاتر لا تخلو، ونسبه في مرين مجلو...».

102 ـ **اللهبي** : محمد بن التهامي عمور الفاسي : 1858/1275.

أ ـ «المصباح المنير» للفيومي : في سفرينلا فرغ من ثانيهما يوم الخميس 11 ربيع الثاني 1275 هـ.

بأول كل من السفرين زخرفة أنيقة في وضع يتبين أنه من عمل الناسخ.

خ. س 692

ب ـ «حاشية بناني» على شرح السنوسي لمختصره في المنطق : دون تاريخ

خ. س 11866

☆ ☆ ☆

رابعا : وراق يزاول المهنة في وضع متازم

103 ـ **الحسني** : محمد المدني بن محمد بن أحفيد بن الشريف العلوي **الخنوسي** : 1830/1245.

كتب منتسخين وهو لاجئ بضريح الشيخ أبي عبد الله الدقاق في مدغرة :

أ ـ «المساعد على تسهيل الفوائد» لابن عقيل : في مجلد فرغ منه ظهر الإثنين 14 ربيع الأول 1234 هـ.

خ. س 862

ب ـ «إعراب القرآن» لإسماعيل بن خلف المقري : السفر الأول عشية الأحد 29 رجب 1245 هـ.

خ. س 11596

☆ ☆ ☆

وراقتان من النساء

104 ـ **آمنة بنت الحاج عبد اللطيف بن**

---

21) «اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون» : عند ترجمته.

22) «مقامة» للزياني نوه فيها بالمقرظين لكتابي الترجمان والترجمانة، وندد بالمتخلفين، وهي غير تحفة النبهاء : مخطوطة خاصة.

23) خ. س 2752.

أحمد حجاج المدعو غيلان الشريف التطواني : (24) عام 1812/1227.

خطها مغربي مبسوط واضح مليح، مشكول في غالبه، مجدول، منوع التلوين، ويعرف ـ الآن ـ بخطها منتسخان :

أ ـ «الترغيب والترهيب» للمنذري : السفر الرابع وهو الأخير، فرغت من كتابته بعد صلاة العصر من يوم السبت الأخير من ربيع الثاني 1217 هـ.

المعرض الثاني لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق ـ مارس 1970. رقم 64 ت.

ب ـ «مصحف شريف» ذيلته هكذا :

«كمل المصحف المبارك ـ الحمد لله حق لحمده (كذا)، والصلاة والسلام على محمد وآله ـ ضحى يوم الجمعة من شهر الله عاشوراء : يوم ستة وعشرين، عام سبعة وعشرين ومائتين وألف، على يد كاتبته الحقيرة الذليلة، المذنبة الخطيئة (كذا)، أمة الله وأقل أمته، وأحوجها إلى الله فيما مضى من عمرها وما بقي : آمنة بنت الحاج عبد اللطيف بن أحمد غيلان الشريف...».

المعرض الخامس لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق ـ مارس 1973. رقم 168 ر.

105 ـ عائشة بنت الحاج مبارك الشلح بن أحمد بن الحسين التكّي (المتوكي)، الغشي الحسنوي : عام 1830/1245.

خطها مغربي بدوي واضح متوسط ملون، مشكول في بعض منتسخاتها، حيث يعرف ـ الآن ـ منها ثلاثة :

أ ـ «مصحف شريف» : كتبت في آخره باللون الأحمر : «كمل القرآن العظيم، بقدرة الجليل الكريم، بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل، على يد خديمة ربها، الضعفة (كذا) : عائشة بنت الحاج مبرك (كذا) الشلح التكي، غفر الله لها ولوالديها (كذا) ولمن نظر في خطها، ولجميع المومنين والمومنات، والمسلمين والمسلمات : الأحياء منهم والأموات، اللهم أجعل آخر كلامنا : لا إلاه إلا الله، محمد رسول الله».

وإثر هذا في الهامش بلون السواد : «عام سبع وثلاثين ومائتين وألف».

خ. س 4225

ب ـ «مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات» : اسم الشرح الصغير لدلائل الخيرات للجزولي : تأليف محمد المهدي الفاسي، وقد ذيلته بهذه الخاتمة :

«كمل الكتاب المبارك ـ بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ـ صبيحة يوم الجمعة، الثاني والعشرين يوما من شهر الله جمادى، عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف : 1237، الله يوفقنا للصواب، على يد أمة الله : عائشة بنت الحاج مبرك (كذا) بن أحمد الشلح التكي، البائس الفقير، الضعيف الحقير، المحتاج لرحمة الله ومفتاح البصير، (كذا) غفر الله لها ولوالديها ولشيوخها، ولمن نظر في خطها، وكل من قرأه يدعو إليها، ولجميع المومنين والمومنات، والمسلمين والمسلمات : الأحياء منهم والأموات، ورضي الله عن أصحاب النبي أئمة الهدى، ومصابيح الدنيا، وعن التابعين، والحمد لله رب العالمين، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم أجعل آخر كلامنا : لا إلاه إلا الله، محمد رسول الله».

خ. س 4087

ج ـ «مدارك التنزيل، وحقائق التأويل» : اسم تفسير القرآن الكريم لعبد الله النسفي في سفرين، وقالت آخر السفر الأول :

---

24) في «تاريخ تطوان» 93/3 وردت الترجمة التالية : «الفقيهة الصالحة للاغيلانة : هي الفقيهة العالمة الصالحة : السيدة آمنة إبنت الفقيه العالم الصالح : سيدي محمد غيلان، وقد ترجم لها أستاذنا الرهوني، وذكر أنها كانت من الصالحات القانتات، وقد اعتنى بها والدها وعلمها القرآن والعربية والفقه والحديث، فكانت عالمة نساء البلد وصالحتهن، وكانت تعلمهن أمور دينهن، وتفتيهن في شؤونهن، وتعبد ربها متبتلة منقطعة عن الأزواج وعلاقات الرجال، إلى أن توفيت رحمها الله، ودفنت ببيت من دارها بحومة النطيس، وقد جعل لذلك البيت باب لجهة الشارع، وقبرها مشهور يزار، ثم ذكر أستاذنا الرهوني أنها كتبت ـ بيدها ـ «سيرة الكلاعي» كلها، وأن وفاتها كانت سنة 1189، رحمها الله».

وإلى هنا تنتهي الترجمة الواردة في تاريخ تطوان، ويلاحظ أن هذه المترجمة توافق الخطاطة ـ التي نعلق عليها ـ في اسمها، وتخالفها في اسم والدها، وفي تاريخ وفاتها، وقد كانت هذه لا تزال بقيد الحياة أوائل عام 1227 هـ، وهو تاريخ فراغها من كتابة المصحف الشريف.

«قد انتهى الجزء الأول... وكان الفراغ منه يوم الحد (كذا)، الثاني والعشرين من شهر الله ذي القعدة، عام خمسة وأربعين ومائتين وألف، على يد أمة الله : عائشة بنت مبرك (كذا) بن أحمد نجل الحسين الشيخ، التكي الغشي الحسنوي، غفر الله لها ولوالديها».

خ. س 5061

☆☆☆

وراقون مخرجون للمؤلفات

106 ـ السجلماسي : محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل، نزيل الرباط ثم بجعد، حيث توفي بها (25) 1799/1214.

وهو المخرج ـ من المبيضة ـ «لذخيرة المحتاج...» تأليف الشيخ محمد المعطى بن الشيخ محمد الصالح الشرقاوي العمري (26).

107 ـ الرهوني : محمد بن أحمد بن محمد نزيل وزان (27)، ت 1814/1230.

خرج ـ من المبيضة ـ «إمتاع الأسماع بتحرير ما التبس من حكم السماع»، تأليف السلطان العلوي مولاي سليمان، وفرغ منه يوم الجمعة 18 ربيع النبوي 1221 هـ (28).

108 ـ اليازغي : عبد الغني بن محمد بن هنو الفاسي.

خرج السفر الأول من شرح والده على «الشامل» لبهرام (29).

ـ العراقي : عبد الله بن إدريس الحافظ، سابق الذكر عند رقم 34.

خرج ما شرحه والده على الثلث الأخير من «مشارق الأنوار» للصغاني، وأكمل شرح الباقي (30).

109 ـ ابن ريسون : محمد بن محمد الصادق بن أحمد، الحسني العلمي اليونسي التطواني (31)، ت 18/1234 ـ 1819.

جمع تعاليق الشيخ يعيش الشاوي، التي قيدها ـ بخطه ـ على هوامش نسخته من شرح ميارة على تحفة ابن عاصم، ثم رتبها، وسماها «بالكواكب السيارة، في مسايرة فقيه فاس أبي عبد الله ميارة» (32).

110 ـ شقور : أحمد بن محمد بن الطيب الحسني العلمي الموسوي ت 19/1235 ـ 1820.

رتب ـ على المعجمية المغربية ـ «ديوان» قريبه وأستاذه أبي الربيع سليمان الحوات، وفرغ من ذلك في ربيع الأول 1232 هـ (33).

111 ـ العلوي : السلطان مولاي سليمان بن السلطان محمد بن عبد الله الحسني، ت 1822/1238.

جمع أشعار أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ورتبها في «ديوان» خلا من تاريخ التخريج (34).

ـ أفيلال : محمد المامون بن النادي الحسني العلمي التطواني، سابق الذكر عند رقم 11.

جمع فتاوي القاضي عبد الرحمن الحايك التطواني (35).

112 ـ البناي : عبد الغفور بن التهامي التطواني، كان حيا (36) 30/1246 ـ 1831.

خرج ـ من المبيضة ـ حاشية شيخه الشيخ أحمد ابن عجيبة على الجامع الصغير للسيوطي، وفرغ من ذلك عشية الخميس 26 ذي الحجة 1224 هـ (37).

ـ ابن الحاج : محمد بن إدريس العمراوي، سابق الذكر عند رقم 14.

---

25) ترجمته عند ابن إبراهيم في «الإعلام» 155/6 ـ 161.

26) «المعسول» 35/6.

27) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 104/1 ـ 105.

28) جاء التصريح بهذا آخر مخطوطة في خزانة خاصة.

29) «الدرر الفاخرة...» لابن زيدان ص 76.

30) خ. ع. ك 2698.

31) ترجمته في «تاريخ تطوان» 266/6 ـ 274.

32) خ. س 7777.

33) خ. س 2941.

34) خ. س 3/158.

35) «تاريخ تطوان» 277/6، وترجمة أفيلال بنفس المصدر 283/6 ـ 284.

36) في «تاريخ تطوان» 221/6 : أن مؤلفه وقف على نسخة من تفسير القرآن الكريم لابن عجيبة بخط البناي المذكور، وقد فرغ من كتابتها عام 1246هـ : برسم الفقيه العالم الشريف : الطيب بن عبد السلام البقال التطواني.

37) خ. ع. د 1831.

كان يشتغل مع الزياني في إخراج مؤلفاته، وذلك ما يشرحه مؤرخ الدولة العلوية وهو يتحدث عن ابن إدريس : «كان في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف الترجمان. والبستان. والألفية. والجمهرة. والفهرست. والحادي. والبغية. والسهام الراشقة. وشرح الكورة. والرحلة. وغيرهم (38).

ولابن إدريس قصيدة يعدد فيها أوضاع الزياني التي كتبها بخطه، حسب إشارة من مؤلفها في مقامة له (39).

وبين منتسخات ابن إدريس المنوه بها : نشير إلى «التاج والإكليل» للزياني، ومعه «تحفة النبهاء» وسواها : مخطوط خ. ع. ك 241.

113 - محمد ابن الفقيه الفاسي

نسخ للزياني بعض مؤلفاته، ومنها الترجمان (40) والروضة السليمانية، وقد جاء عند خاتمة المصدر الأخير : «وممن كتب على هذه الروضة الناسخ لها : الفقيه الأستاذ السيد محمد ابن الفقيه هذه القصيدة...» (41).

☆☆☆

الوراقة الأميرية

114 - والقصد إلى ثلاثة نماذج، بدءا من الأمير العلوي : عبد السلام بن السلطان مولاي سليمان الحسني (42) ت 1845/1261.

كتب - بخطه - بعض منتسخات محفوظة هنا أو هناك.

115 - الأمير يوسف بن السلطان مولاي سليمان العلوي الحسني، كان بقيد الحياة فاتح محرم 1862/1279.

يوجد بخطه : أ - «شرح المختصر الخليلي» للدردير : الربع الأول، فرغ من كتابته ضحى يوم الثلاثاء سابع عيد الأضحى حسب تعبيره، سنة 1244 هـ.

خزانة خاصة

ب - «دلائل الخيرات» للجزولي : بتاريخ الخميس 27 رمضان 1258 هـ، ومعه مقيدات كثيرة بخطه وبخط غيره.

خزانة خاصة

ج - نسخة أخرى منه : خ. س 11932

116 - الأمير محمد بن السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي الحسن الحسني : في فترة ولاية العهد، ت 1873/1290.

يذكر عنه ابن زيدان (43) أنه جمع - وهو خليفة لوالده - عددا من النساخ، وجعل لهم محلا خاصا لنسخ كتب الحديث وغيرها، وأسند رئاستهم إلى الفقيه الأديب الكاتب السيد محمد بن محمد غريط.

☆☆☆

تكملة

117 - وتعرض الأسماء التي جدت من السوراقين، بدءا من الشرقي : أحمد بن المعطى بن محمد البطاح العمري البجعدي : 1790/1204 :

أ - «شرح الهمزية البوصيرية» للسنباطي : 29 شعبان 1203 هـ.

خزانة خاصة

ب - «أربعون حديثا» من جمع مصطفى بن كمال الدين البكري : بعد زوال يوم الثلاثاء 18 رمضان 1204 هـ.

خزانة خاصة

118 - الملاقي : العياشي بن عبد الله : 1795/1209 :

«الكوكب الثاقب...» لعبد القادر السلوي : 10 ذي الحجة 1209 هـ.

خ. س 925

119 - الوتدغيري : محمد بن المختار بن عبد الله الحسني الإدريسي، السنوسي ثم الفاسي 1813/1228 :

---

38) «الروضة السليمانية» خ. ع. د 1275 : ورقة 231/ب.

39) هي المقامة المشار لها عند التعليق رقم 22.

40) وردت الإشارة له آخر بعض مخطوطات «الترجمان».

41) «الروضة السلمانية» خ. ع. د 1275 : ورقة 237/أ.

42) له ترجمة قصيرة عند الفضيلي : «الدرر البهية» ط. ف 177/1. وتاريخ وفاته من «إتحاف المطالع» للمؤرخ المرحوم عبد السلام ابن سودة.

43) «إتحاف أعلام الناس» 367/3.

«إحياء علوم الدين» للغزالي : نسخة تامة في أربعة أسفار : عام 1228 هـ.

خ. س 4215

120 ـ سكيرج : أحمد بن حم بن عبد الوهاب الأندلسي ثم الفاسي : 1237 :

«الاكتفاء» للكلاعي : السفر الثاني : 1237 هـ.

خ. س 7743

121 ـ الكنكسي : محمد بن محمد بن عبد الله : 1840/1256 :

«تنوير الفكر بكلام الفحول على لوامع تيسير الوصول» : اسم شرح «تيسير الوصول إلى جامع الأصول» لابن الديبع : تأليف قاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله العلوي : السفر الأول والثالث الذي هو الأخير : 28 محرم 1256 هـ.

خ. س 2515

122 ـ العراقي : محمد المهدي بن عبد المجيد الحسيني الفاسي (44)، ت 1842/1258 :

«فتح الباب الملتزم، الجامع لبعض معاني الحكم» للشطيبي : آخر ذي الحجة سنة 1215 هـ.

خ،ع،ك،108.

123 ـ الشبيهي : عبد الرحمن بن التهامي بن يحيى الحسني الإدريسي الزرهوني : (45) 1851/1267 :

أ ـ «صحيح البخاري» : الخمس الأخير، في مجلد فرغ منه ضحوة الجمعة الأول في ربيع الأول 1256 هـ بالزاوية الإدريسية.

خ.س 4704.

ب ـ «الموطأ» : للإمام مالك : 1256 هـ.

خ،ع،ج 550.

ج ـ «الشفا» للقاضي عياض في سفرين : 5 جمادى الثانية 1257 هـ.

خ،س 1817.

د ـ «شرح الهمزية البوصيرية» للسيد يحيى الشبيهي : صبيحة يوم الأحد 7 ربيع الثاني 1267 هـ.

خ،س 11334.

124 ـ الوكيلي : محمد بن محمد بن عبد الله الحسني 1268 :

مغاني الوفا بمعاني الاكتفا لمحمد بن عبد السلام بناني : مجلدان :

الأول : 1267 هـ، والرابع : 1268 هـ.

خ،س 3356.

☆ ☆ ☆

نختم هذا العرض بتكملة عن خطاط من المغرب الشرقي : إدريس بن الطيب بن الماحي من تجفايت بإقليم وجدة، فيذكره المشرقي : (46) «له خط بارع لايفوته خط ابن مقلة» ويضيف : «ولاخط العلامة ابن صار مشيق التلمساني (47)،... وقد طلبته الدولة العلوية في زمن وزيرها الأعظم، وأمين كتابها الأفخم، الفقيه ابن إدريس : أن يكون كاتبا في حضرتها، فامتنع أخوه...».

---

44) ترجمته في «سلوة الأنفاس» 2/358 ـ 359.

45) في «الدرر البهية» 2/21 جاء ذكر ولده هكذا : «ومنهم الفقيه الأنجب، إمام الضريح الإدريسي، وهو السيد عبد السلام بن عبد الرحمن بن التهامي بن الفقيه العلامة السيد يحيى».

46) «نزهة الأبصار...» خ. ع. ك 579.

47) اسمه كاملا : الحاج الحسين بن الحاج أحمد بن الحاج حسين بن صار مشق الفرغلي التلمساني، ويقول عنه المشرقي ضمن الفقرة التي نعلق عليها : «كان يضرب المثل بجودة خطه، حتى حكي أنه جعل في باب تلمسان واوابطين المطر مفتوحة، فلم يستطع كتاب الوقت أن يجعلوا مثلها ـ في الصحف أو الألواح ـ واوا بالمداد، وقد كتب لزوجة ملك وهران دلائل الخيرات، وترجمه بماء الذهب، فأعطته مائة دينار ذهبا، دون إحسانها إليه بما عدا الذهب».

وإلى مخطوطة دليل الخيرات المنوه بها : توجد ـ بخطه ـ نسخة أخرى في مكتبة الزاوية القندوسية، حيث عاينها علامة مغربي، ووصفها هكذا : «رأيت في مكتبة الزاوية القندوسية مجلدا ضخما فيه دلائل الخيرات، بخط أنيق جدا، وورق غليظ صقيل، مكتوب بالسواك في آخره : أنه كتبه الحاج حسين بن المرحوم الحاج أحمد بن المرحوم الحاج حسين بن صار مشق الفرغلي التلمساني، وكان تمامه في 3 من شهر قعدة عام 1131، في كل وجه من هذه النسخة سبعة أسطر، وفي كل سطر أربع كلمات غالبا، في غاية الحسن والجمال والصحة، كأنه الأصل الذي نسخ عليه دليل الشيخ سيدي محمد بن قاسم القندوسي...».

ومرة أخرى يوجد بخط صار مشق السفر الثاني من نسخة ـ رباعية التحرلة ـ من صحيح البخاري، بتاريخ صبيحة الإثنين، أول شهر شعبان 1115 هـ، والنسخة بكاملها في خزانة القرويين رقم 790.

الملحقات وعددها أربعة :

الأول : نظم لآلي السمط، في حسن تقويم بديع الخط

لأحمد بن محمد بن محمد بن قاسم الرفاعي الحسني الرباطي

قال الرفاعي الفقير أحمد
الله جل وتعالى أحمد
مصليا على الرسول الهادي
المصطفى سيد كل هاد
وآله صفوة خلق الله
وصحبه ذوي العلى والجاه
(وبعد) فاعلم أن حسن الخط
أجل مقتنى وخير أعطى
فكم سما إلى العلا من رامه
ونال منه العز والكرامة
وحبه أثنى عليه الله
في الذكر بالحكمة واجتباه
بقوله يزيد ما يشاء
في خلقه ويوتي من يشاء
وهو ما اختص به الإنسان
كالعقل يشهد به العيان
وإنني لما رأيت الناسا
قد شربوا من الونى أكواسا
وقصرت هممهم وما اعتنا
بالخط منهم أحد وما اقتنى
وهجروا سره دون عذر
ونبذوه من وراء ظهر
وأعرضوا كل الإعراض عنه
وما رووا مما رويت منه
حتى غدا بغربنا مفقودا
وكاد لم يكن به موجودا
قمت لذا نظمت فيه أرجوزة
قريبة ألفاظها وموجزة
(سميتها) نظم لئالي السمط
في حسن تقويم بديع الخط
قلدتها الجيد من الولدان
زيادة في الحسن والمعاني
وللمؤدبين تاجا قد علا
رؤوسهم فخيرهم قد كملا
نظمتها على ما بي من عيب
مبتغيا بها رضاء الرب
والله أرجو أن تكون نافعة
لي ولهم وكل خير جامعة

(تقويم السطور وتسويتها)

السطر في اصطلاحهم خط وصل
ما بين نقطتين عن ذلك حصل
وكونه خطا رقيقا صافيا
مستحسن ولا يكون خافيا
بحيث يرشد البنان لالتئام
وضع الحروف في اتساق وانتظام
كسلك عقد من لئالي الدرر
في جيد لبات ذوات الخدر
فإن أضفته وصار اثنين
فاجعلهما - إذا - متوازنين
وإن جمعت فكذاك والتزم
تساوي كلهم وعدل واحتكم

(تقويم القلم وكيفية قبضه)

من قصب يكون فهو خير
من ذهب وذاك فيه سر
وانح برأسه أعالي القصبة
مصطفيا له أجل أنبوبة
كالرمح في التقويم حاد الرأس
سليل صدر لا ترى من باس

ذا فصلة من لحمه وقشرته
بذاك تعجب - إذا - من جريته
وسوفي الفري جريدتيه
من غير ميل نحو حافتيه
وإن أردت أمنه من كسر
وقت الكتابة يمينا أجر
وبعضهم إلى اليسار ينحرف
لحكمة زائدة بها عرف
وقبضة القلم شيء معتمد
فاعن بها فإنها أمر أكد
فصفف الأربع من بنانك
منعطفا بها إلى جانبك
واقرن إبهامك رأس الشاهد
كحلقة واجعله خير راشد
بينهما معتمدا على الوسط
لكن على رأسه والشد وسط

(الدواة وما يتعلق بها)

يقال للدواة نون والرقيم
كذاك ألفي بدفتر قديم
جمع دواة دوايات نادوا
وهي التي يرى بها المداد
وإن أليقت فهي نون مليقة
وصوفة المداد هي الليقة

(تقويم الحروف القائمة)

أجل ما انتصب واستقاما
وخير خط في اعتدال قاما
الألف الحائز قصب السبق
بسجدة سجدها للحق
يشهدنا بأن الله واحد
ما إن له من ولد ووالد
واللام مثله بلا تناه
وارسم كذاك باء بسم الله

واتبعن في الوصف هاء واقفة
وهي لأسفل اليسار عاطفة
كالها من الحياة في الوقف ولا
تجعل أنبوبا فحسن عملا
ودون ذي الحروف في القيام با
وتاوثا واليا ونون تبا
والسين والشين كذا ولهما
ثلاث أسنان لكل منهما
واظهر السين كما في الخبر
واتبع الشين لها في الأثر
واستحسنوا التواء رأس اللام
ورأس أولى السين خذ نظام

(تقويم الحروف المفتوحة)

الميم دائرة تامة بدت
صغيرة على بياض احتوت
فإن تكن صدرا فنصف دائرة
وترها السطر ووسطى دائرة
لكن ذي فوق وتحت جائية
والسطر قطرها وحتى التالية
ومثل ميم أول السطر ترى
واو وباليمين قوسه جرى
والفاء مثل الميم أيضا جاءت
لكن لها ساق عليه قامت
قد وصلت بالسطر، والقاف الوسط
كذا وإن أخرتا دع النقط
والساق منهما كقوس ظهرت
من يمنة الوتر للسطر جرت
وهاء يائها قل دائرتين
صغرى بوسط كبرى متصلتين
وأيه الساحر كالمثلث
حدت زواياه فكن ذا باعث
وهكذا الهاء من اسم الجلالة
فاعن بفتحها تحز جلاله

وخــــذ من الـــــدائرة العظيمـــــة
ثلثهـــــا لصـــــاد متقيمـــــه
والضــــاد والظــــاء كــــذا والطــــاء
وذان خــــط لهمــــا وفــــاء
والسطر هــــو وتر للكــــل
إيــــاك أن تحيــــد عن ذا الأصــل
والغين إن تــــك بوســــط الكلمــــة
مثلث الــزوايــــا ليست قــــائمــــة
ســــاقــــاه بــــالجنب وأعلى قــــاعــــدة
وصلــــه بــــالسطر وصن ذا الفــــائــــدة
كــــذاك إن تــــك أخيرة ورد
تعريقهــــا نحــــو اليــــسار فلتمــــد

(تقويم الحروف المشقوقة)

الــــدال شكلهــــا كقوس فــــاعلمــــا
وقطرهــــا إلى اليــــسار يممــــا
حتى إذا جــــاز محيــــط قــوســــه
ثنــــا بــزائــــد لنحــــو عكســــه
وبعضهم يجعلهــــا كطــــائرة
لهــــا جنــاحــــان وصــــدر طــــائرة
والــــذال مثلهــــا يــزيــــد نقطــــة
بــوســــط القــــوس ترى منحطــــة
واليــــا من الــــذي كــــذاك لكن
معكــوســــة بــــدون نقــــط كــــائن
وقــــد يرى دال كراء رفعــــا
رأس لــــه مــــا إن تراه منعــــا
كــــدال مهــــد ومحمــــد ومــــا
أشبهــــه والــــذي خيرا قــــدمــــا
والكــــاف فــوق السطر خــــط ائتلف
بــــلا مــــواز لــــه طــولــــه ألف
متصــــلا بقــــوس ربــــع الــــدائرة
تحيــــط لليسرى وقيت الــــدائرة
وأبــــدأه من أعــــلاه غير قــــاسم
لــــه وثغره الــــزهي بــــاسم

والعين قــــوس ينتحي للكبرى
محيطهــــا محــــدب لليسرى
طرفهــــا الأسفــل بــــالسطر اتصــل
ومنــه خــــط لليــــار قــــد وصــل
وذا إذا كــــانت في الخــــط سطرا
كعين عبلى وكعين عــــذرا
وغين غيب وبنقطــــة جــــلا
كفلــــك كــوكبــــه الأوج عــــلا
وشطر سن حربــــة للرايــــة
جيم بــــذا حقــق لــــه درايــــة
والحــــاء والخــــاء كــــذلــــك الحقن
مفرقــــا لرأسهــــا أو ألصقن
واختر من الــــوجهين أولهمــــا
فهــــو الــــذي تجــــده أفضلهمــــا

(تقويم الحروف المعرقة)

الراء قــــوس وهي ربــــع دائرة
رأسهــــا بــــالسطر وتحت ســــائرة
واحكم كــــذا للــزاي واجعــل نقطتــــه
ظــــاهرة فوق وعــــدل صــورتــــه
والنــــون في التعريــــق نصف دائرة
ليس لهــــا قرن لأعلى ظــــاهرة
وامنــــع أخيرهــــا لئــــلا يتصــل
بــــالسطر واجعلــــه قريبــــا منفصــل
والــلام والقــــاف كــــذا واليــــاء
مــــا بين سطريهــــا لهــــا انتهــــاء
بحيث إن وقــــع تحتهــــا ألف
لم يختلــــط معهــــا وذا حكم ألف
وارفــــع قرين اليــــاء كــــالمثلث
واعطف وعرق وعن الشيــــخ ابحث
والسين والشين إن كــــانــــا طرفــــا
كــــاليــــاء في الرفــــع ودع مــــا انعطفــــا
والصــــاد والضــــاد كنــون مسحــــا
واردد عنــــان قلم إن جمحــــا

ونـون إن قـاربت منهـا أخرى
أو شبههـا فتلـك أم الأخرى
ولا تقـاطـع أو تطـابـق حرفـا
لأخر فـذاك شين يلفى
والحـاء والجيم والخـا إن عرقت
فثلث قـوس لليسـار رجعت
ومثلهـا عين وغين وقعـا
في طرف من غير خلف فـاسمعـا

(تقويم لام الألف)

خطـان رأسـاهمـا قـد تفرقـا
واقتطعـا من أسفـل واعتنقـا
واجتمعـا فـأعجب لقـاطعين
مجتمعين متعـانقين
وإن لـويت رأس كـل منهمـا
أو واحـد أحسن من تركهمـا

(تقويم حروف التركيب)

وأحرف التركيب عنـد الكتبـة
جيم وحـا وخـا كخـاء الخشبـة
وكمحمـد وكـالجنـات
مـا قبلهـا فـوق السطـور يـاتي
متصـلا بغير رفـع يبـدو
لرأسهـا فـذاك فيـه قيـد
كـذاك إن حرفـان قبـل سبقـا
كحـاء سبـح واعطف وعرقـا
وبعضهم السين في السطر يضـع
كـالشيـخ مروان والبـاء قـد رفـع
ويجرى ذا في حـاء مصبحين
والصلحـات وكمصلحين
وحـاء حمرا قـد ترى مركبـة
على تيـك الميم رواه الكتبـة
وراءهـا ركب وأعـل الطرفـا
منهـا وذاك حسن قـد وصفـا

والـلام من على وصلى وبلى
فـوق قرين اليـاء سره اجتـلا
وحـاز هـذا السر بين النـاس
أنـدلس ولم يكن بفـاس
وفـاء جر إن تكن مقطـوعـة
محمـولـة وقـد ترى مـوضـوعـة
كفـاء في الأرض وفي الجنـات
(محمـد) مـع آلـه الثقـات
ويـاء يرتضى اجعلن في السطر
وفـوقهـا مـا قبلهـا فلتـدر

(اتساق الحروف وانتظامها)

قـد مثلـوا الحروف بـالجـواهر
والسطر بـالسمـط وهـذا ظـاهر
بـل للحروف عنـدهم أسرار
أودعهـا من الـورى المختـار
فـإن كتبت فـاجعـل الحروف
في وسـط السطر ولا تحيفـا
وسـو مـا بين الحروف في النظـام
من غير زيـد يبـدو أو نقص يرام
سيـان مـا قـد كـان منهـا متصل
بغيره أو كـان عنـه منفصـل
وذا المسمى عنـدهم في الأصـل
بـالنظم إلا أن يكن كـالفصـل
وقـائم الحروف سـوّ قـامتـه
مـع أخيـه واحـذرن تفـاوتـه
بحيث لـو أتت عليـه مـسطرة
مرت برأسهمْ غير مسفرة
والـزم أخي حروف ربـع الـدائرة
مـا بين سطريـك اجعلنـه آخره
كـذاك في التعريـق ميم تـاليـه
فهي من أقطـاب الحروف العـاليـة
إن التـزمت ذا بخطـك ترى
سرا وهـو معنى قصر (مـزورا)

وقـد يـزيـد الخـط حسنـا حرف
إذا التـوى يحـار فيـه الـوصف
كظـاء سلطـان سطـا ولطُفـا
خطـه واصطفى وطـاء لطفـا
وهـاء هـاد وبهـاءاستحسنـوا
التـواءهـا ومـذهبي قـد أحسنـوا
لكن في التـوائهـا تفصيـلا
فـاشرب إذا مـا شئت سلسبيـلا
كمـا لـوى الشيـخ الـوزير الكـاتب
كـاف هنـالـك للـه كـاتب

☆ ☆ ☆

(والخـط) أنـواعـه لا تنحصرُ
أفرادهـا يقصر عنهـا الخبرُ
لكن خيره الـذي أنتمـا إلى
أنـدلس فسره قـد اجتـلا
واقتبسـوا من نـورهم أهـل سـلا
فخطهم قـدمـا ووقتـا قـد عـلا
كـابن الفقيـه المرتضى الجريري
وكـالـوسي ذي البهـا المنير
فضـل هـذا مـولانـا الإمـام
عن غيره (سليمـان) الهمـام
واشتهرت بـه ربـاط الفتـح
عنـد أنـاس منحـوا بفتـح
وأرجـو ربي أن أكـون منهم
فينظمـوا جـوهريَ في سلكهم
والسر في الشيـخ لابـد منـه
فبـه تسمـو فـابحثن عنـه

☆ ☆ ☆

(وهـذه) نبـذة فيـه كـافيـه
طـالبهـا يجني بهـا أمـانيـه
نظمتهـا غرة (شكر) لامعـه
مـع (أربـع) من السنين واقعـة

أبيـاتهـا (قـوم) قـد احتـوا على
سر وأدركـه من تبتـلا
(وهـاهنـا) قـد تم مـا قصـدت
من صنعـة الخـط كمـا أردت
وذاك مـع جهلي الـذي اتسمت
بـه وفرقتي لمن أحببت
وأسئـل (الرحمـان) جمـع الشمـل
بـالأهـل والمنشـا وكـل أصـل
والختم بـالحسنى مـع الـزيـادة
بجـاه (طـه) صـاحب السيـادة
صلى عليـه ربنـا وسلمـا
وآلـه مـا سـح سحب وهمـا
وصحبـه ذوي العـلا ومن تـلا
فنـال من حسن الختـام أمـلا

الملحق الثاني :

إفتتاحية «حلية الكتاب ومنية الطلاب» : إسم شرح الرفـاعي على أرجـوزتـه : «نظم لألي السمط، في حسن تقويم بديع الخط» والنقل من نسخة المؤلف بخطه عدا الصفحة الأُولى : خ،ع،د، 254.

... وبعد ، لما أن وفق الله تعالى والديَّ وأرشدهم إلى تعليم كتابـه المبين، وأدخلوني للمكتب مـع أولاد المومنين، وفتح - سبحانه - علي فحفظت القرآن. والمنة لله الملك المنان. ألهمني جل وعلا فصرت أستحسن الكتابة في كل موضع، وتقع حروفها مني كل موقع، وكان يـاتي وقت كتابة الألواح مكتبنا، ليعين في الفتوى مؤدبنا : الشيخ البركة المسن الوقور الزاهد الذاكر على الدوام : شيخنا سيدي عبد السلام. سباطة الأندلسي الرباطي، وكان ذا خط حسن بديع الشكل، عديم المثل، فكنت أرصده عند عرض الألواح للتلـك فأسلـك لـوحي عليه، ليكتب لي في آخره السائس الموقوف عليه، فأعيده - بعينه - مرات، وأتتبعه عسى أن نقطف من روضه زهرات، حتى أحسست من نفسي أني ناولت من أغصانه العالية بعض الثمرات، فصرت أكتب السائس الموقوف عليه بخطي لأُعلمه أني أريد قطف الزهر من تلك الأكمام، وكان شيخنا وقورا قليل الكلام، فلما علم

ذلك مني أقبل علي، وزادني على السائس كلمات ونظر إلي وقال لي هكذا، وكن تفعل مثل هذا، فقمت من بين يديه بما يجب من الأدب نشوانا، وبخمرة السرور ملئانا.

ثم صرت أكتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد، وتروّنق أو كاد، فلازمت إبن عمنا شيخنا مولاي أحمد - رحمه الله - وكان ذا خط حسن، مرونق مستحسن، فكان يعلمني انتظام الحروف واتساقها. ويقدر لي النسبة من الكتابة وتعريفها.

ثم انتقلت إلى مطالعة الكتب ذات الخط الحسن وانتخب ما استحسنه من خطها، وأتخير ما تقبله العين من تبريز الحروف وبسطها، فلم أجد خطا يعبر بالقوة عن المعاني ويفصح بها إفصاحا، ويزيد الحق اتضاحا، يماثل خط ديار أهل الأندلس أعادها الله دار إسلام، فقد كانوا فيه آية ما بين الأنام، وهم الذين أجادوا الخط وأوضحوا الكتابة، وأصابوا في مناسبتها كل الإصابة، وأودعوها بطون الطرس ذخيرة للأسلاف، تنقل من قرر عن الأسلاف، فكان لهم الفضل بالتقدم لقول القائل :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة
بسعدي شفيت النفس قبل التندم
ولاكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ولما فتح الله علي، وحقق ما كان يرجوه منه سبحانه والدي، واقتبست جذوة من نور الكتابة، وجرت ألسنة الخلق أني أصبت منها بعض الإصابة. وكنت بمحروسة فاس بقصد القراءة والتبرك بمولانا إدريس نفعنا الله به، ليحصل لي بالكتابة النفع دنيا وأخرى، وأراد - سبحانه وله المنة - أن يكوها سرا : يسر لي شيخا كاملا صالحا عابدا يراعي النجوم والأظلة لذكر الله : شيخنا وسيدنا أبا عبد الله سيدي محمد التهامي بن سيدي محمد بن محمد بن الشاهد بن مولانا التهامي بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله الشريف العلمي الوازاني، فأخرجني من فاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل بمدشر الدردار بوادي ورغة بقصد الكتابة، فكتبت له كتبا عديدة، آخرها كتاب أبي (عبد الله) محمد بن إسماعيل البخاري من عمل عشرة أسفار.

وقد أقمت عنده نحوا من أربع سنين حتى سمع بي عنده شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، مربى المريدين، ومصباح السالكين، وتاج العارفين : شيخنا وسيدنا ومولانا : سيدي أبو الحسن مولانا على بن مولانا أحمد بن مولانا الطيب بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله الشريف المذكور : فبعث له عليّ أن يوصلني إليه لزاويتهم المباركة : وازان ففعل، ولما أراد أن يودعني سيدي التهامي المذكور بعد أن دعا لي بخير : طلبت منه زيادة دعاء بالقبول على هذا الخط، فقال لي أتريد قبولا أكثر من هذا، قلت نعم يا سيدي، فقال لي عند ذلك : لا أكسد الله لك سلعة، ثم ودعني في يد الله.

ولما اجتمعت مع مولانا علي المذكور رحب بي، وقال لي : أنت فلان ؟ قلت نعم يا سيدي، ثم قال لي : نريد أن تكتب لنا كتبا تكون شركاء في أجرها، فقلت أجل يا سيدي : أجر ومعك، فنعم الأجر هو، فعين لي ما أكتب، وبقيت أكتب له نحوا من أربع سنين، ولا أكتب له إلا كتب التصوف والحقيقة، وخصني مرة بكتابة كتاب في الأسرار، وآخر ما كتبت له المصحف الكريم.

ثم طلبني منه نجله الصالح، ذو الهمة العلية، والأخلاق الطيبة المرضية، البدر السامي : أبو عبد الله سيدي محمد التهامي، فدفعني إليه بعد أن أوصاه علي، فبقيت عنده كذلك بوازان أكتب له كتب التعديل وغير ذلك مما يتعلق به.

حتى وقع خطي في بعض الرسائل بيد مولانا الإمام الذي أيد الله به الدين، وقلده أمر المسلمين، فما بات عن مصالحهم بطرف وسنان، سلطان العلماء وعالم السلاطين أبي الربيع مولانا سليمان، بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الشريف العلوي، قدس الله روحه، وأسكنه من الجنان فسيحه، وكان جالسا بحضرته الطاهرة العلية بالله مولانا التهامي بن مولانا علي المذكور، فقال له : أتعرف هذا الخط ؟ قال نعرفه هو لفلان كان يكتب لنا، فقال له رحمه الله : إذا جئتمونا هذه المرة فأتوا به معكم، فوافق الحال بعد ذلك أن كان سيدي علي المذكور عائدا لمولانا سليمان في مرض اعتراه بمراكشة، فأشخصني معه إليه، فلقيناه بتامسنا بموضع يقال له كيوا، فعرضني عليه على يد شيخنا المبارك، العالم العلامة، المن البركة :

سيدي محمد بن الصادق، الشريف الريسولي العلمي، فأنزلني - رحمه الله - بمحلته السعيدة مكرما، ووجه سيدي عليا المذكور لمراكشة بقصد زيارة سبعة رجال، وللتبرك به، ولما أردت الوداع معه - أي سيدي علي - وأرجع مع مولانا سليمان : اعترتني دهشة، وقابلتني هيبة الملك، فصرت أبكي أمامه، وقلت له : يا سيدي إني لا أستطيع معانة دار المخزن ولا أحسن أدبها، فقال : لا تلقى فيها إلا الخير إن شاء الله، فمولانا سليمان حسن العشرة، إن عرف طبعك ساعدك عليه، فأصحبه فلك الخير في صحبته، ثم دعا لي بخير وودعني في يد الله.

فلما صحبت مولانا سليمان ورأى خطي : اتخذني - أولا - لكتابة تفسير الإمام البقاعي، ثم بعد ذلك أخرجني من بين عشرة من الكتاب لقراءة ولده الصالح : أبي حفص مولانا عمر، - رحمه الله - ولتأديبه، فلا زمته حتى حفظ القرآن والحمد لله، ولقيت من صحبة مولانا سليمان - رحمه الله - كل خير دنيوي وأخروي، ومات وهو راض عني والحمد لله، رضي الله عنه، ومن رضاه عني أن قال لي يوما : أنت تعلم أني أحبك، وحتى أولادي يحبونك، فخجلت، وقلت يا سيدي : إنما أنا عبدكم، فقال لي : إنك نصحتني في أولادي، جزاك الله خيرا.

ولما أفضت الخلافة إلى ولي عهده ومتولي الأمر من بعده، الذي هو أثبت الملوك جنانا، وأقواها نجدة وبيانا، وأكملها عدالة وصيانة، وأوفرها مروءة وديانة، وأجمعها لشروط الامامة اتفاقا، وأوعبها لضروب الكمال في سوق المعارف والعوارف تفاقا، طالع الأمن في غرة الأزمان، أبو زيد مولانا عبد الرحمان بن أخيه مولانا هشام، أدام الله بقاءه للمسلمين، آمين، وكان يعرفني من قبل، ورأى ضعفي وكبر سني وعجزي عن الخدمة : اتخذني لتأديب ولده الأطهر، التقى النقي الحيي الأنور، الأنجب الأنجد، مولانا أحمد، أصلحه الله وأنبته نباتا حسنا، فها أنا معه مغمور في أياديه وإسدائه، أيده الله، والحمد لله، ونسئله - سبحانه - حسن الخاتمة، اللهم بارك لنا في إمامته بركة تشمل النفس والأهل والأموال والأولاد، وتحفظ به المهج والسفار والتجار والبلاد، ويسر له آمال الراغبين، وحطه وحط به فإنك ملجأ الطالبين.

وما ذكرته من صحبة الصالحين والملوك وما نلنا منهم من الخير والدعاء الصالح إلا تحدثا بنعم الله، وتشويقا لحكمة الكتابة التي هي زيادة في الخلق.

وحيث كنت أقرئ مولانا عمر المذكور رحمه الله، وكان الشأن مع حفظ القرآن تعليمه الخط القويم بإشارة من أبيه رحمه الله، كنت أتحدث في شأنه مع شيخنا العالم العلامة العارف الزاهد، العاضّ على السنة المحمدية بالنواجد، أبي حفص سيدي عمر بن سيدي المكي بن سيدي المعطي بن الصالح الشرقي العمري الفاروقي، متعني الله برضاه : حضني على أن أجعل منظومة في صناعة الخط، وأبين فيها أشكال الحروف تقريبا للمتعلمين، وحلية للمؤدبين، فكان - رضي الله عنه - سببا، فنظمت قصيدتنا هذه التي نريد شرحها إن شاء الله، المسماة «بنظم لئالي السمط في حسن تقويم بديع الخط»، قصدت بها النفع لنا وللمسلمين والمؤدبين.

فكان من جملة النفع بها أن وضع - سبحانه - لها قبولا في أقطار المغرب، فما دخلت بلدة منه إلا وجدت لها سئولا، وكنت عنها مسئولا، ويطلب منى أن أجعل عليها شرحا يعرب عن ألفاظها ومعانيها، ويسفر عن قواعدها ومبانيها، إذ حروفها مؤسسة ومبنية على قواعد هندسية، ويلح عليّ في ذلك، ولست أهلا لذلك، لعلمي بقصوري عن درجة التأليف، وليس لي آلة أستعين بها من آلات التصنيف، فبقيت متحيرا بين الإقدام والإحجام، وأتردد وراء وقدام، واستوهب موهبة من الله الملك الوهاب، عسى أن ييسر لي سببا من الأسباب، ويفتح لي لمعرفته بابا من الأبواب، حتى استولى على خاطري وارد العزم، فألزمني الأخذ بالحزم، فاستعنت بالله، وتوكلت على الله، وما توفيقي إلا بالله.

وسميته «حلية الكتاب ومنية الطلاب»، ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة، والله المسئول، أن ينفع به ويضع له القبول، آمين.

☆ ☆ ☆

الملحق الثالث والرابع : رسالتان موضوعيتان :

الأولى : من السلطان مولاي سليمان إلى رئيس

الزاوية الناصرية : الشيخ علي بن يوسف الناصري في غرض استعارة كتابي التفسير والنزهة لابن كثير من الخزانة الناصرية، ونصها بعد الافتتاح :

«محبنا في الله تعالى، الفقيه، الخير» الدين : السيد علي بن يوسف، حفظه الله، بعد السلام ورحمة الله وبركاته.

وبعد : فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله ـ سبحانه ـ لنا ولكم سلامة الدارين، والتوفيق لما يحبه ويرضاه.

وفيه نؤكد عليكم أن توجهوا إلينا التفسير لابن كثير، مع النزهة له، ولابد من غير تطويل.

ثم، إننا نتشوف ونتشوق إلى ورودكم على حضرتنا العلية بالله، كما كانت عادة الأسلاف رحمهم الله، ولو أمكنا القدوم عليكم بأنفسنا لفعلنا، فالآن نؤكد عليكم مهما أمكنكم أن تقدموا علينا فاعزموا به، فإننا نحبكم، مع ملاحظة محبة سلفكم. والله ـ تعالى ـ يديم توفيقكم بمنه، والسلام، في ثامن وعشرين جمادى الثانية، من عام 1211.

ومن تمامه، أن مرادنا بالكتب المذكورة أن ننسخها ونردها إليكم إن شاء الله، والسلام، في تاريخه».

الرسالة الثانية :

من السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، إلى عميد الزاوية الناصرية : السيد أبي بكر بن علي الناصري، في موضوع انتساخ حاشية الطيبي على الكشاف للزمخشري، وقد كانت الجهة السلطانية استعارتها من هذه الخزانة، وكتب شيخ الزاوية في شأن استعادتها، ونص المراد من الرسالة الملكية :

«... وحاشية الطيبي لا زالت عند الناسخ، لأن خطها مشرقي مغلق، والذي يفهمه يلقي على الناسخ شيئا فشيئا، فلذلك أبطأ، وحين يكمل عمله تصلك إن شاء الله، والله يجازيك خيرا على اهتمامك بشأن الكتب، ومحافظتك عليها، فهاكذا ينبغي، والسلام، في 2 صفر الخير، عام 1251» (48).

توضيحات

تأتي إشارات لأماكن المخطوطات كالتالي :

خ. س : الخزانة الحسنية.
خ. ع. د : قسم حرف الدال من الخزانة العامة.
خ. ع. ك : قسم حرف الكاف من الخزانة العامة.
خ. ع. حـ : قسم حرف الحاء من الخزانة العامة.
خ. ع. ج : قسم حرف الجيم من الخزانة العامة.
وبالنسبة للمطبوعات الحجرية الفاسية : ط. ف.

48) الرسالتان من كتاب «النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية» لابن زيدان، حسب مقتبسات من المخطوطة الأصلية.



من مخطوطات خزانة القرويين

كتاب فلك السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة

تأليف: الفقيه محمد المدعو عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسيني

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ
محافظ خزانة القرويين

من الموضوعات ذات الاهمية في الاسلام موضوع الجهاد وبواعثه وما يتعلق به من مختلف الاحوال سواء من حيث اعداد العدة او تهييء النفوس، او ذكر الفضائل، او تبيين ما انزل الله فيه من ايات، او ماجاء عن رسوله من احاديث، او ذكر ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوات، اوجهز من سريات مع ماورد في ذلك من اخبار واثار.

وكان هذا الموضوع متصلا غير منقطع، متجددا غير محدود، يهتم به المؤلفون في المشرق والمغرب، ويكتبون فيه حسب مقاصدهم واختصاصاتهم. فهو موضوع المؤرخين واصحاب السير وموضوع المفسرين واصحاب الحديث، وموضوع الهيئات العسكرية وعلماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد وعلماء النفس، بحيث لاتخلو جميع الازمنة التي تعاقبت على المسلمين من الحديث عنه ومن التأليف في عناصره. ولايجد من يطلع على ما ألف فيه سأما ولاملا. نظرا لكون الكتابة فيه تتعدد ابوبها وتتنوع اساليبها سواء في القديم او في الحديث.

ومما ينبغي التنبيه اليه ان الاهتمام بهذا الموضوع كان من اكد ما تهتم به الهيئات العلمية والسياسية في البلدان الاسلامية، خصوصا ايام مواجهتها للغزو الاجنبي.

ولقد عرف المغاربة طريقهم الى هذا النوع من التأليف نظرا لكونه كان ينسجم مع مواقفهم البطولية في التاريخ ويعبر عن احساس المثقفين الاحرار نحو ما يجب عليهم ان يقوموا به من اجل التوعية ومن اجل اظهار المشروعية الدينية في الدفاع عن حوزة البلاد وعن حماسة الاعتقاد.

وكانت الظروف التي تحياها البلاد المغربية ايام احتلال الاجانب لشواطئها من اكبر العوامل على خلق نشاط ثقافي يبين ما في الدفاع عن الدين من قيمة، وعما في تحرير البلاد من ربقة العبودية من فضل، وعما في نشر الادب البطولي من نفع وفائدة.

ورغم ما قامت به الدولة السعدية من محاولات لتحرير كثير من المدن الساحلية فانها قد عجزت عن تحرير الباقي الشيء الذي خول للعلويين فيما بعد ان يسيروا على نفس النهج التحريري، وان يعملوا على انقاذ المغرب من الاحتلال الانجليزي والاساني والبرتغالي .

ومن المعلوم ان عملية التحرير هذه كانت تحتاج الى توعية كافية والى خطة محكمة، والى ابراز الجوانب الايجابية في الاعداد المادي والاعداد المعنوي، وهذا امر لايتأتى القيام به الا من الطبقة المثقفة المخلصة، التي تملك زادا من العلم والادب وزادا من التقوى والصلاح .

فمن ياترى سيكون مؤهلا لهذا العمل في القرن الحادي عشر الهجري حينما كثرت التحديات، وتعددت مراكز المقاومة في بلاد المغرب ؟

ان كل الارهاصات كانت تظهر ان المغرب كله لم يكن بالذي يرضى الذل او يقبل الصغار الا ان الروح المنبثقة من اهل سجلماسة كانت اشد اندفاعا، واقوى عصبية واقدر على لم شتات المغرب ، وعلى ابعاد شبح الفرقة عن اهله ولقد تجلى ذلك في موقف العلويين الذين تولوا الامر حينذاك فعملوا على توحيد البلاد وعلى طرد المستعمرين من مدينة طنجة ومن مدينة المهدية وقاوموا اشد المقاومة من اجل طرد الباقي من المدن الساحلية الاخرى، كما تجلى في موقف علمائهم وفقهائهم الذين واكبوا هذه الانتفاضة فالفوا الكتب ونظموا الشعر وخطبوا في المحافل العامة والخاصة ليبينوا ان الجهاد فرض لازم وانه يتعين حين هجوم العدو او حين استنفار الامام او حين العمل على فك الاسرى من قبضة من يذلونهم او يذيقونهم الوان العذاب .

ومن بين الذين كان لهم بيان قوي ومعرفة موسوعية في الدراسات الاسلامية وفي السير وفي التاريخ شريف من شرفاء سجلماسة هو السيد محمد المدعو عبد الهادي بن عبد الله بن علي بن طاهر (1) ذلك الشريف الذي بذل جهدا كبيرا من اجل توعية المواطنين فالف كتابا في موضوع الجهاد سماه فلك السعادة الدائر بفضل الجهاد والشهادة جمع فيه فاوعى وضمنه كل مايتعلق بهذا الموضوع من ايات واحاديث بناه على طريقة المحدثين وذكر في مقدمته انه كان مطولا ثم اختصره وانه بوبه على اثني عشر بابا كما هي بروج الفلك وانه فصله على ثمانية وعشرين فصلا على عدد المنازل .

كان هذا الشريف من المع رجال مدغرة ورث العلم والصلاح عن والده المتوفى سنة 1044 هـ وعن اجداده الكرام واشتهر باطلاعه، على السيرة النبوية فألف فيها ارجوزة سماها الوسيلة الى الرهن من صاحب الوسيلة اشار اليها في الورقة الثانية والثلاثين من كتابه كما اشتهر بالتصوف فألف فيه كتابه الموسوم بمريد الطريقة وسلوك سبيل الحقيقة اشار اليه في كتابه ايضا في الورقة 129 .

وكان لاينعت الا بالفضل والصلاح ذكره الشريف سيدي عبد السلام بن الطيب القادري في كتابه الدر السني في بعض من بفاس من النسب الحسني (2) فاثنى عليه وجعله ضمن سلسلة ذهبية من هاته الشجرة الشريفة فلا يذكر اي واحد منها الا وهو موسوم بالعلم اوبالجهاد او بالزهد او بالانفاق على مصالح العباد .

رأس هذه السلسلة المذكورة هو المولى علي الشريف الذي كان لايفتر عن الجهاد بالاندلس ثم ابنه يوسف العالم الذي خلف بعد موته اربع خزائن للكتب ثم ابنه الحسن الذي كان يحفظ المدونة ثم ابنه طاهر الذي كان يهيمن عليه خوف الله في غدوه ورواحه وفي ليله ونهاره ثم ابنه علي الزاهد ثم ابنه عبد الله وهو والد المؤلف الذي اشتهر بالعلم والصلاح .

وبعد ذكر هذه السلسلة قال الشريف سيدي عبد السلام القادري وهؤلاء المذكورة هم القاطنون لهذا العهد بقصبة توريرت من مدغرة دارهم دار علم ودراية وصلاح وولاية لم يزل ذلك يعرف من احوالهم وفي ابنائهم ورجالهم وكم في بني عمهم الاخرين من الاخيار امثالهم .

وعلى كل حال فالمؤلف لم يكن غفلا ولامختالا ولامدعيا ولهذا كان كتابه محبوبا متداولا ونافعا مفيدا وقد حبس المولى عبد الله نسخة منه على خزانة القرويين في شهر رجب من عام ستة وخمسين ومائة والف وهي نسخة مكتوبة بخط مغربي جميل واضح رقمها الترتيبي 264 وتشتمل على مائة وخمس وستين ورقة وسنعمل بحول الله على تقديم ملخص عنها ليتعرف القراء على محتوياتها وليعمل المهتمون بالثقافة على تحقيقها ونشرها وسندمج فصولها داخل ابوابها رغبة في الاختصار ولقد سبق لنا انها تشتمل على اثني عشر بابا .

الباب الاول في الامر بالجهاد وذكر احكامه وادابه

وهنا استدل بآيات قرآنية متعددة وباحاديث نبوية مختلفة، فمن الايات التي استدل بها قول الله تعالى (ظ و 5).. كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير

لكم. وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم، وانتم لا تعلمون (البقرة 216) وقوله تعالى (ظ و 6) : وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا، ان الله لا يحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم. (البقرة 190 — 191) وقوله تعالى (و 8) انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (التوبة 41).

وكان يمزج بين الآيات وشروحها ويسهب احيانا في الشرح حسب الحاجة اليه فلقد شرح قول الله تعالى.. «انفروا خفافا وثقالا» بشروح متعددة حسب الروايات الواردة عن الصحابة وكلها مقبولة عقلا وغير متنافية مع الواقع فقد قال ابن عباس نيشاط وغير نيشاط وعن الحكم مشاعيل وغير مشاعيل وعن الحسن في العسر واليسر وعن زيد بن اسلم فتيانا وكهولا وعن عكرمة شبابا وشيوخا وعن غير هؤلاء مرضى واصحاء او خفافا وثقالا من السلاح او فقراء واغنياء وغير ذلك من التأويلات القابلة لمفهوم الخفة والثقل.

ونقل بعض الروايات المفصحة عن بعض هاته المعاني والمبينة لحرص المسلمين على الجهاد فمن ذلك ما رواه عن ايوب رضي الله عنه انه كان لا يتخلف عن اية غزوة الا عاما واحدا وكان يقول : قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا اجدني الا خفيفا او ثقيلا ومن ذلك ما ذكره عن سعيد بن المسيب انه خرج الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكن الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

والظاهر انه كان يحرص على الاكثار من الجزئيات المحرضة على القتال ليدفع المجاهدين الى الاستجابة لقوته فيهرعوا للمقاومة ويسرعوا اليها كما هرع الصحابة والتابعون، ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله :«عليكم بالجهاد فانه باب من ابواب الجنة يذهب به الله الهم والغم» (ظ و 10).

ولم يسعه بعد ذكر هذه الايات والاحاديث والقصص الا ان ينادي باعلى صوته ان جاهدوا وقاوموا إن لم تفعلوا فستكونون قد اخللتم بالواجب واهملتم روح الحياة.

وكان في خطابه شديد اللهجة قوي الاندفاع يكاد يكون في اندفاعه صورة من علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حينما كان يحض جيشه على الجهاد ويدفعه الى الاستجابة فقد قال (ظ و11) فانظروا رحمكم الله ما تلي عليكم من آيات قرآنية وورد على آذانكم من احاديث مصطفية وكروا على الفرسان وجولوا في الميدان وحققوا ادعاءكم الايمان بمجالدة اتباع الشيطان..

واثناء هاته الخطبة علا صوته واحتدم غضبه وخص جماعة من مخاطبيه لم يكونوا قد شعروا بما يجب شعورا تاما فقال لهم : «اهون بكم من شجعان ابغض بكم من فرسان ؟ اف لكم ياضلال، تبالكم يامن لا تخطر له المعالي ببال، متى يؤذن ما بكم من خور بانتقال ؟متى ينقضي ذيل الجبن المطال ؟ متى تنهضون لقتال الاوباش الانذال، متى تنضمون سيف العزم لمجالدة طوئف سفلة ارذال.

وما تصفحتم نصوص الدفاتر فيما ورد عن السلف الصالح من الصبر في ذات الله والاحتمال ؟ او ما قرأتم في الذكر نداء الاكرام والاجلال ؟ اتصاممتم بعد اسماع الكتاب العلي ؟ ام تعاميتم بعد ان وضح الحق الجلي، ام تحبون لعباوتكم انكم غير مخاطبين ؟ ام تظنون لجفائكم انكم غير مكلفين ؟ ام تعتقدون ان كفاركم اليوم لا يستحقون الجلاد ؟ ام جبنتم عن مقارعةالاجناد الاوغاد، ام لكم براءة استثنكم من عموم دعوة العباد، ام تقولون نحن اشغلنا بجهاد انفسنا والاولاد، فيوقعكم الشيطان مع من صاد».

وهكذا يستمر في خطبته يستنهضهم ويثير حميتهم ويدفعهم الى الاستشهاد ليكونوا من السابقين الاولين الذين يتعالون عن الدنيا ويانفون الضيم ولا يستسلمون للهوان.

وكانت عادة المؤلف انه كلما واتته الفرصة اطلق جماح قلمه ولسانه وهب يدعو الى الجهاد بعنف وقوة حينا، وبلين واستعطاف حينا آخر ويستدرج المستمعين اليه بكل الوسائل الاقناعية التي يعتمد عليها في اسلوبه الخطابي ويستدل من حين لاخر باقوال السابقين.

وكان في هذا الموضوع يعتز باقوال والده رحمه الله ويستلهم منها سداد الرأي وقوة التوجيه فقد ذكر اثناء استنفار هممهم ما يأتي (و21).

«ورحم الله والدي ابو محمد بن علي وابقاه لحل ما اعتاص من اشكال وارد حيث قال : الذل ذاله يشير الى الذم ولامه الى اللوم، والجبن جهل وبلادة وندامة، والعجز عيب وجور وزلل، والكسل كلل وسلب ولعن، والقعود قرح وعيب ووهن ودغل، والتخلف تجبر وخورا أو خزي ولدد وفساد، فكيف يرضي بهذه المخازي من له عقل قويم او كيف لا يتجنبها ذو الرأي المستقيم.

ومن المعلوم ان امثال هذه الاقوال قد يكون لها تاثير اثناء

الالتحام الجماعي الذي تتلاشى فيه الانانية الفردية والذي تقوي فيه الحماسة الاندفاعية والغالب ان هذه الخطب المثيرة التي ذكرها في كتابه لم تكن الا مدونات لما كان يلقيه في المحافل العامة لان الاسلوب الخطابي ظاهر في جرسها وفي فواصلها.

وقد تداول المغاربة هذه الخطب وكانوا يستعملونها كلما دعتهم الضرورة الى ذلك نظرا لقوتها ولصدق قائلها فتاثيرها لا يزول خصوصا اذا كانت الاسباب الدافعة الى ترددها موجودة، وكانت الاستجابة اليها عند المخاطبين معهودة.

الباب الثاني في معرفة من يحارب وشرط وجوب الحرب وجوازها وشرط النكاية والمهادنة ومنع الاستعانة بالمشرك

وهنا ذكر الذين يحاربون هم المشركون او المتلصصون وان الحرب تجب على الذكر المسلم الحر العاقل البالغ القادر وانه لا يجوز في الحرب نكاية بالمرأة والشيخ والطفل والمزمن مالم يساهم هؤلاء بشيء ضار بالمسلمين كما تحدث عن الذمي ووجوب احترامه ونقل عن اللخمي القول الآتي : (ظ 23) : «وان علم من ذمي عندنا انه عين يكاتبهم بامر المسلمين فلا عهد له» وقال سحنون يقتل حينئذ الا ان يرى الامام استرقاقه.

وهنا تعرض للحكم الذي يجب ان يلقاه الجاسوس اذا كان مسلما وذكر فيه اقوالا خمسة.

اولا : القتل مطلقا وهو لابن القاسم وسحنون

ثانيا : القتل الا ان تظهر توبته وهو لابن وهب.

ثالثا : القتا إن كان معتادا لذلك فان ظن به الجهل وعرف بالغفلة يكل وهو لعبد الملك.

رابعا : التخيز للامام بين القتل والنكاية وهو لمالك.

خامسا : انه ينكل بالجلد الشديد ويحبس حبسا طويلا وينفي ولم ينسبه لاحد.

الباب الثالث في فضل المسارعة الى الجهاد وبيان مرتبته من الدين واستحباب التيقظ من الحرب (ص 30)

واستدل هنا على فضل المبادرة بقول الله تعالى : «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا، ذلك الفوز العظيم (التوبة 100).

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من المناسبات الحث على سرعة الاستجابة لاعلاء كلمة الله فقد اخرج في كتاب شفاء الصدور (ظ و31) عن نفيع الحارثي عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «الاناة في كل شيء خير الا في ثلاثة ان صيح في خيل الله فكونوا اول من ينفر واذا نودي للصلاة فكونوا في اول من يخرج واذا كانت الجنازة فعجلوا بالخروج بها ثم الاناة بعد خير..

وفي هذا الباب تحدث عن وجوب الحذر والتيقظ وعن استعمال الخدع الحربية ما لم تكن غدرا لان الحرب بطبيعتها تحتاج الى التورية والتستر وقد اشار الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا هم بغزوة وري بغيرها كما اشار الى قيمة الحذر في اكتساب الظفر والى ما تجره الغفلة وعدم التيقظ من الخسران والبوار ومثل لذلك بالنصر الذي بلغ اليه يوسف بن تاشفين اثناء حربه للادفونش وللهزيمة التي وقعت لابي الحسن المريني حين فقد عناصر الحذر ومقومات المواجهة.

وختم هذا الباب بذكر صفات مستحسنة لا يستغني عنها الغازي اقتبسها من قول السمر قندي الذي يقول (الورقة 34): (ينبغي للغازي ان يلتزم عشر خصال في الحرب، ان يكون في قلب الاسد فلا يجبن، وفي كبر النمر فلا يتواضع لعدوه، وفي شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه، وفي حملة الخنزير فلا يولي دبره اذا حمل عليه، وفي غارة الذئب اذ يئس من وجه اغار من وجه آخر، وفي حمل الاثقال كالنملة تحمل اضعاف وزنها، وفي ثباته كالحجر لا يزول من مكانه، وفي صبره كالحمار اذا اثقلته نصول السهام وضرب السيوف، وفي وفاء الكلب لو دخل سيده النار لا تبع اثره، وفي التماس الفرصة كالديك.

الباب الرابع في ذم الفرار من الزحف وفضل القيام في الصف

بدأ هذا الباب بقوله (35) :«اعلم ان الفرار من الزحف من كبائر الذنوب قال الله تعالى : «ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبيس المصير» (الانفال 15ــ16).

ونقول في الموضوع احاديث كثيرة منها ما روي الطبراني عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله، وعقوق الوالدين،

والفرار من الزحف :» وروي ابن حيان ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديانات فذكر فيه، ان اكبر الكبائر يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق، والفرار يوم الزحف في سبيل الله، وعقوق الوالدين (36).

وبعد ذكر هاته الآيات والاحاديث تدخل المؤلف كعادته في الكتاب وخاطب المستمع اليه بقوله : «فاجل مقام ربك، وعظم نظره اليك، وتهيب من اطلاعه عليك، واسأله ان يثبتك ويقوي ضعفك ويعصمك من فرار يسر به عدوك الشيطان، ولا يرضاه من اولاك كل مجد واحسان فشجع قلبك، وانبذ جبنك، واعلم بان الله تعالى حاضر معك وشاهد عليك، ورقيبك مطلع عليك فخف سطوته، واحذر بطشه، إن رآك مارا بين يدي اعدائه مماطلا بتسليم نفسك بعد عقد شرائه وتنبه الى ان الفرار مذمة وعار، لا يزيد في عمرك ما لا ينقصه الثبات، اذ لا يتقدم الاجل ولا يتأخر لحظة وقت الممات ومن سبق في علم الله انه يموت قتيلا فلن تجد لما حكم الله به تبديلا».

واذا رامي المقادير رمى	فدرع المرء اعوان النصال

وقد ختم هذا الباب بالدعوة الى الاغلاظ على الكافرين اذا وقع القتال لئلا يضطرب امر المسلمين او تنهزم راياتهم واشار الى ما كان يذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعواته حينما كان يقول : «اللهم اجعلني حربا لمن حاربت سلما لمن سالمت (الورقة 41).

الباب الخامس في فضل انغماس الرجل الشجاع او الجماعة القليلة في العدد الكثير قصدا لنكاية العدو مع ذكر حكم المبادرة

بدأ هذا الباب بقول الله تعالى :«ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد» (البقرة207)

وقد حرص المؤلف على ابراز فضل المواجهة والمبارزة. وبين ان من كانت له العزيمة الصادقة او من كان يعلم انه بعمله سيفتت جيش العدو، او انه سيرفع المعنوية عند المجاهدين فانه اذا قاوم بصدق واخلاص فسينال عند الله احسن الجزاء، واستدل على ذلك بنصوص مختلفة من كتب الفقه ومن كتب الحديث.

ومما نقله في الحث على الجهاد ما روي عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (42) : «ان ابواب الجنة تحت ظلال السيوف».

ومنها ما أخذه من كتاب شفاء الصدور ولفظه :«ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على الناس يوم بدر وحرضهم على القتال ثم قال والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام اخو بني سلمة وفي يده تمرات ياكلهن او ياكلها بخ بخ فما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء فقذف التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

ركضا الى الله بغير زاد	الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد	فكل زاد عرضة النفاد

غير التقى والبر والرشاد

والمؤلف كعادته لم يكن يكتفي بالنقول في مثل هذه الموضوعات وانما كان يتدخل بتوجيهاته ويهيء روح الكفاح في نفوس المقاومين، قد يبلغ به الحد احيانا الى درجة التقريع والتوبيخ.

والسبب في ذلك قوة غيرته وشدة اريحته وحدة قلقه مع الوضعية المزرية التي حلت بالمسلمين في كثير من مواقفهم فالسواحل محتلة والاسرى المسلمون في ايدي الاعداء ينتظرون من يحررهم ومن يفك اغلالهم ولهذا صاح صيحته المدوية فقال : (49).

«عجبا كيف ينبغي لمدعي الاسلام فضلا عمن يتشوف لافعال الكرام ان يكون حيا بعد استيلاء الكفار على السواحل واستبدال مواطن ذكر الله بنشر الغي والباطل.

على مثل هذا يقتل المرء نفسه

ويحلو له مر الممات ويعذب

ثم قال بعد ذلك:

«اين ارباب العزم، اين اخوان الحزم، اين الفوارس الانجاد، اين الكماة الاجواد، اين اصحاب العصبية ؟ اين اهل الحمية ؟ اين ذوو الشفقة على اخذان الايمان، اين اصحاب الغلظة على من لج في الكفران، اين من تعرفه السيوف، اين من تخاف وطأته الصفوف. اين ضراغمة الهيجا، اين صقور لحم العداء اين الابطال الكاشفون الغمم، اين الصائنون الاهل الذائذون عن الحرم، اين السميدع الجريء الجنان، اين الباسل المقدام في الطغيان....

وهكذا يستمر في تعداد الصفات المرجوة لانقاذ الموقف واخراج المغرب من قبضة الاعداء المستبدين به المحتلين لجزء من اراضيه.

ومن ثم كان لهذا الكتاب اثر واضح في رفع الهمة وفي تنمية

العزيمة وتقوية روح المقاومة التي هي من طبيعة المغاربة في كل عصر وحين. فليس ما يكتبه المؤلف او ما يخاطب به المستمعين اليه يعد تجريحا لهم او استخفافا بمواقفهم ولكنه تصور ناتج عن القوة النفسية التي يمتاز بها وتسجيل عملي لاندفاعه المتكرر الذي لا تخلو ثنايى الكتاب منه في كل مناسبة تقتضي ذلك.

الباب السادس في فضل الجهاد والمجاهدين

بدأ هذا الباب بقوله (53) : «لا مرية في ان الله تعالى ايد هذا الدين المحمدي بالجهاد ووعد الساعي فيه بالوصول الى تبيين المراد، فاعظم به من امر لا تحصى فضائله، كما انه قدمت على كل خير عملي نوافله.

وهنا اكثر من الاستدلالات القرآنية والحديثية ابرازا لفضله وتشخيصا لقيمته وتبيينا لمنفعته

من ذلك قول الله تعالى«الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله وجنات ، اولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم» (التوبة 20—21—22)

ومن ذلك قوله عز وجل : «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن، ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم» (التوبة 111)

ومن ذلك قوله تعالى «ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون.»

واما الاحاديث النبوية التي استدل بها فكثيرة جدا كلها تدعو الى الحزم والجدية وعدم الاستسلام لنزغات الشيطان ننقل من نماذجها ما اخرجه ابن عساكر عن ابي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما وقعت قطرة احب الى الله من قطرة دم في سبيل الله او قطرة دموع في سواد الليل ولا يراها الا الله عز وجل» (الورقة 77)

وهنا حاول ان يقارن بين فضل الجهاد وبين العبادة الفردية الانعزالية التي تجعل الشخص منزويا في زاوية من الزوايا او معتكفا في معبد من المعابد دون ان يسهم بجهاد عملي يحمي الامة من الضعف والذل والصغار، بل بلغ به الاندفاع الى المقارنة بين الجهاد وبين اختياره بعض الاماكن المقدسة للعبادة فآثر حماية الدين بالكفاح والمواجهة على حمايته بالانسياق الى الالتزام الذاتي باسهل طريق ونقل في هذا الموضوع ما اخرجه البيهقي في الشعب وابن عساكر وغيرهما عن عسعس بن سلامة ان النبي صلى الله عليه وسلم فقد رجلا من اصحابه فقال اردت ان اخلو بجبل وان اتعبد قال لا تفعله ولا يفعله احدكم فلصبر ساعة في بعض مواطن الاسلام افضل من عبادة اربعين سنة خاليا (59).

ونقل اثر هذا الحديث حكاية تؤيد قوله وهي قال محمد بن ابراهيم ابن ابي سكينة املى علي عبد الله بن المبارك ابياتا بطرسوس وارسلها معي الى مكة الى الفضيل بن عياض وهي:

ياعابد الحرمين لو ابصرتنا
لعلمت انك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
اوكان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
وهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في
انف امريء ودخان نار يلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بكتابه فلما قرأه ذرفت عيناه ثم قال صدق عبد الله ونصحني.. قال المؤلف ففي هذه الحكاية اتفاق هذين الامامين الجليلين على ان الجهاد افضل من العزلة والانفراد.

واستمر في هذا الباب على مثل هذا النسق الدال على تعمقه في الدراسة الفقهية والسنية وعلى معرفته بمدى الخير الذي ينصب على المؤمنين الذين ينشدون العزة ويطلبونها بأموالهم وانفسهم فرحمه الله وجازاه على تلك الاريحية المنبثقة من نفس مومنة تعرف ما لها وما عليها وتستحضر من تاريخ الاسلام وتاريخ ابطاله وصلحائه ما ينفعهم في الحال والمآل.

الباب السابع في وجوب النفقة في سبيل الله عز وجل وذكر فضلها وفضل تجهيز الغازي واثم من خانه

وبدأ هذا الباب بقوله (80) «اعلم ان القتال مدافعة تشتمل على عدة وزاد، فلا يتم امره الا باعمال العزيزتين : الشجاعة والجود، ولذلك كان اشد الآفات في الدين البخل والجبن».

ومما نقله هنا ما اخرجه حبان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : «لما نزلت مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء (البقرة 261) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة (البقرة 245) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب زد امتي فنزلت انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب (الزمر 10).

كما نقل ما اخرج في شفاء الصدور عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ايما رجل سمع بغاز فنهض اليه ليعينه على حاجة من حوائجه اوشيعه ساعة او سلم عليه نهض وقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وهو رفيقه يوم القيامة مع الشهداء، ومن جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت، ومن بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة (ص 84).

وتمثل هذه النقول كان يحبب الناس في الخير ويستميلهم الى الانفاق في سبيل الله ويدعوهم الى الاسهام في الدفاع عن حوزة البلاد وفي الحرص على حماية الدين بانفسهم واموالهم لانهم حين يسهمون بذلك لا تضيع اعمالهم ولا تذهب سدى فهم ينتظرون اجرهم عند الله بغير حساب».

الباب الثامن في الامر باعداد العدة للجهاد وفضلها وفضل الرمي واحتباس الخيل (ص 82).

وهنا ابان قيمة اعداد الاسلحة وقيمة اعداد الاشخاص لاستعمالها ومعالجتها واستدل بقول الله تعالى : «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» (ص93).

واشار الى قيمة الرمي بالسهام وما في ذلك من الفائدة العائدة على المسلمين، ونقل احاديث نبوية كثيرة في الموضوع منها ما اخرجه البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «علموا ابناءكم السباحة والرمي والمرأة المغزل» (ص 93).

وبعد ذكر هذا الحديث قال : «ينتزع من الحديث الكريم ان الرامي بالمدفع الذي احدثه عثمان جوق او ابنه ابو يزيد التركي داخل في زمرة من رمي بالسهام وملحق ان شاء الله بمن يرتجي من وعد ربه من رمي بها في سبيل الله تعالى فهي مع النبل كفرسي رهان ولا فارق بينهما يبدو وفي العيان، والدليل على ذلك انه لم يقل احد من السلف ولا نقل شخص من الخلف ان الحجارة لا يرمى بها لانها غير السهام ولا انه غير مثاب من ضرب بها ولا ليس بشهيد من قتل بها بل الاجماع تم على ان كل ما نيل به العدو ويؤجر عليه فاعله.

وهكذا نستشف من المؤلف الدعوة الى استعمال احدث الاسلحة والى التزود بها في الحرب لان الاعداد لا ينحصر فيما هو موجود فقط بل انه اعداد متطور ينبغي تهيء المسلمين اليه بالاسهام في احداث المعامل وفي اعداد المهندسين الصالحين لاستخدام كل ما يصلح لحمايتهم ووقايتهم من شر اعدائهم فان التزود بوسائل القوة والدفاع يثبت وجودهم ويعلي شأنهم.

الباب التاسع في ذكر الرباط وفضله وفضل عمل المرابط والمجاهد

وهنا اشاد بذكر المرابطين وما هم من الاجر العظيم نظرا لصبرهم وتحملهم وزهدهم في ملذات الحياة، ونظرا لما يعانونه من اهوال الخوف واتعاب السهر. ويكفينا دليلا على ذلك قوله تعالى : «ياأيها الذين آمنو اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (آل عمران 200)وفسر المؤلف هذه الآية بما يأتي :

اصبروا اي على مشاق الطاعة وصابروا اي غالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب ورابطوا اي رابطوا بابدانكم وخيولكم في الغثور مترصدين للغزو».

ومن المعلوم ان المرابطة كانت من اهم الركائز التي بنيت عليها الدولة الاسلامية فقد كان المسلمون يتسابقون الى المشاركة فيها ويعملون جهد مستطاعهم ليكونوا حراسا للحدود وان يكونوا مقاومين لكل عدوان ياتي من الخارج ولهذا كانت الكتب الدينية تتحدث دائما عن قيمة هذا الموقف وتنقل ما ورد فيه من احاديث وما ورد من آيات. وقد كان مؤلف هذا الكتاب حريصا على ذكر ذلك لما في هذا الذكر من تحقيق الاهداف التي يتوخاها ويرجوها.

ومما استدل به في هذا الموضوع ما اخرجه الترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله واخرجه ابو يعلى والطبراني في الاوسط عن انس بلفظ عينان لا تمسهما النار ابدا عين باتت تكلأ في سبيل الله وعين بكت من خشيته»(ص 104)

ومما استدل به ما اخرجه الطبراني عن معاوية بن حيوة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترى اعينهم النار عين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله..».

وعلى كل حال فان جل هذه الاحاديث تغري المرء بالصبور وتدفعه الى الطاعة وتجعله حريصا على الاستماتة في سبيل الله.

وختم هذا الباب بما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انبؤكم بليلة افضل من ليلة القدر حارس حرس في ارضه خوف لعله الايرجع الى اهله.

الباب العاشر في فضل الشهيد المقتول في سبيل الله (104)

قال في هذا الباب:

اعلم ان رتبة الشهادة للفضائل جامعة ومنزلتها لاعلام الشهادة رافعة لدينا لها الا من سبقت له العناية ولا يلقاها الا من بلغ في المجد الغاية ولا يصافحها الا مقدام هام عن هوى دار فانية محبة في الفطر على العسل المصفي في الدار الباقية.

فيا مبتغى المنا ذي شد حياز ما
فلابد دون الشهد من ابر النحل

ولقد اكثر من الاختيارات الحديثة الدالة على فضل الاشتهار في سبيل الله كما نقل بعض الايات القرآنية في ذلك.

فمن الاحاديث ما اخرجه احمد والبزار وابن حيان والحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ثلاثة يدخلون الجنة الفقراء المهاجرون، الذين يتقي بهم المكاره، اذا امروا سمعوا واطاعوا، وان كانت للرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره وان الله عز وجل ليدعو يوم القيامة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها، فيقول الله اين عبادي الذي قاتلوا في سبيل الله وقتلوا او اوذوا وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير حساب، وتاتي الملائكة يسجدون فيقولون ربنا نسبح بحمدك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثارهم علينا،فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي فتدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (106).

ومن الايات القرآنية التي جاء بها وحللها وترجمها شرحا وافيا قول الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون..

وبعد تعرضه لمفهوم الحياة وهل هو حقيقة او مجاز قال : (108)

.. النفس اميل الى القول بانهم احياء حقيقة وفي الحال لما ان الله تعالى اخبر بانهم احياء فوجب الوقوف مع الظواهر ولا يصرف اللفظ عن معناه الاصلى الا اذا اوهم ظاهره محالا. وهنا لا مقتضى للعدول عن ظاهر اللفظ لان القادر على ان يحييهم يوم القيامة قادر عليه الان.

هذا في الجواز العقلي واما بحسب العرض فيجب الايمان بانهم احياء وان لم نشعر بحياتهم كما اذا رأينا شهيدا ابقى في الارض حتى تقطعت اوصاله او أكلته السباع لان احوال الآخرة عادة اخرى غير هذه التي نعهد وقد ارشدنا تبارك وتعالى الى ذلك بقوله ولكن لا تشعرون. وهذا من بديع حكمته تعالى اذ لو شعرنا بكيفية حياتهم لفاتنا ما اقتضته المشيئة منا وطلبته الشريعة من الايمان بالغيب.

وايضا فقد دل على حياتهم آثار كثيرة وقد قال الاصوليون ان الظواهر اذا تضافرت على شيء افادت القطع فيلزم بمقتضاه الجزم بحياتهم.

وايضا فلو كانت الارواح فقط هي الحية لم يبق لخصوص المدحة لحياتهم معنى لانه لا وجه يبدو للثناء عليهم بالحياة ايضا اذ قيل انهم سيحيون إذ الاخبار بانهم سيحيون امر مشترك بين المقتول والقاتل.

ورغم حديثه عن فضائل الشهادة فانه ذكر احديث تنبيء

ان الشهيد يغفر له كل شيء الا مظالم العباد، وقيل ان هذه المظالم اذا كانت دينا فان على الامام قضاءها عليه فان لم يقضها تولى الله تبارك وتعالى قضاءها عنه وارضى خصمه، وهذا مشروط بان يكون الشهيد حين اخذ الدين ناويا ارجاعه والدليل على ذلك ما اخرجه البخاري من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :«من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عنه».

الباب الحادي عشر في ذكر بعض حكايات المجاهدين والشهداء (131)

وهنا اشاد بذكر بعض النساء اللائي كن يحرضن على تقديم ابنائهن فداء لله وحماية للدين ويصور بطولتهن العظمى الدالة على ان المرأة المسلمة كانت واعية بدورها قادرة على التضحية في سبيل الله وقد نقل من كتاب اسمه تنبيه ذوي الاقدار على مسالك الابرار ان ام ابراهيم الهاشمية كانت من النساء العابدات بالبصرة فاغار العدو على ثغر من ثغور الاسلام فانتدب الناس للجهاد فقام عبد الواحد بن زيد الزاهد البصري في الناس خطيبا يحضهم على الاستشهاد وكانت ام ابراهيم حاضرة فلبت النداء وخضت ابنها على السير قدما في سبيل الله فلما ذهب الى الجهاد كانت تتمنى ان يكون دمه سقيا لشجرة الفداء وكانت تعتبر ذلك هدية منها الى الله فلما رجع الجيش قالت لعبد الواحد يا أبا عبيد هل قبلت هديتي فاهنأ ام ردت على فأعزي فقال لها : قد قبلت هديتك والله ان ابراهيم لحي مع الاحياء يرزق قال : فخرت ساجدة شكرا لله تعالى وقالت : الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني.. ثم نقل بعض القصص من كتاب مشارع الاشواق لابراهيم بن النحاس ومن كتب اخرى ككتاب روض الرياحين لليافعي وكتاب روضة الحقائق لابي عبد الله بن الخلال.

الباب الثاني عشر في المغانم وتحريم الغلول وذكر الجزية ووجوب فك الاسرى

ذكر في هذا الباب امثلة حية مختلفة تدل على همة الملوك والخلفاء في الدفاع عن المسلمين وفي فك اسراهم وفي تحرير سجنائهم، واعجب غاية الاعجاب بقصة المرأة التي لطمها اعجمي في عمورية على عهد المعتصم العباسي فقالت وامعتصماه فاستخف بها الذي لطمها وقال لها لا يأتي المعتصم الا على فرس ابلق فلما سمع المعتصم ذلك جمع من الخيل البلق ما جهز به جيشا وغزا عمورية ففتحها وانقذ المرأة من الاسر.

ولقد جعل هذه القصة مثالا عمليا للمسلم الواعي الذي لا ينسى واجبه ولا يهمل اخوانه وربط بينها وبين الواقع الذي يحياه المسلمون في عهده حيث اصبح يرى عددا من الاسرى يرسفون في اغلال من القيود ويعيشون من وراء الحدود فلا يؤبه بهم ولا يجاهد من اجلهم فاسف وقلق ورأى ان اهمالهم اهمال للواجب المقدس الذي يدعو المسلمين الى الوحدة والتآزر والتناصر.

واستغل هذه الفرصة كعاته للحض على الجهاد والقتال من اجل انقاذ اسرى المسلمين واخراجهم مما هم فيه من الذل والصغار وبلغ به الغيظ الى التقريع والتوبيخ فقال : (160)

احسس بمن سالم من قد حاربه
ابغض بمن ترك من قد ضاربه
اي وجود قد اتى لمن ترك
اخوانه في ذل اسر وشرك
والله لولا مذهب الحق لزم
لقلب انكم خيال وعدم
لولا احتساب اجر ربنا الكريم
ما كان عقل من يخضكن قويم
لوكان لي رأي يطاع عكسوا
فاستنجد والجماد او من رمسوا

وانتقل بعد ذلك الى الخاتمة التي خصها لذكر النفل والسلب والامان وما يتعلق بذلك من الاحكام الفقهية العامة.

وعلى كل حال فالكتاب يعد نموذجا من نماذج التأليف في القرن الحادي عشر بالبلاد المغربي ويبين مدى الغيرة التي كانت لمؤلفه ــ وهو من الشرفاء العلويين ــ على المسلمين الذين كان يرجو لهم دوام العزة واستمرار الظفر وديمومة الانتصار فرحمه الله برحمته الواسعة واعاننا على استرجاع مجد المسلمين انه على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ
محافظ خزانة القرويين

موقف السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي من كتب الفروع

1134 - 1904 هـ

للأستاذ عبد الهادي الحسيسن

تمهيد :

بعد ان تولى حكم المغرب، ابو يوسف يعقوب المنصور الموحدي سنة 585 هـ، اصبح يشعر بالخطر، ازاء الحالة التي وصل اليها الفقه المالكي من تشعب الاراء، والعمل باقوال الفقهاء المالكية، والاعتماد على كتب الفروع، بدل الاخذ من نصوص القرآن، وسنة رسوله عليه السلام.

من اجل هذا وذاك، اراد ان يقضي على المذهب المالكي، وعلى اصحابه الفقهاء ويرد الناس الى مصدر التشريع الاسلامي من الكتاب والسنة. فاصدر امره باحراق كتب الفروع المالكية سنة 591 هـ (1)، في انحاء البلاد المغربية، بعد ان تجرد من الايات القرآنية والاحاديث النبوية.

وهذا المقصد بعينه، من مصادرة كتب الفروع وحرقها : كان مقصد ابيه ابي يعقوب يوسف، وجده عبد المومن، الا انهما لم يظهراه، واظهره يعقوب هذا (2).

كان هدف يعقوب المنصور من حرق كتب الفروع، هو محو الخلافات الفقهية، والاقوال المتعددة المتشعبة، التي عقدت بساطة الفقه المالكي.

يقول الناصري في كتابه «الاستقصا» (3) امر يعقوب برفض فروع الفقه، وان الفقهاء لا يفتون الا من الكتاب والسنة النبوية، ولا يقلدون احدا من الائمة المجتهدين، بل تكون احكامهم كما يؤدي اليه اجتهادهم، من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس».

(1) انظر كتاب «مظاهر النهضة الحديثية» ج. 1، ص : 207 لصاحب البحث

(2) المعجب للمراكشي، ص : 40 ط. دار الكتاب 1978. ورغم محاربة الموحدين للمذهب المالكي، فانهم لم يحاربوا الامام مالك وكتابه الموطأ، وانما حاربوا كتب الفروع والفقهاء الذين يعملون بها. انظر «مظاهر النهضة الحديثية» ج 1، ص : 279، لصاحب البحث

(3) «ج 1، ص : 178، ط دار الكتاب .

ومحاولة حرق كتب الفروع ومحاربتها، ظهرت ببلاد الغرب الاسلامي قبل الموحدين، وذلك ان المحدث الكبير عباسا الفارسي، احرق بنفسه كتب الفروع في وسط مدينة القيروان، اوائل القرن الثالث الهجري في عهد القاضي اسد بن الفرات، سنة 213 هـ حتى ادبه على ذلك هو بنفسه وشهر به (4).

وعلى هذا، فمحاربة كتب الفروع وحرقها، ابتدأت من اول ظهورها بالغرب الاسلامي؛ لان الناس انكروا على اسد بن الفرات «مدونته» حين دخل بها اول مرة الى تونس، وصاروا يقولون له : جئتنا باخال، واظن، واحسب، وتركت الاثار وما عليه السلف (5).

لقد اثرت النهضة المنصورية الحديثة على الفكر المغربي، وحررته من الجمود والتقليد ودفعت به الى الامام، في جميع الميادين الحضارية والعلمية والسياسية.

ظهرت في هذه الفترة تآليف عديدة ومفيدة في الميدان العلمي، من تفسير، واصول، وفقه، وعلم الكلام، وادب، وطب، وفلسفة، وخصوصا في الميدان الحديثي، فظهرت فيه آنذاك : الاحكام الكبرى، والوسطى، والصغرى، للمحدث عبد الحق الاشبيلي الازدي ت سنة 582 هـ وكتاب بيان الوهم والايهام للمحدث الكبير ابن القطان الفاسي، ت سنة 628 هـ وغيرهما من الكتب الحديثة الاخرى، التي تضاهي كتب كبار المحدثين المشارقة، كما نبغ عدد كبير من العلماء في هاته الفترة، كابن رشد الحفيد الفيلسوف، والسهيلي صاحب كتاب الروض الأنف، وابن دحية السبتي، ويحيى بن خلف المعروف بابن المواق، وولده محمد، وكلاهما كان ينعتان بالمجتهدين، ولكن سرعان ما تعطلت هاته النهضة الحديثية المباركة، وانطفأت شعلتها الوضاءة، بسبب موت يعقوب المنصور الموحدي سنة 595 هـ.

اصبح المغرب يرجع الى الوراء، بعدما عرف نوعا من الازدهار الثقافي الواسع، والتحرر الفكري المتفتح، والعمل بالسنة المطهرة في العهد الموحدي.

كان الفقهاء في هاته الفترة الموحدية، يرجعون الى مصادر التشريع الاسلامي مباشرة، يستقون منها ويستنبطون، فصرنا نراهم بعد ذلك، يشتغلون بكتب الفروع الفقهية، واقول فقهاء المذهب المتقدمين، يقتصرون عليها، ويقفون عندها.

ومثل هذا الصنيع، هو الذي عطل سير الفقه، الى الامام، واوقف تقدمه، حتى كان بعض علمائنا الاجلاء، يستنكرون هذا العمل.

يروى عن ابن اسحاق الشاطبي صاحب «الموافقات» ت سنة 790 هـ انه قال : ان ابن بشير وابن شاس، وابن الحاجب، افسدوا الفقه، وكذلك قال بهذا القول، الفقيه احمد القباب الفاسي ت سنة 779 هـ قبل الامام الشاطبي (6).

وبزوال الدولة الموحدية وانقراضها على يد المرينيين بصفة نهائية، سنة 667 هـ 1267م تعطلت تلك النهضة الحديثية المباركة، ورجع العمل بعلم الفروع، كما كان من قبل، بل اكثر. وضرب على يد علماء الحديث. يقول صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى (7). ولما تولى يعقوب المريني ت سنة 685هـ مملكة المغرب، طلب منه اهل المغرب الرجوع في القضاء الى مذهب مالك، فامر قضاة المغرب بذلك، وترك العمل بالحديث ...

رد المرينيون الاعتبار والعمل لكتب الفروع، وردوا لاصحابه الفقهاء المالكية مكانتهم السابقة في عهد الدولة المرابطية، وقربوهم اليهم ليتعاونوا معهم ولينصرفوا لخدمتهم.

ورغم ذلك لم يغمط علم الحديث رواية ودراية في هاته الفترة المرينية الاولى، بل بقيت آثار تلك النهضة الحديثة، تتجلى في بعض علمائها الكبار امثال : ابن رشيد السبتي ت سنة 721 هـ وابن عبد المالك المراكشي، صاحب الذيل والتكملة، ت 703 هـ والرئيس ابي محمد عبد المهيمن الحضرمي ت 749 هـ، وسواهم كثير.

ان المغرب استقر نهائيا من العهد المريني، على فقه مالك، مذهبا يقتدى به ويعمل به، في مختلف الحياة، تشريعا وقضاء وتدريسا، وتأليفا، كما اشتهرت العقيدة الاشعرية مذهبه العقائدي، لا يرى عنهما بديلا.

وهكذا اصبحت كتب الفروع الفقهية المالكية، تدرس وتقرأ في جميع المغرب، من مختصرات وشروح، وحواشي يعمل بمقتضاها، ويفتى ويحكم على ضوئها، ونحيي ما سواها، من كتب التفسير والحديث، ولم يبق العمل بها كما كان من قبل، زمن

---

(4) المدارك لعياض ج.3 ص : 248. ط : وزارة الاوقاف. الرباط.

(5) انظر نفس المصدر والرقم.

(6) انظر الفكر السامي. للفقيه الحجوي ج. 4 ص : 81 وشجرة النور الزكية ص : 231.

(7) ص : 19 ط. دار المنصور الرباط.

يعقوب المنصور الموحدي، الى ان جاء دور السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي.

حياته ونشأته (8) :

ولد سيدي محمد بن عبد الله سنة 1134 هـ اواخر عهد جده المولى اسماعيل، تربى بين احضان والده المولى عبد الله وجدته، المرأة العظيمة خناثة، بنت الشيخ بكار المعافري التي تنتسب الى القاضي ابي بكر ابن العربي المعافري، الفقيه الكبير المجدد ت 543 هـ (9).

وفي سنة 1143 هـ ذهب سيدي محمد رفقة جدته خناثة هاته، الى البقاع المقدسة، صحبة عدد من العلماء الاجلاء المغاربة، وهو ما زال في طور الصبى.

رجع من رحلته الحجازية، وفي ذاركته صورة حية عن المشرق العربي، وفي ذاكرته صورة حية عن المشرق العربي وفي قلبه شعور واحساس قوي بالاخوة الاسلامية. وفي عقله ارتسام وانطباع عن الحياة العلمية بالشرق.

شب تحت رعاية جدته خناثة، فكانت تراقبه وترعاه وتتعهد بعطفها وحنانها وتعده للمستقبل الذي ينتظره، وصدق من قال : ما من عظيم الا ومن ورائه امرأة..

طلب العلم من اول شبيبته الى اخر حياته، فلم تشغله مهام الدولة عن الطلب والتحصيل حتى صار يؤلف فيه، ويعد من العلماء.

وبمجرد موت والده المولى عبد الله، تمت له البيعة من طرف اهل الحل والعقد، سنة 1171 هـ، اذ كان يبلغ السابعة والثلاثين من عمره.

لقد كانت ممارسته لمهام الدولة في عهد والده مدرسة درس فيها عن كتب، الشؤون القضائية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية خير دراسة، وشاهد عن قرب احوال القضاة والعمل وسائر من ترجع اليهم الامور، مشاهدة اطلعته على ما يجري في الدولة.

ومنذ ان تولى سيدي محمد بن عبد الله زمام الحكم، وهو يعمل بحزم وجد على اقامة العدل، بين افراد الامة وتوطيد دعائمه، ومراقبة اعمال القضاة والعمال ومحاسبتهم ومعاقبة كل من ينحرف عن تعاليم الشريعة، ويبذل الخير والمساعدة لعموم الشعب وكل المحتاجين.

ربط علاقاته السياسية والتجارية مع الدول الاسلامية والاوروبية بواسطة سفرائه المخلصين، كما تتبع اسرى المسلمين عموما بما فيهم المغاربة من مختلف البلاد الاجنبية فيبذل في ذلك الاموال الطائلة، وجميع ما يحتاجه الاسرى، من انواع المساعدات فاشتهر بذلك ذكره داخل المغرب وخارجه.

ولما حل بالمغرب حوالي سنة 1190هـ وما بعدها، القحط والمجاعة بسبب الكوارث الطبيعية، امر بجلب الاقوات من الخارج الى المغرب، وبيعها باثمانها، على يد الامناء الاوفياء بعدما اعد مطاعم للارامل والمعوزين وذوي الحاجة يلتجئون اليها وقت الاحتياج.

وقد اسقط في هاته السنين الحرجة عن الناس، الضرائب والتكاليف المخزنية، الى ان ظهر الخصب، وارتفع الجدب وعم اليسر والخير، البلاد والعباد.

ففي الميدان القضائي، كانت لسيدي محمد بن عبد الله، له اجتهادات مذهبية واختيارات خاصة، حمله عليها الاحتياط من الحيف والظلم والزور، رعيا لحقوق الامة. فكان ينشر المراسيم الاونة تلو الاخرى، فيما يراه حاسما لذلك، ويحمل قضاته وولاته على العمل بها. اهتمامه بالحديث النبوي الشريف.

ان الحديث النبوي، هو حصيلة المعارف الاسلامية،وهو اصل من اصول الشريعة وركيزة من ركائزها، وهو المصدر الثاني بعد كتاب الله العزيز.

ولا تخفى مكانة الحديث النبوي الذي هو الصراط السوي، والمنارة الوضاءة والهداية العظيمة للمهتدين، لهذا اكب سيدي محمد بن عبد الله على مطالعة كتب الحديث ودراستها، دراسة تحصيل وفهم وعمل، من كتب الصحاح، وموطأ مالك، المعروفة آنذاك من الأوساط العلمية المغربية.

ولم يكتف بهاته الكتب الحديثية، بل تشوقت نفسه الى الكتب الحديثية الاخرى الغير المعروفة في المغرب ان ذاك، كمسند الامام ابي حنيفة النعمان ت 150 هـ ومسند الامام

---

(8) اقتصرت على الجانب العلمي من حياته باقتضاب، حسبما تتطلبه المجلة، اما الجوانب الاخرى، فمن اراد ان يتعرف عليها، فالاستقصا للناصري ج. 8 والترجمانة الكبرى للزياني، وغيرهما، ولقد خصه احد خريجي دار الحديث الحسنية برسالة الدبلوم، فهي موجودة مرقونة بمكتبتها بالرباط.

(9) والخناثة هي معافرية بالعين المهملة، خلافا لمن اعجمها، فهي منسوبة الى جدها الاعلى الفقيه الكبير ابن العربي المعافري، وهي التي كانت طلبت من زوجها السلطان المولى اسماعيل بناء ضريح جدها هذا، وهو دفين باب المحروق بفاس، توفيت سنة 1159هـ.

الشافعي ت 204 هـ ومسند الامام احمد بن حنبل ت 241 هـ فجلبها الى المغرب من اجل دراستها.

ولهذه الغاية، استقدم اليه العلماء الكبار من جهات المغرب، فاختار منه جماعة لمجالسته ومذاكرته في الحديث النبوي، وخص لذلك اوقاتا مضبوطة لدراسة كتب الحديث دراسة استيعاب، ومن هؤلاء العلماء الاعلام، المحدث الكبير، ادريس العراقي والفقيه محمد الغربي، والفقيه محمد بوخريص، والفقيه علي بن ادريس الفيلالي، وغيرهم كثير، وحتى كان يقول لهم متأسفا : والله لقد ضيعنا اعمارنا في البطالة واللهو ايام الشبيبة، فلا نضيع ما بقي، ويتحسر على ما فات من قراءة العلم (10) لان الوقت اغلى من الذهب.

وبسبب هاته المسانيد الحديثية، اطلع علماء المغرب على مجموعة من الاحاديث النبوية التي كانوا يجهلونها فاشتغلوا بها، واهتموا بها غاية الاهتمام.

ولم تكن هاته الدراسة الحديثية من طرف السلطان والعلماء نظرية محظة، بل كان الغرض منها، استخراج احكام تستفيد منها الامة المغربية. ويظهر ذلك جليا في المناشير التي كان يبعثها سيدي محمد الى قضاته وعماله، فقل ما يخلو منشور من المناشير من استشهاد بحديث نبوي، او اثر من اثر الصحابة والتابعين، وعلماء السلف رضوان الله عليهم.

فمن ذلك ما كتب به الى القضاة عندما غالى الناس في المهور، اذ امرهم الا تتعدى اربعين مثقالا، فما دون بحسب عملة العصر.

ومما استشهد به في هذا الموضوع، من احاديث النبي عليه السلام «من يمن المرأة قلة مهرها» وهكذا نرى سيدي محمد، يستنبط من دراسته لكتب السنة احكاما يسير عليها قضاته وعماله، ويهتدون بهديهما، وفي نفس الوقت، تكون هاته الدراسة الحديثية منطلقا للعلماء المغاربة، يحذون حذوها ويسيرون على هديها.

موقفه من علم الكلام

كانت بلاد المغرب، تعمل بالمذهب العقائدي السلفي، منذ ان دخل الاسلام اليها، الى افول دولة المرابطين، والقضاء عليهم من طرف الموحدين.

(10) نظر الاستقصا للناصري .ج 4 ص : 68 ط. دار الكتاب

«واما حال المغاربة في الاصول والاعتقادات ، فبعد ان طهرها الله تعالى، من نزعة الخارجية اولا، والرافضة ثانيا، اقاموا على مذهب اهل السنة والجماعة، مقلدين للجمهور من السلف، في الايمان بالمتشابه، وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر، واستمر الحال على ذلك، الى ان ظهر ابن تومر في صدر المائة السادسة، فرحل الى المشرق، واخذ عن علمائه مذهب ابي الحسن الاشعري ت 330 هـ الذي يقول بتأويل المتشابه من الكتاب والسنة (11).

دعا ابن تومرت الناس الى العمل بالعقيدة الاشعرية، مدعيا ان من خالف هذا المذهب العقائدي الاشعري، فهو ضال ليس بموحد، بل هو مجسم.

ومن هذا العهد، اقبل علماء المغرب على العقيدة الاشعرية، درسا وتاليفا الى زماننا هذا، وان كانت قد ظهرت بالمغرب قبل ابن تومرت (12).

اما موقف سيدي محمد من علم الكلام، وبصفة خاصة من العقيدة الاشعرية، فهو كان يحث الناس على دراسة عقيدة ابن ابي زيد القيراواني ت 336 هـ المبسطة وما هو على شاكلتها، اما كتب العقيدة الاشعرية، فمنع قرائتها في المساجد وغيرها، لان طريقة الاشعري فيها اقوال وردود على المعتزلة، والعقيدة في معناها حسب مفهوم سيدي محمد، يجب ان تكون سهلة مبسطة، لهذا فضل طريقة الحنابلة في علم الكلام. لانهم ساروا على المنهج السوي، الذي رسمه لهم احمد ابن حنبل، عندما سد طريق الخوض في علم الكلام والجدال فيه. فسيدي محمد ينص في مقدمة كتابه «الفتوحات الالهية لا انه مالكي المذهب، حنبلي العقيدة، ثم يقول : وافتتحت كتابي ــ بعقيدة الامام محمد بن ابي زيد القيراواني ــ التي ابتدأ بها رسالته، لما اشتملت عليه من الفوائد الدينية، وسلامة قواعدها من القوادح الواردة على غيرها، من الكتب التي صنفت في علم العقائد، ولاقبال السلف الصالح على حفظها وتدريسها وشرحها، وانتفاع الخاص والعام بها، هذا الذي حملني على الاقتصار عليها، وعدم الالتفات الى غيرها.

من اجل هذا، كان ينهي عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الاشعرية، وكان يحض

(11) أنظر نفس المصدر ص : 140

(12) انظر مقدمة الاستاذ المرحوم محمد بن تاويت الطنجي لمدارك عياض ج 1 ص 1 ط. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الاسلامية.

الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلاتأويل.. وانه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين (13).

موقفه من كتب الفروع :

ان الرعيل الاول من العلماء المالكية ببلاد المغرب، كانوا فقهاء، ولم يكونوا محدثين بالمعنى المعروف، انحصر علمهم آنذاك في موطأ الامام مالك، واقواله وفتاويه، ولم يحاولوا ان يزيدوا على هذا شيئا.

فبتوحيد الدولة المرابطية للاندلس والمغرب، جعلتهما وطنا واحدا يتبادل سكانه المصالح والمنافع، فسكن بعضهم الى جوار بعض، واستفاد كل من الآخر في مناحي الحياة.

تبنى اهل بلاد الغرب الاسلامي في المذهب المالكي، مدرسة مالك الفقهية، وتخلوا عن الاخذ والعمل بالحديث النبوي، كمبدأ اساسي من بين اسس مدرسة مالك الحديثية.

فمن زمن المرابطين، انتشرت كتب المذهب المالكي ببلاد المغرب، واصبحت معتمد الفقهاء المالكية في حياتهم، من قضاة ومفتين واصحاب شروط وغيرهم، الى زمن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي، كانت الحظوة والعناية الخاصة للفقهاء المالكية، اصحاب علم الفروع، فقد نالوا مكانة كبيرة على يد ملوك المرابطين، فنفقت في ذلك الزمن كتب المذهب المالكي، وعمل بمقتضاها، فنسي النظر في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام (14).

ان الدولة المرابطية كانت مالكية صرفة، مقيدة باتباع المذهب المالكي واصحابه، بشأن الدولة الاموية بالاندلس، وملوك الطوائف فيما بعد، على عكس الدولة الموحدية التي رفضته رفضا باتا.

في العهد المرابطي، كانت تدرس امهات كتب المذهب المالكي، من مدونة الفقيه عبد السلام سحنون التونسي، فهي اصل المذهب المالكي الفقهي المرجع روايتهما عن المغاربة واياها اختصر مختصروهم، وشرح شارحوهم، وبها مناظرتهم ومذاكراتهم (15) وكتاب «الواضحة» لعبد الملك بن حبيب القرطبي ت 238 هـ وكتاب «العتبية» لصاحبها محمد بن عتاب الاندلسي ت 255 هـ وكتاب «البيان والتحصيل» لابن رشد الجدت 250 هـ (16) ومقدماته وغيرها من كتب اخرى في الفقه المالكي.

لقد ترك الفقهاء المالكية «مدونة» سحنون، وتخلوا عنها، وعوضوها بالمختصرات الفروعية المجحفة، مع ان المدونة مفهومة بنفسها، لا تحتاج الى شرح في غالب مواضيعها.

وصنيع هؤلاء الفقهاء المالكية، كصنيعهم اولا مع كتاب موطا مالك، الذين تركوا العمل به، فهجروه وعوضوه بالمدونة وشروحها، مع ان كتاب الموطأ، كتبه الامام مالك بيده، ونقحه مدة اربعين سنة، وهو منقول الينا بالتواتر، رواه عنه عدد كبير من العلماء.

ومدونة الفقيه سحنون، ليست كذلك. فلم يكتبها مالك بيده، ولم ينقحها، وانما هي اقواله وفتاويه، التي رواها تلاميذه عنه، منهم ابن القاسم العتقي المصري ت 199 هـ وسحنون اخذها عن ابن القاسم فيما بعد، وهكذا صرنا نرى الفقهاء المالكية يذهبون من السهل الى الصعب، ومن المبسط الى المعقد، ظنا منهم انهم يختصرون الفقه، ويوفرون الوقت على طلاب العلم، مع انه العكس من ذلك، بل زاد الفقه تعقيدا على تعقيد، وابعدوه عن منبعه الصافي بسبب كثرة المختصرات والشروح والحواشي والتعاليق المجحفة.

جاء ابو عمر وابن الحاجب المصري ت 696 هـ فاختصر كتاب «التهذيب» للبراذعي ت 460 هـ في مختصره الفرعي الشهير، وبعد الفقيه ابن الحاجب، جاء الشيخ خليل ت 776 هـ فاختصر هو كذلك مختصر ابن الحاجب، وهنالك بلغ الاختصار غايته، لان مختصر خليل مختصر المختصر.

ومعنى هذا ان الشيخ خليلا اختصر كتاب ابن الحاجب، وابن الحاجب اختصر كتاب البراذعي التونسي، والبراذعي اختصر كتاب النوادر والزيادات، لابن ابي زيد القيواني، صاحب «الرسالة» وهكذا اصبح الفقه المالكي معقد لا يفهم بسهولة.

وبسبب هاته المختصرات، احال اصحابها اشياء عن مكانها، فتغيرت مسائل عن مواضيعها، وصار ذلك مخلا بالبلاغة، وبالاسلوب العربي الفصيح، وهو فساد في التعليم، وفي اخلال بالتحصيل، وضياع للوقت كبير، بسبب تتبع الفاظ الاختصار

(13) انظر الاستقصا ج 1 ص : 68 ط . دار الكتاب.

(14) انظر المعجب ص : 43 ط دار الكتاب 1978

(15) انظر المدارك لعياض ج 3 ص : 399 ط : وزارة الاوقاف

(16) طبع منه حتى الآن سبع مجلدات

العويصة للفهم، بتراحم المعاني عليها، وصعوبة استخراج المسائل من بينها، فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين، فاركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها (17).

****

تنبه السلطان سيدي محمد بن عبد الله، الى هاته الظاهرة التي اصبح عليها المغرب من الابتعاد عن العمل بكتاب الله العزيز، وسنة رسوله عليه السلام، وعن امهات الكتب المالكية، من موطأ الامام مالك صاحب المذهب، ومدونة الفقيه سحنون وما هو على شاكلتها، فاصدر مرسوما في هذا الشأن، بين فيه ما يراه صالحا للتدريس والافتاء والحكم من كتب مالكية سهلة ومفيدة.

نص في مادة الحديث على تدريس كتب الصحاح، وعلى تدريس المسانيد السابقة الذكر، وفي الفقه المالكي نص على دراسة كتاب المدونة، وكتاب «البيان والتحصيل» و وكتاب «المقدسات» و «والنوادر» و «الزيادات» و«الرسالة» وغيرها من امهات كتب الفقهاء المالكية الاقدمين.

ومن عجيب سيرته انه كان يرى اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات في الفقه وغيره، واعراضهم عن الامهات المبسوطة الواضحة، تضييع للاعمار في غير طائل، وكان ينهى عن ذلك ولا يترك من يقرأ مختصر خليل، ومختصر ابن عرفة وامثالهما، ويمانع في التشييع على من اشتغل بشيء من ذلك، حتى كاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل، وانما كان يحض على كتاب الرسالة، والتهذيب، وامثالهما حتى وضع في ذلك كتابا مبسوطا (18).

وفي ذلك يقول سلميان الحوات (ت 1231 هـ) يتحدث عن شيخه الفقيه الكبير ابي عبد الله محمد التودي ابن سودة (19) ولم ينقطع شيخنا عن قراءة مختصر خليل، الا ما كان ايام السلطان سيدي محمد الحسني، فانه صدر عنه الامر اذاك بتأكيد قراءة «التهذيب للبراذعي و «الرسالة» لابن زيد القيراواني والاقتصار عليهما، دون مختصر خليل، فامتثل امر السلطان...

منع كذلك سيدي محمد الافتاء والحكم بمختصر خليل وشراحه، وامر بالاستناد في ذلك الى امهات الكتب المالكية، والزم القضاة بكتابة احكامهم والاشهاد عليها.

ورد في بعض منشوراته، ان من اشتغل باخذ الفقه من مختصر خليل وشروحه، وترك اخذ الفقه من كتب الاقدمين المرضيين، كمن اهرق الماء واتبع السراب، فليضرب رجال القضاء، صفحا عن تلك المختصرات التي حجبت بعمياتها بساطة الدين ويسره، وليعودوا بالناس الى كتاب الله وسنة رسوله، ففيهما غناء عن كل ما سواهما، وليقتدوا بكل ما يرفع اليهم من الاقضية بما امر به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد نص جماعة من الاعلام النقاد مثل : الحافظ ابي بكر ابن العربي المعافري، وابي اسحاق الشاطبي، وعبد الرحمن ابن خلدون وغيرهم، ان سبب نضوب ماء التعلم في الاسلام ونقصان ملكة اهله فيه اكباب الناس على تعاطي المختصرات الصعبة الفهم، واعراضهم عن كتب الاقدمين المبسوطة المعاني، الواضحة الادلة التي تحصل لمطالعها الملكة في اقرب وقت.. (20).

وهنا نرى موقف سيدي محمد، بالنسبة لكتب الفروع، غير موقف يعقوب المنصور الموحدي، لقد سلك طريق الامر والنهي، واكتفى عن هذا بالمراسيم السلطانية، ولم يقدم على مصادرتها وحرقها، بخلاف يعقوب المنصور، فانه امر بنبذها وحرقها، واحرقت بالفعل في عواصم المغرب سنة 591 هـ كما نكل بالفقهاء المخالفين، واتخذ في حقهم انواع العقوبات، من تعزيز وسجن وتنكيل، ولكل وجهة.

هذا هو موقف سيدي محمد بن عبد الله من كتب الفروع، ومن كتب العقيدة الاشعرية المعقدة، الذي اراد ان يرجع بالامة المغربية الى عهدها الزاهر، وان يردها الى مصدر التشريع الاسلامي الصافي، والى بساطة الدين الحنيف، والى امهات الكتب العلمية المبسطة السهلة، التي لا تعقيد فيها، حتى الف هو بنفسه كتبا في هذا الشأن (21).

اجل، اصبحت الحياة في عهده تسترد نشاطها من جديد شيئا فشيئا، وتتحرر من بعض القيود التي حلت بها، ولكن

(17) انظر مقدمة ابن خلدون ص 533—553 ط التجارية

(18) انظر كتاب الاستقصا للناصري ج 8 ص 67 ط : دار الكتاب

(19) الروضة المقصورة في مآثر ابن سودة ص 307 مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم : 2211

(20) الاستقصا ج 8 ص : 67 ط دار الكتاب

(21) منها : مواهب المنان بما يتأكل على المعلمين تعليمه للصبيان، والجامع الصحيح الاسانيد المستخرجة من ستة مسانيد، والفتوحات الالهية الكبرى، وهو اهمها، وغيرها.

سرعان ما ستخمد هاته الشعلة الوضاءة بموت هذا الملك العالم المصلح، سنة 1204 هـ 1789 م، سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ولما افضى الامر الى ولده المولى سليمان (1204 — 1238 هـ) واستولى على زمام الحكم الزم الناس مرة اخرى بالرجوع الى مختصر الشيخ خليل وبدراسته، وصار يحضهم على التمسك به ويبذل على حقه الجوائز، عائدا بهم الى العهد المريني، فكان علمه هذا مباينا لما اقدم عليه والده، وبذلك كله تابع لتطور الامم والازمان (22)

يقول الناصري (23) : والرأي ما رأي السلطان سيدي محمد.

آفة التقليد :

تعقدت الحالة مرة اخرى من جديد، اذ رجعت كتب المختصرات الفقهية الى الميدان الدراسي، واصبحت تهيمن اكثر من ذي قبل، على كتب التفسير والحديث النبوي، والكتب الفقهية المبسطة.

اجمع العلماء على ان المقلد ليس معدودا من اهل العلم، وان العلم معرفة الحق بدليله والتقليد هو اخذ العلم من غير معرفة دليله.

وهناك فرق بين الاتباع والتقليد، لان الاتباع هو ان تتبع القائل على مابان لك من فضائل قوله وصحة مذهبه، والتقليد ان تقول بقوله، وانت لا تعرفه (24).

يقول ابن خويز منداد الفقيه المالكي (25) : التقليد معناه في الشرع، الرجوع الى قول لاحجة لقائله عليه، وذلك

(22) انظر كتاب «الفكر الاسامي» للفقيه الحجوي ج. 4 ص : 126 و 224

(23) انظر «الاستقصا» ج 8 ص 67 ط دار الكتاب.

(24) انظر كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البرج. 2 ص : 45 و 195 ولنظر معه الفكر السامي للحجوي ج.4ص : 232 — 333، وقد اطال ابن عبد البر في هذا الموضوع

(25) انظر جامع بيان العلم وفضله ج 2 ص 143

ممنوع في الشريعة، والاتباع ما ثبت عليه حجة، والاتباع مسوغ، والتقليد ممنوع.

****

لم نبق مقلدين لكتب المختصرات الفقهية، وفي مقدمتها مختصر الشيخ خليل وشروحه، الذي يقول عنه الفقيه الناصر اللقاني ت سنة 896 هـ (26) : نحن امة خليلية، ان اصاب خليل اصبنا وان ضل ضللنا معه، وانما صرنا نقلد القوانين الاجنبية ونعمل بها في جل معاملاتنا، التي ما انزل الله بها من سلطان، وهذا كله راجع للتقليد الممقوت، وذلك ان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب في سائر احواله، على حد تعبير ابن خلدون (27).

اذا التقليد هو السبب في حركتنا العلمية التقدمية، والنهضة الحديثة الفقهية الى دعا اليها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والرجوع بها الى هذا الوراء الفقهي القانوني الوضعي، الذي نعيشه اليوم، والذي لا اساس له من التشريع الاسلامي في شيء.

اما آن لنا ان نتحرر من وطأة القوانين الاجنبية، وما يتلوها من التصورات الفكرية والعقائدية، التي بقيت من مخلفات الاستعمار الغاشم، وما ابتدعناه في ديننا ودنيانا من العوائد الضالة، التي هيمنت علينا، وان نرجع الى كتاب الله العزيز، والى سنة رسوله عليه السلام، الذي لا ينطق عن الهوى أن هو الا وحي يوحى» (28) والى اقوال سلفنا الصالح، واقوال ائمتنا المجتهدين الكبار، والى امهات كتبنا الفقهية، وغيرها من الكتب المفيدة.

فبالعدوة الى هاته الاشياء، نحقق ما نصبو اليه من عز وازدهار وتقدم في كل الميادين.

ان تجديد الفقه ممكن وبكل يسر، اذا كانت النية صادقة، والعزم قويا، فلنترك عنا اولا قوانين الشرق والغرب، التي لا توافقنا، ولننزل من برامجنا الدراسية، الكتب الفقهية المختصرة

(26) انظر : الفكر السامي ج.4ص : 79

(27) انظر المقدمة ص 147 ط التجارية

(28) سورة النجم، آية 4

المحذوفة الادلة، ولنعوضها بكتب الحديث الصحيحة، بما فيها موطأ الامام مالك، وكتاب الام للشافعي، والمشكاة للخطيب التبريزي، وما هو على شاكلتها، وكتب التفاسير المفيدة واحكام ابن العربي المعافري، واحكام الجصاص، والتمهيد للحافظ ابن عب البر (29)، وكتب امهات الفقه المبسطة.

ففي هذا كله الكفاية، ويكفي معنا العالم باسره، وهذا بشهادة علماء الغرب انفسهم اصحاب القانون.

وارى ان يزاد للمتخصصين في دراسة الفقه الاسلامي، كتب القوانين الغربية من اجل المقارنة، ومن اجل التعرف على ما عند الغير، لنقارن الحجة بالحجة، ولنعرف الفروق الجوهرية بين فقهنا وقانون غيرنا.

فبهذا نستدرك ما فاتنا في هاته الاحقاب، ونجدد عهد سلفنا الصالح، وعصرنا المغربي المسلم الزاهر، قال الفقيه المصلح ابن عبد السلام (30) ومواد الاجتهاد في زماننا ايسر منه في زمن المتقدمين، لو اراد الله الهداية.

واما الحديث النبوي فهو اليوم سهل، لانه قد فرغ من تميز صحيحه من سقيمه، فاذا نزلت مسألة بالفقيه، فيكفي ان يجمع من المصنفات الحديثية، والاحكام الكبرى، لعبد الحق الاشبيلي الازدي، ت سنة 582 هـ (31) وينظر ما فيها، ويكفيه تصحيح مؤلفه، ولا يلزمه نظرتان في سنده، ولا يكون مقلدا في ذلك، ويكتفي في موقف الاجماع، بالنظر فكتب الاجماع الموضوعة فيه اجماع ابن القطان، المحدث المغربي الفاسي ت سنة 628هـ (32).

اذا احضر الفقيه هذه المصنفات الحديثية، للنظر في النازلة، فانه يجتمع لديه من الاحداث فيها مالا يكاد يحضر مالكا (33)

اما في عصرنا الحالي، القرن الخامس عشر الهجري (1404

(29) وكتاب التمهيد، طبعت منه الى الآن وزارة الاوقاف المغربية 14 جزءا نتمنى ان يتم في اقرب وقت بحول الله
(30) انظر الفكر السامي ج.4ص : 254
(31) انظر عنه كتاب النهضة الحديثية لصاحب البحث ج 2 ص : 70 ط وزارة الاوقاف
(32) نفس المصدر، والجزء ص 93 وما بعدها
(33) ورد هذا الكلام للفقيه ابن عرفة التونسي ت 803هـ انظر الفكر السامي ج 4 ص 255

هـ 1984م) فمواد الاجتهاد فيه ايسر بكثير من العصور السالفة، لامن زمن ابن عبد السلام، ولا من زمن الفقيه ابن عرفة، لوجود الطباعة الحديثة فيه، التي سهلت على الناس كل شيء، ولوجود وسائل الاعلام المتعددة ووسائل النقل السريعة، التي قربت كل بعيد ، وربطت العالم بعضه ببعض، في حين عثر على عدة مؤلفات تفسيرية وحديثية واصولية وفقهية وغيرها، كانت في حكم العدم، ومنها وقد طبع اليوم.

كل هاته الاشياء، انارت وستنير الطريق للعالم المجد والباحث المثابر، فلم يبق الا الكد والاجتهاد، والسير الى الامام في الميدان العلمي والفكري.

فعجائب القرآن والحديث النبوي لا تنقضي الى يوم القيامة، كل فرد لابد ان يأخذ منها فوائد خصه الله بها، لتكون بركة هذه الامة الى قيام الساعة (34).

قال عليه السلام : «امتي كالمطر، لا يدري اوله خير او اخره».

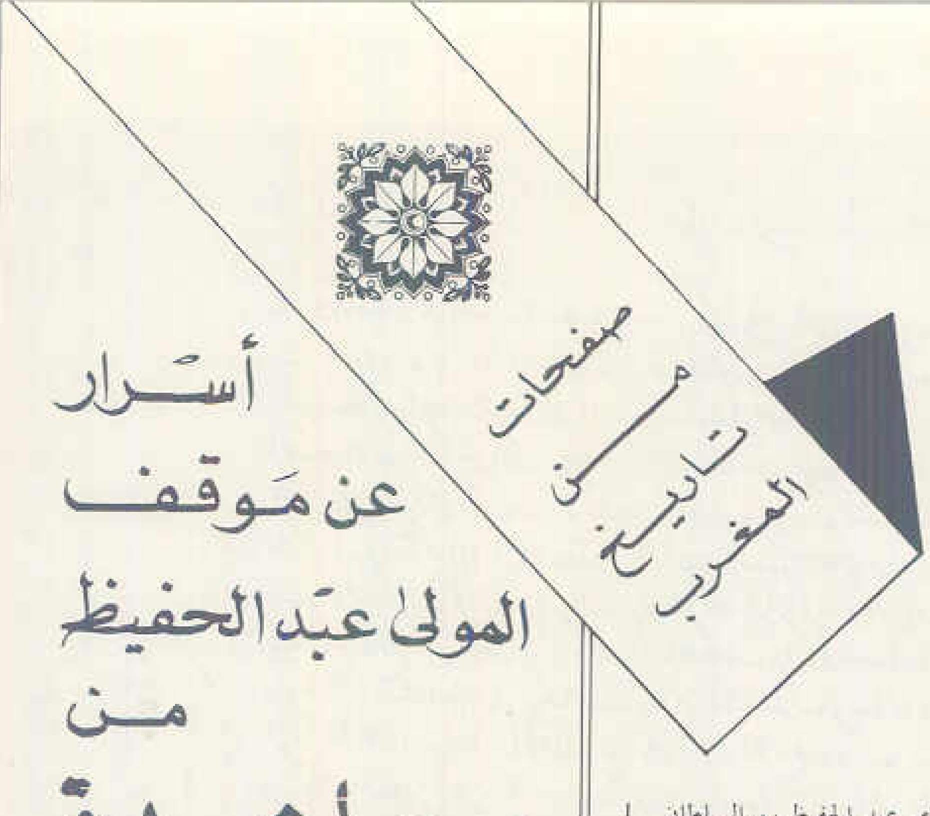
يقول الشيخ ابو مدين شعيب الانصاري ت سنة 594 هـ : للقرآن نزول وتنزيل، فاما النزول فقد مضى، واما التنزيل فباقي الى يوم القيامة.

واملنا قوي على كلياتنا الفتية، وفي مقدمتها دار الحديث الحسنية لتحقيق هذا الغرض المنشود، وعلى علمائنا واساتذتنا العاملين، وطلابنا الاكفاء لان يبذلوا ما في وسعهم، لاسترجاع اصالتنا الفكرية والحضارية، وان يعملوا على احياء تراثنا الخالد، والعمل بالشريعة الاسلامية السمحاء.

وبهذا العمل سنحقق بحول الله دعوة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، وباقي قادتنا وعلمائنا المصلحين، رضوان الله عليهم اجمعين، لا يصلح اخر هذه الامة بما صلح به اولها (35) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (36).

تطوان : عبد الهادي الحسيسن

(34) قال هذا القول ابو عبد الله ابن الحاج، انظر الفكر السامي ج 4 ص 269
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها امر دينها، رواه ابو داود في سننه والحاكم في مستدركه، عن ابي هريرة، وذكر السيوطي في الجامع الصغير ج1ص : 378
(35) قال هذا الكلام الامام مالك
(36) سورة التوبة آية 105



أسرار عن موقف المولى عبد الحفيظ من معاهدة فاس

للأستاذ محمد العربي الشاوش

اقترن اسم السلطان المرحوم مولاي عبد الحفيظ بن السلطان المقدس مولاي الحسن الاول بمعاهدة فاس بتاريخ 30 مارس سنة 1912 المعروفة بمعاهدة الحماية الفرنسية للمغرب وتدلنا الوثائق التاريخية والتصريحات الحفيظية على ان السلطان ذهب ضحية المؤامرة الاستعمارية ضد المغرب، وانه وقع المعاهدة المذكورة تحت الضغط العسكري والاكراه الديبلوماسي من الجانب الفرنسي. خلافا لما اشاعة الحكم الفرنسي من أن السلطان طلب من فرنسا بسط حمايتها على المغرب لتبرير موقف الحكومة الفرنسية من المغرب، في حين ان العلاقات المغربية الفرنسية كان قائمة على التحفظ تارة والتوتر تارة اخرى بسبب احتلال فرنسا للجزائر منذ سنة 1830 ومؤازرة المغرب للمقاومة الجزائرية ضد الاحتلال. وقبل مناقشة الموقف الحفيظي من قضية الحماية «يحض بنا أن نقدم نبذة عن حياة السلطان المذكور. كان الأمير مولاي عبد الحفيظي خليفة لاخيه المقدس السلطان مولاي عبد العزيز على اقليم مراكش قبل نشوب ثورة عارمة بسبب التدخل الاجنبي في المغرب بعد معاهدة الجزيرة الخضراء عام 1906 كانت نتيجتها مبايعة ممثلي الرأي العام المغربي (اهل الحل والعقد) للسلطان الجديد مولاي عبد الحفيظ عام 1908 وتنازل مولاي عبد العزيز لاخيه حقنا للدماء، ومبادرة منه في العمل على حفظ الاستقرار الداخلي لمواجهة الخطر الاجنبي الذي صار يستفحل يوما بعد يوم .

□*□

وقد بويع مولاي عبد الحفيظ بيعة مشروطة بابعاد الخطر الاجنبي عن الغرب، واسترجاع ما اغتصبه الاجنبي من حدوده، مع تطهير الادارة المغربية واحداث مجلس شوري يمثل الامة. والعمل على الغاء شروط مؤتمر الجزيرة الخضراء التي اعطت للاجانب حق التدخل في شؤون المغرب. وان كان ولابد من اتحاد او تعاون فليكن مع الخلافة العثمانية الاسلامية ومع الدول الاسلامية المستقلة (عبد الرحمن ابن زيدان : اتحاف اعلام الناس. ج1. ص 449 ط 1347-1929) لكن الظروف المتأزمة التي جلس فيها على العرش لم تساعده على انجاز ما تعهد به. وانفجرت الثورة الشعبية من جديد ضد الوضعية المتدهورة في البلاد، خاصة بعد الاتفاق الفرنسي الالماني عام 1911 الذي تخلت بموجبه المانيا عن معارضة فرنسا في التدخل في شؤون المغرب .

رسالة تاريخية للمولى عبد الحفيظ بخطه وإمضائه تفضح معاملة رجال الحماية الفرنسية له رحمه الله

وعلى اثر هذا الاتفاق الخطير، بادر السلطان بتقديم مذكرة بالغة الاهمية الى وزارة الخارجية الفرنسية جاء فيها ما نصه : «ان شرف الامبراطورية (المغربية) واعتبارها، واحترام تقاليدها، يلزم ان يبقى كما كان في الماضي كاملا غير منقوص، بحيث لايمس بحال من الاحوال. والحكومة الفرنسية لاتجهل ان السلطة الحاكمة لم تزل موضوعة بين ايدي العائلة العلوية منذ اربعة قرون، فلابد من ان تحفظ لها هذه الحرمة. واستلفت نظر الحكومة الفرنسية الى الحقيقة الواقعة، وهي ان المغرب منذ الفتح الاسلامي لم ينضم الى اية دولة اجنبية كمستعمرة من المستعمرات. وانه منذ ثلاثة عشر قرنا لم ينقطع عن التمتع باستقلاله التام. ولهذا السبب نفسه لايمكن ان تعتبر الامبراطورية الشريفة في المستقبل ارضا مستعمرة» (محمد داود : مجلة السلام عدد 4 شهر يناير 1934) ولعل هذا النص يوحي بما شعر به مولاي عبد الحفيظ من سوء نية فرانسا نحو المغرب وانه وضعها امام مسؤولياتها المستقبلية .

□*□

نعم كان السلطان قد فتح محادثات مع الحكومة الفرنسية لدراسة الوضعية المغربية، وحيث كان المغرب يحتاج الى تنظيم عسكري عصري لاقرار الامن الوطني وخاصة في مدينة فاس عاصمة المملكة التي كانت مقرا للبعثات الديبلوماسية الاجنبية، فقد اعربت فرانسا عن استعدادها لتقديم مساعدتها للسلطان في هذا المجال. ولم يعارض عبد الحفيظ هذا الاقتراح بعد تعهد فرانسا بالمحافظة على استقلال البلاد واحترام نفوذ السلطان. فجاءت فرقة من الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال موانيي الى فاس، قادمة من الدار البيضاء التي سبق للجيش الفرنسي ان نزل فيها عن طريق البحر عام 1907 بحجة حماية الرعايا الاوربيين والقنصليات الاجنبية وفي المقدمة القنصلية الفرنسية. وتطبيقا للسياسة التعاون الفرنسي الاسباني في قضية المغرب فان بارجة حربية اسبانية جاءت من الجزر الخالدات (كناريا‌س) وانجدت الفرقة الفرنسية بفرقة عسكرية اسبانية زيادة على تحطيم المدينة بقنابلها. وتقرر عدم جلاء القوات الفرنسية الاسبانية عن الدار البيضاء الا بعد تكوين جيش مغربي منظم قادر على اقرار الامن وحماية المصالح الاجنبية .

وقد اغتنمت الديبلوماسية الفرنسية وجود الجيش الفرنسي في فاس في اطار التعاون العسكري المغربي الفرنسي فاشاعت بان السلطان طلب من فرانسا بسط حمايتها على المغرب. فبادر عبد الحفيظ بتكذيب الاشاعة على لسان وزير خارجيته الحاج محمد المقري، ونشرت وكالة الاخبار الفرنسية (هافاس) تصريح الوزير المغربي بانه «يكذب تكذيبا قاطعا الاشاعة القائلة بان السلطان عبد الحفيظ طلب من فرانسا بسط حمايتها على المغرب، وان جلالته مغتبط بالمعونة التي قدمتها فرانسا اليه. لكنه يعلن في نفس الوقت عن استمرار العلاقات المغربية الفرنسية على اساس معاهدة الجزيرة الخضراء، (السلام عدد 4 يناير 1934) ومعلوم ان معاهدة الجزيرة تعترف للمغرب باستقلاله وسيادته ووحدة ترابه .

□*□

لكن الديبلوماسية الفرنسية استغلت ظروف تحول قيادة الجيش الفرنسي في فاس من وضعية التعاون العسكري الى وضعية الارهاب ومحاصرة السلطان. فاوفدت السفير (يوجين رينو) لمحاولة اقناع السلطان بفكرة معاهدة الحماية في محادثات طويلة كان يقوم بدور الترجمة فيها قدور بن غبريط الذي كان يحظى بثقة السلطان. غير ان جلالته لم يقتنع بنظرية الحماية وعارض بشدة، بل هدد بالاستقالة امام اصرار السفير الفرنسي على اقناعه بوجهة النظر الفرنسية. وامام هذا الموقف ندرك قسوة الاكراه الذي مارسته الديبلوماسية الفرنسية على مولاي عبد الحفيظ معززة بالقوة العسكرية المرابطة في فاس .

كان السفير رينو يقدر ان استقالة السلطان احباط لمهمته الاستعمارية، ولذلك مارس كل الضغوط لبقائه في الحكم مع مواصلة المحادثات في موضوع الحماية. ودامت جلسة يوم 29 مارس 1912 ست ساعات (من 6 مساء الى 12 ليلا) بالقصر الملكي بفاس. وفي صباح 30 مارس تم توقيع معاهدة الحماية في ظروف غامضة وفي جو يشعر بالاكراه والابتزاز. وقد اعرب عن ذلك الكاتب الفرنسي (روبير رينار) فيما نقله عنه الكاتب الانجليزي (روم لاندو) في كتابه (تاريخ المغرب في القرن العشرين ــ ط 2) قال : «ان السيدرينو قاد هذه المفاوضات المضنية باللجوء الى الوعد مرة والى الوعيد اخرى، وبفضل اسلوبه هذا انتهت المفاوضات التي طال امدها بالنجاح وتوجت بتوقيع المعاهدة» (ص 108)

□*□

وما ان علم الشعب بالخبر المشؤوم حتى انتفض انتفاضة عارمة وخاصة في فاس اثناء شهر ابريل عامه. فقوبل من طرف الجيش الفرنسي بمنتهى الوحشية والقمع والارهاب. واحتج السلطان على ذلك في مناقشات طويلة مع (الجنرال ليوطي) اول

مقيم عام فرنسي بالمغرب الذي ادرك ان السلطان غير مستعد للتعاون معه على تطبيق المعاهدة، مما جعله يهيء الظروف لقبول استقالة مولاي عبد الحفيظ الذي لم تطاوعه نفسه على التعاون مع النظام الجديد. فغادر السلطان مدينة فاس يوم 6 يوليوز متوجها الى الرباط تمهيدا لتنازله الاختياري عن العرش لاخيه الامير مولاي يوسف بن الحسن الاول يوم 12 غشت 1912 وهو اليوم الذي بويع فيه جلالة السلطان مولاي يوسف رحمه الله بيعة شرعية في مدينة الرباط التي صارت عاصمة ادارية للمملكة المغربية بدلا من مدينة فاس التي احتفظت بشهرتها كعاصمة علمية.

□*□

وانتقل مولاي عبد الحفيظ الى مدينة طنجة ثم الى فرنسا، وادى فريضة الحج سنة 1913، ولما اعلنت الحرب العالمية الاولى استقر في اسبانيا الى سنة 1925 ولم تسمح له فرنسا بالعودة الى طنجة، فاقام في فرنسا الى وفاته رحمه الله سنة 1937 فنقل جثمانه في باخرة (جنة) الى الدار البيضاء ومنها الى فاس في قطار حديدي خاص، حيث اقيمت له جنازة رسمية رهيبة حضرها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس، ودفن بضريح جده مولاي عبد الله بن اسماعيل بفاس.

□*□

وقد استنتجنا من سلوكه الرصين ومواقفه الجريئة انه اكره على امضاء معاهدة الحماية اكراها، ولم يبق له اختيار امام الحصار والاكراه الا الامضاء. وعلينا ان نتفهم المعنى الشرعي للاكراه، يقول القاضي ابن العربي : «المكره هو الذي لم يخل بينه وبين ارادته، ويكون الاكراه بالقول او بالفعل او بالتهديد. والمكره معذور في الدنيا، مغفور له في الآخرة» (احكام القرآن ج 3 ص 1177 بتحقيق علي محمد البجاوي) وفي الحديث الشريف : « ان الله تجاوزلي عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (رواه ابن ماجة عن ابي ذر الغفاري. والطبراني والحاكم عن ابن عباس، والطبراني ايضا عن ثوبان الهاشمي. واخرجه ابن حجر في بلوغ المرام. والسيوطي في الجامع الصغير وقال صحيح) ولا حجة لمن وسمه بضعف الارادة، وقد كان متصفا بالحزم والنباهة وتوقد الذهن، ولكن لا حيلة له ولا لغيره امام المد الاستعماري في اوائل القرن العشرين.

□*□

وقد امعنت الحكومة الفرنسية في مضايقة واضطهاد مولاي عبد الحفيظ بعد تنازله عن الحكم انتقاما منه فيما سلف من مواقفه الجريئة في معاضرة نظام الحماية المفروض، ومحاولة اقناع الساسة الفرنسيين بالعدول عن فكرة الحماية الى معاهدة تعاون بين الدولتين المغربية والفرنسية في اطار استقلال المغرب وسيادته، وذلك هو الذنب في نظر فرنسا التي آخذته به بعد تمكنها من بسط نفوذها على البلاد، فكان موقفها المتوتر نحوه عقابا سياسيا مارسته باساليب توحي بالكراهية والحقد نترك وصفها للامير في رسالة شخصية بخطه الى صديقه بتطوان المرحوم احمد الرهوني وزير العدل بتطوان سابقا. وفيما يلي نص الرسالة التاريخية:

«الحمد لله وحدة صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه « محبنا الاعز الارضي الفقيه العلامة الاحضى وزير العدلية بالثغر التطواني السيد احمدالرهوني، سلام عليكم ورحمة الله.

«وبعد فقد تعين اعلامك بان موجب مفارقتنا ثغر طنجة عندما ظهرت الحرب الاربابوية(1) القساوة التي عوملت بها، والاهانات التي تجرعت غصصها، ولم ازل مدة الانتقال من ذلك الثغر أتجرع الم الهجرة، لان شأنها عظيم، وانتظر انفراج الازمة بانتهاء الحرب الاورباوية، ولما انتهت وخلصت قابت من قوب، وظن كل مبتل ان الفرج مرقوب، بادرنا بالكتب لرجال الدولة الجمهورية (2) اسأهم السلم والصفح عن الذنب الذي ما اقترفناه، بتركهم سبيل اهلنا يمكن لنا نقلهم للشام او مصر لقربهما من الحرمين الشريفين، والتخلي عن اموالنا وحقوقنا، فلم يفتح الله بشيء. فجددنا الطلب مرارا فاجبنا شفاهيا لا كتابة بقبول العفو على شرط سكناي باريز، فاجبناهم باستحالته شرعا، ومنافاته لقصدنا الاول من التخلية عن الملك، لا نالم نحد عنه الا للتمتع بكمال الحرية، فلم يلق جوابنا آذانا مصغية. فطلبنا منهم رفع المسالة للشرع، فرفض قبول حكم الرفع. ومن ذلك تبين لي انني انفخ في غير ضرم، وإن سعيي لا ياتي الا بما هو اطم.

«ثم وجهنا على ابنائنا بقصد صلة الرحم معهم، فاجبنا بالمنع، فظهر من ذلك انهم اسارى وان كانو في غير حرب، وبموجبه قطعت المسنونة التي اوجهها لكم حتى يتبين هل هم اهلي ام لا. ونفدت لهم من الدراهم التي استحقها بكوني من العائلة الملوكية وبالمواجب الشرعية النصف ليكن لهم معه المعيشة.

---

(1) الحرب العالمية الاولى 1914 ــ 1918

(2) يقصد الجمهورية الفرنسية

«واشهدكم وليبلغ الشاهد الغائب، لان الله جعلكم «امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا» (3) انني ما اتيت بجريمة شرعية توجب استحلال مالي، ومفارقة اهلي، وتركي عرضة للضياع، لاني اقر لله بالوحدانية، ولرسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة وكمال التبليغ، وفي الحديث «فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها» (4) واني احفظ حق القيام بالطلب فيما اخذ مني قبل وبعد، لان سيادتكم كانت تسمع في التصريح بعدم القبول عند الا شهاد على البيع وابرأ من كل دعوى تجعل سلما لمنعي ما ذكر.

«وسأكتب لسائر المسلمين بالانحاء بشرح هذه القضية، والقصد بيانها لا النكاية اوحب الانتقام، لا أنا اهل البيت وكل بنا البلاء، كما علمتم. لان الجامعة الاسلامية والاخوة الدينية تلزمني بالتصريح دون التلويح، وتبيح لي اظهار ما كان السبب في مفارقتي الاهل من غير ذنب يبيح. واعلمناكم لئلا يبلغكم الخبر على غير وجهه ممن لهم الغرض في تحريف الكلم عن مواضعه وعليكم السلام ورحمة الله. في 27 ذو الحجة 1338 — عبد الحفيظ».

تلك هي الرسالة الحفيظية التاريخية البليغة، الغنية عن كل تعليق او تعقيب. وللمتأمل فيها ان يرى كيف عامل الاستعمار الفرنسي شخصية سياسية سامية المقام بمنتهى الغلظة والفظاظة وعدم احترام شخصيته وحقوقه الانسانية، بعد فرض معاهدة الحماية بطريقة تعسفية جبرية. فالمعاهدة كانت مفروضة فرضا كما قال المحامي الفرنسي الكاتب (بول بوتان) في كتابه (مأساة المغرب) قال : «لقد فرضنا المعاهدة على السلطان فرضا» واكد كذلك روم لاندو في كتابه (تاريخ المغرب) فقال : «ان المعاهدة التي جعلت من المغرب حماية انما فرضت على السلطان» (ص 97) واذن فلو كان السلطان قد رضي بالحماية وركن الى فرنسا واطمأنان اليها لنال منها خيرا كثيرا خاصة بعد انسحابه من الحكم.

□*□

والجدير بالذكر ان المولى عبد الحفيظ كان على جانب كبير من الثقافة. وبالرغم من انهيار الاوضاع السياسية فانه ساهم في تنشيط الحركة العلمية وحركة التاليف والنشر خاصة. وفي هذا المجال طبع مؤلفاته الخاصة وهي:

- نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح
- كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع
- العذب السلسبيل في حل الفاظ الشيخ خليل
- منظومة في مصطلح الحديث
- منظومة في الاصول : الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع
- منظومة في القضاء : ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والاحكام.

كما امر بطبع مؤلفات هامة تعتبر من امهات مصادر الثقافة الاسلامية نذكرها فيما يلي:

- شرح الحطاب على مختصر خليل، وبهامشه شرح المواق.
- احكام القرآن للقاضي ابن العربي
- الاصابة لابن حجر، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر
- شرح الابي على صحيح مسلم
- المنتقى في شرح موطا مالك لابي الوليد الباجي
- بداية المجتهد لابن رشد الحفيد
- مشارق الانوار للقاضي عياض
- الروض الانف في السيرة النبوية للسهيلي

والملاحظ ان اغلبية المؤلفين المذكورين من المغاربة والاندلسيين. والملاحظ ايضا ان المولى عبد الحفيظ استعمل في رسالته السابقة الذكر عبارة «الجامعة الاسلامية» وهو تعبير لم يسبقه اليه في عصره احد فيما نعلم ألا ما كان من دعوة جمال الدين الافغاني الى فكرة الجامعة الاسلامية في اواخر القرن التاسع عشر، وما كان من الجملة الواردة في وثيقة البيعة الحفيظية ونصها : «واذا دعت الضرورة الى اتحاد او تعاضد، فليكن مع اخواننا المسلمين كما قال عثمان (اي الخلافة العثمانية) وامثالهم من بقية الممالك الاسلامية المستقلة» وهي صيغة تشعر بايمان الشعب المغربي مبكرا بنظرية الجامعة الاسلامية.

تطوان : محمد العربي الشاوش.

---

(3) الآية 143 سورة البقرة

(4) حديث متواتر رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة مرفوعا نصه « امرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله، فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها، وحسابهم على الله».

النشاط العمراني للدولة المغربية

في وقف وتشييد القناطر والجسور

للأستاذ محمد بلعبد الله

... ومما اهتم به المسلمون، وطمح إليه الفاتحون، قديما وحديثا، لتعمير الأقطار، وترقية الديار، في بناء الحضارة الإنسانية عن طريق الوقف، وحفلوا به أيما احتفال، خلال حياتهم المدنية، ومسيرتهم الحضارية، وأولوه العناية البالغة، اهتمام المخلصين المحسنين من أبناء ملتهم، وعناية الخيرين، ذوي النجدة والأريحية منهم لبناء القناطر (1) والمجازات، والمعابر النهرية، وتعبيد الطرق، وترصيف السبل، وتيسير السير والمرور، ووضع المعالم والصُّوَى (2)، للاهتداء والتوجيه من أموال الوقف التي تخصص، عادة، لمقاصد هذه الوجوه كي تبقى حسنة موقوفة باقية إلى يوم التناد...

ولقد كان العرب في عهودها الأولى أمة ركوب، لا تميل إلى تمهيد طرق الجيوش، ولا إلى اتخاذ المركبات، ولم يعمل العرب أيام سيادتهم على تقدم نظام الطرق البرية في بلاد الشرق...

ولعل طرق ذلك العهد، لم تكن إلا شبكة من المسالك المطروقة لايربطها نظام، ولا نسمع عن عناية العرب بتعهد الطرق إلا قليلا (3).

---

1) القنطرة : معروفة الجسر، قال الأزهري هو أزج يُبْنَى بالآجر، أو بالحجارة على الماء يعبر عليه (لسان العرب، للعلامة ابن منظور، مج : 13 ص : 172) تقول العرب : قنطرت الشيء : إذا أحكمته، ومنه سميت القنطرة، لاحكامها، وقد شبه طرفة ابن العبد البكري، الناقة في تراصف عظامها، وتداخل أعضائها، بقنطرة تبنى لرجل رومي، قد حلف صاحبها ليحاطن بها حتى ترفع أو تجصص بالقرمد والصاروج أو بالآجر، فقال :

كقنطرة الرُّومي، أقسم ربُّهــــــا
لَتُكْتَنَفَنْ، حتى تشـــــاد بقرمـــــد

أي كقنطرة الرجل الرومي وقد عرف السومريون بناء الجسور والقناطر منذ 3.200.ق.م، وهناك أدلة على وجود جسر على النيل عام 2650.ق.م، وأقدم جسر في العالم لا يزال باقيا، ويعود تاريخه إلى سنة 750 ق.م، هو فوق نهر «ميليز» في أزمير بتركيا.

2) ذكر البكري شيئا يشبه ذلك في الطريق الذي بين نقراوة، وقسطيلية، فقد أقيمت بينهما خشب يهتدي المسافرون بها لكيلا يضلوا في الأرض السّواخة التي بين هذين البلدين (المغرب، للبكري، ص : 84) ورأى ناصر خسرو، على مقربة من بحيرة : «وان» بارمينية طريقا على امتداده عمد مقامة على الأرض ليسير المسافرون أيام المطر والضباب (رحلة ناصر خسرو، ص : 9، من الأصل الفارسي، عن «آدم ميتز، ص :2/406) وقد حكى الصولي عن رجل يعرف بالخلنجي كان يحمل الخريطة من مكة إلى بغداد، ويسبق بأخبار الحج (الأوراق، للصولي، مخطوط، باريس ص : 136).
وللعرب «علم الاهتداء بالبراري والقفار»، وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة من غير دلالة عليه دلالة ظاهرة، بل خفية، لا يعرفها إلا من تدرب فيه، كالاستدلال برائحة التراب، ومسامتة الكواكب، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة، ولكل كوكب سمت يهتدى به، كما قال الله تعالى : ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ ونفع هذا العلم عظيم بين، وقيل : قد يكون بعض من هو بليد في سائر العلوم ماهرا في هذا الفن، كما يمكن عكسه، وقد يحصل هذا النوع من التمييز في الإبل والفرس : وهذا ضرب من فرع القراسة (كشف الظنون ص : 1/203).

3) «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» لادم ميتز ص : 2/405.

فمن ذلك ما حكاه «ناصر خسرو» أحد العلماء الذين وفدوا على مصر من الشرق، وعاش بها فترة تلقى العلم بالجامع الأزهر، وفي بيت الحكمة ـ من أنه كان بمصر جسر من التراب بحذاء النيل، من أول الولاية إلى آخرها، وأن السلطان كان يرسل في كل سنة عشرة آلاف دينار إلى عامل مُعتمد ليجدد عمارته.. (4).

وكذلك أنشأ جنكيزخان كثيرا من الطرق الواسعة في البلاد الجبلية بآسيا الوسطى، وكان أحد هذه الطرق يخترق مضايق جبال «تيان شان» جنوبي بحيرة صيرم، وقد أقيم فيه أربعون قنطرة من الخشب تتسع كل منها لعربتين تسيران متحاذيتين.. (5).

وكان على نهر دجلة في أيام الساسانيين قناطر ثابتة، فيحدثنا ابن حوقل في القرن الرابع الهجري أنه رأى آثار قنطرة من الآجر قرب «تكريت (6)»، ولا تزال بقايا قنطرة جميلة من هذا الطراز باقية بالجيزة؛ فلما جاء القرن الرابع الهجري كانت هذه القناطر كلها قد أصبحت أطلالاً، واستبدل بها جسور من السفن، بعض أجزائها متحرك، كما هو الحال في بغداد وواسط (7).

فبناء القناطر، وتشييد الجسور، بالإضافة إلى أنه كان سببا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والمالية، وتقريب المسافات البعيدة، كان قربة يتقرب بها إلى الله، وفضيلة باقية ينعم بها الواقف لينال الثواب الجزيل، والأجر الأوفى.

وقد روى شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدي (ت : 461 هـ ببخارى) في كتابه (8) ما يلي : «... والثاني عشر : أن يتخذ الرجل قنطرة على نهر، بإذن الإمام أوفى ملك نفسه، ويأذن في المرور عليها، فهو جائز، أي وقف، فهو كمن بنى مسجدا، أو جعل أرضه مقبرة للمسلمين، أو جعل داره رباط ثغر من الثغور ينزل فيه الغزاة والمجاهدون ويسكنونها».

وقد تحدث الحسن بن علي الإمام الزيدي المعروف باسم محمد الأطرشي)9) في كتابه (10)، عن المحافظة على

---

4) «رحلة ناصر خسرو» ص : 54/ من النص الفارسي، وكتاب «رحلة ناصر خسرو» القبادياني ألفه باللغة الفارسية عن رحلته إلى الحج في القرن الخامس الهجري وزار مصر أثناء هذه الرحلات. وقد ترجم هذه الرحلة إلى اللغة العربية الدكتور أحمد خالد البدلي الأستاذ بجامعة الرياض.

5) «رحلة تشان تشونج» (TSHAN TSHUNG) عام : 1221 عن آدم ميتز ص : 2/408.
أطول امتداد لجسر بين نقطتي ارتكاز اليوم هو «لجسر كوبك» فوق نهر «لورنس» في كندا إذ يمتد 64، 548 مترا بين ركيزتيه، وطوله الاجمالي 987,247 مترا وعليه طريق لسكة الحديد، وطريقان للسيارات، بدأ العمل فيه عام 1899، وافتتح في 1917/10/3 وكلف : 22.500.000 دولار، ومات أثناء العمل فيه 87 شخصا.
كما أن أطول جسرين في العالم لعبور القطارات يوجدان في ولاية «لويزيانا» الأمريكية (7009، أمتار)... وفوق نهر «يانجتي» في مدينة «نانكين» بالصين (6772 مترا).

6) ابن حوقل، ص : 49. ولما بنى المنصور بغداد، جعل لها ثلاثة جسور ثم زيد جسران، ثم تخربت وبقيت على جسرين اثنين، وكانت الجسور قائمة على سفن طافية على وجه الماء، لم تكن هذه الدعائم الراسخة في الأرض، ولم تكن هذه الجسور الثابتة العريضة... ففي كتاب : «الفرج بعد الشدة» للقاضي التنوخي، في قصة إبراهيم بن المهدي لما اختفى وتوارى من المامون خوفا من أن تنزل به العقوبة، لحقه جندي كان يعرفه من الأيام القليلة التي ادعى فيها الخلافة، فدفعه، فوقع في بعض سفن الجسر.

7) آدم ميتز ص : 2/408... قال الوليد : قال لي شعبة : «أرأيت جسر بغداد ؟ قلت : لا، قال : فإنك لم تر الدنيا... وقد عقب الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي في مذكراته الأنيقة على مقولة الوليد هذه بقوله : «أما أنا فرأيت جسر بغداد، ورأيت الدنيا، لا أقول : إنه أعظم من جسر إسماعيل أو الزمالك في مصر، ولا هو أجل وأضخم من الجسور التي عرفتها في البلاد التي رأيتها، ولكن لجسر بغداد سرا آخر يعرف كل من نظر في كتب الأدب والتاريخ، هذا الذي جازه القواد الفاتحون والفقهاء والمحدثون والشعراء والماجنون... هذا الذي وقف عليه الرشيد والمامون، وأبو حنيفة والشافعي، والفضل بن دينار، ومطيع وأبو نواس، وعبد الله بن طاهر، ويزيد بن مريد... وشهد جسر بغداد جلال الخلافة، وعظمة العلم، وروعة الزهد. وضحك المجون وقوة الجيش، وجرى من فوقه نهر التاريخ، كما يجري من تحته نهر دجلة... وتداعت على جوانبه القرون... هذا الذي كان سرة الدنيا... هذا جسر بغداد (جريدة الشرق الأوسط. الخميس 1983/12/1، ع : 1829).

8) «النتف، في الفتاوي» ص : 1/526، حققها، وقدم لها، وترجم لمصنفها ورجالها وخرج أحاديثها، وعلق عليها الدكتور صلاح الدين الناهي...

9) توفي بآمل في طبرستان عام 304 ـ 917 هـ.

10) «الاحتساب» المعروف لمولانا الناطق بالحق، الناصر للحق، المنسوب إلى الزيديين الشيعة، والذي يعد من أقدم النصوص التي تتحدث عن الحسبة في الإسلام، ولا يسبقه من النصوص المعروفة حول ذات الموضوع إلا كتاب : «أحكام السوق» ليحيى بن عمر (ت : بسوسة عام 289 هـ 901م) وقد حققه حسن حسني عبد الوهاب، وراجعه فرحات الدشراوي ـ الشركة التونسية للتوزيع 1975، ولم يكن هذا الكتاب معروفا على الإطلاق قبل نشره عام 1959 بروما لأول مرة، وقد نشره وحققه : ر. سرجنت تحت عنوان : «نص زيدي في الحسبة من القرن الثالث الهجري...

القناطر والجسور من طرف المحتسب الذي كان يقوم مقام الناظر، فقال : «وعلى المحتسب أن يتعاهد القناطر والمساجد والطريق، فإن رأى فيها من هدم أو ضرر، فعليه أن يرفعه إلى القاضي، فإن كان لها وقف أنفق عليها منه، وإن لم يكن لها وقف رفع أمرها إلى الإمام، وإن كان من بيت المال سعة أنفق عليها منه، وإن لم يكن فعلى المسلمين يعين بعضهم بعضا».

وقد عني السمح بن مالك الخولاني، في عهد محمد بن عبد العزيز الأموي بتنظيم قرطبة، وتجميلها، وإعادة ترميم القنطرة الرومانية التي اعتبرت فيما بعد من عجائب الأندلس (11).

وقد وفق الله أبا سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الخركوشي الشافعي (ت 486 هـ) لوقف وبناء القناطر، وعمارة المساجد والحياض والدروب، وكسوة الفقراء العراة من الغرباء والبلدية، حتى بنى دارا للمرضى بعد أن خربت الدور القديمة بنيسابور، ووكل جماعة من أصحابه لتمريضهم، وحمل ما بهم إلى الأطباء، وشراء الأدوية (12).

وفي فتوح البلدان : أن عمر بن الخطاب كان يشترط على أهل الذمة إصلاح الجسور والطرق (13).

وقد ذكروا أن عبد العزيز بن مروان كانت له، وهو على مصر ألف جفنة، كل يوم تنصب حول داره، وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل على العجل (14)، وهذا يدل على نجر الطرق وترصيفها لتجري العجل (15)...

وبنى الشيخ أبو الغيث المعروف بالقشاش المغربي التونسي مالا يعد من القناطر المنيعة، والمدارس الرفيعة، ووقف على كل أثر منها أو قافا عظيمة (16).

وقد كانت على الأنهار قناطر قد تهدمت، وأهمل أمرها في عهد عضد الدولة (17) (ت 372 هـ 982م) الذي عمر القناطر ووقفها... فلم تكن تخلو من أن تجتاز عليها البهائم والنساء، والأطفال والضعفاء فيسقطون، فبنيت كلها جديدة وثيقة في عهده، وعملت عملا محكما، وكذلك جرى أمر الجسر ببغداد، فإنه كان لا يجتاز عليها إلا المخاطر بنفسه، لا سيما الراكب لشدة ضيقه وضعفه، وتزاحم الناس عليه، فاختيرت له السفن الكبار المتقنة، وعُرِّض حتى صار كالشوارع الفسيحة، وحصن بالدرابزينات، وأعيد كثير من قناطر أفواه الأنهار (18).

وكانت توجد معابر على الأنهار كالتي كانت عند الخابور فيما بين النهرين، حيث يشد الملاح، وهو على ظهر المركب، حبلا مثبتا على الشاطئ الآخر، حتى يصل إليه، غير أنه لا يعرف إلى أي تاريخ ترجع هذه الطريقة، وهي مستعملة إلى اليوم، في حوض نهر التاريم (19).

وكانت للجسور المعمولة من السفن في الجانب الشرقي من بغداد زنبريتان متحركتان يمكن رفعهما لتمكين السفن من المرور (20)...

وكان بخوزستان شرقي مدينة سوسة القديمة قنطرة «ديز فول» « DIZFUL » وطولها ثلاثمائة وعشرون خطوة، وعرضها خمس عشرة، وكانت تقوم على اثنتين وسبعين أسطوانة، ويسميها «ابن سرابيون» قنطرة الروم (21).

---

11) «تاريخ الأدب الجغرافي العربي» «لكراتشكو فسكي» ص : 1/60.
12) طبقات الشافعية. ص : 3/283.
13) التراتيب الإدارية. ص : 1/283.
14) «الخطط» للمقريزي. ص : 1/339.
15) التراتيب الإدارية. ص : 1/284.

16) «خلاصة الأثر» للمحبي. ص : 1/141.
17) «الحضارة الإسلامية» لآدم ميتز. ص : 1/83.
18) ابن مسكويه. ص : 119/، 1/17 لآدم ميتز.
19) «الحضارة الإسلامية». ص : 2/410.
20) ابن أبي أصيبعة. ص : 1/179.
21) Le Strange. P : 239 ..: وأن أكبر امتداد لجسر في العالم هو الامتداد الرئيسي لجسر : «هامبراستوري» في انجلترا، كلف بناؤه : 135 مليون دولار، وطوله : 1,410 كلم، واستغرق العمل فيه من 27 تموز 1972 إلى حزيران 1980 علو برجيه : 162,461 مترا... وعند إضافة امتداد : «هل»، «وبارتن» يصبح طول الجسر 2,2 كيلو مترا.

وكان بالأهواز قنطرة هندوان، وهي من الآجر، وعليها مسجد يشرف على النهر (22).. كما كان بالقسم الأعلى من نهر قارون قنطرة «إيذج» التي يقول ياقوت إنها من عجائب الدنيا المذكورة، لأنها مبنية بالصخر على وادٍ يابس بعيد القعر، وكانت تقوم على دعائم، ارتفاع كل منها مائة وخمسون ذراعا، تشدها قضبان من الحديد، وقد أنفق على إصلاحها في آخر القرن الرابع مائة وخمسون ألف دينار (23)... أما في المدن التي تقوم على الأنهار كبغداد والبصرة، فقد كان الانتقال بالقوارب، وقد أحصيت السُّميريات المعبرانيات بدجلة في أيام الخليفة الموفق (من عام 256 هـ 279 هـ) فكانت ثمانين ألفا، يقدر كسب ملاحيها في كل يوم بتسعين ألف درهم (24).

أما أعظم الجسور الخشبية، فربما كانت القنطرة التي على نهر «طاب» بين خوزستان وفارس، فقد كانت معلقة بين السماء والماء، وبينها وبين الماء عشرة أذرع (25)... وقد انفرد المطهر المقدسي، أحد علماء القرن الرابع الهجري بذكر «قنطرة خُتَن» في بلاد ما وراء النهر، وكانت معقودة من رأس جبل إلى جبل، وهو يقول : إن أهل الصين عقدوها في الدهر القديم (26)...

وفي عام 408 هـ ذهب يمين الدولة لينجد «قدرخان» على : أرسلان خان» فعقد على نهر جيحون جسرا من السفن، وضبطه بالسلاسل، وعبر عليه، ويقول ابن الأثير : إن ذلك لم يكن يعرف هناك قبل ذلك التاريخ (27)... وذكر الرحالة الصيني : «تشان تشونج» انه وجد جسرا مثل هذا على نهرس الشاش، بعد ذلك التاريخ، بنحو مائتي عام (سنة 1221م) (28).

أما أعجب قنطرة في البلاد الإسلامية كلها، فقد كانت مبنية على الطريقة الأُوربية، وهي قنطرة : «سنجه» التي بناها الامبراطور : «فسبازيان» على «نهر سنجة» أحد أفْرُع دجلة على مقربة من سميساط، وكانت تعد من عجائب الدنيا، وكانت كبيرة شاهقة متصلة بالجبل على حجر مُخَوَّخ إذا زاد عليها اهتزت وكانت عقداً واحداً، كل حجر من

---

22) المقدسي ص : 411.

23) معجم البلدان، ص : 1/416، ولعل أطول جسر طبيعي في العالم هو : «قنطرة المنظر الطبيعي» في حديقة الأقواس الطبيعة شمال : «أوتاه» « Utah » وطول هذا الجسر الطبيعي من الحجر الرملي : 88,69 مترا.
أما الجسر الطبيعي الأكبر حجما فهو جسر : «قوس قزح» في «أوتاه»، اكتشف في 14 غشت 1909، طوله : 84,734 مترا، وعرضه : 6,705 أمتار «وأوتاه» ولاية أمريكية في الجبال الصخرية مساحتها 219.932 كلم^2 سكانها 1,059.000. عاصمتها : «سالت لايك سيتي»، وأكثرية سكانها من «المورمون» Mormons، الذين يأخذون ببدعة دينية بروتستنية أسسها : «جوزيف أسميث» في الولايات المتحدة 1830، حيث تسامحوا بتعداد الزوجات إلى أن منعتهم عنه الحكومة 1887.
وأعلى قنطرة طبيعية تتكون من الحجر الرملي، أيضا، تقع إلى الشمال الغربي من كاشيه في «سينكيانج» الصين، وقدر علوها بـ 304,8 أمتار وطولها : 45,72 مترا.

24) «تاريخ بغداد» ص : 73، ط : سلمون... وقد كان ببغداد كثير من القوارب الخاصة، فقد كان لكل من ذوي اليسار من أهل بغداد دابة في أصطبله، وطيار في النهر، وكان الكبراء وأصحاب الجاه ينتقلون في الغالب على الماء. (الحضارة الإسلامية ص : 2/397).

25) ابن حوقل ص : 170، ويعتبر المهندس الفرنسي السيد «مارك سوكان» « Marc Seguin » (ولد بمدينة «أنوناي» « Annonay » عام 1786 ـ 1875م) مع أخيه كاماي « Camaille » رائدين لمبدأ فكرة الجسور المعلقة « Ponts Suspendus » عام 1824، والتي تعتمد على حبال من حديد، وهي تسمح لطول أو امتداد يجاوز ما تسمح به الأنواع الأخرى وأكثر الجسور الحديثة هي من هذا النوع.
وأطول الجسور المعلقة في العالم اليوم : «جسر مضايق ماكيناك» بين مدينتي «ماكيناو» و«سانت إيغناس» في «مشيغان» وطول المسافة بين نقطتي الارساء 2,542 كلم، ويصبح طوله الاجمالي إذا أضفت إليه طول الأقسام المتكئة على ركائز : 5,840 كلم، وقد افتتح هذا الجسر في تشرين الثاني 1957، وكلف مائة مليون دولار، كما أن أعلى جسر في العالم مخصص لعبور القطارات يقع قرب «كليرمون فيران» Clermond Ferrant في فرنسا، تم إنشاؤه بين عام 1901، وعام 1909، يبلغ طوله 144 مترا، ويرتفع 132,5 متر فوق نهر «سيول».

26) كتاب البدء والتاريخ ص : 4/92.

27) ابن الأثير ص : 9/210.

28) آدم ميتز ص : 2/408.

أحجاره عشرة أذرع في خمسة (29)...

وفي أيام الفتح العربي لمصر، كان حصن بابليون مواجها لجزيرة الروضة، وكانت هذه الجزيرة قلعة محصنة تربطها بالحصن قنطرة، ويربطها بالضفة الغربية للنيل جسر من القوارب ينتهي عند قلعة قائمة... إذ أن في وقت الفتح لم يكن في النيل إذ ذاك في ذلك الموضع إلا جزيرة واحدة هي جزيرة «مصر» وتسمى أيضا : «الجزيرة» فقط... وهي جزيرة الروضة الحالية، وكانت بالإضافة إلى حصن بابليون تكون جزءا من النظام الدفاعي عن هذه المنطقة؛ وكانت هناك قنطرة تصل الجزيرة بالضفة الشرقية، أي بحصن بابليون، وقد شك المؤرخ الدكتور حسين مؤنس إن كانت هناك قنطرة أخرى تصل الجزيرة بالجيزة، ولو أن بعض النصوص التي ترجع إلى عصر المامون تذكر جسرا يسمى الجسر القديم... ثم أنشئ جسر جديد، والمراد هنا جسر من القوارب ينتهي عند قلعة قائمة..

أما في الناحية الشرقية، فمن الثابت أنه كانت هناك قنطرة، وقد اختفت هذه القنطرة، لأن المجرى ما بين الجزيرة والنيل انسد من هذه الناحية، وزحفت الفسطاط غربا، وأصبح أهلها يأخذون الماء من فرع الجيزة في منتصف القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي.

وقد شيد أحمد ابن طولون في الجهة الجنوبية الشرقية من القطائع قناطر للمياه لا تزال بعض عقودها قائمة، وكان الماء يسير في عيونها إلى القطائع (30).

ويروي مؤرخو مصر الإسلامية، على عادة مؤرخي العصور الوسطى، القصص والأساطير التي تشير إلى سبب بناء هذه القناطر (31)...

والحق أن عاصمته الجديدة كانت محتاجة إلى تدبير المياه لها، وإلى توفير كل سبل الراحة لساكنيها، وقيل أن الناصحين أشاروا على أحمد بن طولون بأن يجري الماء من عين أبي خُليد، فاعترض قائلا : بأن هذه العين، لا تعرف أبدا، إلا باسم أبي خليد. وأنه يريد أن يستنبط بئرا تنسب إليه، فعدل عن العين إلى الشرق، وبنى عليها القناطر... وكانت هذه القناطر شبيهة بالقناطر الرومانية المرفوعة، وسماها المؤرخون باسم السقاية...

ويظهر أن هذه القناطر تطلبت مجهودا كبيرا، وأموالا ضخمة، وانها كانت من المتانة والإبداع بمكان كبير، وأشار إليها سعيد بن القاص في عدة أبيات من قصيدته التي رثى بها الدولة الطولونية ومن هذه الأبيات قوله :

بناءٌ لو أنّ الجنّ جاءت بمثله
لقيل، لقد جاءت بمستفظع نُكْرِ

وقد بنيت قناطر ابن طولون بآجر يماثل في الشكل والحجم آجر الجامع الطولوني...

والمعروف أن الذي تولى لابن طولون بناء هذه العيون هو المهندس النصراني الذي شيد له بعد ذلك المسجد الجامع (32)...

ويرى المؤرخون أن أحمد بن طولون حبّس على مسجده الجامع وقناطره دخل بعض الأبنية (33).

وكانت عناية السلطان «الظاهر بيبرس» بالزراعة عظيمة، وتتضح في حرصه على توفير الماء لري الأرض، الأمر الذي دفعه إلى بناء كثير من القناطر والجسور لكثرة ما كان يشرف من الأراضي في كل سنة، فانتفعت البلاد بهذه القناطر (34).

---

29) «عميد المنسوب» للثعالبي، و«الاصطخري» ص : 62، و«التنبيه» للمسعودي ص : 64 ـ 144، و«المقدسي» ص : 147، وقد لاحظ بعض رحالة الرومان أهمية هذه القنطرة. «آدم ميتز».

30) عاصمة أحمد ابن طولون. كذلك كان يطلق اسم القطائع على مدينة «سامراء» التي بناها المعتصم. اللهم إلا القصور الملكية...

31) المقريزي : خطط ص : 2/457.

32) أحمد بن طولون، للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ص : 251 ـ 252.

33) المصدر السابق 253.

34) السلوك : للمقريزي ص : 1/446.

ومن أهم القناطر والجسور التي أنشأها «بيبرس»، تلك القائمة على بحر «أبي المنجا»، والتي وصفها المقريزي : «بأنها أجل قناطر أرض مصر» ولا تزال بقايا هذه القناطر باقية حتى اليوم، وإن كانت غير مستعملة بسبب تحويل مجرى الماء... هذا عدا قنطرة : «منية السيرج» وقنطرة القصير وقنطرة خليج الأسكندرية، وقنطرة «شيرامنت» وغيرها.

وثمة قنطرة مشهورة أنشأها السلطان «بيبرس» على الخليج المصري نسبت إليه، فسماها «ابن دقماق» : القنطرة الظاهرية» وإن كان إسمها الشائع في المراجع هو : «قنطرة السباع» لأنه وضع عليها سباعا من الحجارة تشير إلى شعار السلطان «بيبرس» نفسه. وقد استخدمت هذه القناطر أيضا، في الانتقال من جانب إلى آخر من جانبي الخليج (35).

ولقد كان علي باشا مبارك الرومي (1823 ـ 1893م / 1311 هـ) أحدُ أركان النهضة العمرانية والعلمية في مصر في زمن إسماعيل، له الفضل في بناء القناطر الخيرية والخطوط الحديدية، بالإضافة إلى تأسيس المطبعة العربية، ودار العلوم، والمكتبة الخديوية، له : «الخطط التوفيقية» في عشرين جزءاً (36).

وقد نشرت جريدة «اللواء» في 18 ديسمبر 1902 قصيدة «شاعر النيل» في حفلة الخزان التي كانت أكبر الحفلات التي شاهدها المصريون في هذا العصر على ضفاف النيل؛ ونشرت «مجلة المجلات العربية» القصيدة في عدد نوفمبر وديسمبر عام 1902، ونشرت «المؤيد» القصيدة في يوم 18 ديسمبر 1902 تحت عنوان : «آية الخزان» يصف فيها حفلة الخزان، وما لها من جمال، والبناء، وما له من عظمة وجلال، والنيل كيف كان طليقا ثم أُسِرَ، ومجد مصر، كيف كان شامخاً ثم دثَر، فقال يصف القنطرة :

بنيتَ فـــوق عريض اليمِّ قنطرةً
مـا كـان فرعونُ ذو الاوتـاد، يبنيها
شماء قـاهرة، فـوق الميـاه فـلا
تجري وتـذهب إلا مـا تـوليهـا

ويختمها بهذين البيتين مخاطبا رفات المصريين القدماء :

يـا أُمـة بلغت في المجـد غـايتـه
وقصَّر النـاس فيـه عن مسـاعيهـا
قُـومُـو الغـداةَ، انظروا هـذي مـآثركم
هـل في مـآثرهم شيء يضـاهيهـا

☆ ☆ ☆

وفي عام 692 هـ كان الفراغ من بناء «جسر نهر الكلب» الذي شرع ببنائه سيف الدين أرقطاي المنصور الناصري كافل السلطنة أيام الملك المنصور بن قلاون، وكان بناؤه بعد ما خرب الجسر الذي أقامه السلطان «أنطونيوس» الحليم الذي تملك على رومية بعد المسيح بمائة وأربعين سنة، وهو الذي قطع الصخور، وبنى البرج، ومشى في الطريق الذي على شاطئ البحر الموصل إلى مدينة بيروت، كما هو مكتوب على الصخر قبالة الجسر

---

35) «الظاهر بيبرس» تأليف : د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص : 155.

36) انظر ترجمته وتفصيلها في : «مشاهير الشرق» ص : 2/33، ط : 2. وترجمته لنفسه في : «الخطط التوفيقية» ص : 9/39. «وزعماء الإصلاح» للأستاذ أحمد أمين ص : 186، والجزء الأول من : «عصر إسماعيل» للرافعي ص : 219 ـ 255، و«تاريخ اللغة العربية» للمرحوم جورجي زيدان ص : 4/263.

قال ياقوت : «القناطر» : موضع أظنه بالحجاز، لقول الفضل بن العباس بن عتبة :

سلي، عـالجتُ غـدة عن شبـابي
وجـاوزت القنـاطر، أو تثـابـا

معجم ياقوت. ص : 7/1/164) قال اليزيدي : القناطر : بلد.
وعلق الأديب البارع، والنسابة الحافظ والمؤرخ الضليع محمد بن عبد الله بن بلَيهيد النجدي : «القناطر ما أعرف موضعا بهذا الاسم من دون إضافة، إلا القناطر المعروفة إلى هذا العهد في مصر.. وظني انها لم تحمل هذا الاسم إلا بعد ياقوت بمدة طويلة، فلم تسمى القناطر إلا لكثرة قناطرها، وتوسع العمران في الديار المصرية، وهذا الاسم لا أعرفه في الحجاز، ولا في نجد بهذا الاسم الذي مر ذكره، بل أعرف موضعا يقال له (القنطرة) ولكن في هذا العهد خربت، ولم تعرف (صحيح الأخبار، عما في بلاد العرب من الآثار، ص : 5/244، تحقيق ومراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، ط : 2، بيروت).

القديم مما يلي قبليه على هذه الصورة : الأمير إدوار قيصر ماركوس أورليوس الحليم السيد أغسطس كبير الجرمانيين الحبر الأعظم قطع الجبال المشتملة على «نهر ليقًا»، ونهج الطريق مهلا، ولقبه بالطريق «الانطرنياني».

وهذا النهر تلقب بالكلب، لكونه بُعيد ما أصلحه «أنطونيوس» الملك نصب به قائمة «نصبا من حجر كبير على صورة الكلب، وقيده بسلسلة حديد في الصخر، وجعل قدامه نقيرا لأجل الطعام...

ولما أراد نائب الشام في أواخر النصف الأول من القرن الثامن عمارة جسر الدامور (37) الجاري بين صيدا وبيروت، ندبوا لذلك مهندسا خبيرا بالأعمال الساحلية، يقال له أبو بكر ابن البصيص البعلبكي، وهو الذي عمَّر «جسر نهر الكلب» وله غير ذلك من الأعمال الثقال ببلاد طرابلس، فعمله على صورة متقنة...

وعمَّر الأمير بشير الشهابي بإيعاز من والي صيدا، جسراً على نهر الدامور أيضا، فجمع أهل الصناعة إليه، فكانوا أكثر من مائة وخمسين رجلا، فأتمه في شهرين..

وكذلك جسر الظاهر برقوق الذي بناه على نهر الأُردن (الشريعة)، وطوله مائة وعشرون ذراعا، وعرضه عشرون(38)...

ومن وصف الشاعرة الدمشقية العالمة التقنية عائشة الباعونية (تـ 922 هـ) بيتان قالتهما، وأنشدتهما في «جسر الشريعة» الذي بناه هذا الملك :

بنى سلطـــــانـنـــــا برقـــوق جسرا

بـــــأمر، والأنــــــام لــــــه مطيعَـــــةْ

37) ما بين «جسر الدامور»، حيث انعور «موشي دايان» في العام 1941 خلال هجوم الجيش البريطاني لتحرير لبنان وشعبه من سلطة الفرنسيين التابعين لسلطة أدولف هتلر، وجسر نهر الأولي» إلى الشمال من صيدا تقع منطقة إقليم الخروب.

38) «خطط الشام» لمحمد كرد علي، ص : 5/301.

مجـــــاز، في الحقيقـــــة للبرايـــــا

وأمر بـــــالمرور على الشريعَـــــةْ (39).

☆ ☆ ☆

ومما صح عن طاهر بن محمد الطاهري الصقلي، أن القاضي الخطيب أحمد بن قاسم القباب الفاسي، رأى النبي ﷺ، في المنام، فسأله عن الشرفاء بفاس، من هم فيه حفيده ؟ فقال له عليه السلام : أقدم غدوة غد إلى قنطرة أبي طوبه، تجد حفيدي بها... قال : فلما أصبح، سرت إلى

39) «مجلة المسلمون، ع : 43، 1982/8/20»، وعلى ذكر الشريعة نشير إلى أن القاضي محمد بن عبد الرزاق الجزولي تلميذ ابن رشيد الفهري، كان مفتتنا بابنه (جذوة الاقتباس ص : 143) فيبيح له أخذ الرشوة بغض الطرف عنه، فهجاه محمد بن يحيى بن أبي طالب بن أبي القاسم العزفي بأبيات كتبها في جدران باب الفتوح، وباب الشريعة بمدينة فاس وهي :

أقاضي فـــاس لقـــد شنتهـــا

وأحـــدثت فيهـــا أمـــوراً أشنيعـــه

ظلمت العبــــاد، ورمت العنـــاد

وخـــادعت في الـــدين كـل الخـــديعـــه

فتحت لنجلـــك «بـــاب الفتـــوح»

وأغلقت للنـــاس «بـــاب الشريعـــه

فبـــادر مـــولى الـــورى فـــارس

بعـــزلـــك عنهـــا لسدّ الـــذريعـــه

والتورية في الفتوح ظاهرة على أنه جمع فتح، مكنى به عن الرشوة، «ومولى الورى فارس»، يعني به السلطان أبا عنان المريني.
وتوجد بمدينة فاس باب تسمى «بباب الشريعة»، وهي باب يدخلها الفارس بالعلم العالي، والرامح بالرمح الطويل من غير أن يميل العلم، ولا ينثني الرمح لارتفاعها، ويطلق عليها الآن : «باب المحروق» وكانت هذه التسمية تعرف منذ دولة الموحدين، والذي أحرق هو الثائر محمد بن عبد الله ابن العاضد القائم بجبال ورغة لما أن ظفر به وقتل علق رأسه على باب الشريعة المذكور، وأحرق جسده في وسطها وذلك يوم ركبت مصارعها بأمر الأمير محمد الناصر المنصور سنة 600 هـ (جنى زهرة الآس ص : 43).
وقد تحدث عن باب المحروق في سياق كلامه على لسان الدين ابن الخطيب أبو العباس أحمد المقري (نفح الطيب ص : 5/156) كما توجد في كثير من مدن الأندلس : «باب الشريعة» وكلها كانت في السور المحيط بالمدن كمرسية وبلنسية.
وباب الشريعة، أيضا، أمام مصلى العيدين بمراكش، وبينها فسيح عظيم بين سوق الخيل، وللسلطان به قصر مطل عليه، ويليه باب نفيس المفضل المياه والاعناب، وبركة «أكناو» ويتعلم فيها الصبيان العوم، ثم قصر أمه العزيز، وقصر ابن جامع (ابن فضل الله العمري، الباب الثاني عشر، ورقة : 109 حرف : أ، وبإزائه ضريح الإمام السهيلي) وكانت تقام بها الحفلات الرسمية أيام يوسف الموحدي (المن بالامامة، لابن صاحب الصلاة، ص : 291، راجع حوادث : 560 هـ، الاستبصار ص : 181، الجذوة ص : 27).

القنطرة، فوجدت بها الشريف طاهر الصقلي يعني هذا، وهو من بيت الشرفاء الحسنيين المعروفين بالصقليين بفاس (40).

وكان للحسن بن ست الآفاق الفقيه الصالح مالٌ أنفقه على أهل الفضل والدين في بناء القناطر، وعمارة المساجد (41)...

ويحدثنا التاريخ بأنه كان لأبي العباس أحمد بن محمد الشاوي دفين الجرف من عدوة القرويين أموال كثيرة، وكان يصرفها في وجوه الخير، ولا يبالي، ويفعل المصالح، فبنى قنطرة : «ابن طاطو» قرب سيدي أبي جيدة من فاس لما أفسدها السيل، وأزال من محلها التراب والحجر مالا يقدر غيره على إزالته، إذ كان السيل قد تحيف جميع الدور التي كانت على الوادي وانحسر ترابه بها (42)..

وقد حدثني أستاذنا العالم الفاضل البحاثة سيدي محمد الفاسي عن نشأة قنطرة «ابن طاطو» ذلك أن سكان مدينة فاس كانوا قد قرروا أن يشيدوا هذه القنطرة في القرن الثامن، فاكتتبوا لجمع المال، ولما وصلوا إلى دار السيد «ابن طاطو»، وهموا بقرع الباب، بقصد تسلمهم واجب هذا السيد في الاكتتاب، إذ سمعوا ضجة وشجارا في البيت، تبينوا أن سببه أن السيد المذكور يعاتب ابنته على ما تقوم به من إسراف وتبذير في البيت : فقد أوقدت الموقد بعود ثقاب كامل، وكان الأليق اقتصاديا في نظر «ابن طاطو» أن تشطره شطرين : واحدا للصباح والآخر للمساء.. فانصرفوا وجاوزوا البيت إلى غيره، وهم يعجبون لفرط شح هذا الرجل، وكزازة يده، فإذا بالسيد «ابن طاطو» يعلم بحضورهم، وقد ولوا مدبرين وتجاوزوه، فلحق بهم وسألهم عن السبب في عدم أخذهم لواجب المشاركة في بناء القنطرة، فقالوا له : «إننا سمعنا شجارا اقتصاديا داخل البيت حول ما تقوم به ابنتك من تبذير وإسراف، فعلمنا أن البخل قد ألقى رحاله في هذا البيت، فجاوزناه إلى غيره.. فقال لهم : «ذلك كان شأني في تربية ابنتي؛ لأنني أعدها كيف تبني مستقبلها الاقتصادي في بيت زوجها، فألفت نظرها إلى واجب الاقتصاد الذي هو ملاك الخير، وقوام السعادة ومنآد الحياة..

أما فيما يتعلق بجمع الاكتتاب لفائدة هذه القنطرة، فإنني أناشدكم الله، بأن تدعوني وشأني في بنائها ووقفها في سبيل الله، فبناها وحده، ونسبت إليه، ومن العجيب، يقول الأستاذ محمد الفاسي، إن هذه القنطرة بقيت صامدة قائمة إلى الآن، وإلى يوم الناس هذا وقد بنى الاستعمار الفرنسي في عهد الحماية الدابر قنطرة بجانبها، لكنها تهدمت، وانهالت دعائمها، وتنكرت معالمها ولم يبق لها أثر ولا عين ولا خبر مع بقاء الأولى، ذلك أن قنطرة «ابن طاطو» بنيت بفصوص البيض الذي شد أجزاءها شدا متينا، فبقيت متماسكة إلى الآن...

☆ ☆ ☆

وفي أيام لمتونة، كان أبو العباس أحمد الشاوي قد جعل بين العدوتين قناطر للمجاز، لمن كان في كل عدوة إلى الأخرى...

---

40) بيوتات فاس الكبرى ص : 17/ جذوة الاقتباس، ص : 1/200.

41) «جذوة الاقتباس» ص : 1/180، والحسن هذا، من مدينة «بسكرة» بالجزائر، وقد سكن مدينة فاس. انظر : سلوة الأنفاس : 3/259 لمحمد بن جعفر الكتاني.
وسئل النووي رحمه الله عمن له بنت فسماها : ست الناس، اوست العرب، اوست العلماء، ماحكمه ؟ وهل هذه اللفظة محبحة عربية، أم لا ؟
فأجاب، هذه اللفظة ليست عربية، بل هي باطلة، من حيث اللغة، وقد عدها أهل العربية من لحن العوام، فقالوا : من لحنهم، قولهم : «ست» بمعنى سيدة..
وأما حكمها من حيث الشرع، فمكروهة كراهة شديدة، وينبغي لمن جهل، وسمى به، أن يغير الاسم، وقد ثبت في الصحيح، أن النبي عليه السلام غيرَ اسم برّة، فسماها زينب. (12/373/ المعيار المعرب، للونشريسي).

42) «نشر المثاني». للقادري ص : 1/133.

فالأولى قنطرة ابن طوبة (43)، التي جددها أبو سعيد المريني، والثانية، قنطرة «ابن أبي برقوقة» التي على وادي الرصيف (44)، ولما جددها السلطان أحمد بن محمد البرتغالي رابع سلاطين بني وطاس، قال في ذلك الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسي، وكتب في مربعة هنالك :

جسر الرصيف أبو العباس جدده
فخر السلاطين من أبناء وطاس
فجاء في غاية الاتقان مرتفقا
لمن يمرّ به من عدوتي فاس
وكان تجديده في نصف عام «غنى»
من هجرة المصطفى المبعوث للناس

والقنطرة الثالثة : قنطرة باب السلسلة (45)... والرابعة قنطرة الصباغين (46)، والخامسة : قنطرة كهف الوقادين (47)، والسادسة قنطرة الرميلة (48)، وحين جاء السيل العظيم عام 726 هـ، حمل قنطرة باب السلسلة وما بعدها من القناطر، فأمر عثمان المريني ببناء قنطرة باب السلسلة، وقنطرة الصباغين، وبنيت قنطرة كهف الوقادين على يد من تطوع بذلك من المسلمين (49).

ولعل أول ما يطمح إليه الفاتحون من المسلمين الواقفين الذين يعملون لتعمير الأقطار، وتنمية البلاد والديار، وترقيتها وإنعاشها، تعبيد السبل، وتمهيد الطرق، ووصل بعضها ببعض، وتقريب المسافات، وبناء الجسور حتى العبور عليها لكل الناس، ومن مختلف الأجناس، فأول ما يقوم به ولاة الأمور إذا استدف لهم الأمر، واستتبت أحوال البلاد، وبعد أن يفتحوا قطرا من أقطارها أن يبنوا القناطر لتكون مجازا يسهل به العبور والتنقل عبر الأودية والأنهار، سواء كان ذلك داخل البلاد، أو في البلاد المفتوحة فهذه الأخيرة، إذن، مما يعنى بتحضيره وإنعاشه حتى تكون حسنة موقوفة إلى يوم الدين...

لذلك نجد أنه كانت في دولة المرابطين والملثمين والموحدين والمرينيين أنهم يسندون تأسيس البناآت الدينية كالمساجد والقناطر والمدارس والزوايا والمارستانات إلى نظر القضاة الأجلة، وكان لا يتولى القضاء عنهم إلا جليل المرتبة علما ودينا ومروءة، لكون القضاة، إذ ذاك كان لهم النظر العام في الأحكام الشرعية، وفيما يعرض في الشؤون السياسية، فيتولى فصلها القاضي مع الوالي الذي له النظر في بلده نيابة عن السلطان، ويشاركهما في ذلك شيوخ الشورى، وبعض العلماء الكبار، يعينهم السلطان للنظر في

---

43) وهي قنطرة باب الحديد.
44) ومنها يدخل إلى حومة المخفية عبر (جزان برقوقة) انظر : «الاستقصاء ص : 4/155.
45) وهي المعروفة اليوم بقنطرة الطرافين، وقنطرة سيدي العواد، وكان السيل هدمها عام 725 هـ، فجددها السلطان أبو سعيد المريني.
46) وتعرف اليوم بقنطرة الخراشفيين، وقنطرة ساباط الهيادريين وقنطرة جزان ابن زاكور، وهذه القنطرة جرفها السيل عام 725 هـ أيضا، وبناها في شكلها الحالي السلطان أبو سعيد المريني.
47) هي قنطرة بين المدن الحالية، حملها السيل، أيضا عام 725 هـ، وتطوع ببنائها على شكلها الحالي جماعة من الواقفين المحسنين.
48) كانت هذه القنطرة في حومة الرميلة من جهة الشرق، وكانت ضمن القناطر التي جرفها السيل عام 725 هـ. بيد أنها لم تجدد كبقية القناطر التي حملها السيل، وسبب إهمالها يعود إلى ماورد بيانه في العبارة التالية التي ألحقت بمختصر : «جنى زهرة الآس» التي تقول : «وبقيت قنطرة الرميلة إلى الآن لم تبن، وأرجو من الله أن يكون ادخرها لهذا الملك المبارك السعيد، ويجعلها من حسناته التي يبقى أثرها، ويضاعف أجرها، فإنها من الحسنات الطويلة الامتاع، الكثيرة الانتفاع، وسبب إهمال الأمراء لبنائها أن أسوار المدينة لما رتب فيها الحفار والسمار في أيام المخاوفة، وأول هذه الدولة المرينية، أيد الله ملكها، خرج سور الرميلة في قسط اليهود لعنهم الله، واشتهر ذلك بينهم، فلما تهدمت هذه القنطرة أشاع اليهود أن بناءها عليهم حسبما عليهم حفارة السور، ليغتنموا أن يكون أثرها لهم، ويحرموا المسلمين من أجرها، ولم يستطع اليهود المبادرة لبنائها، وقبح على الأمراء أن يكلفوهم ببنائها خوف أن يبقى أثرها لهم، فأهمل النظر فيها بسبب ذلك هكذا تلقيناه من جملة شيوخ فاس».
49) جذوة الاقتباس. ص : 49 ـ 1/50.
والقناطر التي تهدمت يكون اهلاكها على قدر الانتفاع بها (المعيار، للونشريسي ص : 8/44).

المصالح، حتى تستوفى الحقوق، وينتصف المظلوم من الظالم (50).

وقرر الملك يوسف بن تاشفين ضم سكان مدينتي فاس في واحدة، وهدم السورين اللذين كانا يفصلان المدينتين، إحداهما عن الأخرى وبنى جسورا على النهر كي يمكن الانتقال بسهولة أكبر، بين ضفة وأخرى (51)، وهكذا لم تعد تؤلف المدينتان سوى واحدة مثلما قسمت هذه الأخيرة إلى عشرة أحياء، أو بصورة أدق إلى عشر مناطق.

وقد أكد «ميلي» : (52) «أن أبا يعقوب الموحدي بنى القناطر، ومعابر المياه، مبرهنا بذلك عن اهتمام نادر بالصالح العام... وقد أسس ولده المنصور منارات وقناطر، وحفر مطامر، وأقام ملاجئ...».

وقد بنى الملك المنصور الموحدي جسرا قرب مدينة مراكش، وقد ابتدأت أعمال بناء الجسر يوم الأحد 25 أكتوبر عام 1170 م في عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن والد المنصور، وعلى هذا الجسر خمس عشرة قنطرة، وهو من أجمل الابنية التي توجد في افريقية، وقد تخربت ثلاث قناطر في عهد أبي العلاء الملقب بأبي دبُوس آخر ملك وخليفة في مراكش، كي يمنع عبور يعقوب، أو ملك من أسرة بني مرين، ولكن هذا لم ينفعه إطلاقا في شيء (53)... إذ أن أبا العلاء الملقب بأبي دبُوس كان يمارس سلطته بوصفه خليفة موحديا شرعيا في منطقة مراكش، عندما قرر أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني التي تم الاعتراف به ملكا في المنطقة الواقعة شمال نهر أم الربيع منذ 30 يوليو 1258م قرر أن يحتل مدينة مراكش، وقام في أواخر يوليه 1269م بمحاولة ضد هذه المدينة، ولكن قطع الجسر أدّى فشلها، ولكن أبا دبُوس لاحق خصمه، فقتل في معركة في دكالة يوم الجمعة 30 غشت 1269م... إذن لم يؤد قطع جسر تانسيفت إلى الحيلولة دون نهاية أسرة الموحدين في مراكش.

☆ ☆ ☆

بل أن الفاتحين العرب كانوا إذا دخلوا قطر، أو فتحوا مصرا إلا وبادروا بإحداث مؤسسات ومنشآت عمرانية كبناء القناطر والمساجد والمدارس والملاجئ، ولا سيما في بلاد الأندلس...

وقد بنيت قنطرة قرطبة قبل الفتح العربي بنحو مائتي سنة (54)، وكانت قنطرة مهمة ذات نفع عظيم في إبانها...

وقد دخل أمير المومنين يعقوب المنصور الموحدي اشبيلية بالأندلس للتبرك بالاجتماع، وللمذاكرة فيما فتح الله في غزوته من البلاد، يوم الأحد من شهر المحرم عام 567 هـ، وقد كان أمره الكريم نفذ بعمل القنطرة (55)، من الوادي (56) لمصالح الناس، وإجازة العساكر عليها، ومرافق أهل اشبيلية، وأهل الشرف والأنظار، فابتدأ العرفاء والصناع العمل فيها والنجارة والهندسة لوضعها على الوادي، فاتصل العمل فيها، وزاد بحضوره الاجتهاد، والنصح والاقتصاد، فكملت في اليوم السابع من صفر من عام 567 هـ وحضر

---

50) «كتاب الوجيز» لمحمد بن محمد بن محمد الدكالي السلوي عن مجلة «الإيمان» عدد : 136.

51) «وصف افريقياء» للحسن بن محمد الوزان الزياتي (ليون الإفريقي) ص : 227.

52) كتاب الموحدين ص : 129.

53) «وصف إفريقياء» للحسن الوزان ص : 622.

54) المقتبس لأبي حيان كما ينقله عن المقري في النفح ص : 2/26.

55) قد تحدثت عن هذه القنطرة (حوليات تاريخ إسبانيا) التي أمر بتأليفها الملك «الفونسو العاشر» المعروف بالحكيم ص : 760 - 762... وأورد الأستاذ «ميلتشور أنطونيو» وصفا دقيقا لهذه القنطرة الموحدية مأخوذا من كتاب تاريخ اشبيلية. للمؤرخ المسيحي «مورجادو» وهو وصف يتفق تماما ما ذكره ابن صاحب الصلاة.

56) الوادي : هو وادي اشبيلية، وهو الوادي الكبير الذي ينبع من شقورة من الجبال الوسطى في اسبانيا، ويصب في المحيط الأطلسي جهة قادس غير بعيد عن مصب وادي «آنة».

أمير المومنين يوم كمالها، حتى عقد الجسر منها، ووضع على الوادي، وكان يوما حفيلا من قرع الطبول، وكمال ما أمر فيها من المامول، من حضور الكتائب والجنود، وعقد الألوية والبنود... فحضر العسكر المبارك عند الأمر العزيز إليهم. وجازوا على القنطرة المصنوعة الموضوعة على الوادي إلى «أطريانة» (57)، وهذا العسكر أول عكر جاز عليها...

وإن القنطرة المصنوعة مما تمصّرت بها اشبيلية، و«أطريانة»، وحصل للناس بتسهيل العبور عليها غبطة واتصال، وأمنة وآمال، كما حصل لأمير المومنين رضي الله عنه من الأثر الجميل، والأجر الجزيل على اتصال الأزمان، ومرور الحدثان، ما لم يتقدم قبله من أهل الطوائف، ولا من الخلائف، إذ سبق إلى هذه المنقبة الكريمة في موافق جواز الناس عليها، والعساكر بتيسير الإيناس إلى ما أنعم به، وتمم من عدله وفضله بتسبيل المرور عليها للسابلة دون قبالة توخذ منهم فيها، أو جعل يستوفيها (58)، فجعل الله هذه الحسنة الباقية إلى يوم القيامة في ميزانه، وأنيتها في الدنيا والآخرة في ديوانه ورفع الله عن الجائزين قبل من أهل اشبيلية إلى الشرف، وإلى الأنظار مشقة عظمى، وأنالهم بهذا النظر الدقيق الرحمة والرحمى (59)...

وذكر المؤرخ «يوسف أشباخ» قنطرة نهر الوادي الكبير بأشبيلية، وقال : «إن يوسف هو الذي أنشأها من السفن، وأنها تثبت فيها السفن بالسلاسل» (60).

☆ ☆ ☆

قال صاحب الاستبصار، في عجائب الأمصار منجزات الخليفة أبي يعقوب المنصور في الداخل مانصه : «وأمر الخليفة أبو يعقوب ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام أمير المومنين، وفي هذه المدينة المحدثة... مياه مُطردة، وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها، إذ وضعها على المجاز والمعبرة (61) إلى حضرة مراكش كلاها الله، وعلى هذه المعبرة قنطرة مركبة على ثلاثة وعشرين معدية مدت عليها أوصال الخشب، وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر، تجوز عليها العساكر والمسافرون، وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل، ويمد البحر، فترتفع القنطرة، فتغطي الجسر، فتعوم عليه المراكب، وترسى دونها الأجفان الكبار، وقلما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة المدخل» (62).

وقد جدد السلطان المولى أبو العباس أحمد المنصور السعدي سدّ الوادي وجسره، بمال أكثره من القرويين الوقفية، وفرح الناس بذلك... وقال أدباء وشعراء البلاط الملكي في ذلك الوقت فيها قصائد، منهم عالم فاس، وحافظها أبو العباس أحمد المقري، وأبو عبد الله الوجدي، وأبو العباس ابن القاضي، وأبو القاسم الوزير (63)...

ومن نظم أبي القاسم الوزير الغاني في السد الذي هو من مآثر المنصور السعدي :

سد بفاس، أبو العباس سدده
مولى الملوك، ونجل خاتم الرسل
الفاطمي الرضا، المنصور ذو أثر
الطاهر المرتضى في القول والعمل
فصار متوثق الأرجاء في رصف
قد خلته صدفا، أو شاهق الجبل
جزيت خيرا، أيا أندى الملوك يدا
وواضع الخير من حاف ومنتعل

---

57) «اطريانة» أوطريانة «TRIANA»، حاضرة من حواضر إشبيلية ينسب إليها الفقيه عبد العزيز الطرياني والشاعر الأديب أبو عمران موسى الطرياني، والفخار الطرياني، ويوجد زقاق بفاس يحمل اسم طريانة قرب المدرسة العنانية. (الحلل السندسية ص : 1/919، «المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة» الهامش : 462).

58) لا كما هو الحال اليوم في البلاد الأوربية التي يقطع المسافر طرقها، وهو يؤدي في محطات متعددة رسوما وفي كل مسافة معينة كي يسمح له بالمرور.

59) «تاريخ المن بالإمامة» لعبد الملك ابن صاحب الصلاة، تحقيق الدكتور ع. التازي.

60) «تاريخ الأندلس» ص :2/254.

61) لا أثر لها الآن.
انظر تعليق رقم : 97 الآتي...

62) نقلا عن مقدمة الفتح من تاريخ «رباط الفتح» لابن عبد الله محمد بوجندار ص :76 ـ 77.

63) نشر المثاني ص : 1/79.

في عـــــام تـــسع وألف تـم ســــــائره
في مـــدة نـزرت قريبـــة الأجـل (64)

ولمحمد بن يوسف بن رضوان النجاري في السد الذي انشاه أمير المومنين المنصور بالله السعدي، ووقفه على المارة والسابلة :

شتى مكـــارم لم تعـــد لقيـــاس
حـــاز الفخـــار بهـــا أبـو العبـــاس
شمس الخلافـــة قطبهـــا وإمـــامهـــا
وجمـــال مفرقهـــا، وتـــاج الراس
سبـــط الرسـول المصطفى، وإمـــامنـــا
ذو الفخر، والآلاء، ملـــك النـــاس
فـــأقلهـــا تـــأسيســـه وســـداده
ســـدا تعـــاظم أمره من فـــاس
حتى غـــدا من عـــزمـــه متكمـــلا
مستـــوعبـــا مستـــوثـــق الآســـاس
من بعـــد تعطيـــل المســـاجـــد جملـــه
من فـــاس أنـــدلس على أجنـــاس
وغـــدا الريـــاض لأجـل ذاك مـــواصلا
من بعـــد غضتهـــا وحـن كـــأس
للـــه هـــزتـــه إذا ذكر النـــدى
فتســـحّ أنملـــه على الجـــلاس
فتخـــالهـــا وكـــاف مـــزن مسبـل
كم معسر أغنـــاه من افـــلاس (65)

وقد أنفق أحمد المنصور السعدي في بناء السدين العظيمين بواد «بو طوبة» أموالا كثيرة... قال أحمد المقري : (66) «كنت إذ ذاك بفاس حين بعث نصره الله لبناء السد الأعظم منهما، قائده الفقيه الأسني الماجد السري النحرير، صاحب القريحة الوقادة سيدي إبراهيم بن محمد الآيسي، أبقى الله علاءه، وشكر لي أياديه وآلاءه، فهو الواسطة بيني وبين أمير المومنين، كنت حينئذ بفاس، فلما فرغ من بناء السد، ذهب بي في صحبته إلى الحضرة المراكشية، وأدخلني إلى أمير المومنين...».

64) روضة الآس : للمقري ص : 218.
65) روضة الآس : للمقري ص : 338 ـ 339.
66) روضة الآس / ص : 23.

ولما فرغ هذا القائد من أمر هذا السد، أشار على فقهاء وبلاط الحضرة الفاسية باختراع قطع في مدح مولانا، فأجابوه مسرعين... فمن ذلك قول شيخنا الإمام أبي العباس سيدي أحمد بن أبي العافية الشهير بابن القاضي :

وجب الثنـــا للقـــاطنين بفـــاس
شكرا لمـــولانـــا أبي العبـــاس
إذ ســد ســدا من ســديـد صنيعـه
كم مسجـــد أحيـــا، وكم أغراس
كم منـزل، بـالحـال، أضحى منشـدا :
الملـــك أصبـح ثـــابت الآســـاس
إذ ســـاســـه مـولى الملوك وتـــاجهم
نجـــل النبي الطـــاهر الأنفـــاس
لمـــا تـــأسس جـــاء في تـــاريخـــه
«ســد. مر» مـــا بـــه من بـــأس (67)

وقال في ذلك الأديب سيد محمد الوجدي قصيدة يقول فيها :

وحين طغى يـا جـوج مـاء على الثرى
ولم يستطـــع ردع لـــذاك ولا رد
أقمت لـــه الســـد الحصين وشـــدتـــه
فطـــاب لفـــاس، بعـــدمـــا طمئت، ورد

ولأبي الحسن على بن الزبير السجلماسي الملقب بين الأصحاب بالعضد نظم، منه قوله في السد الذي أنشأه المنصور يقول :

قـــال لـــلإمـــام جـزاه اللـــه مكرمـــة
حيث اعتنى بـــانســـداد الســـدّ لـــلأمم
كهف الأنـــام، وغـوث المسلمين، لقـــد
أضحت مـــآثره، نـــارا على علم

67) روضة الآس ـ ص : 23.

وكيف لا ينقضي سد بفاس وقد
توجه الأمر من مولاي ذي الهمم (68)

وقال أحمد المقري :

سعد الزمان بدولة المنصور
وغدا الورى في غبطة وسرور

فخر الخلائق من ذؤابة هاشم
سبط الرسول، فحسب كل فخور

أنشا، وأتقى سد فاس محكما
قصرت مرين عنه أي قصور

وذكر الحافظ الإمام أبو العباس أحمد المقري في كتابه (69)، فيمن له من الأدباء والأعلام : ان من مآثر أبي العباس أحمد المنصور بناء القناطر المتعددة، كقنطرة «تانيفت» قال : «كنت بمراكش حين ذهب السيل بنحو الأربعة أقواس منها، فبناها احتسابا، وكذا قنطرة وادي أم الربيع السفلى، وكذا قنطرة «بين المدن» بمحروسة فاس بناها، أيضا، في هذه السنة، وأخبرت، أيضا، أنه مشتغل هذه الأيام ببناء القنطرة العظيمة التي على وادي سبو، وهي من مفاخر والده مولانا أمير المومنين المهدي بالله رضي الله عنه، وهي قنطرة لا نظير لها، عظما...

قال القادري (70) تعليقا على قول المقري : «قوله احتسابا» أي في أداء ما وجب عليه، إذ بناء القناطر، وما في معناه على بيت المال، فهو في ذلك كالوكيل في تتبع المصالح، والعمل بالراجح، وذلك مما يجب (71)... وأما قوله من مفاخر والده، ظاهره أن والده محمد الشيخ المهدي هو الذي أنشأها، ولم أقف على هذا، إلا أن يكون لها بناء قبل ذلك وتهدم...

وقد بنى أبو الحسن المريني القنطرة التي يعجز عن مثلها، وتحبيبه عليها محفوظ عن الأصاغر والأكابر (72)...

وقد تحدث محمد بن مرزوق التلمساني (73) عن إنشاء أبي الحسن المريني القناطر والجسور، التي يتهيأ عليها العبور، فقد عمل فيها الأعمال العجيبة، فقنطرة «وادي ردات» وقنطرة بني بسبيل، وقنطرة الوادي بداخل فاس، وقنطرة الرصيف، وقنطرة «وادي سطفسيف» بتلمسان، وقنطرة باب الجياد، وسد سيرات، وقنطرة ميناء، هذه القناطر كلها من إنشائه وفي حسناته، ولا يحيط الوصف بها، ولا يقدر قدر ما انفق من الأموال الطائلة فيها... ثم قال ابن مرزوق تعليقا على هذه الوقوف : وهذه الأمور هي التي يشترك في الانتفاع بها القوي والضعيف والبادي والحاضر... وهذه الآثار المتعددة لم تعهد لملك قبله في سالف الأزمان...

قال في المنتقى : «وأنشأت الحرة مسعودة أم المنصور السعدي المسجد الجامع، بحومة باب دكالة، داخل مدينة مراكش، ووقفت عليها أوقافا عظيمة، وكان ذلك في عام 995 هـ، وهي التي بنت جسر وادي أم الربيع وغير ذلك».

---

68) «روضة النسرين» لأحمد المقري ص : 340. ـ أولئك هم شعراء البلاط الملكي الذين كانوا يخلدون المآثر والمفاخر لأمتهم، وينشرون ما تقوم به من منجزات عمرانية باقية على الدهر.. وهم في ذلك كغيرهم من الأمم قديما وحديثا.. وقد صدر في ماي 1984 قرار بريطاني بتعيين «تيدهيوز» الشاعر الإنجليزي المعروف شاعرا للبلاط الملكي البريطاني خلفا للسيرجون بيتجيمان الشاعر السابق الذي توفي في ماي.. وقد سعدت زوجته السيدة «كارول» بهذا التعيين، والواقع أن شعر المديح موجود في الشعر الأروبي، كما هو موجود في الشعر العربي..
فشاعر البلاط وظيفة كانت موجودة في كل بلاط أوربي، ولا تزال قائمة في انجلترا كما رأينا.. إلى اليوم.. وكبار شعراء فرنسا الكلاسيكيين كانوا موظفين في البلاط، فقد كان «بيير دو رونسار ـ (Pierre de Ronsard (1524 - 1585)) في القرن السادس عشر، شاعرا للبلاط تحت اسم : «مستشار الملك ومرشده العادي» وكان «فرانسوا فينيلون» (Francois Fenelon (1651 - 1715)) ـ في القرن السابع عشر مؤدبا لدوق بورجوني Duc de Bourgogne ومن أجله كتب «محاورات الموتى»، Dialogue des morts وتيليماك les aventures de Telemaques ويبدو غريبا أن نعرف عن الشاعر «فيكتور هوجو» أن مجموعته الشعرية الأولى تضمنت بابا لأماديحه في أسرة «البوربون» Bourbon المالكة في فرنسا وأن «لوي فليب» (Louis Philippe) الذي تسنم العرش عند عودة الملكية بين عامي 1830 ـ 1848، أجرى عليه نفقة دائمة؛ قد يبدو غريبا أن نعرف هذا، لأنه قد يتناقض مع البيئة الثورية التي نشأ عليها الشاعر، ومع مواقفه السياسية، وأشهرها مقاومته للامبراطورية الثانية في فرنسا، وعداؤه للامبراطور نابليون الثالث..

69) روضة الآس ص : 22.

70) نشر المثاني ص : 1/106.

71) انظر : «النتف في الفتاوي ص : 1/526.

72) «المسند الصحيح الحسن» لابن مرزوق التلمساني ص : 122، تحقيق «ماريا خيسوس».

73) المصدر السابق ص : 418.

وتحدث المقري (74) عن القناطر التي بنتها، أيضا. مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد بن عبدالله الوزكيتي والدة السلطان أحمد المنصور السعدي (ت 1000 هـ)، فقال : «وأفعال برها لا تحصى كثرة، كبناء القنطرة العظيمة على وادي أم الربيع، وقنطرة أخرى أيضا، وغير ذلك، ولولا الإطالة لذكرت جملة منها...

ونهر أم الربيع نهر كبير جدا يتولد في الأطلس بين شماريخ الجبال على تخوم تادلة، ويجتاز خوانق ضيقة حيث يظهر جسر جميل في هذه الفترة، بناه أبو الحسن علي سادس سلطان مريني ـ حكم بين 1331 ـ 1348م ـ وقد تخرب هذا الجسر عند دشرة الواد عام 1545، بعد أن ألحق الشريف أبو عبد الله محمد الشيخ سلطان المغرب هزيمة بسلطان فاس أحمد الوطاسي على وادي درنة، الذي سقط على يده أسيرا، وبعد خمسة عشر عاما قامت أرملة السلطان محمد الشيخ، وهي مسعودة المذكورة آنفا وأم السلطان الشهير أبي العباس أحمد المنصور الذهبي ببناء جسر آخر يبدو أنه هو الذي تقع أطلاله على مسافة بضعة كيلو مترات في سافلة الجسر السابق قرب زاوية الشيخ (75).

وقد كتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي (76) في مرمر عن قبر السيدة مسعودة بنت أحمد الوزكيتي ما يلي : «الأوابة إلى الله بقلب خاشع، وعمل في سبيل البر والزلفى شائع، والمتقربة إليه بحسن الآثار التي منها الجسران والمسجد الجامع...».

وقد جدد السلطان أبو العباس أحمد الوطاسي بناء قنطرة الرصيف بحضرة فاس، وذلك منتصف عام 951 هـ، وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك أيضا :

أيا أهل فاس سدد الله سددكم
برأي أبي العباس حامي حمى فاس
وأحيا به أشجاركم وثماركم
على رغم قوم منكرين من الناس
فدام، ودام السعد، يخدم مجده
وفاز من الشكر الجميل بأجناس

وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج :

الا سدَّد الله رأي الذي
بتسديده، سد سدا حصينا
وخلد في عزه ملكه
وأولاه فتحا ونصرا مبينا
إمام الهدى أحمد المُرْتَضَى
مُبيدُ العدا، عدة المسلمينا

وقال الإمام أبو الحسن علي بن هرون :

لقد سدد الله رأي العماد
وأبطل في السدِّ رأي الجهول
وقرب ما رامه من بعاد
بمولاي أحمد مدحي يطول
فطردا، وعكسا، لساني ينادي :
«عقول الملوك، ملوك العقول» (77)

☆ ☆ ☆

وقد بَنَى السلطان الرشيد العلوي مآثر في مصالح المسلمين جليلة، واستطاع إقامة بعض المؤسسات، رغم قصر أمد إمارته الملأى بالحرب؛ من ذلك بناؤه عام 1079 هـ قنطرة على نهر سبو المعتبرة التي لا يعرف في المغرب مثلها في وقتها، و«قلما اتفق في المعمور شكلها» وهي على أربعة كيل من مدينة فاس طولها مائة وخمسون مترا، فأنفق في بنائها إثنين وخمسين قنطارا، كان تجار فاس، كما في «الدرر الفاخرة» استقرضوها منه في ذي الحجة من العام المذكور، ولما قضوا الذين ضرب العدة في البناء المذكور.

74) روضة الآس ص : 67. ـ الإعلام، للمراكشي ص : 1/90، ومن العجيب أن المؤرخ الأفراني الذي سجل في كتابه «نزهة الحادي» المعلومات التاريخية التي يشتمل عليها المنتقى المقصور لم يشر إلى نص الحوالة الحبسية التي تتعلق بالوقف الذي خصصته أم المنصور السيدة مسعودة الوزكيتية (ما زال قبر هذه السيدة معروفا بمقبرة السعديين في مراكش) لصالح مسجد أقامته بمراكش قرب باب دكالة، وقد حرر تلك الحوالة الكاتب عبد العزيز الفشتالي وصادق عليها المنصور.

75) «وصف إفريقيا» ليون الإفريقي : ص : 622 :ط : السعودية.

76) روضة الآس، ص : 155.

77) الاستقصا للناصري ص : 4/155.

وكان ابتداء العمل في حفر أساسها 5 جمادى الثانية 1081 هـ، وذكر الحافظ المقري في نفح الطيب أن عدد قسي قنطرة قرطبة سبعة عشر قوسا، سعة كل قوس خمسون شبرا، وبين كل قوس والقريب منه خمسون شبرا (78).

قال محمد بن الطيب القادري في نشره :وعدد قسى قنطرة سبو ثمانية، وواحد صغير، والكبير من أقواسها تماثل سعة الواحد من قسي قنطرة قرطبة، وكذلك بين القوسين منها، وربما زاد عليه على ما ذكر المقري، فهي في الجملة على النصف من قنطرة قرطبة أو أقل أو أزيد بتقريب...

وقد تبارى شعراء الدولة في وصف تلك القنطرة، وضبط تاريخ البناء، وأبدعوا في ذلك ماشاؤوا، فمما قاله الامام أبو علي اليوسي :

انظر إلى هذا الجمال الباهي
العادم الأمثال والأشباه

إلى أن قال مشيرا إلى التاريخ، ومنوها بأعمال المؤسس :

وأشادها حسناء ترفل في حلا
ورق على در من الأموال
عاما «شفا 1081» فيه النفوس من العنا
وأجارها من جائر مجباه
من غير ما عجب، فما تشييدها
في جنب ما صنع الرشيد وما هي
إن الصنائع منه ينسي بعضها
بعضاً، فهي على الحسود دواهي (79)

وقال أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي في القنطرة المذكورة :

هذه قنطرة قد بنيت
عام (إحدى وثمانين وألف)
أكملت في سنة مع ربع
ومدى الأعمال فيها نحو نصف
بدئت ثاني وعشرين لذي
حجة قبل مضي فصل خرف
وأتى فصل الشتاء وهي على
اسها حتى بدا الفصل الموف
فانبنت في فصلي الصيف معا
وبدت في الحسن فوق كل وصفا
شادها المولى «الرشيد» الحسني
الذي قوى الورى من بعد ضعف
والذي أطعمهم من جوعهم
والذي أمنهم من بعد خوف
زاده الله علا فوق علا
وسخاء للورى أغنى وكف (80)

وقال في ذلك أيضا :

برزت كالحق محمود اتصاف
لائح الأنوار ما فيه اختلاف
فغدت من حسنات ابن الالى
شرفوا من حسن بين الشراف
شادها من شوهدت آياته
للورى بينة غير خواف
خير من ألقى على القوم الهنا
والذي مهد للسبل العواف
والذي أطعمهم من جوعهم
والذي أمنهم مما يخاف
ملك حاز الذي ما حازه
ملك في الفخر من عبد مناف
بالرشيد ابن الشريف شرفت
وبدت بين سماح وعفاف
قد «فشا 1081» تاريخها فهو «شفا 1081»
وهدى للمومنين فهو «شاف1081»

ونلاحظ في الأبيات الأخيرة والتي قبلها أن الشاعرين المغربيين أبا علي اليوسي وعبد الرحمن الفاسي وغيرهما من الشعراء المغاربة كانوا يستعملون «حساب الجمل» في الحساب لتسجيل تاريخ الوقائع والأحداث

78) ان جسور الأقواس، « Viaduc » هي الجسور التي تعتمد على أقواس قوية، وقد بنى الرومان جسور الأقواس على نطاق واسع، وغالبا ما استعملوها أقنية لجر الماء، ويعتبر جسر لندن، ومنه القديم الذي أنشئ عام 1209 والحديث الذي بني سنة 1831، في طليعة جسور الأقواس الحديثة.

79) «مفاخر الدولة العلوية» ص : 15.

80) المصدر السابق ص : 16.

والوفيات فما هذه الظاهرة ؟ ومن أول من استعمل الحروف الأبجدية دالة على الأرقام ؟؟

لقد كان العرب يستعملون حساب الجمل في الحساب، قبل استخدام الأعداد الهندية أو الأرقام التي نستعملها اليوم في حسابنا... وكذلك السريان والعبرانيون يفعلون، فلما عرف العرب الأرقام الهندية، استعملوها لسهولتها، كما ظلوا يستعملون بجانبها القيمة العددية للحروف الأبجدية...

ويظهر أن أول من استعمل الحروف الأبجدية (81) دالة على الأرقام ما عثر عليه من لوح تذكاري من الحجر على «سبيل الماء» مقام في قرية صغيرة بلبنان قرب مدينة عالية كتب عليها النص الآتي : «أنشأ هذا السبيل المبارك العبد الفقير صالح بن محمد الحلبي الشهير نسبته، ثبت الله حسنته، وجزاه جزاء الآخرة وبخلود دولة مولانا السلطان مراد حفظه الله كل حفظ، وكتب في شهر شعبان المبارك سنة : «صفط» أي 900 هـ. أي السنة التي انشئ فيها ذلك السبيل...».

وقد استطاع الناقد اللبناني «مارون عبُّود» أن يقع على نص أقدم من هذا يرجع إلى 872 هـ، وبعد قول بعض الشعراء مؤرخا وفاة الشيخ تاج الدين بن البخشي (ت 872 هـ) :

انتقل الشيخ وتاريخه :
«قدَّسك الله بسر رفيع»

ومجموع حرف الشطر الثاني الواقع بعد كلمة، «وتاريخه بطريقة حساب الجمل يساوي 872 هـ، وهو عدد يطابق السنة الهجرية التي توفي فيها المؤرخ...

وقد سرت بدعة : «التاريخ الشعري» الذي نراه في أكثر ما نظمه شعراء القرن التاسع عشر في الأقطار العربية كلها، وتهافت الشعراء على استعماله، وتنافسوا في التكثر بقوله في كل مناسبة صغيرة أو كبيرة من مناسبات الحياة

81) قيل إن أول من اخترع اللغة العربية وألف حروفها ستة أشخاص من طسم، كانوا نزولا عند عدنان بن أدد، وكانت أسماؤهم : أبجد. وهوز. وحطي. وكلمن. وسعفص. وقرست. فوضعوا الكتابة على أسمائهم (تحفة أولي الألباب، في صناعة الخط والكتاب» ص : 3. لابن الصائغ (ت 845).

حتى لقد اجتمع على ضعف الشعر وابتذاله حساب الحوادث «بالجمل»، فكان من ذلك الاجتماع عون على القضاء على المعاني الجادة الشريفة، والأغراض السامية الكريمة التي يفترض في الشعر أن يكون سباقا إلى القول فيها...

فإذا جدد الأمير بشير الشهابي بناء «سبيل للماء» عام 1229 ـ 1814، نرى الشاعر بطرس كرامة الحمصي المولد، اللبناني الاقامة يؤرخ لهذا التجديد ببيتين متهافتين :

أنشاه ذو المجد البشير مجددا
وثواب تجديد الدوائر أوفر
فشد الشواب : ردوا لأعذب مورد
يجري به، أرخ : «شراب كوثر»

وتدور أكثر تواريخ السيد علي درويش (82) الشعرية حول المدح، وإقامة القناطر، ويجب أن لا ننسى تاريخه الشعري للقناطر الخيرية، ولقناطر «فم الخليج». والحمرا. «وسرياقوس» التي أنشأها محمد علي...

ولا يقل الشاعر المصري السيد علي أبو النصر (ت 1880م) عن زملائه الشعراء من القرن التاسع عشر ولوعا بالتاريخ الشعري، ولا معاناة له، ولا انشغالا به، فهو يؤرخ شعرا في تشييد دار، وإقامة قناطر، كتاريخه للقناطر الابراهيمية «بديروط» عام 1288 هـ 1871م وهي القناطر التي أشرف على إنشائها المهندسون المصريون : اسماعيل الفلكي، وسلامة بك وبهجت باشا وغيرهم (83)...

☆ ☆ ☆

وعود على بدء، ولما تكلم الشيخ أبو الحسن علي اليوسي في المحاضرات على الحديث الصحيح : «ان أخنع الناس عند الله رجل تسمى بمالك الأملاك» قال ما نصه : «ومن البشع الواقع في زماننا في الأوصاف، أنه لما بنى السلطان المولى الرشيد بن الشريف قنطرة نهر «سبو» صنع بعضهم (84) أبياتا نقشت بالبناء في القنطرة، أولها :

82) السيد علي الدرويش المصري (ت : 1270 ـ 1853م) انظر ترجمته في «شيخو». ص : 1/84، و«أعيان البيان» للسندوبي؛ ص : 46؛ و«أعلام من الشرق والغرب» لمحمد عبد الغني حسن ص : 56، ط : دار الفكر العربي بالقاهرة.

83) انظر «عبد الله فكري»، بقلم : محمد عبد الغني حسن «أعلام العرب».

84) هو العلامة القاضي أبو عبد الله السجامي...

صاغ الخليفة، ذا المجاز

ملك الحقيقة لا المجاز

قال : فحمله اقتناص هذه السجعة، والتغالي في المدح، والاهتبال بالاسترضاء، على أن جعل ممدوحه ملكا حقيقيا، لا مجازيا، وإنما ذلك هو الله وحده، وكل ملك دونه مجاز الممدوح وغيره (85).

ونسبة الألوهية إلى غيره تعالى كفر صراح، وهذا مقتضى اللفظ، وقائله يتأوله بحقيقة دون حقيقة لأنه موحد، ولكنه في غاية الإبهام، وغاية القبح والبشاعة... وقد انكر الاشبيلي وغيره ممن ألف في لحن العامة ما هو أخف من هذا بكثير (86)...

وأجيب بأجوبة، منها أن الحقيقة تنقسم إلى عقلية وشرعية ولغوية وعرفية، والملك بمعنى العقلية لا يكون إلا لله، وفي غيره مستحيل، فيحمل على إحدى الحقائق الباقية، والاقرب مثله حمله على الحقيقة العرفية، بمعنى أنه لا يقال في العرف ملك الحقيقة إلا له، أما باعتبار الحاضرين في زمانه فلا إشكال، وأما باعتبار من مضى، فهي على طريق المبالغة، وذلك شائع في باب المدح (87)...

☆ ☆ ☆

وقد جدد المولى الرشيد أيضا، «قنطرة الرصيف» المرور عليها إلى جزاء أبي برقوقة من عدوة الأندلس، وجدد «قنطرة وادي فاس»، وهي المعروفة اليوم «بالقنطرة الطويلة»... وأسس القنطرة الشهيرة خارج باب البوجات، وهي بداخل مشور الباب المذكور، أدخلها إليه السلطان المولى الحسن لما سورة...

كما أسس السلطان هذا، «قنطرة وادي النجا» وقنطرة «باب الجديد» أحد أبواب فاس (88)...

---

85) «الاستقصاء» للناصري ص : 7/40.

86) المحاضرات، للحسن اليوسي ص : 18 ـ مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط 1396 ـ 1976.

87) نشر المثاني : ص : 2/193؛ الاتحاف : ص : 3/316.

88) وذلك في العام المذكور حسبما في «التقاط الدرر» وقد بنيت قنطرة «وادي النجاء وقنطرة ماريج» في عام 680 في عهد الدولة المرينية (الاستقصا للناصري ص : 3/79).

وفي إحدى هذه القناطر يقول أبو زيد عبد الرحمن الفاسي :

انظر إلى فضة بيضاء قد بسطت
جسرا على نهر يجري مع الـدرر
كغرة فوق أشكال الدمى لمعت
أو بارق لامع في ليلة القمر
أو لجة من لجين إن بدت دررا
بها يد البحر قد جادت على النهر
لا تعجبوا لنثير الدر كيف جرى
فالبحر يجري بمنظوم ومنتثر
هذى مآثر مولاي الرشيد بدت
عن سيرة سار فيها أحسن السير
من رام تعريفه ينظر مآثره
فما العيان، كمن قد جاء بالخبر
تاريخها (ظفرا1081) لما تلا (ظفرا1081)
جاءت ترى (ثمرا1081) من ذلك الظفر
ابقاه رب العلا دخرا يزيد علا
لجلب منفعة أو دفع ذي ضرر (89)

ومن مآثر المولى اسماعيل وتحبيساته اتمام قنطرة «وادي النجا» كما جدد عام 1115 هـ «قنطرة الرصيف».

ومن ذلك قنطرة الشيخ على بن منصور الشهير، وكان تأسيسه لها عام 1104 هـ و«قنطرة دردورة» الشهيرة المعروفة فيما سبق بقنطرة «ابن يشو» وكان تأسيسه لها عام 1101 هـ، على ما في بعض التقاييد الموثوق بها، والقنطرة الكبرى على الوادي الواقع خارج الزاوية الإدريسية بزرهون، وقنطرة أخرى على الوادي المذكور من ناحية قصر فرعون المعروفة اليوم «بقنطرة سيدي صابر» (90).

---

89) الدرر الفاخرة ص : 18.

90) «المنزع اللطيف، في التلميح لمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف» لابن زيدان ص : 384، مخطوط.. وعين دردورة، أو عين دورة جعلوا موقع هذه العين بين رأس عين علون، وعقبة الصعتر، ولا تعرف اليوم عين هناك، بفاس بهذا الإسم، ويرجح الأستاذ السيد عبد الوهاب بمنصور انها عين الخيل الحالية أشهر عيون تلك الجهة وأغزرها ماء.

ومن مآثر المولى سليمان أنه أصلح القناطر التي بين فاس ومكناسة وجدد قنطرة الرصيف مرتين، وأصلح قنطرة على وادي سيدي احرازم بخولان، وبنى «قنطرة وادي حصار» بتامسنا، كما بنى «قنطرة وادي أم الربيع»، و«قنطرة تانسيفت» بمراكش بعد سقوطها (91).

وقد جدد المولى محمد بنعبد الله بعض حنايا «قنطرة سبو» (92) العديمة النظير عظما وضخامة ومتانة وإتقانا، وقد نقش شعر في زليج أسود بأعلى أحد أقواسها، ودونكم لفظ البقية من هذا الشعر :

شيدني معظم ودود
إمام غرب، فضله معدود
محمد ابن من له صعود
عبد الإلاه الملك السعيد
ونشأتي تاريخها المعدود
تكراره أدت به شهود (93)

وبنى المولى عبد الرحمن بن هشام «قنطرة وادي مكس» بسفح جبل زهرون، وذلك عام 1273 هـ...(94).

ومن مآثر السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل ووقوفه، القنطرة من الحديد باكورة ما اخترع في عصره، كان رام نصبها على وادي أم الربيع، وكان المرشح للوقوف على اصطناعها وجلبها من أوروبا هو التاجر ولد مصطفى الرباطي، وقد صرف في سبيل تحصيلها وجلبها أموالا عظيمة، ومع الأسى والأسف، فإن هذه القنطرة لما وردت على حضرته السلطانية، سعى بعض الحدة، ومن في قلبه مرض من أهل الوجاهة في إبطال العمل بها، وقالوا : انها لاتصلح ولا تناسب، وانها يختل نظامها في أقرب مدة، فحمل المولى محمد بن عبد الرحمن كلامهم على الحقيقة، فألقاها في زوايا الإهمال، وصمم على بناء قنطرة، وأمر من زعم أنه

91) في عام 566 أمر أمير المومنين يوسف بن عبد المومن ببناء قنطرة تانسيفت وكان الشروع في بنائها يوم الأحد 3 صفر (الاستقصا ص 2/133) وجاء في كتاب الروض المعطار : أن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني كان قد بنى قنطرة تاشفين، وأن السيل أتى بعد ذلك فهدمها.

92) «الاستقصاء للناصري ص : 8/69.

93) «الدرر الفاخرة» ص : 65.

94) «الاتحاف» ص : 5/237.

يحسن النظر في ذلك بالتوجه لاختبار المحل الصالح لما ذكر، وتهييء ما تدعو إليه الحاجة من الإنقاض والمقومات، وتقدير ما تحصل به الكفاية، وأعلام جنابه بذلك ليأمر بتنجزه؛ والحال أن ذلك الموجه كذوب خؤون سيء النظر، فلم تنجح مساعيه...(95).

ومن تأسيسات السلطان المولى عبد العزيز بناء ووقف القنطرة ذات الأقواس التي يمر فوقها الماء المجلوب من «عين شانش» النابع، أصلها قرب مدشر «موساوه» أحد مداشر جبل زرهون ليزداد ذلك الماء على ماء عين خيبر الداخل للحرم الإدريسي وغيره من الأماكن التي يجري بها الماء من تلك الزاوية (96) وكان المولى عبد العزيز آخر من جدد قنطرة الرصيف الممرور عليها لحومة المخفية بفاس...

ومن مآثر المولى محمد بن يوسف ترميمه وإصلاحه لقنطرة وادي أبي رقراق (97)، التي تمر عليها السيارات، وتداركها بالإصلاح بعد أن انشب الخراب فيها أظفاره، وبناء قنطرة أخرى على النهر للمارة على الأرجل والدواب

95) «الاتحاف» ص : 3/563.

96) «الاتحاف» ص : 1/218.

97) يسمى بعض المؤرخين هذا النهر الفاصل بين مدينتي سلا، والرباط بحرا... ويسميه البكري : «وادي وانسيفن» وعند الإدريسي والفزاري يحمل هذا النهر اسم «وادي سمير» (راجع إفريقية والمغرب، المسالك : ص : 106، وكتاب : الجغرافية لمحمد بن أبي بكر الزهري / دمشق 1968، ص 192) ونجده عند المراكشي يحمل اسم : وادي الرمان» ص : 222، حيث يقول : أن الموحدين بنوا على وادي الرمان قنطرة من ألواح وحجارة، يعبر الناس عليها حين يجزر النهر، فإذا مد عبروا في القوارب، أما ابن حوقل فيسميه «بوادس سلا»، وعند ابن عذاري : «بحر سلا» أما ليون الإفريقي فيسميه «بنهر أبي رقراق» ص : 623، حين قال : «يتولد هذا النهر من أحد جبال تتفرع عن جبال الأطلس ويمر عبر أودية وغابات عديدة، ثم يبرز من بين التلال في سهل يمر منه إلى المحيط» ص : 623 ـ 207، ط : السعودية؛ واقتضب المراكشي وصفا في آخر كتاب حيث قال : «وقد بنوا على هذا النهر الكبير قنطرة من ألواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر، فإذا مد عبروا في القوارب» ص : 507، المعجب في «تلخيص أخبار المغرب» ط : دار الكتاب ـ الدار البيضاء؛ وتبسط في وصف القنطرة صاحب الاستبصار حيث ذكر أنها مركبة على ثلاث وعشرين معدية، مدت عليها أوصال الخشب، وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر تجوز عليها العساكر والمسافرون... ويمد البر فترتفع القنطرة، فتغطي الجسر فتعوم عليه المراكب، وترسى دونها الأجفان الكبار. وقد حاول الأستاذ الصديق عبد الهادي التازي أن يجد أصلا لتسمية هذا النهر بأبي رقراق، ويمكن أن يكون النهر منسوبا إلى قبة «للا ركراكة التي توجد بأطلال مدينة شالة المشرفة على الوادي،

والدراجات، وكانت مجازا خشبي المنشأ، وإصلاح القنطرة على الوادي المذكور (98)، وقد تهدمت واستعيض عنها بقنطرة عصرية راقية...

ولقد ألفى المنصور الموحدي هذا الجسر الذي كان قد نصبه أبوه مابين الرباط وسلا على البر لإجازة الناس عليه، قد خرقته البحور، وهدمته الدهور، فأمر بنصب جسر آخر إلى جانبه (99)، أعظم منه بناء وأساسا واعتلاء من الحجر العادي والجيار الثابت لأمواج البحار، فصنع في أقرب مدة، بأعظم الآلة وعدة، ووصله بالقوارب والخشب (100)، حتى جاء في أمن له من الأزمان والحقب.. (101).

كما أسس المولى محمد الخامس القنطرة الفخمة على وادي بهت بقبيلة «زمور الشلح» المرور عليها للرباط وما وراءه الآتي من فاس ومكناس وما وراءهما (102).

☆ ☆ ☆

هذه نماذج حية للوقوف التي كانت تخصص من طرف الفاتحين ذوي النظرة البعيدة، والرؤية القاصدة لبناء حضارة إنسانية عالمية، وتنمية اقتصادية متحركة، وخلق روح اجتماعية تتغيا إسعاد الفرد، وترفيه الجماعة البشرية بتقريب المسافات البعيدة، وطي المراحل الشاسعة... إذ بناء القناطر، وتشييد الجسور، بالإضافة إلى أنه كان سببا للتنمية الاقتصادية، والتواصل الاجتماعي، وخلق جسور مع الآخرين، وتقريب المسافات، فقد كان قربة يتقرب بها إلى الله زلفى، ينعم بها الواقف لينال الثواب الجزيل، والجزاء الأوفى، وليسهم في بناء مجتمع راق يبلغ يفاع المجد، وذرى التقدم والحضارة...

وتلك هي أحكام هذه المبرات الاجتماعية الوقفية ذات الحس الحضاري التي تسجل للإنسان ثوابا واجرا في الدارين.. فبناء القنطرة كبناء المسجد، أو كجعل الأرض مقبرة للمسلمين.. أو كجعل الدار رباط ثغر من الثغور ينزل فيه الغزاة والمجاهدون.. فهي رحمة لا تخلو من أن يجتاز عليها الأطفال والضعفاء والنساء والبهائم..

فكم من محْسَان كريم، سخا بمال حلال، أنفق على أهل الفضل والدين، والعاجز والمسكين فعمل على بناء القناطر والجسور، وعمارة المساجد، وتشييد المؤسسات الخيرية أو غير ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون، ويعنى بتحضيره وإنعاشه حتى تكون حسنة موقوفة إلى يوم الدين..

وقد تحدث ابن تيمية (103) عن المصارف التي يجب أن يبتدأ بالأهم فالأهم من مصالح المسلمين العامة، لما يعم نفعه من سداد الثغور بالكراع والسلاح وعمارة ما يحتاج إلى عمارته من طرقات الناس كالجسور والقناطر، وطرقات المياه كالأنهار...

فبناء القناطر والجسور وترصيف الطرق من المصالح العامة، والمرافق الحيوية التي توقف وتسبل لفائدة المواطنين، فهي ملك الوطن، لا الأفراد؛ وملك للبلد، وليست وقفا على طائفة دون طائفة، أو منظمة دون منظمة؛ فلا يسوغ مسها، ولا إتلافها، ولا الاستفادة من عبورها ومرور الناس عليها كيفما كانت الظروف والأحوال، كما أنه لا يجوز إتلافها وهدمها لستراتيجية حربية عابرة... ولقد قرر «هتلر» الألماني في الأيام الأخيرة من الحرب العالمية متابعة الحرب حتى النهاية، وجعل من مبنى المستشارية في برلين وأقبيتها المنيعة مركزا لقيادته، اتخذ عدة قرارات هامة، منها نسف الجسور والقناطر والطرق

وقد أشار بعض الأدباء المغاربة إلى أن أصل التسمية من رقرقة الماء وصفائه. (الإدريسي في نزهة المشتاق ابتداء من ص : 7 : الاستبصار : ص : 141 ـ 185 / المراكشي 507 / ابن عذاري ص : 26).

انظر : العلاقات مع الخارج أيام «ديوان أبي رقراق» «بالموجز، في تاريخ العلاقات الدولية، للمملكة المغربية» ص : 97، للدكتور عبد الهادي التازي» و«تاريخ رباط الفتح» لأبي عبد الله محمد بوجندار.

98) الدرر الفاخرة ص : 195.

99) «الغصن المهصور» للعلامة محمد السائح، مخطوط ورقة 16.

100) يذكر صاحب الاستبصار ص :1/141 القنطرة مركبة من 23 معدية كما قدمنا في النص.

101) «المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة» ص : 449 ـ 450.

102) الدرر الفاخرة : ص 194.

103) «السياسة الشرعية، في إصلاح الراعي والرعية» ص : 65، لابن تيمية تحقيق وتعليق : محمد ابراهيم البنا ـ محمد أحمد عاشور.

والمرافق العامة في ألمانيا الغربية في وجه جيوش الحلفاء الغازية ليعيق تقدمها، وانتدب أحد أعوانه المقربين الشباب لتنفيذ عملية التحطيم والتهشيم.

قالوا : لقد خرج الشاب الوزير في مهمته الشاقة هذه، وعاد بعد أقل من أسبوع دون أن ينسف جسرا واحدا، ويعطل مرفقا واحدا، عاد إلى رئيسه الدكتاتور الجبار، وقال له : «عدت يازعيمي لتنفذ في حكم الإعدام لمخالفتي أوامركم ـ لقد عدت دون أن أنفذ ما أمرت به»، فاستشاط الرئيس غضبا، وأرغى وأزبد، وقال له : «لماذا ؟» فأجابه بقوله : «ان الطرق هذه ليست ملكا لنا لندمرها، إنما هي ملك ألمانيا، التي ستبقى من بعدنا، وبواسطتها ستعود ألمانيا البناءة إلى مركزها العالمي، ولا يحق لنا أن نضيع هذه الفرصة على وطننا العزيز، وابناء مستقبله»..

فأطرق هتلر، وقال : «الحق معك يا صديقي، وأنا المخطئ الذي أمر في هذا دون روية، قد يكون نسف الجسور والطرق بعض من العرقلة لتقدم جيوش الحلفاء، ولكن النتيجة الحتمية قد كتبت علينا، لقد خسرنا الحرب، وسنذهب أنا وأنت مع هذه الخسارة، ولكن ألمانيا ستبقى كما قلت، وعلينا أن نفكر بألمانيا المستقبل».

وهكذا تصرف هذا الشاب الألماني الوطني تصرف العاقل الشجاع، غير آبه بالمصير الذي كان ينتظره، أولا، وهو الإعدام، وتصرف بما فيه مصلحة ألمانيا، ومستقبل وطنه الحبيب على قلبه، رغم أنه لن ينعم بالحياة إلا أياما معدودات، ولن يرى بأم عينه عودة ألمانيا، التي بات الزائر لها يعجب كل العجب بشبكة الطرق السريعة، والقناطر الضخمة الفخمة، التي تربط مدنها بعضها بالبعض الآخر شرقا وغربا وجنوبا وشمالا.. تلك الشبكة التي كانت من أهم منجزات الحركة النازية ومجال اعتزازها وفخرها، والتي دفعت الاقتصاد الألماني دفعا قويا إلى الأمام وأوجدت بين مصانعها مجالا تعاونيا في التسويق والإنتاج لم يكن ممكنا لولاها (104).

على أن هؤلاء الواقفين والمؤسسين المسلمين، لم يكن يخطر ببالهم، أو يدور بخلدهم وهم يشيدون تلك الجسور والطرق أن يتقاضوا يوما مَا رسوما أو جعلا من الناس مقابل العبور، فهم يسبلون المرور فوق القناطر للسابلة، دون قبالة توخذ منهم فيها أو جعل يستوفيها، وبذلك كانوا سادة قادة، قادوا الأمم، فأحسنوا مقادها، وساقوها إلى مواطن العزة فبلغوها..

ولقد سجل المرحوم أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدة وصف فيها «جسر البسفور» المتهالك المتداعي في بلاد تركيا، فذكر كيف كان المحصلون والجباة غلاظ الأكباد، يتصدون لكل عابر للجسر يبتزون منه مالا، ويأخذون منه رسوما إجبارية مع أن ذلك الجسر، رغم هلهلته وتداعيه، يفيد حكومة السلطان بإيراده ورسومه، ويسهم في رفع ميزانية البلاد، ويعدُّ رافدا من الروافد المالية، رغم أنه بقي بدون إصلاح وعناية واهتمام..

وقد اهتم بهذه القصيدة الرائعة، التي تصور مأساة هذا الجسر، السلطان عبد الحميد العثماني، حيث طلبها، وقراها.

يقول شوقي في قصيدته :

أمير المؤمنين رأيتَ جسراً
أمُرُّ على الصراط، ولا عليه
له خَشَبٌ، يجوعُ السوسُ فيه
وتمضي الفارُ لا تأوي إليهِ
ولا يتكلّف المِنشارُ فيه
سِوَى مرِّ القطيم بساعديه
وكم قد جاهَدَ الحيوانُ فيه،
وخلَّف في الهزيمة حافِرَيه !!
وأسمجُ منه في عيني جُبَاةٌ،
تراهم وسْطه وبجانبَيْه،
إذا لاقيتَ واحدَهم تصدّى
كعفريت يُشير براحَتَيْه
ويمشي «الصدر» فيه كل يوم
بموكبه السني وحارسيه

104) «المرافق الحيوية، ملك الوطن. لا الأفراد» للمهندس عارف الأعور، وقد ساق هذا المثل إلى الشعب اللبناني الذي يفعل ببلاده، مالم يفعله ألد الأعداء بعدوه، فيخربون المؤسسات والمرافق العامة، ويقوضون، في تصرف إجرامي أهوج حضارة ليست لهم، وإنما هي ملك للآباء والأجداد، والأولاد والأحفاد، وللإنسانية كلها...

ولكن لا يمرُّ عليـــــــــــه إلا
كمـــا مرَّت يـــداه بعَـــارضَيْـــه
ومن عجب هـــــــو الجـرُ المعلّى
على البسفـــور يجمـع شـــاطئيـــه
يفيـــدُ حكــومــةَ السلطــان مــالاً
ويُعطيهــــا الغِنَى من معـــدنيـــه
يجـود العـــالمـون عليـــه، هـــذا
بعَشرتـــــه، وذاك بعَشرتَيـــــه

وغـــايـــةُ أمره أنـــا سمعنـــا
لســانَ الحــال، يُنشدنــا لــديــه :
«أليس من العجــــــائب أن مثلي
يرى، مـــا قـــلَّ ممتنعـــا عليـــه
وتــوخـذ بــاسمـهِ الـدنيــا جميعـا
ومـــا من ذاك شيء في يـــديـــه !!»

الرباط : محمد بنعبد الله

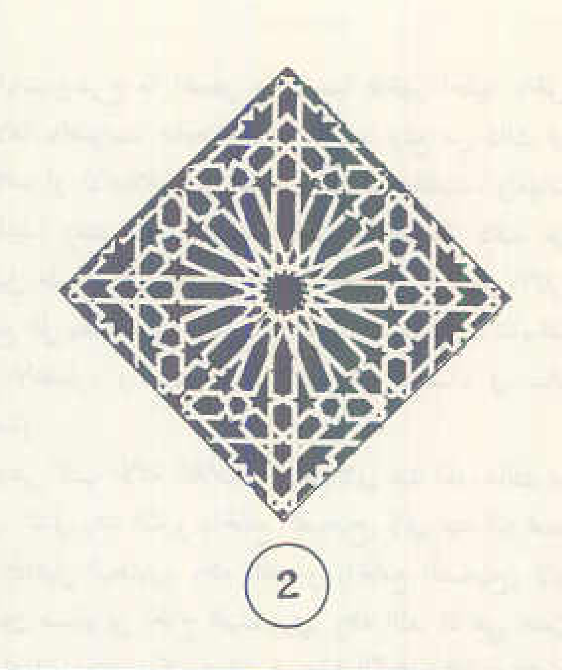
نداء إلى أساتذتنا وعلمائنا

مجلة دعوة الحق مقبلة على تطوير موضوعاتها وتجديد شكلها استجابة للدور المسؤول والهام الذي تضطلع به بلادنا نصرة لقضايا الامة الاسلامية ودفاعا عن توجهاتها المصيرية.

واذا كان الفكر الاسلامي الذي انشأ حضارة انسانية اعطت للعالم ينابيع متدفقة لا ينضب معينها ارشدته الى الطريق الضامن لتقدمه وتطوره في اجواء يهيمن عليها الهدوء النفسي، وتطبعها الفضيلة والاخلاق المثلى، فان من آكاد الواجبات على مثقفينا ومفكرينا ان يوالوا الاسهام الجاد والمبدع في المسيرة التي تنهض بها امتنا الاسلامية في مختلف اصقاع العالم لكي يبقى عالمنا الاسلامي عالما تظلله الحكمة والفضيلة والتعاون والوئام.

ودعوة الحق وهي توجه هذا النداء الفكري الى اساتذتنا وعلمائنا لتنتظر منهم المشاركة المتواصلة على صفحاتها في مجال الفكر والثقافة الاسلاميتين.

مآثر جلالة الملك الحسن الثاني



2

في نشر الفكر الإسلامي وإحياء تراثه الخالد

للأستاذ البلغيثي أحمد بكيري

اقدم للقراء الكرام الحلقة الثانية من مآثر جلالة الملك الحسن الثاني في نشر الفكر الاسلامي واحياء تراثه الخالد بهذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي بمناسبة ذكرى 3 مارس 1985. لتربع جلالته على عرش اسلافه المنعمين.

30 ــ كتاب (مشارق انوار، على صحاح الاثار).

للامام الشهير، والحافظ الكبير، علم الاعلام، وشيخ مشائخ الاسلام، وعمدة ارباب المحابر والاقلام، ومفخر علماء الاسلام، ومجمع الفضائل التي استقلت رسومها فلم تحتج الى اعمال الاعلام، القاضي ابي الفضل، عياض بن موسى، بن عياض، اليحصبي السبتي المالكي، المولد سنة (476) والمتوفى بمراكش سنة (544) رحمة الله تعالى ورضي عنه، ونفعنا به، وهو كتاب قيل فيه (لو وزن بالجوهر، او كتب بالذهب، لكان قليلا في حقه) وقد اشتمل على تفسير غريب حديث الموطا، والصحيحين، وضبط الالفاظ والتنبيه على مواضع الاوهام والتصحيفات، وضبط اسماء الرجال، غير انه لرفعة قدره، وفخامة امره، عز مناله، حتى كاد ان يدعم مثاله، فوفق الله تعالى للبحث عن هذا الكنز المدخر، وابرازه للعيان بعدما حجب واستتر، جلالة مولانا الامام امير المؤمنين السلطان مولانا (عبد الحفيظ) رحمه الله فجاء وارث سره، السلطان العالم، امير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، جلالة الملك الحسن الثاني ادام الله نصره، وخلد في صحائف العلم والمجد ذكره، فامر وزارته في الاوقاف والشؤون الاسلامية بطبع (المشارق) للقراء وتيسيره للباحثين والطلاب، من مشارق ومغارب، بعد ان عز وجوده، وتنائى عنه البحث في الاسواق والمكتبات فلم يوجد، سيما وقد نفدت الطبعة الوحيدة الموجودة منه، وباتت في حكم الخطوط تماما، فها هو اليوم (المشارق) يزف الى القراء الكرام، كتابا جمع بين الاتقان والتقويم، وبين الشوارد وسدد مقاصدها، وضبط ما التبس او اشكل من معانيها، كما نص على اختلاف

الروايات وشرح ما اغمض وابهم منها فاظهر احقها بالحق، واولاها بالصواب، جامعا ومحررا لكل ما وقع من ذلك فيه الخلاف او الاختلاف، في مختلف مصنفات الحديث، وامهات الاسانيد، ومنثورات اجزائها، معتمدا بالاخص في ذلك على تحصيل ما وقع في الامهات الثلاث، الجامعة لصحيح الاثار، المجمع على تقديمها في الماضي والحاضر، والمستقبل ان شاء الله من الاعصار، والمقبولة اساسا عند كافة العلماء في سائر الامصار.

وهي كتب الائمة الثلاث، (الموطا) لابي عبد الله، مالك بن انس، المدني رحمه الله و (الجامع الصحيح) لابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، رحمه الله، و (الجامع الصحيح) لابي الحسين مسلم بن الحاج النيسابوري، رحمه الله، اذ هي اصول كل اصل، ومنتهى كل عمل، في هذا الكتاب المرتب ترتيب حروف المعجم عندنا، بدأ من الالف، وختما بالياء، مع ترتيب ثاني الكلمة المتوخاة، فكلما وقفت على كلمة مشكلة، او لفظة مهملة، رجعت الى الحرف الذي في اولها، ان كان صحيحا، فإن كان من حروف الزوايد او العلل، تركته وطلبت الحرف في الصحيح، فان اشكل عليك، وكان مهملا طلبت صورته في سائر الابواب التي تشبهه، فتقع عليه هنالك ان شاء الله، وكذلك بدا المؤلف رحمه الله كتابه هذا، عند اول كل حرف من هذه الاحرف، بالالفاظ الواقعة في المتون، المطابقة للباب على الترتيب المضمون، وتولى اتقان ضبطها، بحيث لا يلحقها تصحيف يظلمها، ولا يبقى بها اهمال يبهمها، فان كان الحرف مما اختلفت فيه الروايات، نبه عليه، واشار الى الارجح منه والصواب فيه، بما يوجد في حديث اخر، رافعا للاختلاف ومزيلا للاشكال، ومريحا من حيرة الابهام والاهمال، ثم بعد ذلك بين اسماء بعض البلاد والاماكن من الارض، مما يشكل على الكثير تقيدها، ويقل من بين الناس متقن اسمائها ومجيدها ويقع فيها لكثير من الرواة التصحيف، فوضحها ونبه على اشباهها.

وعليه فالكتاب مبوب على حروف المعجم كما اسلفنا،وكل باب من ابوابه ينقسم الى اربعة فصول رئيسية، في كل فصل من فصول الباب الاول منها يورد ما في الحرف من الفاظ قد تحتاج ال بيان او ضبط او شرح او ايضاح مثلا :

الفصل الاول : في ضبط الالفاظ والحروف الواردة في الاصول الثلاثة، وشرح ما وقع فيها من خلاف او وهم، وبيان وما هو الصواب من غيره.

الفصل الثاني : ما في الحرف من اسماء البلدان والاماكن من الارض وضبطها، وما وقع فيها من اختلاف، او وهم او تصحيف بالنسبة للكتب الثلاثة المعتمدة.

الفصل الثالث : في الاسماء والكنى، مع ضبط ما التبس منها، او وقع فيه اختلاف او وهم.

الفصل الرابع : ما في الحرف من الانساب، وما استكمل منها او التبس خرفا او وهما ثم ما هو خارج عن هذه الفصول مما لا يدخل في باب من ابوابها لخلل وقع فيه او وهم او التباس، او تقديم او تاخير، ذكره او ضبطه في باب من ابواب الكتاب الاخرى، او في فصل من فصوله السابقة او للاحقة ذلكم هو كتاب المشارق، الذي تخرجه وزارة الاوقاف والشؤون والشؤون الاسلامية، في طبعته الثانية، بعد مراجعته وتصحيحه وطبع بمطبعة فضالة المحمدية الجزء الاول بتاريخ 1402 — 1982 والثاني بتاريخ 1403 — 1983 والثالث تحت الطبع والرابع قيد التحقيق.

31 كتاب (دليل الرفاق على شمس الاتفاق) : للشيخ العلامة ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين فيما اتفق عليه من الاحكام الجائية على طريقة الامام حفيد ابن رشد في كتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) والامام الصدفي في كتابه (رحمة الامة) والامام الشعراني في كتابه (الميزان الكبرى) فهده الكتب القيمة الثلاثية في الاصول مع بعض الكتب الاخرى عند الائمة الاربعة رحمهم الله هي التي اعتمدها المؤلف رحمه الله اساسا لنظام كتابه (شمس الاتفاق) وجعلها منطلقا رئيسيا لشرحه (دليل الرفاق) الذي هو لون من المعاف الفقهية المركزة والمعروفة عند الفقهاء (بالخلاف العالي) فهو قلادة ثمينة ومفخرة من المفاخر المغربية العربية الاسلامية التي عملنا على اخراجها من الظلمة الى الضياء بعد ان كانت مطبوعة طباعة حجرية لا يستطيع القاريء الماهر قراءتها بسهولة على هذا النمط من الكتابة الحجرية القاسية وكانت نسيا منسيا فاخرجناها بكتابة مقروءة ومتداولة بين كل الناس ومتعارفة لدى جميع القراء في المشرق والمغرب على عكس ما كانت عليه في الاصل، الغرض الاول والاخير من ذلك ازاحة اللثام عما اشتملت عليه هذه الاجزاء من النفائس وما جاء فيها من غرر الفوائد النادرة ومسائل الاحكام المتفق عليها بين الفقهاء المجتهدين والتي ابرز المؤلف

رحمه الله مواضع ادلتها ونبه عليها وعلى نقط الخلاف فيها وما جرى ويجري من كل ذلك مجرى الاصول والفروع والقواعد والتنبيهات والاسرار والفوائد مما قد يحتاج اليه الطالب والسامع والمعلم والاستاذ والمحقق حينا ولما يعرض لهما او يعترضهما من اختلاف في الرأي والفكر احيانا اخرى.

فالكتاب بحق يتناول في شتى موضوعاته فهما فقهيا دقيقا لكثير من المسائل الفقهية التي احاطت احاطة كلية بالاقوال والافعال والتقريرات الشرعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدونة في كثير من كتب السنة المطهرة، عرضت بوضوح وجلاء ويسر وسهولة واستيعاب في سائر ابواب الكتاب وفصوله مكونة بذلك معلمة فكرية من المعالم الفقهية الاسلامية التي لا يستغنى عن معرفتها في عصرنا الحاضر لما اشتملت عليه من الاحكام مكتملة ومتكاملة في الاجزاء الاربعة التي ستتكون منها اسفار الكتاب في طبعته الجديدة معطية بذلك صورة واضحة الجوانب والمعالم للفقه الاسلامي في الصحراء المغربية، وكما عرفه المغاربة منذ القدم وفاتحة للامة بابا من ابواب الاجتهاد للفهم الصحيح المتكب عن كل الخلافات والبدع الناشئة عن التعصب الاعمى الغير المتماشي مع الشرع والمنطق والعقل وذلك بالضبط ما اراده المؤلف رحمه الله وسعى جادا كل الجد الى ادراكه سعيا حثيثا في كتابه هذا، جاعلا نصب عينيه ما ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:

«اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»، وان هذا العمل الصالح ولا ريب داخل فيما دل عليه هذا الحديث ومنطبق عليه تمام الانطباق، فهو علم ينتفع به ومستمر وخالد له ثوابه عند الله الى يوم القيامة بحول الله.

وقد طبع هذا الكتاب على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية وزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بابو ظبي وطبع الجزء الاول منه بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1402 م 1982 والجزء الثاني تحت الطبع.

32 كتاب (الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون واحوازها، خلال القرن العاشر الهجري (السادس الميلادي) اعده لنيل دبلوم الدراسات العربية الاسلامية العليا من دار الحديث الحسنيو بالرباط الاستاذ عبد القادر العافية والكتاب يعد من خيرة البحوث والدراسات القيمة النادرة التي اهتمت اهتماما بالغا بموضوع العمران في فترة معينة من تاريخ امتنا العربية الاسلامية بالمغرب، وفي ناحية مهمة ومعلومة من هذا المغرب بالشمال على الخصوص هي : اقليم شفشاون العزيز الذي تناوله الاستاذ الباحث العافية بالدرس والتحقيق متحدثا عن حضارة جبال غمارة وما فيها من آثار عمرانية وتاريخية وجغرافية الى جانب حديثه عن الاوضاع السياسية التي عاشتها مدينة شفشاون منذ نشأتها على عهد بني راشد الذين كانوا يحكمون المنطقة بكاملها وبالاخص في الحقبة الاخيرة التي تولى فيها الحكم الامير المحنك الشجاع علي بن راشد مؤسس ثغر شفشاون ومدينتها التي يشهد بها القريب والبعيد والقاصي والداني على السواء، هذه المدنية التي سيشهد القارىء الكريم في هذه الدراسة المتمكنة صورا واضحة المعالم عنها وعن وصفها ويلمس لمس اليد من خلالها آثار تلك الحضارة التي مرت بها عبر القرن العاشر الهجري السادس الميلادي بما يقرأه عنها وهو يجول خلال سطور البحث في مواضع قلما يجدها مكتملة او متكاملة في غير هذا الكتاب الذي ربط في ايجاز واختصار هذه الفترة من الماضي البعيد بالحاضر القريب ومزج بين الحاضر والماضي عبر مسار تاريخي قوي متماسك البناء لحقبة كانت من احلك واصعب الحقب التاريخية للمنطقة التي ضاعت جل حلقات رسوم تماسكها فعز وجودها بين الدارسين وعزت مصادرها وتبددت في زحمة الهجمات الصليبية المتكررة على العالم الاسلامي قاطبة ومن ضمنه المغرب وبذلك تظهر اهمية العمل في هذا الكتاب الذي قسمه الى ثلاث اقسام رئيسية.

قسم عن شفشاون واحوازها، وآخر عن الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية وثالث عن الاعلام والشخصيات البارزة المنتمية اليها، وطبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية بمطبعة فضالة المحمدية سنة 1403 — 1982.

33 كتاب (المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي اهل افريقية والاندلس والمغرب) لفضيلة العلامة الشيخ ابي العباس احمد الونشريسي وموضوعه اجتهادات فقها، فاس ومراكش وسبتة وقرطبة وغرناطة وتلمسان وبجاية والقيروان وغيرها من عواصم المغرب الاسلامي. فالكتاب موسوعة فقهية كبرى تعرضت لقضايا ومشاكل لم تجد حلولا وقتية ملائمة لها انذاك فكان ذلك

مدعاة الى اجتهاد الفقهاء لاستنباط الاحكام الشرعية للنوازل المطروقة عن طريق استقراء النصوص الفقهية القديمة ومقارنتها وتاويلها بما استجد لحل تلك المشاكل والقضايا التي تناول منها الكتاب العدد العديد اضافة الى قضايا اخرى تناولت التاريخ والاجتماع والسلم والحرب وقام بهذا العمل في تحقيق النصوص بعد ان كانت مطبوعة طباعة حجرية فاسية لجنة من الاساتذة مكونة من محمد العربي بن احمد حجي ومحمد عبد القادر العرائشي، ومحمد التاودي ابن سودة، واحمد الشرقاوي اقبال، وسعيد اعراب واحمد الخطابي، وادريس الاشهب فطبعت هذه الموسوعة الفقهية بعد التحقيق على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربي في اثني عشر مجلدا كما طبع بعدها وعلى نفقة نفس الوزارة الجزء الثالث عشر في مجلد واحد للفهارس قام باعداد الدكتور محمد حجي والاستاذ احمد الشرقاوي اقبال والاستاذ محمد العرائشي لفهرسة الموضوعات العامة التالية للكتاب : فهرس لجرد المفردات الابجدية فهرس للموضوعات الفقهية فهرس للاشارات فخرس للاعلام والاشخاص والقبائل والامم والفرق فهرس للاماكن فهرس للكتب الوارد في المتن واخيرا استدراكات وتصويبات على الكتاب تعطي كشفا صادقا وترسم سبيلا واضحا لمعالم للموضوعات التي جاءت في الاجزاء الاثنى عشر وما حوته من فتايا واجوبة تتطرق في عامتها الى كثير من الشؤون وفق الكتاب والسنة والاجماع والقياس وما تدعو اليه مقاصد الشريعة السمحة من يسر وتسهيل على طريقة المذهب المالكي المتبع في المغرب وكافة افريقية، وهذا هو الكتاب والفهرس الذي طبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1403 — 1983

34 كتاب (اضاءة الراموس واضاءة الناموس على اضاءة القاموس) لمؤلفه العلامة اللغوي الشهير شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الشركي الفاسي الصميلي اصلا وولادة المدني وفاة المولد سنة 1110 هـ موافق 1099 م بفاس، والمتوفى سنة 1175 هـ موافق 1761 م بالمدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام.

تناول فيه مؤلفه ابن الطيب الشركي، وهو من هو توثيقا، اتقانا وفصاحة في اللفظ وجزالة في الاسلوب، موضوعات لغوية مهمة قيد فيها غرر ما تفرق من الفوائد وندر من الاوابد والشوارد والشواهد باوضح معنى واقصر عبارة فاذا افصح عن ذلك اغرق في التصريح واذا كنى عنه اغنى عن الايضاح والتلويح ولم يكتف بذلك فحسب، بل اضاف مسائل اخرى يحتاج اليها كافة اهل العلم باللغة من حاضر وباد، وفي كل ملتقا وناد، لا مزيد عليها في الاتفاق وكثرة الفوائد سابكا اياها سبكا ومبينا اصولها من فروعها مرشدا اليها في مصادرها من كتب اللغة الصحاح مثل القاموس للفيروزا بادي الشيرازي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي البغدادي وصحاح الجوهري لاسماعيل بن حماد الجوهري ولسان العرب لابن منظور الافريقي وغيرها من امهات كتب اللغة والقواميس المعروفة، هذه هي الحاشية وما امتازت به عن غيرها من كتب اللغة المشهورة، فهي كنز نادر من الكنوز المغربية التي ظلت مطمورة بين الرفوف مغمورة وسط المخطوطات حتى وفق الله وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية لاخراجها مضيفة بذلك الالمكتبة العربية والاسلامية كتابا من انفس واغلى كتب اللغة واشملها احاطة في بابه، ظل بعيدا عن اعين الباحثين والدارسين والقراء.

فحاشية ابن الطيب كما تعرف لدى المغاربة هي : اصل من اصول (تاج العروس) الا انها اطول منه فتاج العروس عشرة اجزاء، والحاشية ست وعشرون جزءا حسب تقديرانا لها عدا الجزئين اللذين تكفل الدكتور التهامي الراجي باخراجهما الاول عن ابن الطيب الشركي ومؤلفاته العديدة، والثاني عن فهارس الحاشية هاته وقد صدر من هذه الحاشية وعلى نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية الجزء الاول والثاني وهما من تحقيق فضيلة العلامة المرحوم الاستاذ عبد السلام الفاسي والجزء الثالث على وشك الصدور بتحقيق نفس الاستاذ والدكتور التهامي الراجي وطبع الجزء الاول بتاريخ 1403 — 1983 والثاني بتاريخ 1404 — 1984 بمطبعة فضالة المحمدية والدكتور الهاشمي الراجي على عهده.

35 (كتاب مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدي)

اعده والفه لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلوم الاسلامية من دار الحديث الحسنية بالرباط.

الاستاذ عبد الهادي احسيسن.

والكتاب يعد بحق مظهرا من مظاهر النهضة الحديثة وقد عالج فيه مؤلفه بذكاء وروية وصدق العصر الموحدي والاوضاع

السياسية والاجتاعية والثقافية السائدة في هذا العصر ثم تناول في الفصول الاولى منه يعقوب المنصور الموحدي من خلال تلك الاوضاع السياسية والاجتاعية والثقافية مبرزا انتشار الثقافة وشموها على عهده وبالاخص علم القراءات والتفسير واللغة والنحو والبيان والعروض والادب والبلاغة وعلم الكلام وعلم الاصول والفقه والسيرة والفلسفة والرياضيات وعلم التنجيم والطب الخ..

كما تناول في الفصول الاخيرة من الكتاب موقف يعقوب المنصور الموحدي من الظاهرية والمهدوية وعلم الفروع وعدم تحمسه وانتصاره للمذهب المالكي رغم صمود هذا المذهب ضد هذه المظاهر متحدة ومتفرقة مما ساعد على دخول علم الحديث الى المغرب والاندلس وشجع المؤسسات التي تهتم بهذا الفن في المغرب وقوى وزاد في عدد انتشار الكتب التي تدرس بهذه المؤسسات على هذا العهد وهكذا ينتهي الجزء الاول والثاني من كتاب مظاهر النهضة الحديثة في عهد يعقوب المنصور الموحدي 595 هجرية موافق 1159 ـ 1189 ملادية وطبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بابو ظبي وطبع بمطبعة فضالة المحمدية الجزء الاول سنة 1402ـ 1982 والجزء الثاني 1403 ـ 1983 وهما نهاية الكتاب.

36 كتاب تحت ظلال القرآن والسنة : تأليف عبد الحي العمراني خريج جامعة القرويين بفاس اخرج في حلة ظريفة وباسلوب ممتع اخاذ مقتبسا من ينابع كتاب الله تبارك وتعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي فيه نباء ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم الخ ..

ومن سنة رسوله المطهرة بكل ما اشتملت عليه من الاقوال والافعال والتقريرات الوردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن هذين المصدرين الصحيحين اللذين سبر اغوارهم المؤلف ليقدم الينا من خلالهما هذه الدراسة التي غاص من اجلها في بحر القرآن وحياض السنة يطوف في جناتيهما ويجول في ارجائهما مستعرضا بدقة كل الجوانب التي يراها صالحة لهذا البحث ومتاشية معه وبالاخص الجانب المتعلق بجوهر الايمان فيه والمرتبط ارتباطا بالنفس الانسانية في كشف اسرارها المترامية الاطراف والمختلفة الاطوار والانفعالات رافعا النقاب عن الجانب الروحي واثره العظيم في تحقيق السعادة الدنيوية والاخروية لبني الانسان، زيادة على جانب ما يتصل بالنظم الاجتاعية والمعاملات بين الناس، هذا هو كتاب تحت الظلال، الذي طبعته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية على نفقة الصندوق المشترك بينها وبين وزارة العدل والشؤون الاسلامية بابوظبي وطبع بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1403-1982 .

37 كتاب النوازل كتاب فقه للعلامة الحافظ الشريف الشيخ ابي الحسن علي بن الشيخ عيسى بن علي الحسني العلمي عرفت بنوازل العلمي حيث سلك فيها رحمه الله رحمة واسعة مسلك من سبقه في هذا الميدان من المتقدمين والمتأخرين ممن كتبوا والفوا في النوازل والاجوبة والفتايا والمعايير امثال سحنون وابي عيسى بن دينار وابن ابي زمنين وابي القاسم البرزلي وابي عبد الله بن الحاج وابن عرضون ويحى المازوني وابن هلال والعباسي والمستاوي والمهدي الوزاني والونشريسي وغيرهم هذا هو كتاب النوازل الذي عالج فيه مؤلفه بدقة متناهية موضوعات مختلفة من الفقه الاسلامي جد خطيرة مستنبطا اصولها من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة والاجماع والقياس وما تفرع عنها مما يصح ان يدخل في باب الاجتهاد بشروطه جريا على النسق المتبع في السؤال والجواب وتلك طريقة سهلة الاخد عالجت بها النوازل شؤون كثيرة ومختلفة مما تتعلق بالدنيا والدين من فقه النوازل والاحكام والمعاملات على ضوء مذهب مالك وما قرره الفقهاء واستنبطوه من احكام وحلول للمشاكل واجوبة للمتسائل وما اقره كذلك الاسلام سلفا وجاء به كتابه العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في صيغة يسألونك التي رددها القران عدة مرات وفي مواضع مختلفة منها قوله تعالى :

يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات .
يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول .
يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس .
ويسألونك عن المحيض قل هوادى فاعتزل النساء في المحيض .
ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح .
يسألونك عن الساعة قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو
يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيما انت من ذكراها الى ربك منتها ها. الى غير ذلك من التساولات والاستفهامات

المتتالية التي اوضحنا بعضا منها في الجزء الاول من كتاب التوازل للعلمي المطبوع على نفقة وزارة الاوقاف الشؤون الاسلامية المغربية بتحقيق المجلس العلمي الاقليمي بفاس والذي طبع بتاريخ 1403-1983 بمطبعة فضالة المحمدية.

38 كتاب هذا القران كتاب الفه العلامة عبد الحي العمراني احد علماء فاس وخريج جامعة القرويين بمناسبة احتفال المملكة المغربية بمرور اربعة عشر قرنا على نزول القران الكريم على سيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه افضل الصلاة وازكى التسليم، تلك المناسبة الكريمة التي خلدها المغرب سنة 1387 هجرية موافق 1968 ميلادية، ودعى اليها نخبة من جهابذة العلم والفكر والتفسير من كافة اقطار العالم الاسلامي، فكانت مشاركة هذه النخبة مشاركة فعالة في هذه المناسبة بعديد من المقالات والابحاث والدراسات القرانية، نشرتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في حينها، بالعدد الخاص من دعوة الحق بذكرى نزول القران.

هذا هو موضوع الكتاب الذي تناول فيه مؤلفه نماذج خاصة من اخلاق القران وفضائل النضال والتضحية من اجل العقيدة والايمان وموضع العلم والعمل والشورى والحكم والمساواة في شريعة القران ومنهجية الاسلام مما يعين القارىء على فهم القران الكريم فهما حقيقيا ودقيقا لموضوعات تتضمن تسجيل لمسات تبدد حيرة المسلمين، وتهديهم في عصرنا الحاضر سواء السبيل في دنياهم واخرتهم.

(ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات)فهو حبل الله المتين الذي لاتلتبس به الالسن، ولايخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، ولايشبع منه العلماء، من قال به صدق ومن عمل به اجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم، ومن تركه من جبار قسمه الله ومن اتبع الهدى في غيره اضله الله قال تعالى : (فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولايشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معية ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى، قال رجه لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك اتيك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)

فالقران رسالة دائمة ومستمرة وخالدة مدى الحياة، لهداية البشر، ولمحاربة الشرك والاوثان ولتكريم الانسان، وتحريره من الرق والعبودية، الا الله الواحد الاحد.

كما انه العروة الوثقى التي لاانفصام لها، الرابطة بين المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل، والموحدة بين صفوفهم، والمزيحة العراقل عن طريقهم، والقاضية كل القضاء على الضغائن والمشاحنات المتواجدة بينهم، والتي عرفتها مجتمعاتهم الحين بعد الحين فأزالها القران عنهم ورد عليهم جميل اعتبارهم كمسليمن على صعيد واحد فلا عنصرية، ولالونية، ولا عرقية، ولاطائفية، بينهم، كلكم من ادم وادم من تراب، لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى، مصداقا لقول الله تبارك وتعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله تقاكم).

هذا هو هدى القران ودلكم هو كتاب (هذا القران) وقد طبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بابوظبي وطبع بمطبعة فضالة المحمدية سنة 1403 — 1983.

39 كتاب (ابو علي القالي واثره في الدراسات اللغوية والادبية بالاندلس) ألفه الاستاذ عبد العلي الودغيري وتقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا السلك الثالث) من كلية الاداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس وهو بحق يعد من الدراسات الهامة اتي تناولت جانبا من جوانب حضارتنا الاسلامية بالاندلس وارخت لعلم من اشهر الاعلام الدين اثروا فيها بانتاجهم ومناهجهم، الا وهو ابو علي القالي البغدادي المتوفى سنة 356 الذي وفد من المشرق بعد ان طارت شهرته في الافاق حاملا معه ذخائر من الكتب والعلوم اللغوية والادبية، فلقي المكانة التي يستحقها في دولة بني امية، وجلس للتدريس ونشر المعرفة والتأليف، فكثر تلاميده وعظم تاثيره، وقد تتبع مؤلف هذا الكتاب حياة الرجل منذ نشأته بديار بكر، ولاحقه في تنقلاته من موطنه الى الموصل فبغداد فقرطبة بعد ذلك، ثم درس شيوخه وتلاميذه دراسة مستفيضة، ووقف طويلا عند مؤلفاته اللغوية والادبية، ورأى ان تاثير القالي في الاندلس قد تم جملة بثلاثة وسائل هي : تاثيره بواسطة مؤلفاته، ثم بواسطة تلاميده، ثم بواسطة ما ادخله معه من الكتب المقروءة والمحققة فوقف عند هذه الامور ووضحها بما يلزم من الادلة ويقتضيه من الاطلاع على المكتبة الاندلسية الواسعة. فجاء الكتاب ثمرة جهد طويل وعمل مشكور، ولبنة من اللبنات التي تبذل في سبيل

احياء نهضة العروبية والاسلام، وبعث علومها وتراثها وتخليد رجالاتها العظام.

ذلكم هو كتاب ابو علي القالي الذي طبع بمطبعة فضالة سنة 1404 1984 على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بابي ظبي.

40 كتاب (دستور الاخلاق في القرآن للدكتور محمد عبد الله دراز وضعه باللغة الفرنسية وهو الرسالة اساسية نال بها درجة دكتورة الدولة في السربون بفرنسا وقد طبعت على حساب مشيخة الازهر سنة 1950 وقام بتعريبها فيما بعد وتحقيق نصوصها والتعليق عليها الاستاذ عبد الصبور شاهين وراجعها الدكتور محمد بدوي تناولت كهدف رئيسي فيها ابراز الطابع العام للاخلاق في القرآن من الناحية العلمية والنظرية فقد وضع المؤلف نسفه منذ اللحظة الاولى على ارض الاخلاق واخذ يعالج المسائل الاخلاقية الواحدة بعد الاخرى بحسب المفاهيم والمعايير التي تعالج بها عند علماء الاخلاق المحدثين هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى نجده اعتنى بمناقشة الحلول التي جاء بها المفكرون في الشرق والغرب متخذا من آرائهم ومبادئهم وسيلة للمقارنة، وهو في اثنا ذلك كله يجعل القرآن دائما نقطة ارتكازه، ويعتمد في استخلاصه للاجابة الشافية على المسائل المطروحة اعتمادا مباشرا على النصوص القرآنية. باحثا عن سمات (الواجب) وعن طبيعة (السلطة) التي ينبعث عنها (الالزام) والتكليف وعن درجة (المسؤولية) الانسانية وشروطها وعن طبيعة (الجهد) المطلوب للعمل الاخلاقي، والمبدأ الاسمى الذي يجب ان يحفز (الارادة) للعمل فمن هذه المسائل استطاع المؤلف ان يستخلص عددا من الصيغ العامة التي تحدد رأي القرآن وتستوفي الناحية النظرية، فكان هدفه منها الاجابة عن كيف يصور القرآن عناصر الحياة الاخلاقية هذا هو موضوع الكتاب وتهمين عليه من اوله الى آخره فكرة الحاسة الخلقية انبعاث داخلي فطري وان القانون الاخلاقي قد طبع في النفس الانسانية منذ نشأتها «ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها» والواقع أن الانسان العادي يستطيع ان يميز الى حد ما كل ما يقوم به من انواع السلوك وما هو (خير) وما هو (شر) الى غير ذلك من الموضوعات التي تناولها الكتاب وقد قامت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية بطبع طبعته الفرنسية مرة اخرى نظرا لنفاذها من السوق وعدم تواجدها فيه وطبع بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1403 ــ 1983.

بعد الطبعة الصادرة بدار النشر (بوف) باريس سنة .

41 (دورة القاضي عياض) هي : مجموعة جديدة من الابحاث والدراسات القيمة التي شاركت بها نخبة طيبة من علماء الاسلام ومن خيرة رجالات العلم والبحث والفكر داخل المغرب وخارجه متناولة فيها بعمق واصلة علما شهيرا من اعلام المذهب المالكي. ذالكم هو القاضي عياض اليحصبي السبتي رحمه الله ولقد كانت هذه الدورة المقامة بمراكش في اطار (ندوة الامام مالك، بن انس رحمه الله) امام دار الهجرة التي امر امير المؤمنين وحامي تراث المسلمين بهذا البلد الامين جلالة الملك الحسن الثاني المحروس بالسبع المثاني والقرآن العظيم ان تقام بقصر المحاضرات بفاس في 9ــ10ــ12 جمادى الثانية سنة 1400 موافق 25ــ26ــ18 ابريل عام 1980م وان تبقى مفتوحة امام المشاركين كل ما كانت الظروف سانحة بذلك. فجاءت دورة القاضي عياض لتكون اولى دورة في هذه الندوة وامتثالا للامر السامي واعترافا بما لعياض من قدر مكين، ومكان رفيع وسط المغاربة وفي بلد كالمغرب ولقد اقيمت دورة القاضي عياض بنزل سوفتيل بمدينة مراكش التي تضم رفاقه الطاهر تكريما له واعترافا بفضله واحياءا لذكراه وكانت ايمها 13ــ14ــ15 جمادي الاولى سنة 1401 هـ موافق 20ــ21ــ22 مارس 1981م تلكم هي دورة القاضي عياض في ثلاث مجلدات مقسمة كالتالي :

1) المجلد الاول : عياض حياته وعصره
2) المجلد الثاني : عياض : المحدث والفقيه
3) المجلد الثالث : جوانب من شخصية عياض

وقد طبع الجزء الاول والثاني منها سنة 1404ــ1983 والثالث سنة 1404.1984 بمطبعة فضالة المحمدية وعلى نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية.

42 كتاب : (في موكب المسيرة النبوية او بيوتات الرسول صلى الله عليه وسلم) تاليف الدكتور محمد المختار ولد اباه وهو من الكتب القيمة التي تناولت بايجاز وعمق في آن واحد، وبصورة مركزة جانبا من جوانب شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهجرته وازواجه امهات المؤمنين رضي اللع عنهن اجمعين، والظروف التاريخية التي احاطت بدخولهن في

بيوتاته الطاهرة، وما كان لهن رضي الله عنهن من أثر عظيم في الحياة الاسلامية جميعا واختيارهن حب الله ورسوله والدار الاخرة عن حب الدنيا ولهوها وحطامها وزينتها وما في ذلك من الاجر العظيم لهن بشهادة القرآن الكريم اذ يقول :

(يآيها النبيء قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة، فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما).

كما عالج الكتاب دور السابقين الاولين للاسلام من الفقراء والمهاجرين (للفقراء والمهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) ومن الانصار (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتو ويوثرون على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون).

ومن الذين جاؤا من بعدهم (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم).

فعن هؤلاء واولئك جميعا من الذين حملوا راية الاسلام في اول امره عالية خفاقة، فراحوا يبثونه في الاقطار والامصار بين العرب والعجم ليبقى خالدا خلود الزمن الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

تحدث الكتاب ويتحدث واصفا استرسال دعوتهم الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن والاستماتة في استمرار الدعوة الى الله على كلمة سواء بينهم وبين غيرهم من الامم لا يعبدون الا الله (قل يا اهل الكتاب تعلوا الى كلمة السواء بيننا وبينكم الا ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا وإيانا مسلمون).

فعلى هذا المنوال سار المؤلف في كتابه موكب السيرة المحمدية، جامعا شتات ما تفرق من هذه السيرة هنا وهناك، ومنظما اطراف ما تناثر منها من حلقات غالية مفقودة، فضم عسير مسائلها ودقيق فوائدها الى بعضها بعضا، فلم يدع آيدة الا قيدها ولا شاردة الا ردها ردا جميلا الى اصلها الاصيل ومصدرها المتين من مراجع كتب السير والطبقات والحديث، متتبعا في مسار سيره الطويل مراحل السيرة منذ بعثه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وابتداء اول امره في رسالته وهجرته ومغازيه حاديا حدو النعل بالنعل اثره الرعيل الاول من صحبه الاخيار من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه.

هذا هو كتاب (في بيوتات الرسول) او في موكب السيرة النبوية الذي طبع على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية وشقيقتها وزارة العدل والشؤون الاسلامية بدولة الامارات العربية المتحدة بابي ظبي وطبع بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1405ـ1984.

43 كتاب (التعريف باختلاف الرواة عن نافع) للامام الجليل ابي عمرو عثمان بن سعيد الداني رحمه الله تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي وموضوعه القراءات الواردة في القرآن الكريم مع التعريف بالاختلاف الوارد فيما بين اصحاب الامام نافع الاربعة : اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير الانصاري، واسحاق بن محمد المسيب، وعيسى بن ميناقالون المدني، وعثمان بن سعيد ورش المدني صاحب الرواية المغربية المعروفة برواية ورش هؤلاء هم الائمة الاربع الذين اخذوا مباشرة القراءة عن نافع وادوها الى الناس حكاية فالكتاب يتطرق كذلك الى الاسانيد التي ادت الى الرواية كل واحد من هؤلاء الائمة الاربع على حدة مستخلصا في نهاية المطاف ان كل قراءة من هذه القراءات المذكورة وافقت المصحف العثماني ولو احتمالا وصح سندها عن الائمة فهي القراءة الصحيحة المتواترة وكذلك بالنسبة لكل قراءة توافق اللغة العربية بوجه من الوجوه زيادة على الضابطين المذكورين اعلاه، فهي عند الائمة قراءة صحيحة لا يجوز ردها ابدا ولا ينبغي انكارها، وذلك لموافقتها على الاقل لحرف من الحروف السبعة التي نزلالقرآن الكريم بها على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فوجب من ثمة على الناس قبولها، وسواء كانت هذه القراءة فعلا عن الائمة الاربعة او العشرة او غيرهم من الائمة المقبولين في هذا الفن فهي عندهم مقبولة كذلك ما لم تكن قراءة ضعيفة جدا ومن القراء الشاذة والباطلة بالمرة هذا من جانب ومن جانب آخر فان التعريف في اختلاف الرواية قد اعطى لهذه الموضوعات في بحوثه المتعددة ما تستحقه من تمحيث ودراسة ونقاش ولم يسبق اليهما في كتاب مثله من الكتب التي عالجت هذا الجانب من قبل وباختصار فان

الكتاب في وضعه الحالي ينقسم الى قسمين رئيسيين تناول المؤلف فيهما ما يختص بالقراءات مختتما القسم الاخير منها بسور القرآن الكريم بدأ من سورة البقرة الى نهاية المصحف الشريف وطبع على فقة الصندوق المشترك بين وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بابو ظبي بمطبعة فضالة المحمدية، بتاريخ 1043 — 1982.

44 كتاب (متن الرسالة)للعلامة الفقيه ابي محمد عبد الله بن ابي زيد عبد الرحمن القيرواني رحمه الله.

والرسالة هي عبارة عن كتاب من كتب الفقه المختصرة في امور الديانة مما تنطق به الالسنة وتعتقده القلوب وتعمله الجوارح وما يتصل من ذلك بالواجب من السنن مؤكدا ونوافلها وغرائبها على مذهب الامام مالك ابن انس رحمه الله وهي : صالحة للكبار والصغار على السواء من طلاب ووعاظ وأئمة وخطباء ومرشدين ومدرسين باسطة لهم مواضعها لكل البسط فيما يتعلق بمسائل التوحيد والعقيدة والعبادات والمعاملات وبعيدة كل البعد عن التطويل الممل وعن الاختصار المخل وعن الخلاف الذي لا طائلة من ورائه لها ولاء واولئك كتيب بطريقة واضحة العبارة قريبة المعنى لسلسلة الاسلوب وقد اعيد طبعها على نفقة وزارة الازقاف والشؤون الاسلامية المغربية وطبعت بمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1405 — 1984.

45 كتاب (العرف والعمل في المذهب المالكي) ومفهومه لدى علماء المغرب وهو عبارة عن دراسة اصولية مركزة تقدم بها الاستاذ عمر بن عبد الكريم الجيدي لنيل دكتورة في العلوم الاسلامية من دار الحديث الحسنية وتنقسم الى قسمين رئيسين تتخللهما ابواب وفصول ومباحث :

القسم الاول : مخصص لدراسة العرف

القسم الثاني : مخصص لدراسة العمل

وهكذا تناول الاشتاذ الجيدي الباحث بالدراسة والتحليل في القسم الاول مفهوم العرف في المذهب المالكي من حيث تحديده لغة واصطلاحا، موضحا العلاقةبينه وبين العادة، والادلة الشرعية من حيث تحديده لغة واصطلاحا، موضحا العلاقة بينه وبين العادة، والادلة الشرعية لتحكيمه من الكتاب والسنة وآراء الصحابة وائمة الاجتهاد مبينا شروطه وانواعه وسلطانه وقوته، واثره على النصوص ومنزلته بينهما، وعلاقته بغيره من المصادر الاخرى — مناقشا الادلة ومستدركا ادلة اخرى اغفلها من استدل للعرف، وتغير الاحكام بتغير العادات مبرزا ان المذهب المالكي قد اوغل في الاعتماد على هذا المصدر اكثر من غيره، رابطا بين العرف الشرعي والاعراف المغربية، متبعا نشأة هذه الاخيرة وتطورها وتاثيرها في التنظيم القضائي المغربي في مرحلة ما قبل الاستقلال وما بعهد،ومستعرضا رأي علماء المغرب فيها.

كما تناول في القسم الثاني : مفهوم العمل، والاسباب الداعية الى الاخذ به، ونشأة عمل اهل المدينة وتطوره والدليل على حجته من الاحاديث والاثار ورأي الائمة المجتهدين مستعرضا وجهة نظر الفقهاء الذين وقفوا من هذا العمل موقف الرد والانكار، مناقشا رأيهم مبينا ان هؤلاء لم يدركوا سر ما قصد اليه الامام مالك في اعتباره لهذا الاصل. موضحا ان الاخذ بالعمل قديم يرجع الى عهد الصحابة والتابعين، وهكذا افاض القول في عمل اهل المدينة ووجهة نظر المالكية فيه، وكيف فهموه، واستدلوا عليه، ثم انتقل الى بحث العمل عند المغاربة من حيث نشأته وتطوره ومنهج علماء المغرب في اثباته، ومدى صلته بعمل اهل المدينة، والشروط التي اشترطوها فيه وتنوعه بالمغرب وموقف الفقهاء منه، والمآخذ التي اخذت عليه، مبرزا تطور الفقه المالكي من خلال ما جرى به العمل ليصل في النهاية الى استنتاج ان ما جرى به العمل اصبح مصدرا رسميا للتشريع مما دفع المغاربة الاقبال عليه، واكثارهم منه، وتنافسهم في الاخذ به حتى صار لكل قطر عمله، وغدا الحكم يجري طبقا لما جرى به العمل ولو خالف المشهور، موضحا العلاقة بينه وبين العرف مبينا ان العمل ما هو في الحقيقة الا العرف في شكله المتطور، وان هذا الاخير كان السبب في قيامه.

ثم قدم في الاخير فصلا مسهبا عن تاثير العرف والعمل في الاحكام الشرعية منهيا البحث بدراسة تطبيقية لتأصيل نظرية الاخذ بما جرى به العمل، خاتما بخاتمة اجمل فيها القول عن قيمة العرف والعمل وتأثيرهما في التشريع مذيلا البحث بفهارس للايات القرآنية والاحاديث البنوية والمراجع والمصادر والموضوعات وطبع هذا العمل على نفقة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية ووزارة العدل والشؤون الاسلامية بابو ظبي. وبمطبعة فضالة المحمدية بتاريخ 1404 . 1984

انتهت الحلقة الثانية من هذا التراث في الغرب الاسلامي وتليها الحلقة الثالثة استقبالا بحول الله مع قوته

عيد العرش المجيد

الذكرى الرابعة والعشرين لجلوس جلالة الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين

للأستاذ الحاج احمد معنينو

تحل هذه الذكرى العزيزة، وقد صدر القرار الملكي الشامخ باقامة حفلات هذه الذكرى بمدينة العيون الحبيبة وسط صحرائنا العظيمة:

فرصة العمر تعيد ذكريات حميدة، فبعد عشر سنوات من سير (**المسيرة الخضراء**) لزيارة الاخوان الاوفياء بالصحراء المغربية، وتجديد الاتصال بالمواطنين الكرماء بسلاح بتار! **رفع المصاحف القرآنية والراية المغربية الوطنية** وادخلوها بسلام آمنين.

تأتي هذه المناسبة السعيدة وتتحقق **مسيرة اخوية ثانية** لاقامة حفلات عيد العرش هاته السنة وسط الصحراء وبين جنباتها فيهرول المغاربة اجمعون ومن كل اطراف المغرب للمساهمة بالحضور والتشرف باداء الطاعة والولاء لصاحب السؤدد الملك المفدى الحسن الثاني بمناسبة ذكرى تشريفه عرش المغرب العظيم.

انها مناسبة كريمة سيقف فيها الزائرون على تقدم هذه المنطقة الجنوبية من الوطن العزيز، وسيشاهدون المساجد والمعابد لاداء الفرائض والسنن، يشاهدون المدارس والمؤسسات العلمية للتكوين العلمي والثقافي. سيشاهدون المستشفيات والملاجيء للعلاج والوقاية، يشاهدون المؤسسات الاجتماعية لتكوين الاطر المهنية، سيشاهدون مراكز الشبيبة والرياضة، مراكز التعاون الوطني مراكز الهلال الاحمر، مراكز الصناعة التقليدية، مراكز التشغيل، والقطاع الفلاحي، والمؤسسات البنيكة المصرفية، الفرق الرياضية، مبتهجة ومنشرحة؟ سيشاهدون البنايات الشامخات والمؤسسات الحضرية، تجمع بين احضانها طبقات السكان البررة، سيرا بالامة سيرا محكما، والمنتديات والتجمعات تتفجر فيها ينابيع الحكمة ونور المعرفة، فتضيء تلك الجوانب بنور النور والتقدم والازدهار، ان الزائر لهذه المناطق الصحراوية المسترجعة بعد عشر سنوات، سيشاهدون فيها من التقدم والازهار ما يثلج الصدور ويقر العيون، كل هذا تحقق بارادة وحكمة صاحب الذكرى ملك البلاد البار بأمته، الحامي لها ولابنائها بالحب والكرامة.

ونحن بدورنا ابناء شعبه، وجنود ملكه، بهذه المناسبة نرفع لجلالته اكرم التهاني، واعز الاماني، تبارك لجلالته هذه الذكرى المجيدة، سائلين الله ان يتجلى على جلالته باليمن والعافية والتوفيق والرشاد، وعلى ولي عهده سمو الامير سيدي محمد وشقيقه سمو الامير مولاي رشيد والاسرة الكريمة بكل خير وسعادة وهناء وعافية.

شذرات من الفكر الحسني

للأستاذ مبارك الريسوني

يحتفل الشعب المغربي بذكرى عيد العرش المجيد يوم ثالث مارس من كل سنة تتويجا لكل الاحتفالات الوطنية وتخليدا للذكرى الرابعة والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على عرش اسلافه المقدسين. إن الاحتفال بهذه الذكرى العزيزة هو احتفال بالنضال والنصر، واحتفال بالقيم والاصالة، واحتفال بالحرية والديمقراطية، واحتفال بالظفر والثورة البيضاء ضد كل اشكال التخلف التي قادها جلالة الملك بنجاح استهدفت رفع مستوى المغرب سياسيا واقتصاديا وفكريا واجتماعيا وحضاريا.

فالانسان المغربي في التصور الفلسفي الحسني هو الغاية والوسيلة معا، هو الوسيلة لتحقيق الرفاهية للجميع وذلك بتفجير خيرات البلاد وجعلها متدفقة غزيرة، وهو الغاية لجعله ينعم بثمرات الجهود في ظل الحسنية الانسانية السمحاء.

إن جلالة الملك عمل وما فتي يعمل ــ منذ ان بوأه الله قيادة الامة المغربية ــ على توحيد صفوفها بالتضامن والتعاون الجماعي، وقد بلغ في ذلك غاية بعيدة بفضل ما سنه من سنن حميدة، كنكران الذات، والايثار، والمحبة، واشاعة الصدق، وبفضل سنة الاتصال المباشر كذلك التي عود بها شعبه فقضى جلالته في حقبة وجيزة على نعرات، واجتث رواسب الاستعمار المقيتة، وجعل من الشعب المغربي امة واحدة مثلها كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى عملا بالآية الكريمة «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغير وما بانفسهم» وبذلك يكون القائد الرائد قد كرس فترة من نضاله في غرس مجموعة من القيم والمباديء والمثل العليا ايمانا من جلالته بانها اساس للتضامن الايجابي والوحدة الفعالية.

إن الوحدة الحقيقية في الواقع لا يمكن ان تتم الا بالالتفاف حول رمز الامة، وباعث النهضة، ومستكمل الوحدة الترابية، والوحدة بهذا المفهوم هي الحياة. إذا لا حياة بلا رمز. ولا حياة بلا قيادة رشيدة.

إن جلالة الملك هو رمز الامة والضامن لوحدتها، وهو القيادة الرشيدة منذ ان اعتلى على عرش اجداده وهو يوالي جهودا تلو جهود لاقرار الحق واستتباب الامن واشاعة الطمأنينة، وتحقيق العدل واقصد بالعدل العدل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وذلك بتوزيع الثروات دون ميز ولا حيف، والعدل السياسي بتشريك كل الفئات الشعبية في القيام بالمسؤولية على الصعيد الاقليمي والوطني، وفي هذا الموضوع خاطب جلالته اعضاء مكتب مجلس النواب يوم 15 نونبر 1984 قائلا : «اعلموا رعاكم الله كما قلت لكم : إن بابنا مفتوح دائما أمامكم للتشاور والتذاكر والاخذ برأيكم فأنتم وزراؤنا، ووزراؤنا من نوع آخر ومن صنف آخر. الوزير هو الذي يعين على حمل الاثقال وحمل الوزر. والوزر ليس معناه الذنب ولكن المسؤولية» معناه وهذا هو معنى الشورى التي جاء بها الاسلام الحنيف تشريك ابناء الشعب من كل الفئات الاجتماعية حتى تكون الاختيارات الاساسية محل اجماع، واذا نحن واصلنا استقراء الفكر الحسني من خلال خطبه وندواته ومراسلاته التي تجمعها موسوعة انبعاث أمة التي يقوم على جمعها واعدادها وتبويبها والاشراف عليها استاذنا الاكاديمي الجليل السيد عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة فسنجد الحديث الملكي يلخص جملة من المباديء والقيم والاهداف التي يدعو شعبه الى التمسك بها والحفاظ عليها لكونها مصيرية في حياة الامة المغربية، وقال جلالة الملك في خطابه الافتتاحي لمجلس النواب الآنف الذكر:

«مدرستي بكل تواضع هي مدرسة محمد الخامس، ومدرسة محمد الخامس هي مدرسة النبي صلى الله عليه وسلم، الجل فينا لا يعرف من النبي (ص) الا حياته كرسول وداعية ومشرع، اما الحياة الديلوماسية والسياسية له ما زالت مجهولة، والمدرسة الحقيقية للمغرب هي لا تسامح في مقدسات الدين الاسلامي، ووحدة المذهب، ولغة الضاد، والوحدة الترابية، هذه امور لا يمكن مناقشتها ولو ثانية».

أجل فقد ضمن الله لنا في الدين الاسلامي العصمة لأن الاسلام وحي من الله، ولم يضم العصمة في الآراء العقلية، فالدين الاسلامي عقيدة وشريعة، دين ودولة منزه عن النقائص في كل ميدان، لكونه وحيا من الله منزلا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك نحن المسلمين لا نلتمس حلول مشاكلنا الاجتماعية والسياسية والحاضرة والمستقبلية خارج التشريع الاسلامي، وبعبارة فنحن في غنى عن الباطل الذي يزجي بمن استصاغه وسار في ركبه في دوامة من الصراعات تقتضيه عما هو مؤتمن به ومطوق، ام التماس الحلول للمشاكل على اختلافها من غير كتاب الله خدمة صريحة للشيوعية والصهيونية والامبريالية والاستعمار الجديد، «إنما المشركون نجس» فالاسلام يضمن للمسلم الرخاء والنعيم والطمأنينة لكونه يكون مشمولا لا محفوفا تكلاه العناية الربانية، ويقول جل جلاله في كتابه العزيز :

«ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض»، وإن منهج الاتباع ينفي عن المسلم كل شكل من اشكال الانحراف، والاسلام هو المصدر الاول لكل اصلاح والمحور الاساسي لكل الفضائل، وهو ينبوع متدفق بالرحمة والرأفة والحب، ففي رحابة يشعر الانسان بانسانيته وكرمه «ولقد كرمنا بني آدم» والاسلام في جوهره عصمة من الزلل «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم».

ومن بركات الله على هذا البلد الطيب ان استخلف عليه ملكا عادلا حكيما مؤمنا حق الايمان سبط النبي محمد (ص) يواصل الليل بالنهار خدمة للوطن شغله الشاغل ان يرقي بشعبه ليسمنه الدرجات العلا الى مصاف الأمم الراقية. إن جلالة الملك وهو يتحدث الى شعبه نجد ان احاديثه كلها تتمحور حول آية قرآنية يستلهمه منها كل المعاني او ترتكز على حديث نبوي شريف، وهذه ميزة يتميز بها عما سواه، وخاصية ينفرد بها جلالته عن بقية الملوك القادة والرؤساء ولذلك فجلالته وحيد عصره وفريد زمانه من حيث استنباط كل الاحكام من الكتاب والسنة والرجوع الى الاصل اصل « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين».

ويؤكد جلالة الملك هذا المسار بقوله اثناء افتتاحه لمجلس النواب كذلك فيقول «مدرستنا الخارجية هي عدم التناقض، فالمغرب منذ زمن ومنذ قرون اختار معسكره. ان معسكره هو التشبث بالدين الاسلامي. إذ يستحيل ان نكون ملحدين أو ماركسيين اخترنا هذا وسنبقى على ديننا الاسلامي إن شاء الله الى ان يرث الله الارض ومن عليها».

ان جلالة الملك حفظه الله ورعاه يدرك بثاقب فكره ان الايمان ليس دعوة الى الانعزال عن الحياة، وانما دعوة الى التوازن ودعوة الى الاحتفاظ للانسانية بإنسانية وبشريته وحريته وكرامته وامنه وطمأنينته، والامة التي آمنت بالله هي الامة الحرة، والمجتمع المادي الملحد هو المجتمع الذي يجعل من رهبة السوط بديلا عن دفع الضمير.

ولذلك نرى ان المغرب اختار الاسلام كدين ودولة، انه وجد فيه حلا لجميع المشاكل المستعصية منها والسهلة حلا يرتاح اليه الانسان ويطمئن، وفي اطار الخبرة العملية والتجربة الممارسة تعرف على جميع التيارات السياسية منذ الطلائع الاولى للفتح الاسلامي التي انتقلت اليه عبر قنوات مختلفة لاسباب شتى. واغراض متباينة، وليس مجال بحثها هنا تفصيل ذلك. أجل. وخلال هذه الفتوحات تعرف المغرب على تنظيمات سياسية في اطار اسلامي كالشيعة والخوارج وما انبثق عن هاتين الحركتين المعارضتين المناهضتين للحكم الاموي وانتشاره في بلاده المشرق وتغلغله في بلاد المغرب.

وتعرف المغرب كذلك على جميع التيارات الفكرية التي وفدت الى الشمال الافريقي وتصارعت فوق ارضه بحدة وعنف كالاشاعرة والمعتزلة وغير ذلك من التيارات الفكرية. اذ يبدو ان واصل ابن عطاء بعث اصحابه للامصار لنشر الفكر المعتزلي وكان من بينهم عبد الله ابن الحارث الذي بعث الى افريقيا، ورغم كل ما عرفه المغرب من تنظيمات سياسية وتيارات فكرية اصطفى من بينها مذهب الامام مالك الذي عايش كل تلك التيارات واحتك بها واصطدم قبل ان يحرز انتصارا عليها ويصبح المذهب الذي اجمع المغاربة عليه مقتنعين بجداره في حسم كل المنازعات واستئصال شافة كل الخلافات فيما بينهم، اذ جمعهم

في وحدة ساعدت على حفظ كيانهم الديني، فتمسكوا بالكتاب والسنة وترفعوا عن كل الخلافات الهامشية التي كثيرا ما تؤدي الى الانزلاق فيما لا تحمد عقباه، وتؤدي كذلك الى الزيغ والزلل، كما ساعد هذا المذهب على حفظ كيانهم الوطني فنشدوا العزة لبلادهم والرفعة والحرية والكرامة له، منها الحد الاقصى ذلك بفضل التضامن والاتحاد ووحدة الرأي ووحدة المصير، ووحدة الدين ووحدة التاريخ ووحدة اللغة ووحدة المذهب الذي نحن بصدد تحليله بعيدا عن النزاعات الطائفية التي كثيرا ما تكون سببا في تفكك اوصال الشعب الواحد.

وبعد هذا نتساءل لم تمسك المغاربة بالمذهب الملكي رافضين بقية المذاهب ؟

إن مالكا ينتمي للمدينة المنورة مركز الاسلام الاول وعاصمة الرسول، وقد اقتنع المغاربة بزهده وورعه وتقشفه وفضله، وهو اقرب الائمة الى روح الشريعة امانة علمية، ولذلك نال ثقتهم ومحبتهم وفاز برضاهم، فهو قدوة لهم بدون منازع، وبعد كل هذا فالحديث النبوي الشريف يطابق كل المطابقة اوصاف هذا الامام العظيم «يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة».

ان المذهب المالكي يتميز بخصائص تجعله منسجما وطبيعة اهل المغرب الذين يؤثرون البساطة والوضوح وينزعون الى العمل الجاد البناء ولذلك لم يلتمسوا غيره من المذاهب، واشير هنا الى ان بعض المذاهب كثيرا ما تقذف بالناس في اتون خلافات متأججة هامشية، وفي غالب الاحيان تفضي بهم الى صراع مسلح يهلك الحرث والنسل، وهذا يقصيهم عماهم مؤتمنون به ومطوقون من اعمال تستوجب منهم تعبئة جهود لبناء حاضر الامة ومستقبلها على اسس متينة.

ان المولى ادريس رغم انتمائه الى حركة الشيعة نراه يسلك السبيل السني في المغرب، ويحجم عن نشر الشيعة بهذا البلد ايمانا منه بان وجود كيانه ينطلق من السنة، ويتضح اتجاه الادارسة السني وفيما بعد المذهبي، مذهب الامام مالك من خلال الرسالة التي وجهها المولى ادريس لدى قدومه الى اوربة دعاهم فيها الى التمسك بالكتاب والسنة مستفزا غيرتهم الاسلامية لمواجهة الظلم ونبذ الخلاف ومما جاء فيها».... ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه (ص) والى العدل في الرعية والقسم بالسوية، ورفع المظالم....» وبعد ذلك اخذ الادارسة ينشرون المذهب المالكى ايمانا منهم ان المغاربة بميولهم السنية القوية رفضوا ويرفضون المذاهب الاخرى وقاوموها بشدة وعنف، والتاريخ يحدثنا عن موقف تحالف الفقهاء والعلماء والجمهور عامة ضد تسرب كل التيارات فيقفون منها موقفا معاديا ويقبرونها في المهد، فلا يكتب لها البقاء.

ان المغاربة لم يكونوا مستعدين ولا مهيئين ذهنيا بعد ان وجدوا بغيتهم في اتباع الكتاب والسنة والاقتداء بكبير الائمة.

وفي عصرنا هذا تمسك المغاربة بالمذهب المالكي، فضلا عما ذكرنا هناك اسباب عملية اخرى واضحة، ان زيارة المغاربة لبلاد المشرق عامة اما لاداء فريضة الحج واما لامور اخرى جعلتهم يقفون بانفسهم على خلافات الامة الاسلامية وصراعها وسببها ما يتمذهبون به من مذاهب وما يؤمنون به من افكار لحركات دينية وغيرها، ومثل هذه الخلافات التي لها اكثر من سبب ولون زجت بجماعات في صراع دموي مرير، ولجماعات اخرى في خلافات لاخلاص لهم منها سوى بحمل السلاح، والتاريخ يحدثنا عن الاقطار التي حافظت على الوحدة وعلى الحرية وعلى استقلال بلادها كالمغرب، والسبب هو وحدة المذهب، ولذلك نجد صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يؤكد على استمرارية المذهب المالكي، لانه يدرك ان هذا المذهب كان وسيبقى على الدوام يحارب كل صور الانحراف، ويقاوم كل اشكال البدع والزيغ، وانه شوكة في حلق من سولت له نفسه نشر ايديولوجية هدامة من شأنها ان تشوش على العقيدة، ونذكر هنا موقف يوسف بن تاشفين من البرغواطيين والقضاء عليهم، وموقف المولى اسماعيل من العكاكزة المنحرفة، وموقف جلالة الملك الحسن الثاني من البهائين.

كما ان هناك وسائل الاعلام على اختلافها المرئية منها والمسموعة والمكتوبة تنقل الينا اخبارا مؤلمة تسيء الى سمعة المسلمين تتلخص في الصراع المذهبي المزمن القائم، والتناحر الطائفي بين افراد القطر الواحد في منطقة، وبين امتين تجمع بينهما وشائج كثيرة وعلاقات مختلفة من وحدة الدين والحضارة والتاريخ والفكر والجوار الى غير ذلك من العلاقات والصلات، ان هذا التطاحن الطائفي والمذهبي يعكس بصورة واضحة ولا تقبل الجدال استحالة تعايش مذاهب مختلفة في أمة واحدة وخاصة اذا طمعت هذه المذاهب بايديولوجيات غريبة عن بيئتنا وهذا ما حدث ويحدث، ودست بافكار لا علاقة لها بالاسلام، فتصبح اذ ذاك المذاهب معولا من معاول الهدم والتخريب والفرقة والصراع، وتصبح كذلك اذى على افراد الامة الواحدة ووبالا على كثير من الاقطار، ونقمة على

الجيران، ومصدرا من مصادر الشر والبغي. وامام هذه الصور المؤلمة المعاشة فلا يمكن للمغاربة اطلاقا ان يعدلوا عن مذهبهم المالكي الذي اختاره بمحض ارادتهم بعد ان خبروه وجربوا فعاليته كان وسيظل — ان شاء الله — على الدوام والاستمرار مصدرا من مصادر الوحدة والتئام الشمل، ومصدرا للعصمة من الزلل. ان اختيار المغاربة لمذهب المالكي الذي يؤكده جلالة الملك في كثير من الخطب اختيار نابع من صميم قلوبهم، وذلك بعد ان اقتنعوا به عمليا لكونه كان وسيظل درعا واقيا، وقد ثبت ثبوت الرواسي الشامخة يتحدى كل اعصار مدمر. ان تلك الكوارث والاخطار المحدقة بالامة المتشبثة بروح مبادىء المذهب المالكي واهدافه وغاياته لم تزدها سوى ثبوت على المحجة البيضاء ومقاومة لكل انواع الطاغوت والبغي، ولم تزدها كذلك سوى تماسك بالكتاب والسنة والتفاف حول العرش الذي هو رمز الوحدة.

وبفضل تمسك المغاربة بالمذهب المالكي دابت جميع الخلافات والحساسيات والنزاعات العرقية والطائفية والسلالية والقومية والمذهبية وانصهرت في بوثقة واحدة واستحالت الى امة موحدة متساكنة اصلها ثابت وفرعها في السماء.

ويؤكد جلالة الملك كذلك على لغة الضاد — كما اوصانا في خطابه — التي هي لغة القرآن الكريم والحديث وهي اللغة التي كتب بها تراثنا الفكري والحضاري، ام جلالة الملك وهو يتحدث عن لغة الضاد باعتبارها اللغة الرسمية للمملكة المغربية يعلم انها غنية جدا وخصبة للغاية.

ولا ادل على ذلك من موسوعات اللغة التي نلمس فيها ثراء يعز نظيره في معظم لغات العالم. ولا حاجة بنا الى الحديث عن مصنفات كل فنون المعرفة لنؤكد ذلك، يكفي الرجوع الى كتب علمية او فلسفية لادراك مدى هذه الغزارة وتلك السعة. وان الحديث الملكي عن لغة الضاد ليهدف منه جلالته الى امور شتى منها تدعيم وحدة البلاد، ففي رحابها يتحقق التمازج والانصهار والتجاوب والوئام والتعاون والاتحاد كتوطئة للتفاهم والتساكن وكضمان لاستمرار الوحدة.

ان حكومة جلالة الملك قامت بجهود مكثفة في ميدان تعريب كل المواد الدراسية وعلى الاخص المواد العلمية التي شرع في تعريبها بالنسبة لاقسام التعليم الثانوي منذ سنتين غير ان بقية المواد فقد عربت منذ مدة، اما في الميدان العلمي لا بأس من الاشارة الى ان معظم المصالح الحكومية اصبحت بها لغة التخاطب والتراسل تتم بلغة الضاد دون سواها.

ان جعل اللغة العربية كاساس في كل الميادين لابد وان يؤدي الى نتائج جد ايجابية، فالتمسك بها يعني نبذ كل اوجه الخلاف للوقوف على صعيد واحد من اجل النهوض جنبا الى جنب بوطننا العزيز الى اعلى الدرجات.

وقد اشار جلالة الملك كذلك في الكثير من خطبه الى الوحدة الترابية باعتبارها احدى المقدسات.

ان الوحدة الترابية والدفاع عن حوزة الوطن لمن المبادىء الاساسية الوطنية المقدسة التي لا هوادة فيها. فالحفاظ على الوحدة الترابية التي هي اختيار من اختيارات العرش والشعب معا حفاظ على الكرامة الانسانية والحرية البشرية، اذ لا كرامة لمسترق ولا لمستعبد، كما لا حرية لهما كيفما كان نوع هذا الاسترقاق او الاستعباد فكري او حضاري او اقتصادي.

ان حدث المسيرة الخضراء يجسد بصدق الروح الوطنية والغيرة على وحدة البلاد وحريتها وكرامتها، ومن معاني عظمة هذا الحدث التحام العرش بالشعب وتجاوبهما كالمعتاد، ذلك التجاوب التلقائي العفوي الذي جاء ليجسد الحب الصادق بين ملك عظيم حكيم وبين شعب كريم ابي.

ان المغرب حافظ على الدوام وسيحافظ استقبالا — ان شاء الله — على كيانه كدولة اصيلة ضاربة جذورها في اعماق التاريخ كحضارة وتاريخ.

وبفضل هذا التلاحم الذي كان وسيظل سدا منيعا امام كل غزو اجنبي يستهدف بسط الهيمنة ومد النفوذ.

ان القائد الرائد وهو يهيب بشعبه ان يكون حذرا من كل المناورات والدسائس التي تحاك ضده سرا وعلنا، ليعني جلالته من هذا التذكير الى ان المغرب بلد محسود لما ميزه الله عن كثير من الامم والشعوب بمميزات كثيرة بشرية وطبيعية حباه بانعم لا حصر لها، والحفاظ على استمرارها يستلزم منا جميعا التعبئة واليقظة والحذر والتبصر والوعي، لكي لا نقع في فخ نصبه لنا اعداء الوحدة الترابية للايقاع بنا، تمهيدا لبسط الهيمنة، وهكذا على كل حال يستحيل حدوثه ابد الدهر.

ان الحفاظ على الوحدة الترابية للبلاد لمن اقدس المقدسات لدينا كعرش وشعب سنفديها بدمائنا الزكية دفاعا عنها وسنسترخص من اجلها ارواحنا. اننا جلالة الملك سنظل على الدوام والاستمرار اوفياء للعهد وللقسم، وملتزمين ومستجيبين لما تنصح به عبقرية جلالتكم من نصائح غالية، ومن اعلى هذه النصائح الملكية الحفاظ على الوحدة الترابية، وفي هذا الموضوع يقول جلالة الملك يوم 14 نونبر 1984 بمناسبة استقبال جلالته للوفد المغربي العائد من اديس

ابانا «كل شيء يمكن ان يكون فيه التهاون الا الامانة، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له، والامانة الغالية المقدسة التي هي الان على عاتقنا ونحن مطوقون بها كلنا هي وحدة التراب الوطني وسلامة السيادة المغربية، يجب ان يتعلم ابناؤنا وبناتنا منذ صغرهم، ان هذه المسالة لا مفاوضة فيها ولا مهاودة».

اننا نعاهد الله على الوفاء على ان لا نفرط في شبر منها مهما تكالبت قوى الشر والبغي من اعداء وحدتنا الترابية الذين ساءهم التئام الشمل، وحزفي نفوسهم ان يظفر المغرب بامنية طالما جد في طلبها، فكادو له ويكيدون فناهضونا وما زالوا يناهضوننا في حق مشروع مسلم به. اننا في ارضنا بديارنا سنذود دفاعا عنها مسترخصين وقد لقنا هذه الروح الوطنية والغيرة على البلاد كل غال ونفيس، هذه كلمة يرددها الناس اجمعون بدون استثناء لابنائنا وحفدتنا من بعدنا ليواصلوا الدفاع عن حوزة بلدهم، اننا اقسمنا جميعا على الحفاظ على وحدة التراب والدفاع عنه من طنجة الى الكويرة والمؤمن الحق هو الذي يبر بالقسم

«اقسم بالله العظيم ان ابقى وفيا لروح المسيرة الخضراء مكافحا عن وحدة وطني من البوغاز الى الصحراء.

اقسم بالله العلي العظيم ان القن هذا القسم اسرتي وعترتي في سري وعلانيتي، والله سبحانه هو الرقيب على طويتي وصدق نيتي»

واؤكد اننا لقنا هذا القسم لابنائنا الذين نعيش واياهم تحت سقف واحد واعدنا تلقينه لهم ورددوه على مسامعنا، ثم شرحنا لهم شرحا مستفيضا ما يتضمنه من معاني وابعاد واهداف وغايات، فكان شعورنا بعد ذلك شعور ارتياح بعد ادراكهم بمعانيه تجلى ذلك في غيرتهم وحماسهم مم اثلج صدورنا كآباء اولا لهم رسالة، وكمواطنين لهم غيرة على بلدهم ثانيا.

ويؤكد جلالة الملك على الوحدة الترابية في حديثه لصحيفة لوموند يوم 7 نونبر 1984.

سؤال : هل تعودون اليوم لمقولاتكم المشهودة اتركولي طابع البريد والعلم، وكل ما عدا ذلك فهو قابل للتفاوض ؟

جواب جلالة الملك : «.. انني لم انظر الى الصحراء ككيان مستقل او ذي سيادة، فهذا غير وارد، ولن يرد الى ان يرث الله الارض ومن عليها، وفيما خلا ذلك شيء يجوز تصور».

اما بخصوص الاصالة فان جلالة الملك حفظه الله كثيرا ما يؤكد على التمسك بالاصالة، وهو يسلم رسائل اعتماد الى سفراء جلالته في بعض الاقطار او هو يعين عمالا على الاقاليم او هو يخاطب شعبه، والاصالة التي يعنيها جلالته تتضمن معاني وابعاد شتى منها التجديد في الفكر والعمل بدلا من التقليد او التبعية، وكلمة اصالة مشتقة من كلمة اصول، والمرء لا يكون اصيلا الا اذا كان هو اصل ذاته بحيث لا يصدر الا عن نفسه في كل مظاهر سلوكه، وبناء على ذلك فالاصالة تعتبر عن استناد الفرد الى ذاته بحيث يكون هو المبدأ المبدع لكل ما في ذاته من جوانب شخصية فريدة، وكل ما في سلوكه من مظاهر حيوية ذات اهمية، والاصالة ظاهرة مصاحبة للابداع او بالاحرى شهادة حية تنطق باسم الحرية الابداعية، وهي مبدأ سيكولوجي مهم لانها تعبير عن ضرورة الانطلاق من الذات بحيث يصبح المرء عين ذاته من خلال افعاله الحرة وانجازاته الابداعية، وان تردد كلمة اصالة في احاديث جلالة الملك وخطبه تتضمن ايضا معاني الخلق الحر الذي هو اساس للارتقاء بالشعب الى مستوى الجماعة الانسانية المتقدمة، والاصالة لا تعني الشذوذ او القطيعة او السلبية او الرجعية او الارتباط الصوفي بالماضي او ... كما يتوهم البعض، فالاصالة هي التفاعل الايجابي بل واكثر من ذلك هي قطع الطريق امام كل الايديولوجيات الهدامة التي تحاول نقل افكار تخريبية للبلاد او تحاول نسف عقيدتنا وقيمنا، والتمسك بالاصالة يجعل الانسان يتحرر من غوائل الزمان ونوائبه فالشعب المغربي شعب اصيل لذلك تتجسم فيه كل معاني السمو من اباء وشهم وشجاعة وكرم ونكران ذات، وهذه المعاني الواردة في موضوع الاصالة غيض من فيض مما يقصده صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

بماذا يمتاز المغرب عن غيره في العواصم الاخرى وخاصة في العالم الثالث ؟

في المغرب تيارات سياسية نشيطة وحركات نقابية ذات فعالية على المستوى الوطني والدولي معا، وقد قامت هذه التيارات ايام الكفاح الوطني بدور طلائعي بقيادة باعث النهضة ومحرر الامة المغربية صاحب الجلالة الملك العظيم سيدي محمد ابن يوسف تغمده الله بواسع الرحمة والمغفرة والرضوان والى جنبه وارث سره في الكفاح والنضال وساعده الايمن صاحب الجلالة الملك الهمام مولاي الحسن نصره الله.

ولقد برهنت هذه الحركات السياسية الوطنية في شتى المناسبات عن وطنيتها الصادقة وايمانها بعدالة قضيتها ووعيها الكامل بالرسالة الموكولة اليها خدمة للوطن العزيز، وبذلت كل جهودها غير مقصرة ولا متوانية الى ان استعاد المغرب حريته الكاملة.

ان تعدد الاحزاب بالمغرب لدليل اخر على الحريات العامة التي تتمتع بها كل الفئات الشعبية. ان كل مواطن مغربي يتمتع بكامل الحرية في ان ينتمي الى الهيئة السياسية التي تتفق وميله، وهذه ظاهرة متميزة في بلادنا، وكثيرا ما تقلق هذه الظاهرة خصوم التفتح وخصوم الحرية، وخصوم الديمقراطية، وبعبارة كثيرا ما تغضب خصوم وحدتنا الترابية. ان هذه الحرية تحز في نفوسهم، بل تؤرقهم وتزعجهم لذلك هم على الدوام يكيدون له كيدا، ويبثون في طريقه المصاعب والعقبات، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه، غير ان الباطل والبهتان والتضليل فمآلهم الخسران المبين.

وان في تعدد الحركات السياسية كثرة البرامج الهادفة الى تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلاد، وفي جو التنافس البريء والبناء يكمن سر عظمة المغرب. ولا ريب ان بلادنا قطعت اشواطا طويلة في بناء صرح الديمقراطية الحقة على أسس متينة، سل تاريخ المغرب السياسي تجد اجوبة شافية لذلك. وان حرص جلالة الملك على تعدد الاحزاب لتدلي كل هيئة برأيها وتبدي بوجهة نظرها في قضية وطنية (وامرهم شورى) وليبذل كل مواطن مغربي جهودا تلو جهود لرقي البلاد لدليل آخر صادق من جلالته على ما يضمره لشعبه من روح المحبة الصادقة، والحب المكين.

فالحزب الوحيد معناه كبح جماح فئات من الشعب، وبعبارة فالحزب الوحيد معناه القهر والغلبة والغدر، ومعناه تطبيق قانون الغاب، ومن معانيه القمع وسلب الحرية، والحرمان من ابداء الرأي بحرية، فالحزب الوحيد صفعة صريحة للحرية والديمقراطية، وفي جو الحزب الوحيد يشعر الانسان بالإرهاب وانعدام الامن وانعدام الطمأنينة وفي هذا الجو المشحون تنشأ الكثير من الامراض الاجتماعية الخطيرة غير ان الارهاب والاستبداد كظاهرتين سائدتين يحاول النظام القائم اخفاء هذه الامراض وطمسها بالتسلط والتشرد والنفي والسجن والتعذيب والتصفية الجسدية، في هذا الجو القاتم المظلم يعاني كل من يستسلم للامر الحزب الوحيد، ان فئة قليلة من رجال البغي المتسلطة على رقاب الناس لها القرار والتنفيذ تفعل ما تشاء، وفي هذا الجو لا تصدر سوى صحيفة واحدة يكفيها النظام القائم ويؤطرها خدمة للاديولوجية التي تستهدف استرقاق الناس واستعبادهم خدمة للاغراض الشخصية.« ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينهم محرما فلا تظالموا».

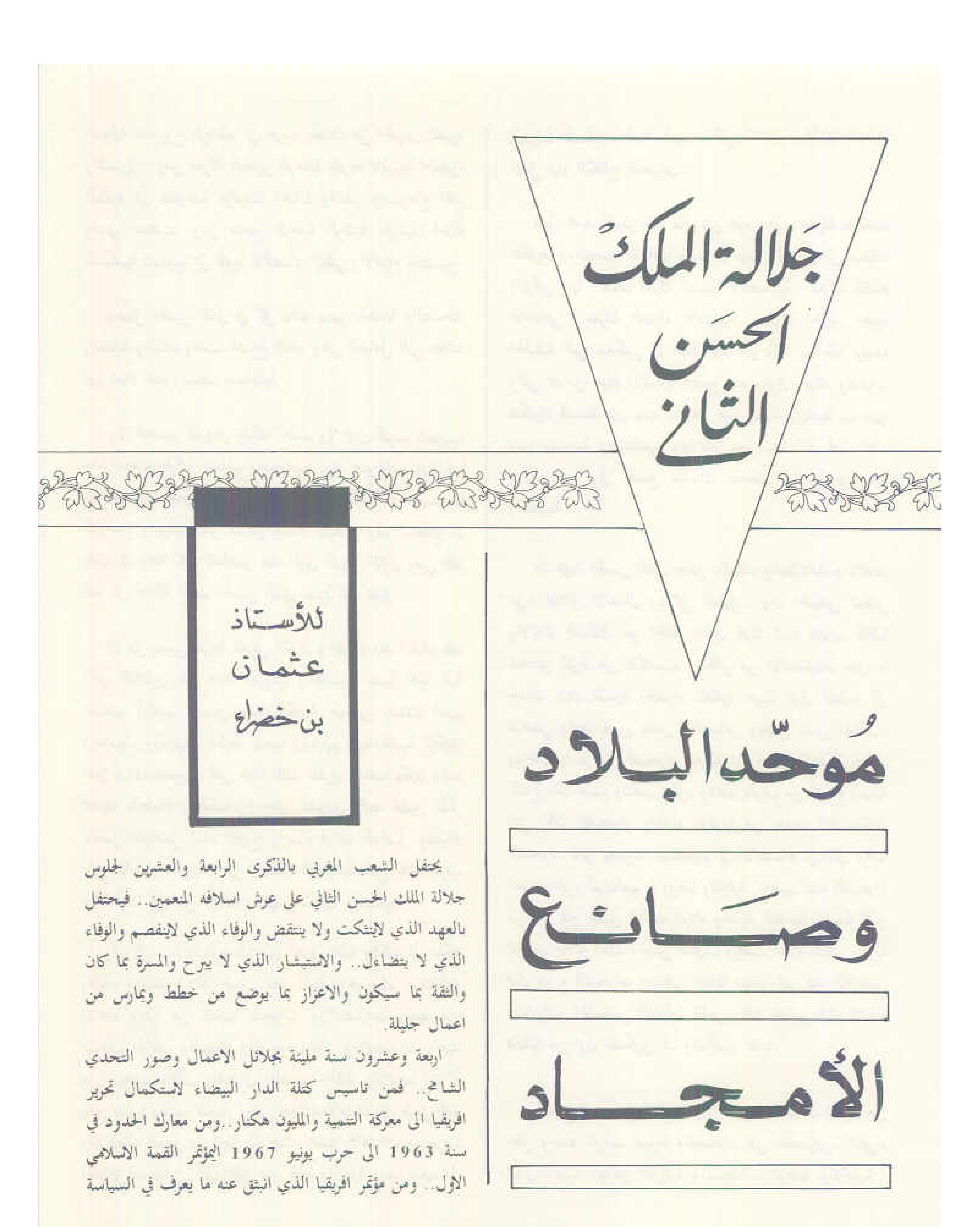
غير ان المغرب ولله الحمد يتمتع بكامل الحرية في ميدان النشر وابداء الرأي شريطة التزام بالقانون الذي هو فوق الجميع فشعب الحسن شعب القانون والمشروعية يتمتع بالديمقراطية النزيهة، وهذا القول لا يحتاج الى اقامة الدليل او تعزيزه بحجة او تاكيده ببرهان يكفي ان يتصفح العدد الضخم من المجلات والسيل العزير من الصحف والمطبوعات التي تصدر يوميا للتأكد من كل ما أومأنا اليه في هذا البحث. وهذه الميزة الحسنية مفخرة اخرى من عشرات المفاخر التي توج بها جلالته هامة القرن العشرين من بين القادة العظام القلائل في القارة الافريقية، ناهيك باعمال اخرى سجلها التاريخ لجلالته بمداد الفخر والاعتزاز طوال حياته في الكفاح النضالي لتحرير اقطار القارة السمراء وغيرها من قيود العبودية.

ان صفحات التاريخ غنية كل الغنى بجليل اعمال جلالته في كل ميدان، ويقول جلالته في افتتاح الدورة البرلمانية الاولى 12 اكتوبر 1984 موضحا ما سبق ان تحدثنا عنه:

«اياكم ان تنسوا انكم مغاربة، وان لكم اصالة، وانكم تمتازون في العالم الثالث بتعدد الاحزاب والنقابات والتيارات السياسية وبكلمة اوضح تتمتعون بأثمن كنز الا وهو الحرية، وتتمتعون بأثمن رصيد الا وهو الكرامة البشرية».

وختاما فليس بمقدور احد الالمام بالفكر الحسني جملة ولا تفصيلا مهما كانت القدرة الاستيعابية للانسان اذا اصبح هذا الفكر في الواقع مدرسة رائدة قائمة الذات، تتضمن مفاهيم عدة منها النضال الوطني باعتباره اساسا للتغيير والتطور وباعتبار الديمقراطية والحرية اساسا للبناء والتقدم والحضارة والتنظيم، ولجلالة الملك رؤية خاصة في القضايا الوطنية والدولية، ونظرة متميزة في علاج المشاكل المطروحة على الصعيد الوطني، وكذا الدولي لذا نرى اقبال الباحثين والدارسين المنقطع النظير في السنين الاخيرة على موسوعة انبعاث امة باعتبارها مصدرا مهما ومرجعا وثائقيا مفيدا يلقي المزيد من الاضواء لمعرفة الفلسفة الحسنية في كل القضايا المختلفة، ومن خلالها يتعرف هؤلاء بعمق على المشاكل الحقيقية المطروحة على الساحة الدولية.

إن حكمة جلالة الملك وتعمقه في فهم كل القضايا السياسية والاقتصادية. باتت هذه كلها امور في عصرنا هذا بديهية لا تحتاج الى تاكيد، ان كل وسائل الاعلام تشيد بهذه الخصائص والمميزات التي يتحلى بها جلالته اطال الله عمر جلالة الملك الحسن الثاني سنين طويلة حتى يحقق لشعبه المزيد من العزة والنصر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.



جلالة الملك الحسن الثاني

موحّد البلاد وصانع الأمجاد

للأستاذ
عثمان بن خضراء

يحتفل الشعب المغربي بالذكرى الرابعة والعشرين لجلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين.. فيحتفل بالعهد الذي لاينتكث ولا ينتقض والوفاء الذي لاينفصم والوفاء الذي لا يتضاءل.. والاستبشار الذي لا يبرح والمسرة بما كان والثقة بما سيكون والاعزاز بما يوضع من خطط ويمارس من اعمال جليلة.

اربعة وعشرون سنة مليئة بجلائل الاعمال وصور التحدي الشامخ.. فمن تاسيس كتلة الدار البيضاء لاستكمال تحرير افريقيا الى معركة التنمية والمليون هكتار..ومن معارك الحدود في سنة 1963 الى حرب يونيو 1967 الى مؤتمر القمة الاسلامي الاول.. ومن مؤتمر افريقيا الذي انبثق عنه ما يعرف في السياسة

الدولية ب«روح الرباط» الى حرب رمضان على الجبهتين المصرية والسورية.. ومن معركة التحرير الوحدة المتوجة بالمسيرة الخضراء المظفرة الى مفاوضة مؤتمرات الخيانة والغدر واسترجاع اقليم وادي الذهب، ومن تدعيم الوحدة الوطنية وترشيد الحياة السياسية دستوريا الى تقوية الاقتصاد الوطني والاهتمام بالتصنيع.

وعمل الحسن الثاني في كل ذلك يتميز بالجدية والتضحية والفطنة والذكاء وحب الصالح العام، وهي العوامل التي جعلته يحيا بحياة امته ويسعد بسعادتها.

ولا عجب، فعروش ملوكنا كانت ولا تزال قلوب شعوبهم، وان تيجان ملوكنا اعمالهم ومنجزاتهم، وان صولجانهم افكارهم وتوجيهاتهم. فالعرش المغربي من اول تاسيسه كان تصحيحا للاوضاع والتزاما بحمل مشعل رسالة الاسلام، وقد استطاع ان يقف في وجه كل الاعاصير منذ المولى ادريس الاول رضي الله عنه الى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله تعالى.

إن من يدرس طبيعة العرش المغربي وحقيقته منذ انشائه يجد اكثر القائمين على هاته العروش والجالسين عليها كانوا نخبة اعدهم آباؤهم احسن عدة ليكونوا جديرين بقيادة امتهم وزعامتها، ويكونوهم تكوينا شعبيا ويربونهم تربية قاسية ليكونوا اهلا لقيادة شعوبهم، ففي حياة الملك المغربي الخاصة يكون دائما محفوفا بالعلماء والحكماء ورجال الشورى وهمته تحقيق المآثر بالعمل المتواصل لبناء التاريخ وارساء قواعد التواصل ومناراته لخير الاجيال المغربية ولخير الحضارة الانسانية التي كان المغرب دائما ركنا قويا من اركان انبعاثها واشراقها وانتشارها.

وفي كل سنة يستمع الشعب المغربي بقلبه وفكره الى ملكه وقائده وزعيمه جلالة الحسن الثاني المعظم وهو ينشر صفحات الامجاد ويقرأ من كتاب المنجزات والانتصارات ويعيد من صحف المواقف والنضال والصمود والمآثر والانتصارات ويعيد من صحف المواقف والنضال والصمود والمآثر والانتصارات مما يثلج صدره وصدر شعبه، ويلقي جلالته الاضواء على طريق الغد وما يتطلبه العمل من اجل المستقبل، محددا الاهداف مستعرضا الوسائل باسطا في أفق الامل نور الثقة والارادة داعيا شعبه الى الصراط المستقيم والمحجة البيضاء التي كانت سبيلا في ظلمات الامل ايام الكفاح التحرري.

نعم، فعيد العرش يحل بنا ونحن نخوض اوج معركة نضجت افكارها ووضحت اهدافها وتيسرت طريق الوصول الى مبتغاها والمرتجى منها.. هناك معركة التنمية الاقتصادية.. معركة التقدم الاجتماعي.. معركة العدالة الاجتماعية.. معركة الحرية، الحرية الحقيقية التي تنعكس في حياة الانسان فكرا وعاطفة ومادة والتي تدخل حياة الانسان فتفتح بيته وطرق حياته واسلوب تفكيره، فتبسط بين يديه رداءها خيرا ونعمة ورفاهية ــ خبزا وبيتا ومدرسة ومستشفى وعدالة، ينعم بهذا كله تحت سماء بلاده الحرة وفي مجتمع متماسك تتحكم فيه نوازع الخير والفضيلة.

ان عهد الحسن الثاني حافل بالعطاء والبطولات والامجاد، مليء بجلائل الاعمال ودلائل التوفيق.. وان الحماس الوطني والايمان الصادق هو الحافز الذي يحرك ابناء المغرب قاطبة لتحقيق المزيد من المكاسب والكثير من الانتصارات مثل ما حدث اثناء المسيرة الخضراء المظفرة حيث تحول المغاربة الى شخص واحد يحس بنفس الاحساس ويعيش نفس المواقف، وتوجت باسترجاع الصحراء المغربية الى حظيرة المملكة بفضل كفاح ملك شهم وشعب بطل، وذلك بالرغم من الروح القبلية التي كان الاستعمار واذنابه يذكونها من بعده، لان سكان الصحراء كانوا يعتبرون مستقبلهم في الانضمام الى باقي تراب المغرب المحرر لترابطهم به روحيا وتاريخيا.. وهب ابناء الصحراء من كل فج عميق لتاكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لامير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني ، ورفعت اعلام النصر مرفرفة فوق ربوع الصحراء، وستبقى خفاقة منيعة رغم كيد الكائدين ومناورات الحاسدين الضالين الذين وقفنا بجانبهم ايام الشدة فكانوا من اول المتنكرين لنا والناقمين علينا.

والتاريخ قد سجل كفاح الملوك العلويين والشعب المغربي من اجل وحدة التراب عموما والصحراء على الخصوص، الشيء الذي اكدته الوثائق التاريخية والمستندات الوطنية والاجنبية..

فقد وصل الى تخوم السينغال السلطان العلوي مولاي اسماعيل وصاهر أهل شنقيط حيث عقد على الملكه خناثة ابنت الشيخ بكار المغافري، هذا البيت المشهور بالصلاح والاستقامة.

ورحل السلطان مولاي الحسن الاول بدولة الى تخوم شنقيط واوغل فيها الى ان نزلت جيوشه بالساقية الحمراء متفقدا احوال الراعية.

ثم ارسل السلطان مولاي عبد العزيز وفدا الى شنقيط لينصب بعض القواد والموظفين ويسلم لهم ظهائر تعينهم، ويتفقد الاحوال ويصلح من شأنها، فقصدت هذه البعثة مدينة «اسمارة» بالساقية الحمراء واجتمعت بالشيخ ماء العينين وادت مهمتها احسن اداء.

هذا وان من جملة الوثائق التاريخية التى ادلى بها المغرب حول مغربية الصحراء انه في سنة 1911 عندما تمت المعاهدة الفرنسية في شأن المغرب وضعت خريطة لتحديد البلاد المغربية.. فكانت تحد بالجزائر وافريقيا الوسطى والسينغال، وتوجد الصحراء المغربية داخلة في هذا الحدود.. وقد عمدت فرنسا الى ادماج الصحراء المغربية في افريقيا الغربية سنة 1920 بدون استشارة الدولة المغربية وملكها، مما يجعل هذا الامر ملغي ومناقضا للقوانين الدولية.

واستطاع الشعب المغربي بفضل كفاح طويل بقيادة ملكه المنعم محمد الخامس ونجله الملك العبقري الحسن الثاني من تحرير جزء من الاراضي المغربية سنة 1956، وقد آثر المغرب وهو يوقع وثيقة الاستقلال على ان يحتفظ فيما يخص الاجزاء غير المحررة منه، ويسجل حقه الكامل في تحريرها واستعادتها الى حظيرة الوطن المحرر.. وواصل الكفاح بعد ذلك فاسترجع طرفاية المجاورة للصحراء المغربية سنة 1958 بعد مفاوضات مباشرة مع اسبانيا، ثم بعد عشر سنوات من مفاوضات مضنية مع اسبانيا استعاد المغرب منطقة ايفني في 1969.

واخيرا جاء دور الساقية الحمراء.. واهتم الرأي العام الدولي بالمواقف البطولية والدهاء السياسي والخبرة القانونية التي استعملها الملك الحسن الثاني لمعالجة هذه القضية سواء مع اسبانيا، او هيئة الامم المتحدة، ومحكمة العدل الدولية.. واثبت حفظه الله مغربية الصحراء تاريخيا وسياسيا واجتماعيا ودينيا وقانونيا، فاعترف الجميع بمشروعية مطالب المغرب في الوحدة الترابية وتحرير الاراضي من الاحتلال الاجنبي ما عدا الذين اعمى الله بصيرتهم وفي قلوبهم مرض.

نعم، بعد النطق بحكم المحكمة الدولية بلاهاي، قرر الملك العبقري القيام بمسيرة سلمية والدخول الى الصحراء في موكب سلام، وايدت جل دول العالم، وفي مقدمتها الدول العربية والاسلامية موقفنا، مباركين هذه المسيرة الشعبية وهذا الزحف المقدس، الشيء الذي دفع بالحكومة الاسبانية التفاهم مع المغرب والاستجابة لارادة الشعب وملكه وقرار محكمة لاهاي.. ورفعت الاعلام المغربية مرفرفة على ربوع الصحراء وتعالت هتافات الغبطة والنصر والحب والولاء تغمر ارجاء الوطن.. وهب ابناء الصحراء من كل فج عميق لتاكيد الولاء وتجديد الطاعة والبيعة لجلالة الملك.. وتحقق العالم مرة اخرى من شعبية الحسن الثاني، ومن مغربية اهل الصحراء الذين رفضوا رفضا مطلقا كل محاولة لتزيف واقعهم ومحاولة فصلهم عن تاريخ اجدادهم مهما كانت التضحيات فليطمئن الخصوم او المستعمرون الجدد الذين يسعون في فرقة الشعب الواحد ليسودوا او يهيمنوا.

وجاء انسحاب موريتانيا من ملف الصحراء الغربية ليؤكد الحقيقة الواضحة التي تتجلى في كون المغرب هو الطرف المعنى اولا واخيرا.. فخرجت مدينة الداخلة برجالها ونسائها وشبابها واطفالها الى الشوارع هاتفة بمغربيتها ورافعة للعلم المغربي وللشعارات التي تؤكد صدق الولاء. فكان يوم 17 رمضان 1399 موافق 11 غشت 1979 عيدا بالنسبة لسكان المنطقة ودعوة الحكومة المغربية الى بسط السيادة الوطنية على اقليم وادي الذهب وكان تتويج الانتفاضة الشعبية الرائعة في الداخلة هو ايفاد وفد من سكان الاقليم المحرر لتمثيل السكان في تجديد البيعة الى جلالة الملك الحسن الثاني، طبقا للتقاليد المرعية وتاكيدا لتمسك السكان بالوحدة وبعد استكمال الوحدة الترابية ها هو المغرب، ملكا وحكومة وشعبا، يبذل جهدا كبيرا وتضحيات غالية لاستعادة عظمة المغرب بعد تحقيق الوحدة، وقد هيأ جلالة الملك بتعاون مع حكومته البرامج الواسعة والدراسات الجوهرية للعناية بالصحراء اقتصاديا واجتماعيا ودينيا، فتصبح جنة خضراء باذن الله تعالى وحسن عونه، وكل

من تجول اليوم بربوع صحرائنا المغربية من المواطنين والاجانب تاخذ لا الدهشة للتطوير السريع الذي يتجلى للعيان في جميع الميادين وفي هذه المدة الوجيزة.

فالمعركة مستمرة من اجل عظمة البلاد، وهي كما يريدها الحسن الثاني عمل مستمر للتجديد، للتلقيح، للانتاج ، لانه عمل كل شهر، كل سنة، كل جيل فهي معركة ايمان في القلب وفي التفكير والابداع والانتاج، والمغاربة الذين فتحوا الامصار وطبعوا دولا اخرى بالطابع المغربي، لن يقبلوا التنكر لاصالتهم ولن يتسوردوا انظمة غريبة عنهم لان مجتمعهم يرفضها، فليطمئن الحاقدون والحاسدون فالشعب المغربي المسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

والامة التي يقودها ملوك من طراز الحسن الثاني تستطيع حقا الاستفادة من تضامنها وقوتها ووحدة ابنائها لتشق طريقها نحو العظمة والبناء والازدهار ! وعيد العرش كان دائما يرمز الى هذه المعاني ويجسد تجاوب الملك المسلم والشعب المؤمن والتحامها في معارك النضال والكفاح في جميع فترات تاريخ بلادنا.

فبلادنا تدفع عجلة التقدم الى الامام، والشعب يعطي كامل قدرته في الانتاج والحجم الكلي للانتاج يعطيه كل مواطن ويقدمه من مجهوده ومن بذل ومن كفاح استجابة لنداء ملكه العبقري الملهم، واستجابة لنداء التاريخ والاجيال فالحسن الثاني سليل العزة والنبوية الشريفة يعتبر من المجددين لمعالم الاسلام في هذا القرن.. اذ ما خلا قرن من القرون من قيام داعية يدعو الى الله تعالى على هدي وبصيرة ويحيي باقواله واعماله ما يكاد يندرس من معالم هذا الدين، وقد شرح امير المؤمنين في رسالته السامية الموجهة للامة الاسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري فضائل ومميزات الدين الاسلامي الذي يعتبر دين العلم والحرية والكرامة والوفاء بالعهد وحسن الجوار.

وقد رسى المسلمون حضارتهم العظيمة على مبادىء العلم والمعرفة، فاثروا الفكر الانساني في مختلف المجالات، واغنوا الفكر البشري والعقل المتنور بفتوحات علمية واسعة، وتحدث جلالته في رسالته التاريخية عن الامة الوسط التي هي الامة التي ترتكز كل مظاهر حياتها على تحقيق التوازن حيث لا افراط ولا تفريط، وانما الانسجام والتكامل والالفة والتوفيق بين الدين والدنيا باعتبار ان العقيدة السمحاء تنظم تلك العلاقة الشمولية التي تخلق ذلك الانسجام المتواصل والذي يجعل من الالتزام العقائدي على مستوى العبادات التزاما دنيويا في نفس الوقت، بالنظر لجوهر تلك العبادات ودلالاتها الروحية وانعكاساتها العملية على السلوك والتعامل.

ويعتمد جلالة الملك الحسن الثاني في رسم طريق الفلاح بالدعوة للعودة الى ينبوع العقيدة الاسلامية كدين ومنهج وسلوك ينظم العلاقات داخل المجتمع الاسلامي ويُركِّز على مبدأ المسؤولية بالنسبة للفرد والجماعة، وبالنسبة للراعي وافراد الرعية بحيث تخص الجميع ولا يستثني احد، ومن هذا المنطلق فان الدعوة الرائدة لامير المؤمنين لمواصلة الدور الحضاري للأسلاف تعني استيعاب المضمون الروحي للعقيدة الاسلامية وترسيخ المضمون الفكري والسياسي والاقتصادي للاسلام.. وان توجيه هذه الرسالة التاريخية لامة الاسلام نابع اساسا من الالتزام بروح العقيدة السمحاء.

نعم.. ان الخطة التي يسير عليها الحسن الثاني تتسم بسمة الخلق والابداع، وتقوم على استيفاء المناهج والاساليب المتولدة على الدراسة المحكمة والاستيعاب الرزين لتجنب مواطن الزلل والزيغ وتسلم المشاريع من مغبات الاختلال والارتجال.

هذا واذا كان العصر الذي نعيش فيه يتميز بتقدم العلم وطغيان المادة، مثلما يتميز بظهور عدد من المذاهب والتيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فان ارشد الحكومات في نظر الملك المسلم الحسن الثاني هي تلك التي عرفت كيف تحسن الاختيار وسط الآراء والنظريات المختلفة تخط للشعب المسلم سياسة مستمدة من حقائقه الدينية وشخصيته الاجتماعية مرتكزة على مقوماته، ملبية لعبقريته واحتياجاته سواء فيما يخصه كشعب له مميزاته او فيما ينوبه كعضو مسؤول في الاسرة الانسانية الكبرى!

وامام هذه التيارات المختلفة، فان جلالته يرى ان الشعب المغربي المسلم يجد نظاما اقتصاديا واجتماعيا في كتاب الله العظيم الذي يقول : «وكذلك جعلناهم امة وسطا» فتكون تلك الامة الوسط التي ليست بالرأسمالية ذات النظام الاهوج التي لا تترك حرية لاي ضعيف، ولا بالاشتراكية التي دلت الارقام والحوادث على ان نظرياتها يمكن ان تكون اخطر من تطبيقها.. نريد ان تكون تلك الامة التي يمكنها ان توفق بين النظامين، وذلك بان تعطي لكل الميادين مدلولها ومفهومها.. ففرق جلالته بين الميادين التي يجب ان تبتعد منها الدولة وأن تبقى تلك الميادين في قبضة المبادرات الحرة.

اما ميادين التأميم، فباختصار كل ما يجعل للدولة سلطات على القطاعات الاستراتيجية للاقلاع الاقتصادي وللاستثمار في

النمو» مثل الطاقة، والصناعة الثقيلة.. والمواصلات بجميع انواعها.. والقروض ووسائل القروض، ودور القروض ذات الصبغة الاقتصادية المنتجة، والخيرات الباطنية برا كانت ام بحرا.. هذه القطاعات لاستراتيجية ذات الطاقة مائية كانت ام كهربائية او نووية ان شاء الله تعالى، اومعدنية او مالية.

وهناك ميادين اخرى، وهي ميادين المبادرات الخاصة، وهي كل ما يمكن المواطن من رفع مستواه الخاص وخلق الرواج والنيابة عن الدولة التي لا يمكنها ان تخوض جميع الميادين.. فنرى الصناعة، والصناعة الصغيرة، والسياحة، والفلاحة بجميع انواعها، والتجارة، وخلق شركات مغربية خارج البلاد بجميع القارات حتى يمكن للمغرب ان لا «يتزوج» دائما بخلاياه وسلالاته الخاصة.. بل ان ياتي بدم جديد وتلقيحات جديدة، ويعرف بنفسه وبانتاجه.. ويمكنه كذلك ان يصدر للخارج ادمغة ومفكرين ونخبة طيبة من شبابه.

ومن اجل تهييء الاطر الضرورية لهذا التطور الاجتماعي والفكري، فان المبادىء الاساسية التي تعطي لتعليمنا ميزته الخاصة تتلخص في التعريب والمغربة ومجانية الدروس.. وقد قررت عزيمة ملكنا المثقف ان تتحمل الدولة اثقل عبء لتوفر اكبر عدد من المنح لشبابنا الذين يطمحون بجد وعزيمة في استكمال تكوينهم في مدارسنا العليا وكلياتنا وفي غيرها في الخارج، وبذلك تقيهم شر المشاكل المادية التي يمكنها ان تكون عائقا وحاجزا بينهم وبين مواصلة التكوين الذي ينتظرونه، والذي يمكنه وحده ان يفتح لهم افسح الآفاق واجداها ويحقق النتائج التي تنتظرها الامة.

ويعمل جلالته على تشجيع العلم والادب بصفة عامة واتاحة الفرصة لذوى المواهب لانطلاق قرائحم حرة كريمة تنتج كل ما نستطيع انتاجه في ظل الرعاية الكريمة.. ولا غرابة في ذلك فان اهتمام ملوك الدولة العلوية بالحركة العلمية تسمية من شيم عصورهم الذهبية الزاهرة.. لقد كانوا يعفون العلماء من الاداءات المفروضة تكريما لهم وتشجيعا، وكانت المنح تنهال على المؤلفين كالجوائز التي توزع اليوم في مختلف الاقطار الاوروبية على العلماء والباحثين والكتاب، وكانت الخزائن تقام في كل مدينة، لقد كان السلطان سيدي محمد عبد الله من اشهر مؤلفي عصره، فاسس مدرسة حرة لتلقين ضباط الجيش المغربي القراءة والكتابة واصول الفنون العسكرية.. فتخرج من هذه المدرسة قواد مهرة ادخلوا اصلاحات كثيرة على الاساليب العسكرية واستفاد المغرب من مواهبهم افادة كبرى، وكانت الدراسات تسير على مقتضى اساليب المدارس العصرية في ذلك الوقت.. كما كان المولى عبد الرحمن السلطان المتنور، مصرا اشد الاصرار على تعميم التعليم الابتدائي في الحواضر والبوادي واستخدم للوصول الى هذه الغاية جميع الوسائل التي رآها كفيلة، بتحقيق برامجه، ثم توالت الملوك العلويون على اريكة العرش وتمموا الحلقة التي بدأها اسلافهم منيرين بذلك لرعاياهم طريق الهداية والرشاد.

اربعة وعشرون سنة قضاها جلالة الملك الحسن الثاني متربعا على عرش القلوب حافلة بالعطاءات والبطولات والامجاد، مليئة بجلائل الاعمال ودلائل التوفيق.. فلا غرابة، وهذا الملك العلوي الشهم يحيى بحياة امته ويسعد بسعادتها، وهو سر الصلة الوثيقة الثابتة المتمكنة بينه وبين شعبه، والعرش المغربي كان دائما مركز القيادة، معبرا عن ضمير الامة ومعربا عن شعورها ومنفذا لرغباتها وتطلعاتها واشوقها، عالما بمواقع الخير منها وفاهما لمعنى المجتمع الحديث الذي تعيشه !

فالذكرى الرابعة والعشرون لتربع جلالته على العرش العلوي المجيد لتذكرنا في فخر واعتزاز بالكفاح البطولي الذي خاضه ضد القوي المعادية للحرية ووحدة الشعوب، فهو حفظه الله تعالى من ذوي الايمان الراسخ الذين يدركون ادراكا واعيا حقيقة الخطر القائم على الانسان ويلعبون دورهم البطولي غير عابئين بما يلحقهم من مكروه واذى ! وان التاريخ الذي يسجل حياة الامم واعمال رجالاتها لفخور بما يضمه اليه من صفحات لامعة ووقفات مشرفة لملكنا الذي تعز به العروبة وينتظم به الاسلام جلالة الملك الحسن الثاني.

فالشعب المغربي وهو يحتفل بالذكرى الرابعة والعشرين لجلوس جلالته على العرش فانما يحتفل بالعهد الذي لا ينكث ولا ينتقض والوفاء الذي لا ينفصم والولاء الذي لا يتفاعل والاستبشار الذي لا يبرح والمسرة بما كان والثقة بما سيكون والاعتزاز بما يوضع من خطط ومشاريع ويمارس من منجزات واعمال !.

والشعب المغربي البطل وهو يحتفل بعيد العرش المجيد يكرم عبقرية فذة من تلك العبقريات التي لا تزور العالم الا نادرا.

والوطن العزيز يدين لشعبية الحسن الثاني المتفتحة، وحدبه المتواصل وابوته المتعالية، ويمتن لجهاده الصامت وكفاحه المستمر والطافح باسمى بطولة.

وان شعبا كالشعب المغربي يؤمن بان مجد ملكه من مجد شعبه جدير بتاريخه في الماضي وخليق بتاريخه في المستقبل المشرق الوضاء بارك الله في عمر سيدنا الهمام والهمنا تعالى لرضاه وشكر نعمه التي اسبغها علينا وزادنا منها كما وعد : «لئن شكرتم لأزيدنكم» انه سميع مجيب.



للاستاذ عبد العزيز بغداد

ان اجل ما يمكن ان نحيي به هذه الذكرى الخالدة ذكرى عيد العرش المجيد، هو هذا الحديث عما تضوع في العصر الحسني من شذا رياحين المعرفة، وخصوصا ما ينبثق من احشاء الجامعات العلمية المغربية التي اخترنا ان نقف عندها في هذه المناسبة الغراء، باعتبار ان الجامعات ساهمت وتساهم في الرفع من مستوى البلاد وفي وضع الحلول الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مما له الاثر الكبير في حياة الامة المغربية بل والامة العربية كذلك.

فلقد عرف المغفور له محمد الخامس — طيب الله ثراه — ان استقلال الذي نلناه بعد كفاح مرير وبعد تضحيات جسام، ليس سوى ناحية واحدة من نواحي الحياة الاجتماعية المتكاملة الشاملة، ذلك ان في المجتمع حثا عميقا وحفزا جارفا لمواجهة ضرورات الاستقلال ومطالبة مهما تكن باهظة الكلفة والجهد، ومن ثم اتجهت الجهود الى الاهتمام بالجانب المعرفي في صورته الشخصية العالية، فتاسست جامعة محمد الخامس لتكون مركز اشعاع ومصدر نور في جميع مجالات المعرفة حماية للاستقلال وصيانة للامة وتحصينا لفكرها الذي يمتاح جذوره من اصل اصيل.

ولم تلبث هذه الجامعة الفتية — التي تأسست في فجر الاستقلال — ان نضجت ثمارها وتفتحت مواهبها فاخذت تنشر في الحياة هذه الثمار التي اغتنمت بها الادارات والمعاهد والمؤسسات فكانت عامل اصلاح وتأطير، وسبب ازدهار وتنوير.

اضف الى ذلك ان هيكلة التعليم الاصيل تشذبت فروعه وبرامجه وحقن بدماء جديدة فامتلك القدرة على الاستمرار في اداء واجبه الديني والوطني وكان سدا منيعا ضد كل من شأنه ان ينال من عقيدة الامة او من تراثها الخالد. ولعل انشاء دار الحديث الحسنية جاء ليعزز هذا القصد ويقوي من عضده.

ومعنى هذا ان الجامعات المغربية قد انبثقت من بصيرة اسلافنا ونهضت على اركان مثلهم العليا.

ولقد عرف أمير المؤمنين الحسن الثاني المؤيد بالله، ما تمدنا به الجامعات من الهام وقوة فسعى وما يزال يسعى — فمد التعليم الجامعي باسباب القوة والانطلاق، وخير دليل هو هذا الزحف المبارك في الكليات الذي يكاد يغطي جميع جهات الوطن، وجميع انواع التخصصات وضروب المعرفة حتى يقرب ماخذها من طلابها وتكون مصابيحها نورا يعم جميع الارجاء.

ان التقدم العظيم في مجالات الثقافة والتربية والعلوم قد بلغ حدا تلزمه صفقة «التفجر» مما جعل الاستمرار في انشاء الكليات والجامعات قضية ترعرع في العقل والنفس رغبة عارمة ورجاء قويا من اجل تلبية حاجيات الشباب لمواجهة هذا الخضم من المعارف وفهمه والافادة منه ثم تطويره.

ومن هنا فان من يريد ان يتحدث عن الجامعات اليوم — في مغربنا الحبيب — يحس وكانه واقف على قمة اكمة عند منعطف نهر عظيم يلتفت يسارا فيرى جداول وسواقي هذه الجامعة وهي متحدرة لتكون روافد تنظم الى المجرى العام، ثم تسير في ركب ذلك المحيط المعرفي الزاخر الذي له القدرة الفائقة على احداث تغيير كبير في هذه الاجيال التي تشرئب باعناقها نحو الافاق الارحب، ويلتفت يمينا فيرى المياه العارمة تتهادى في جلالها لتصب في ذلك المحيط الكبير ان هذه المياه وتلك الجداول والسواقي تمثل احداهما ما في الماضي التي جللها الزمن وتمثل

الاخرى المنجزات الحديثة وآمال المستقبل.
وان احلام الامة جميعها تلتقي وتندمج في خضم هذا المحيط الذي هو الجامعة وبين جدران ابهائها الموقرة.
وبعبارة اخرى فان هذا الزخم الثقافي والمعرفي الذي تصطخب به رحاب الجامعات المغربية يمتاح مصداقيته من معينين ثريين:
فهو يرتد من ناحية الى التراث الثقافي العربي واسهامه في الحضارة العالمية، ويتطلع من ناحية اخرى — طموح منطقي ومعقول — الى ان يصير مشاركا فعالا في سير الحضارة وتقدمها.
وهذا هو الازدهار الجديد لهذه الثقافة التي سمحت لروادها ان يساهموا — وباقتدار — في تحريك دواليب الحياة الادارية والتربوية والاجتماعية بل ان العديد ممن ارتوى من حياض هذه الجامعات وتشربت روحه معارفها وعلومها وامتصت رحيقها، شعروا — بعد تخرجهم وانهاء دراستهم بالحنين الى الجامعات والعودة اليها — لاكطلاب، ولكن كاساتذة يلقون من منابر كراسيها محاضراتهم في لهفة وشوق لانهم يحسون بدين كبير على اكتافهم يريدون ان يؤدوه لهذه الجامعة، وهذا السمو في البرور وخدمة الصالح العام.

وما تزال الدلائل تترى على ان خريجي الجامعات المغربية ما فتئوا يبرهنون على مصداقية هذه المؤسسات التي كانت ملاصقة لقلب هذه النهضة في بلاد المغرب، لان روادها كانوا ذوي بصيرة وعزيمة يرون ان المارب الوحيد من وجودهم هو اعداد الشباب وتحرير عقولهم وطبع انفسهم واذهانهم بماديء التفكير الحر والكشف المستقل، وهم لا يفعلون ذلك في فراغ، بل لقد ربطوه بالحياة الواقعية وخدمة الجماعة.
وفي عرض هذه الافكار — التي هي خواطر واستنتاجات لا يمكن ان نلجأ الى الاحصاء والى ما بلغت اليه الارقام في عدد الوافدين او في عدد المتخرجين وعدد البنايات وغير ذلك مما له طبيعة احصائية صرفة — لا نريد ان نلجأ الى ذلك لان طبيعة هذه الكلمة ليست بصدد هذا الاتجاه، وانما هي تصور للاثار التربوية والثقافية التي تفيضها الجامعة المغربية في قلب الحياة.
ولا بأس ان نشير الى ان الجامعة واعية ليست مؤسسات للتعليم فقط وانما كذلك مؤسسات للبحث وتطوير المعرفة، وقد تجلى ذلك في عدة مظاهر:
— ان ما ينشر في مختلف الكليات من مجلات ودوريات وبحوث يعتبر مظهرا صحيا في الجامعة يعبر عن ان الجامعة لابد ان تساهم في توليد من العقول ونشر رياحين الفكر.
ان بعض ما قامت به كليات الاداب والعلوم الانسانية من ندوات خلال السنوات الاخيرة اهتزت له كثير من الاوساط الثقافية داخل الوطن وخارجه، واعتبر مساهمة خلاقة في تزويد المعرفة الانسانية بأسباب البقاء والخلود.
— تشرف الكليات — بين الحين والاخر — على مناقشة بعض الرسائل الجامعية التي كثيرا ما تتمتع بالحيوية وتنضح بالفكر الخلاق الذي من شأنه ان يتيح الفرص امام احتكاك الافكار واثراء المكتبة بكل ماهو جديد.
— تنبثق من قلب الكليات المغربية — وباستمرار — جمعيات لتوسيع مجالات الخدمة والاستفادة من الخبرات عن طريق النشاط الحر المتمثل في عدة مظاهر ثقافية ورياضية وفنية وادبية...

هذا بعض ما تتحرك به كليات الجامعات في المغرب، وهو نشاط لا تفتأ اثاره تنعكس على مختلف جوانب الحياة، وهو ايضا يضاهي كثيرا مما تقوم به انشط الجامعات في قلب العالم العربي وغيره ولا نحب ان تكون سطور هذه الكلمة كلها اطراء وتمجيد وسحب جميع وجوه الكمال على هذا الموضوع بل لا نحب ان تفوتنا هذه الفرصة — ونحن نثير هذا الموضوع الدقيق — دون ان نطرح بعض قضايا الجامعات المغربية وافاقها المستقبلية، وذلك في اطار ازاحة الستار وتفجير الاحلام المرجو تحقيقها في عوالمنا اليوم:
— ان الذين ارسوا اركان الجامعة في هذه البلاد كانت تراودهم رغبة جامحة في ان تحافظ هذه الجامعة على المعنى الجوهري المضمن فيها، وهو المكثير الوجود يتجلى في:
ان تسعى الى استكشاف جوهر التراث الثقافي الانساني الرائع وتصوغه في تعبير العصر الحديث صوغا يطابق حاجة هذا العصر ومطالبه ثم تنقله خلاقا الى الاجيال التالية:
— ان تسعى لتوسيع افاق المعرفة الانسانية بالبحث سواء كان ذلك في ميدان العلوم البحث وتطبيقاتها ام في ميدان المهن العالية، أم في ميدان العلوم الاجتماعية والانسانية التي تتيح النفاذ ببصيرة الى فهم ما يبذل من جهود.
ولعل من بين ما حرصت عليه الجامعات المغربية بالنسبة للتراث يرجع الى انه اذا لم تستكشف التراث وتقيمه تقييما جديدا وتنقله نقلا مجديا يستهوي النفوس والعقول انفصمت

الصلة بالماضي، وفي هذا خطر جسيم هو خطر التخلف.

ـ ينبغي على الجامعة ان تستشعر ـ في صميم ذاتها ـ القضايا التي يعني بها المجتمع الذي تصبو الى خدمته ومن ثم فلا يستحسن ان تحس الجامعة بالقناعة بان مهمتها هي فقط تخريج الطلاب والطالبات الذين يستطيعون ان يؤدوا الخدمات العامة المألوفة في مجتمعاتهم.

ـ ان على الجامعة ان تخرج شبابا عليه ان يكون قادرا بما اوتيه من فضائل التربية الجامعية على ان يدرك انه قد قدر له ان يكون اداة للصيرورة التارخيةي.

ـ جامعتنا تدرك ـ او ينبغي ان تدرك ـ ان عليها ان تمضي بحكمة وانفتاح واخلاص في حوار مستمر مع الشباب، ما اجل الشباب انفسهم، ذلك ان الشباب الذين اندمجو في الحوار مع القمة الجامعية ـ في حرية كاملة اثبتوا انهم راشدون ومسؤولون مخلصون. فالشباب الجامعي هم حقا مواطنون مميزون، فقبل دخولهم الجامعة مروا بفترة سابقة طويلة من التربية اعدتهم لهذه المرحلة، كل الطلاب الجامعيين يحق لهم ان يتوقعوا ان تتاح لهم الوسائل الوافية اللازمة، ذلك ان التربية الجامعية لا تستهدف انماء مواهب الطلاب وشخصياتهم فحسب، بل انها تعدهم ايضا للدور الذي ينتظر لهم القيام به في قلب المجتمع في تحسين ظروفه الاجتماعية والتربوية وغيرها.

ـ هناك قضية اساسية على الجامعة ان تعالجها، ذلك ان العالم المعاصر يتصف بتباين الثقافات وعالمية العلم والتكنولوجية ومما هو ملاحظ ان ثمة شبه الجفوة بين اصحاب الدراسات الانسانية وبين اصحاب الدراسات العلمية، هؤلاء في ناحية، والاخرون في ناحية اخرى.

ومن واجب الجامعة ان تدمج في ذواتهم القيم الحضارية والثقافية العظيمة. وهذا متات في الناحية الانسانية من التقاليد المضمنة في الثقافات المتباينة المنحدرة الينا عن طريق الرسل والفلاسفة والشعراء والفنانين و(؟ ؟) المبدعين.

وهو كامن في الناحية العلمية بواسطة جوهرها الخلقي وتطبيقها العمراني النافع فاذا لم يقع هذا الاندماج بين رجال العلوم الانسانية ورجال الدراسات العلمية، او اذا لم تفهم ضرورته على الاقل، فقد يميل الانسانيون الى الاشاحة بنظرهم عن المعنى العلمي الحقيقي وقوته وضرورته التي لاغنى عنها للانماء.

وقد يفتقد العلميون الاستفادة من القيم الانسانية التي افرزتها تجارب ومواهب وانفعالات الانسان عبر الزمن، والتي يستطيع العلم والتكنولوجية ان يكونا اداة فعالة لتحقيقها وتثبيتها.

ان هذا ـ في واقع الامر ـ نجم يجب ان ترنو اليه الجامعة وتشد اليه مواكبها فان لم يتحقق هذا التأليف الفكري والخلقي على المستوى الجامعي في الطلاب والاساتذة على السواء، فقد يغدو العلميون خطرا مخيفا. وقد يظل الانسانيون على جلال ماعندهم، منفصمين عن الحياة والمجتمع لايعتد بهم في تطويرها وانمائها.

ونظن ان جامعاتنا ستمضي ـ لاتلتفت ـ في تعزيز نضالها الثقافي وتوسيع مجالاته حتى يفجر هذه الطاقات ويشمل الجامعة كلها.

لعل هذا كان خواطر سكنت في بصيرة مؤسسي هذه الجامعات. وكان نداء هدف عظيم يتحدى البحر ويتحدى الافاق. وان مانراه في شباب الجامعات اليوم من روعة الخيال الوثاب والاقبال على الاستجابة بروح المغامر الذي لاتثنيه العقبات، هو شيء يبعث مدفون الامال ويثير رغبات النفوس واحلام العقول والقلوب. وكأنهم بذلك يشعرون انهم وارثون لجميع ايات الفكر والفضيلة في تاريخ البشر على الارض وعسى ان يكون هذا الارث الزاخر كالمشعل المتوهج يمسكون عليه الان وفي عزمهم ان يشتد توهجه وهم ممسكون عليه قبل ان يسلموه لمن يليهم.

هذه خواطر احببت ان اشارك بها في هذه المناسبة الجليلة مبرزا بواسطتها هذا الجانب المعرفي الذي تشهده بلادنا في عهد صاحب هذه الذكرى عاهل البلاد.

وكل ما اثرناه لايستحسن ان يجعلنا نحس بالقناعة في مضمار التعليم العالي، بل انه مقدمة فقط، ولكنه مقدمة سارة تبشر بالخير وتعلن ان المستقبل سيكون احسن مادام في القلوب والعقول شوق ومطمح الى ماهو اروع واجمل.

عبد العزيز بغداد

النيابة الاقليمية لوزارة التربية الوطنية ـ مراكش



نهضة التعليم العالي في عهد جلالة الحسن الثاني

للدكتور آمال جلال
عميد كلية الحقوق بفاس

من المسلم به ان المغرب منذ حصوله على استقلاله وهو يسير بخطى حثيثة في ميدان التحضير والتطوير لمخططات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

فانطلاقا من التصميم الانتقالي لسنتي 1958 — 1959 الى التصميم الخماسي الحالي 1981 — 1985 انجزت سبع مخططات كان من بين اهدافها الجوهرية التعليم وتكوين الاطر.

وان نظرة واحدة سريعة على منجزات الدولة في هذا المضمار المتعلق بمخططات التنمية لكفيلة بان تطرح امام اعيننا مدى المجهودات الجبارة التي بذلت وما زالت تبذل لصالح متطلبات النهضة التعليمية وما تقتضيه هذه النهظة من تكالف ونفقات باهضة تتزايد وتتنامى سنة بعد سنة.

وكلنا يعلم أنه على الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي تجتازها بلادنا، فإن النظام التعليمي في نطاقه الواسع ظل يحظى - شأنه شأن الدفاع الوطني - بكل الدعم المالي للدولة، بعيدا عن إجراءات التقشف أو الضن بمستلزمات نفقاته التي تتزايد مع مر الأيام، الشيء الذي يبرهن بوضوح على العناية الفائقة التي يوليها صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله للنهضة التعليمية بهذه البلاد.

ومما يحسن الوقوف عليه ان الدولة تخصص للتعلم في بلادنا حصة هائلة في ميزانيتها تفوق بكثير ما تخصصه دول اخرى مصنفة على مستوى المغرب بل وحتى بعض الدول المتقدمة التي لا تخصص اكثر من 15% من ميزانيتها لميدان التعليم علما بان نظامها الجامعي ليس مجانيا حيث يطلب من كل طالب يريد الانتماء الى الجامعة اداء رسوم تتفاوت قيمتها من 100 الى 1500 دولار سنويا بحسب التخصصات وبحسب البلدان والانظمة الجامعية.

ونحن لن نتحدث في هذا الصدد عن التعليم الابتدائي والثانوي وانما سنكتفي بالاشارة الى تكوين الاطر والتعليم العالي الجامعي.

فتكوين الاطر اضحى بالغ الاهمية لكل بلد في مثل

وضع المغرب باعتباره من مستلزمات التنمية الاقتصادية، اذ لا تنمية بدون اطر، وقد امكن في هذا الصدد بفضل التوجيهات الملكية الحازمة لصاحب الجلالة نصره الله، وانطلاقا من تعليماته المتبصرة التي ما فتيء جلالته يعبر عنها ويدعو اليها في كثير من المناسبات من خلال خطبه السامية، ان يخطو المغرب خطوات جبارة في ميدان تكوين الاطر على مدى الاربع والعشرين سنة الاخيرة.

فاذا كانت الحاجة ماسة الى الاطر العليا للبلاد، فان حاجتها الى الاطر المساعدة لا تقل عنها مساسا، اذ لا يعقل ان تتحمل الدولة نفقات باهضة من اجل تجهيز الكثير من القطاعات كالسكك الحديدية والنقل الجوي والبحري واقامة المصانع والمختبرات المتخصصة وبناء السدود والمطارات دون ان تفكر في اعداد من يقوم برعاية هذه التجهيزات والحفاظ عليها وصيانتها.

وهكذا فمن البدء بمعهد واحد لتكوين المساعدين التقنيين ببزوغ عهد الاستقلال ارتفع عدد المعاهد الى ما يقارب ثلاثين مركزا جهويا للتكوين المهني كما ارتفعت مؤسسات هذا التكوين من خمس مؤسسات الى ما يزيد على مائة مؤسسة تعطي تكوينا مهنيا في مختلف التخصصات، ومن المنتظر ان تقع زيادة عما قريب في عددها لكي تصبح قدرتها الاستيعابية في جميع انحاء المغرب 350.000 مقعدا، واذا كان المغرب يتوفر حاليا على ما يقارب 7000 مهندسا، فان تلبية حاجات الاقتصاد من الاطر التقنية المتوسطة قد دفعت بالدولة الى النهوض ببرنامج واسع النطاق لتكوين التقنيين بمعاهد التكنولوجيا التطبيقية التي يلاحظ انها بدأت تكون يدا عاملة متخصصة ابتداء من اكتوبر 1981 لتلبية حاجات مختلف قطاعات الاقتصاد الوطني.

وفي مجال تكوين الاطر المدربة على نوعية العمل الذي تتطلبه برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية لبلادنا، اعتنت الدولة بانشاء معاهد عليا جعلت كل واحد منها تابعا لوزارة مختصة حتى يتم تكوين الاطر تكوينا يتلاءم مع حاجيات مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية كالمدرسة الوطنية للادارة العمومية والمعهد العالي للتجارة وادارة المقاولات والمعهد الوطني للاحصائيات والاقتصاد التطبيقي ومدرسة المعادن والمعهد العالي للصحافة ومدرسة استكمال تكوين الاطر والمدرسة الحسنية للاشغال العمومية الخ...

وقد تخرج من هذه المعاهد العليا منذ انشائها الى الان الاف من الاطر المقتدرة هي التي يعهد اليها بمسؤولية التسيير والاشراف على كثير من المرافق والمصالح المركزية والجهوية التابعة لمختلف الوزارات، بحيث يمكن القول ان معظم المسؤولين من رؤساء المصالح ورؤساء الاقسام والموظفين السامين بمختلف الوزارات بما فيهم رجال السلطة هم من خريجي هذه المعاهد الوطنية العليا التي يخصها صاحب الجلالة بعناية خاصة بترأسه، حفظه الله، احيانا لاحتفالات تخرج افواجها.

وتضمن هذه المعاهد التي تصل طاقتها الاستيعابية الى 8000 مقعد تكوينا رفيعا لطلبتها لا يقل عن التكوين المعطى في مثل هذه المعاهد في الدول المتقدمة كفرنسا وكندا وامريكا، ولذلك فلا غرابة اذا كانت بعض هذه المعاهد تقبل الطلبة لديها من بين حملة الشواهد الجامعية كمدرسة استكمال تكوين الاطر والمدرسة الوطنية للادارة العمومية بالنسبة للسلك العالي.

هذا عن المعاهد العليا، فماذا عن الكليات والجامعات التابعة لوزارة التربية الوطنية؟

يمكن القول انه بالنظر الى المكانة المرموقة التي يحتلها المغرب في تاريخ الثقافة الاسلامية والعربية العريقة وانطلاقا من مقوماته الحضارية والادوار الطلائعية التي لعبها على مختلف مراحله التاريخية، واعتبارا لاهمية الدور الثقافي الذي اضطلعت به جامعة القرويين منذ احدى عشر قرنا في تعميق المعرفة والفكر، فقد كان من اللازم التفكير في خلق تعليم جامعي وطني يستجيب لطموحات المغرب في بداية عهد الاستقلال.

فبعد الشهور الاولى لاستقلال المغرب بدأ التفكير جديا في بعث نهضة تعليمية شاملة تستقطب كل مراحل التعليم بالمراجعة والاصلاح لاستقبال جيل جديد متعطش للنهل من المعرفة والعلم في ثوبه الجديد لمواكبة روح العصر وتدارك ما فوته عليه عهد الحماية بما في ذلك التعليم العالي باعتبار انه من مقومات معركة البناء والتشييد للمغرب الجديد.

وقد كانت اشارة الانطلاقة نحو هذه المعركة على يد جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه بتدشينه اواخر سنة 1957 بالرباط اول جامعة مغربية عصرية تحمل اسمه الكريم. حيث ذكر جلالته بان العناية التي اولاها لكليتي القرويين وابن يوسف والتي كان لها اثرها الواضح في ترقية اساليب التعليم بهما، لم تكن من شأنها ان تنسي جلالته ما يقتضيه العصر وما تتطلبه مقتضيات التطور من تأسيس جامعات عصرية كفيلة بسد حاجيات البلاد الى ما ينقصها من كفاءات واطارات في

شتى الميادين وقد قال رحمه الله «انه ما لم تتوفر بلادنا على مثل هذه الجامعات فسيظل ابناؤنا عالة على الغير وسيبقى التعليم عندنا مبتورا».

وهكذا، ونظرا للتشجيع الفعلي الذي لقيه قطاع التعليم العالي على يد جلالته، قدس الله روحه، ارتفع عدد الطلبة الجامعيين في المغرب من 1800 طالب سنة 1957 الى 4500 طالب سنة 1961 من بينهم 3000 طالب مغربي.

ولابدع ان تثبت الفصول اصولها.

فمنذ اعتلاء جلالة الملك الحسن الثاني العظيم عرش اسلافه المنعمين، لم يفتأ جلالته يولي عنايته الخاصة لقطاع التعليم العالي والبحث العلمي علما واقتناعا منه، حفظه الله، باهمية هذا التعليم بالنسبة للمغرب الذي يسعى تحت قيادته الحكيمة الى مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي مع حرصه على الاستمرار في المحافظة على جوهر مقومات حضارته العربية والاسلامية التي ميزت تاريخه العريق عبر تعاقب الاجيال.

فانطلاقا من التوجيهات السامية المتوالية لجلالته كرجل دولة مثقف ومكون تكوينا جامعيا عاليا يقل نظيره حتى عند رؤساء الدول العظمى، استطاع المغرب خلال عهده الزاهر ان يقطع اشواطا هامة تخطى بها صعوبات جمة متنوعة رغم حجم نموه السكاني المتفجر، وفي هذا الصدد تم انجاز اصلاحات تربوية تتسع عن الحصر، كما تم تحقيق منجزات هامة عبر مختلف المخططات، الشيء الذي طبع النهضة التعليمية العليا بزيادة ملموسة في عدد المؤسسات الجامعية وفي اعداد الطلبة وفي الرفع من مستوى التأطير التربوي والاداري مع تعميم المنح الدراسية على كل الطلبة الجامعيين.

على انه اذا كان استعمال الارقام قد اصبح مالوفا في علم الاحصائيات، فانه يمكن القول ان لغة الارقام قد اصبحت مع انتشار هذا العلم احسن ما يترجم بكل صدق وموضوعية مدى التطور الذي يطبع نمو وازدهار او تقلص وتراجع قطاع او مرفق كقطاع التعليم العالي.

فكلنا يعلم ان العشر سنوات الاخيرة تطلبت من المغرب تضحيات مالية جبارة بسبب المجهود الحربي الذي فرضه ويفرضه الدفاع عن قضيتنا المقدسة منذ استرجاعنا لاقاليمنا الصحراوية واستكمال وحدتنا الترابية بقيادة مبدع المسيرة الخضراء جلالة الملك الحسن الثاني سدد الله خطاه.

لكن بالرغم من هذه التضحيات، وبالرغم من الظروف الصعبة التي يجتازها الاقتصاد العالمي وبالرغم من سنوات الجفاف المتلاحقة، فقد واصل المغرب، كما قال جلالة الملك في خطابه الاخير الذي القاه امام ممثلي رجال التعليم بمراكش يوم 7 فبراير 1985، سيره بخطى ثابتة في ميدان التعليم عموما والجامعي خصوصا، بحيث يمكن القول ان المسيرة الخضراء التي انبثق عنها مغرب جديد قد افرزت مسيرة علمية ونهضة تعليمية عليا لم يسبق لها مثيل مما يؤكد بوضوح، اذا كان الامر يحتاج الى تأكيد، ان قطاع التعليم العالي ظل ينمو ويزدهر بدون تعثر.

وبالرجوع الى الارقام يتضح ان عدد الجامعات المغربية ارتفع من جامعتين سنة 1961 هما جامعة محمد الخامس بالرباط وجامعة القرويين بفاس الى اربع جامعات سنة 1975 وذلك بانشاء جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس ثم الى ست جامعات باضافة جامعة محمد الاول بوجدة والقاضي عياض بمراكش.

كذلك ارتفع عدد الكليات من اربع كليات سنة 1961 الى عشر كليات في اكتوبر 1975 موزعة على كل من الرباط والدار البيضاء وفاس، ثم ارتفع عددها في اكتوبر 1979 الى عشرين كلية موزعة بالاضافة الى المدن السالفة الذكر على كل من وجدة ومراكش وتطوان واكادير، وقد اصبح هذا العدد في اكتوبر 1984 اربعا وثلاثين كلية وذلك بعد احداث كليات العلوم والاداب بتطوان ومكناس منذ ثلاث سنوات وباحداث كليات من نفس التخصص في المحمدية واكادير واضافة كلية جديدة للاداب واخرى للعلوم في مدينة الدار البيضاء.

وتوزع مختلف هذه الكليات كما يلي:

ـ كليات الاداب	10
ـ كليات العلوم	9
ـ كليات الحقوق	5
ـ كلية الطب	2
ـ كلية طب الاسنان	2
ـ كلية الشريعة	2
ـ كلية اصول الدين	1
ـ كلية اللغة العربية	1
ـ كلية علوم التربية	1
ـ المدرسة المحمدية للمهندسين	
	34

ومن المقرر ان يرتفع هذا العدد من الدخول الجامعي المقبل الى ثمان وثلاثين كلية باضافة كلية الاداب واخرى للعلوم في كل من القنيطرة والجديدة في اطار تقريب التعليم العالي من المواطنين.

واذا اضيفت لهذا الرقم المعاهد التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط وهي معهد التعريب والمعهد العلمي والمعهد الجامعي للبحث العلمي اتضح ان عدد المؤسسات الجامعية ارتفع في عهد جلالة الملك الحسن الثاني الزاخر بالمنجزات من اربعة سنة 1961 الى اربعين مؤسسة جامعية سنة 1985، دون ان يدخل في هذا الرقم المدارس العليا للاساتذة والمراكز البيداغوجية الجهوية ومدارس تكوين المعلمين.

وبالنسبة للطلبة الجامعيين فقد ارتفع عددهم من 4500 طالب سنة 1961 الى 120.000 طالب سنة 1985 يتابعون دراستهم بالسلكين الاول والثاني بالمغرب. هذا مع العلم ان ما يقارب 20.000 طالب جلهم من الممنوحين يتابعون دراستهم خارج المغرب علما بأن الرقم يتجه الى الانخفاض بسبب حصر المنحة مستقبلا خارج المغرب على التخصصات غير الموجودة في الكليات المغربية، فاذا اضيف الى هذه الارقام عدد الطلبة الذين يتابعون دراستهم بالسلك الثالث بمختلف شعبه داخل وخارج المغرب والذين يقدر بـ 5000 طالب يتضح ان عدد طلبة التعليم العالي قد بلغ سنة 1985 ما يقارب 145.000 طالب وهو ما يعادل 32 مرة الرقم الذي كان عليه عدد الطلبة سنة 1961 اي 4500 طالب.

هذا وتجدر الاشارة الى انه قد واكب نمو حجم الجامعات المغربية تزايد في عدد اساتذة الكليات على مختلف درجاتهم حيث ارتفع عددهم من 172 استاذا سنة 1961 الى 4131 استاذا سنة 1985 فيهم 3525 استاذ مغربي اي ان نسبة المغربة في الجامعات المغربية تبلغ الان 85% بصفة اجمالية علما بانها قد تصل في بعض الكليات كما في كليات الحقوق الى 95%. وبذلك يتضح ان عدد اساتذة الجامعة المغربية يعادل 24 مرة الرقم الذي كان عليه عددهم سنة 1961.

واذا كان عدد الطلبة الممنوحين داخل المغرب يصل الى 83.000 طالب فيجب الا ننسى ان الاحياء الجامعية التي ارتفع عددها من حي جامعي واحد الى تسعة احياء جامعية تقدم السكن والتغذية لآلاف الطلبة بثمن ضئيل لازال عما هو عليه منذ ما يزيد على 13 سنة اي 1،40 درهم للوجبة بينما انخفض ثمن السكن على اثر الخطاب الملكي السامي القاضي بتخفيض الثلث من قيمة الكراء لكل ما لا يصل دخله الشهري الى 1500 درهما. وبهذا صار الثمن الشهري للسكن الجامعي 40 درهما عوض 60 درهما.

وتقدم الاحياء الجامعية في المغرب 50.000 وجبة يومية موزعة كالاتي:

- الرباط 16.000 وجبة
- الدار البيضاء 8.000 وجبة
- فاس 13.000 وجبة
- مراكش 10.000 وجبة
- وجدة 3.000 وجبة

ان وقفة تأمل بسيطة في الارقام المذكورة اعلاه تبين بوضوح انها تطورت خلال الاربع والعشرين سنة الاخيرة في شكل تصاعدي. وان ما يسجله الانسان بارتياح وابتهاج ان الزيادة الكبيرة التي طرأت على عدد الجامعات والكليات والاساتذة والطلبة الجامعيين هي واقعة في العشر سنوات الاخيرة، مما يدل بوضوح، انه بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمر بها بلدنا وبالرغم من الحرب المفروضة عليه، فان قطاع التعليم عموما والعالي خصوصا ظل يحظى بالدعم اللازم في سبيل تحقيق النهضة العلمية التي يتطلبها المغرب ما بعد مسيرته الخضراء. ولعمرى، ففي هذا الامر دلالة كبيرة على عظيم العناية التي يوليها باعث نهضتنا ومحرر صحرائنا جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله لاسرة التعليم.

ويكفي الجامعة المغربية فخرا الثقة الموضوعة فيها وفي اطرها بوضع صاحب الجلالة لولي عهده صاحب السمو الملكي الامير سيدي محمد كطالب بشعبة القانون العام بالقسم العربي بكلية الحقوق بالرباط. كما يكفيها فخرا انها اصبحت تحتضن ابتداء من الدخول الجامعي 1984 — 1985 اول دفعة لحملة الباكالوريا في اقاليمنا الصحراوية الذين تلقوا تعليمهم الابتدائي والثانوي في مدارس مغربية.

ذ. امال جلال

مسيرة تلو الأخرى لتحقيق الأفضل

اعياد الامم وذكرياتها الوطنية، هي بمثابة موافف لها تقفها في التاريخ وفي المسار العام لتطورها الحضاري، من اجل ان تحيي نبض الماضي في وجدان اجيالها وتجدد في ضمائرها المعنى الذي تختزله هذه الذكريات والاعياد، ومن اجل ان تبعث في النفوس روح الحشد والتعبئة لمواصلة مسيرة الإرتقاء قدما في مدارج العمل والتطور، وفي معارج الانتاج والعطاء، واخيرا، من اجل ان تحشد هذه الامم وتحشد عزيمتها الى الرفعة، وتشد سواعدها لمضاعفة العمل وتحقيق المزيد من الانتصارات والمكاسب، وتقوى طاقاتها على مواجهة التحديات والمصاعب، وبهذا العمل لا تصبح الذكريات والاعياد في حياة الامم والشعوب والدول مجرد ايام تتوالى وتتعاقب عليها كسائر الايام، ولكن تغدو مراحل لانجاز العمل، وللتأمل في التاريخ، ولامعان الفكرة الفاحصة في الماضي والحاضر، ولتمحيص الرؤية الثاقبة الى آفاق المستقبل، كما تغدو اشواطا لاستخلاص العبرة من التاريخ واستصفاء الدرس من احداثه، واستقصاء المعالم الواضحة التي على هديها ستتقدم القافلة، وعلى جادتها سيتطور مستوى الحياة، وعلى محجتها البيضاء سيسير العمل، والعلم.

وكل هذه الدلالات والمعاني العميقة، يختزلها احتفال الامة المغربية الموحدة ـــ نظاما ومذهبا وحضارة وسيادة وتاريخيا ـــ بذكرى جلوس امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني المنصور بالله على عرش اسلافه المنعمين، وهو الاحتفال الذي يخلد هذه السنة الذكرى الرابعة والعشرين.

اربع وعشرون سنة كاملة مضت على ذلك اليوم ـــ السادس والعشرين من شهر فبراير عام 1961 ـــ الذي جددت فيه الامة المغربية قاطبة، بيعتها التاريخية للمشروعية، وللاستمرارية، وللخلود الذي من خلاله، تتجاوب قلوب الشعب مع العرش، وتردد في ضمائرها ووجدانها اصداء الوفاء والولاء التي جعلت منذ اربعة عشر قرنا من الزمن، شعب المغرب وعرش المغرب،

كلا واحدا لا يتجزأ،وكتلة متراصة من القيم والمبادىء والفضائل التي تشربها وتشبع بها شعب المغرب مستمدا اياها من العروة الوثقى والمقدسة الجامعة بينه وبين ملوكه الميامين عبر التاريخ.

ان اربعا وعشرين سنة في حياة الدول والشعوب، ليست بالشيء الكبير الذي يعتد به، الا في القليل النادر من تاريخ بعض الامم التي حباها المولى سبحانه قيادة مؤمنة صالحة، تعمل وتكد، وتنصب وتجد، وتوالي البذل والتضحية آناء الليل واطراف النهار لكي تسعد فئات الامة وترفل في حلل الرخاء والرقي والتطور المادي والمعنوي والحضاري.

وأمة المغرب، هي من هذه الامم المحدودة التي اسبغ عليها المولى عز وجل تمام الرضى والاسعاد، فخص بلادنا ـــ وله دوام الحمد والشكر ـــ بقائد ملهم، وزعيم فذ، وملك همام، لا يني عن العطاء والبذل، في كل وقت وحين، حتى يتقدم شعبه، ويرق وطنه، وحتى تستكمل السيادة وتحاط الوحدة الترابية والوطنية باوفى اسباب القوة والمناعة، وشروط العافية والحصانة...

إنه أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني الذي اجمعت الامة، طائفة طائفة، وفئة فئة، وجماعة جماعة، وكلا كلا، على مبايعته ومعاهدته على السير وراءه، والولاء له، والالتفاف حوله.

فكان اعزه الله وامد في عمره ـــ على العهد الوثيق مع شعبه الوفي المخلص؛ يقود بالحكمة وصواب الرأي وسداد الخطوة، ويسوس بالشريعة ونفاذ البصيرة وتقواها، ويحكم الامور لتسق نتائجها مع مقدماتها، ولتتطابق مع الشرع والمشروعية ـــ الاحكام والمقتضيات التي يوجبها نشوء القضاء ونموها، سواء في كبير الامور او صغيرها، او في جليلها وهينها..

وعلى هذا المنهاج الواضح والسليم، تتابعت خلال اربع وعشرين سنة مضت من الخلافة المنيفة لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، خطوات السياسة والتدبير، والتفكير والتسيير، محكمة في جميع المجالات والميادين، ومتقنة مسددة في سائر الحقول والمضامير، خطوات يوجهها الايمان، ويلهمها التعلق باوامر الكتاب ونواهيه، والالتزام بالسنة اقوى الالتزام واطهره واتقاه، ويحكمها ويضبطها السير على منهاج السلف الصالح من الخلفاء والملوك، والعلماء الاتقياء، وذريتهم التي على دينهم وشرعهم الذي انزله الله على نبيه المصطفى محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وكان هذا المنهاج ـــ ولا يزال ـــ خير معوان يستمد منه جلالة الملك الحسن الثاني مادة النظر والعمل والتدبير والتقويم لما فيه المصلحة العليا لامته الراعية لحقوق البيعة والعهد بينها وبين ملكها المجاهد، ويسترشد ويقتبس ما في المنهاج من كليات وجزئيات تعين جلالته حفظه الله على الصيانة والحفظ، والتعهد والتقدم، والتحقيق والانجاز؛ في هذا المجال او ذاك من مجالات التطور المعاشي والفكري والحضاري لامتنا.

وهكذا منذ اربع وعشرين سنة خلت، بدأت بلادنا بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني طفرة في النمو الشامل، والتقدم المتكامل، ووثبة عالية لازمتها التضحية والتعبئة وتعلقت فيها اسباب ما يحمل على الرفعة، وتحصيل الامجاد، واكتساب المعالي، متراصة متينة، مترابطة مكينة، يوثقها الايمان والجهاد، ويوطدها العمل والانجاز، وتقويها الثقة في الله ليضفي نعمه، ويسبغ الطافه، ويزيد من افضاله على امتنا..

فعلى هذا المدى الوجيز من الزمن، انصرف المغرب بجهده وطاقته وامكاناته، تحت القيادة المؤمنة لجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، الى البناء والتعمير، والتشييد والانجاز، محققا الامال والرغائب، ومنجزا الاهداف والبرامج، ومتشوفا في كل عام ـــ بل في كل يوم ـــ الى المزيد من المشروعات التي بها يتطور مستوى تقدمه في كل مجال وفي كل ميدان، وبواسطتها يرقى الانسان والارض، الى الافضل والاحسن والامثل في سائر وجوه الحياة اليومية وفي كل نطاق، تنطلق مسيرة وتنبثق، يبدعها ويقودها، ويرفع لواءها ويحمل مشعلها، جلالة الملك الحسن الثاني رعاه الله، مسيرة تلوالاخرى للاصلاح والتقويم، وللتحرير والوحدة، وللتقدم والتطوير الاقتصادي والاجتماعي والفكري،...

ومسيرة تلو الاخرى لتحقيق الافضل، وصلة الحاضر بالماضي، وربط الراهن بآلاتي، وتمتين عرى المشروعية والاستمرارية، وفاء لمبادئنا وقيما ومقوماتنا الثابتة في التاريخ الراسخ والمستمر للمغرب والمغاربة اجمعين.

والباصرة المنصفة الفاحصة، لا تخطيء ملاحظة مدى ما مس المغرب من تطور وتغيير شامل وحضاري، لا زالت ملامحهما وصورهما الحية النابضة تتلاصق وتتعاقب في الحياة اليومية للامة، ولا زالت آثارهما تتجلى ـــ اوكد التجلي واظهره ـــ فيما يعتمل فيه الانسان المغربي، وتتنشط له نفسه، ويقبل عليه بمواهبه وملكاته وطاقاته الحية التي حباه الله سبحانه وتعالى بها وجعله مسؤولا عن توجيهها توجيها رشيدا يبدع بها، ويبتكر الصالح،

ويرفض الطالح، ويقبل النافع، وينفي عنه الفاسد المفسد.

وفي هذا المدى وفي اطاره العام، تشخص ابصارنا نحن المغاربة كافة، في اليوم التاريخي الاغر الذي قدرته عناية المولى سبحانه وتعالى يوما لتربع امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني على عرش اجداده الغر الميامين، في هذا اليوم، تشخص ابصارنا الى معالم النهضة المتواصلة، والوثبة الحية، والطفرة المتوالية والانبعاث المتجدد، والتطور التاريخي المستمر...

ويمكن القول بدون مبالغة، وبدون شطط او تعسف في الكلام ان مسيرة اربع وعشرين سنة من الخلافة الميمونة والمباركة لامير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، امدها الله بالعون وبزكي المدد، كانت وستظل باذن الله ومشيئته مسيرة ملاحم ومعالم، ومسيرة معارك جهادية ومواجهات بطولية، تتجلى فيها القيادة الفذة، والسياسة المؤمنة، والتوجيه الحكيم، وتظهر فيها الرياسة المتبصرة، والترشيد العقلاني للامور والقضايا؛ في ظواهرها وبواطنها، وفي حقائقها وفي شكلها وجوهرها.

فهذه مسيرة الى الايمان والتمسك بالقرآن، حبل الله المتين وحجته البالغة على عباده المؤمنين، وهذه مسيرة الى توحيد تراب الوطن واستكمال وتثبيت سيادته بالاقناع والحوار وبالتالي هي احسن، وهذه مسيرة الى تطوير امكانيات المغرب واستغلالها بما يعود على الامة بالمنفعة والجدوى، وهذه مسيرة الى الارتقاء بمستوى الفكر المغربي ومواصلة اشعاعه على الاقطار والاصقاع، وهذه مسيرة الى توظيف واستثمار الموارد المغربية، طبيعية ومادية وبشرية، وهذه مسيرة الى تحصين الوجود المغربي وجعله اقوى من رياح التضليل والتهافت والضعف والجمود، وهذه مسيرة الى انشاء واشاعة روح الشورى والديمقراطية وحث الفرد على المشاركة الكاملة في العمل الوطني، وهذه مسيرة الى تحرير فلسطين، وتحرير القدس، وتنوير الرأي العام الدولي بقضايا العالم الاسلامي في عالمنا المعاصر، وهذه مسيرة الى احياء الماضي في المجالات والمستويات العلمية الهامة والحيوية لتنشئة وجدان الاجيال الصاعدة تنشئة قائمة على دعائم الايمان والحرية والتعاون والتسامح والفضيلة الاسلامية، وهذه مسيرة الى اعادة صياغة الطاقات الشابة في البلاد وفق المتطلبات والحاجيات التي يقتضيها التطور المعاصر فيما يخص التكوين التكنولوجي..

الى غير ذلك من المسيرات الناجحة والمباركة والموفقة التي يدعو اليها امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني شعبه الوفي فيستجيب، بعفوية وتلقائية تشهدان على رسوخ المشروعية، وصدق الوفاء المتبادل، وعمق الاصرة الرابطة بين القمة والقاعدة، وصلابة النضال المشترك بين العرش والشعب، على مدى العصور والاحقاب، وتوالي الاعوام والدهور؛ سنة الله في الارض، ولن تجد لسنة الله تبديلا.

وفي خضم هذه المسيرات المؤمنة والتاريخية التي عاشها ويعيشها المغرب، يأبى أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لجلوس جلالته المنيفة على عرش اجداده المقدسين، الا ان يجسم حفظه الله هذه البيعة الخالدة والمتجددة بين جلالته وشعبه الوفي، من الصحراء الى البوغاز في مسيرة اخرى تتمثل في احياء حفلات عيد العرش المجيد لهذه السنة، وفي اقامة حفلة الولاء وتجديد البيعة من الامة الى ملكها الهمام جلالة الملك الحسن الثاني، في مدينة العيون بالصحراء المغربية المحررة من الاستعمار، فجاء هذا الحدث التاريخي المشهود، والفريد من نوعه، دليلا جديدا على مغربية الصحراء وعنوانا صادق العنفوان على مهرجان الوحدة والتحرر المغربي من الكويرة الى طنجة.

وبهذه الحفلات التي جسمت من جديد، مشروعية الحق المغربي الثابت والراسخ الجذور في الارض والتاريخ والقانون والعدل والمصداقية، قطعت دوابر الطامعين في مكتسبات الشعب المغربي في وحدته وحريته، ووضع حد نهائي لاحلام الجاحدين، والعاقين حقوق الجوار، والمبوئين مباءة الاثم والعدوان، وقد نهى الله عنهما في كتابه العزيز اذ يقول جل من قائل : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان».

اربع وعشرون سنة كاملة من الخلافة الميمونة والمؤمنة لامير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بالله حافلة ومليئة بالمفاخر السنية، والمآثر العظيمة، والمنجزات الكريمة، سنوات عمل وجهاد وبطولة وتضحية وعطاء وانتصارات ومضت في سجل التاريخ صفحات امجاد ومناقب ومكاسب فعزت عن الوصف والتحليل والافاضة، وجلت عن الاحاطة الشاملة، وعظم شأنها في التاريخ وثقل وزنها في قسطاس الاعمال الباقيات والافعال الصالحات المبرورة في كتاب الله والمشكورة في سنة رسوله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي هذه السطور الوجيزات، اكتفى القلم ـ وقد ضاق امامه مجال القول فعجز عن الاطالة والتطويل، واتسع له مضمار الموضوعات والمنجزات والمكتسبات المحققة ـ بالاشارة دون الاطناب، والتلميح دون طويل التصريح، وهذه الاعمال شاهدة، والمنجزات ناطقة، والمكاسب حية، والعمل ماثل.

دعوة الحق

فهرس العدد 246

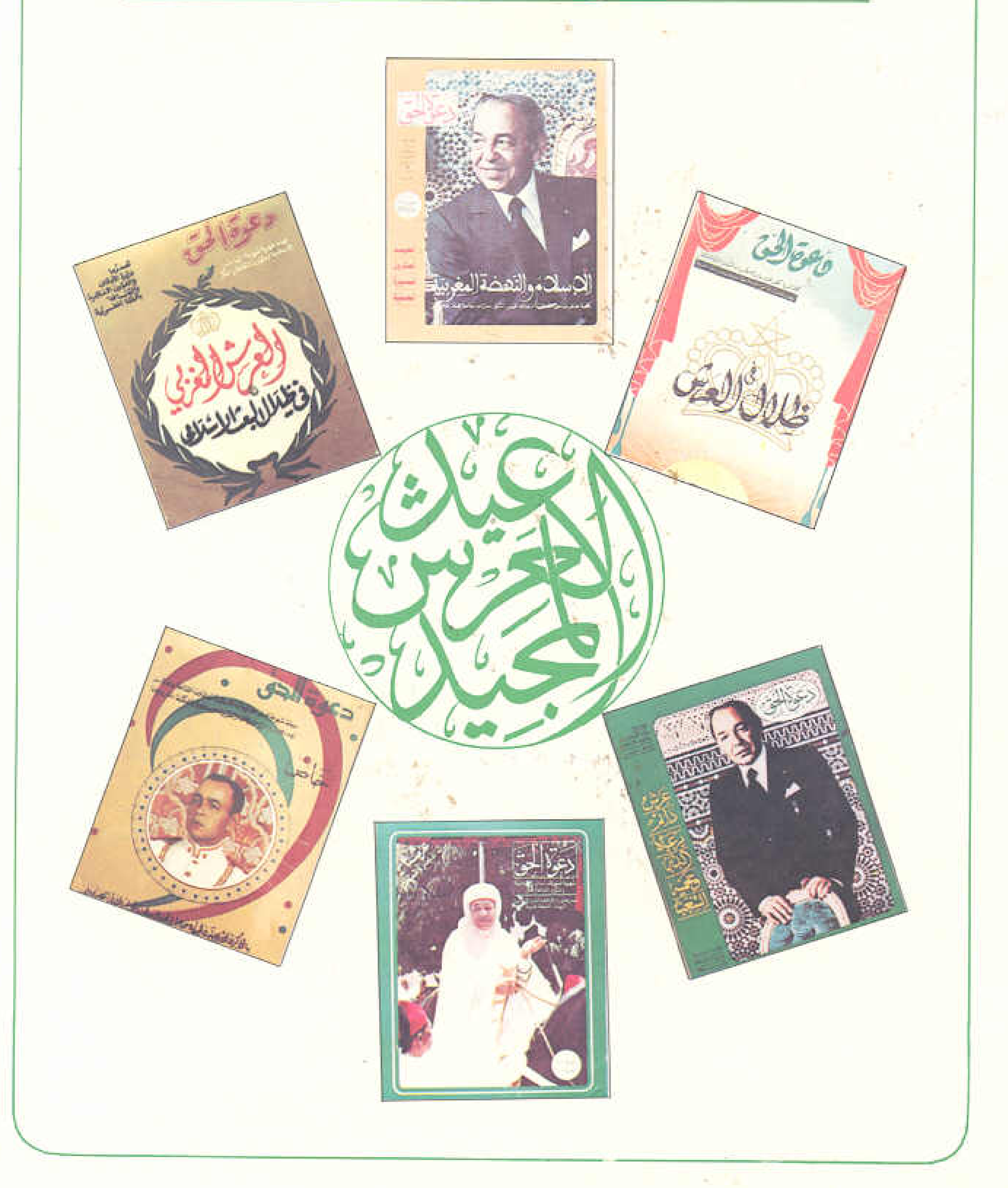
الافتتاحية :

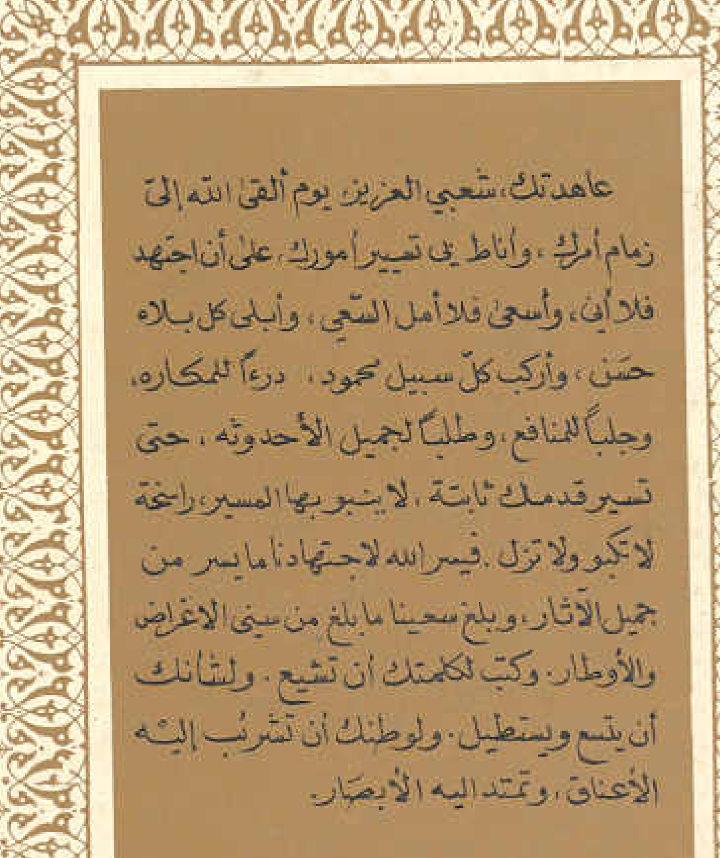
ديوان دعوة الحق الوطني

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب

رقم الايداع القانوني 1981/3

من أعداد "دعوة الحق" الممتازة، الصادرة بمناسبة





عاهدتك، شعبي العزيز، يوم ألقى الله إلي
زمام أمرك، وأناط بي تسيير أمورك، على أن اجتهد
فلا أني، وأسعى فلا أمل السعي، وأبلي كل بلاء
حسن، وأركب كل سبيل محمود، درءاً للمكاره،
وجلباً للمنافع، وطلباً لجميل الأحدوثة، حتى
تسير قدمك ثابتة، لا ينبو بها المسير، راسخة
لا تكبو ولا تزل. فيسر الله لاجتهادنا ما يسر من
جميل الآثار، وبلغ سعينا ما بلغ من سني الأغراض
والأوطار، وكتب لكلمتك أن تشيع، ولشأنك
أن يتسع ويستطيل، ولوطنك أن تشرئب إليه
الأعناق، وتمتد إليه الأبصار.

جلالة الملك الحسن الثاني
نصره الله